جامعة اليرموك
كليـــة الآداب
قســم التاريخ

أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني
١٨٧٦ - ١٩٠٩

إعداد الطالب :
يوسف حسين يوسف عمر

إشراف الدكتور :
وليــد العريض

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م

الإهداء

إلى أبي وأمي عساني أحظى بالمزيد من دعائهما .

إلى أخوتي زهير، سعيد، محمد، عبد الفتاح، زايد، عناوين للدعم المادي والمعنوي .

إلى زوجتي الحبيبة جزاء وفائها وصبرها .

إلى ابني إسلام الذي رأى النور خلال إنجاز هذا الجهد .

بسم الله الرحمن الرحيم

مناقشة رسالة ماجستير بعنوان:

أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩

إعداد الطالب : يوسف حسين يوسف عمر

إشراف الدكتور: وليد العريض

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

لجنة المناقشة:

الدكتور: وليد العريض .... مشرفا ورئيسا

الدكتور: ممدوح الروسان .... عضوا

الدكتور: نوفان الحمود السواريه .... عضوا

الأردن

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الى كل من ساهم في إنجاز هذا الجهد، و أخص بالذكر:أسرة قسم التاريخ بجامعة اليرموك وفي مقدمتهم الدكتور وليد العريض الذي أشرف على هذه الرسالة بجهده وإسهاماته لإخراجها على هذه الصورة.

كما وأتقدم بالشكر والامتنان إلى العاملين في مكتبة جامعة اليرموك ، والعاملين في مكتبة الجامعة الأردنية ، وخصوصا العاملين في قسم التصوير (الميكروفيلم) ، كذلك العاملين في مكتبة جامعة آل البيت، ومؤسسة شومان

كما ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الاخوة الأتراك:

علي محمد دمير Ali Mehmet Demir

عثمان قاسم كوكجان Osman Kasim Gökcen

على ما بذلاه من جهد في هذه الرسالة خلال الترجمة من اللغة التركية إلى اللغة العربية.

قائمة المختصرات

المختصرات العربية	المختصرات الأجنبية
م. مجلد	Ency. Encyclopaedia دائرة معارف
ك. كراس	Kisim قسم (بالتركية)
ج. جزء	Cilt مجلد (بالتركية)
ق. قسم	Vol. مجلد
ط. طبعة	Loc. cit., المصدر أو المرجع والصفحة نفسهما
ص. صفحة	Ibid., المصدر أو المرجع نفسه

الفهـــرس

المقدمة.

حظيت الدولة العثمانية باهتمام بالغ من قبل الدول الأوروبية الغربية في عدة نواح منها : السياسية والاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية، وذلك بسبب ما تمثله هذه الدولة من تصور أوروبي بأنه في حالة ضعفها ،فإنهم سيفوتون عليها فرصة ازدهارها. كذلك الأمر من الناحية الاقتصادية حيث كان الأمر يوجب عليهم عدم التهاون في المسائل الهامة التي يمكن جنيها من وجود شعب كبير وأرض واسعة ،كثيرة الخيرات، متنوعة التضاريس والموارد. ومن الناحية العسكرية والاستراتيجية، فقد كانت الدول الاوروبية تنظر إليها على أنها تمثل موقعا جغرافيا يمتاز بملازمته لحدودها. وفيما بعد أصبحت الدولة العثمانية تمثل العقبة التي تقف أمام أطماع أوروبا. ولقد كان عهد السلطان عبد الحميد نموذجاً واضحا لتلك العلاقة بين الدول الاوروبية والدولة العثمانية، حيث يعتبر عهد هذا السلطان من أهم العهود التي عاشتها الدولة العثمانية وأشدها خطورة ،ذلك أن عهده شهد تغيرات داخلية وخارجية ،كان أثرها واضحاً عليه وعلى دولة العثمانية، خصوصاً بعد توليه الحكم من ١٨٧٦-١٩٠٩م وهي الفترة التي كان فيها السعي الحثيث لخلع السلطان عبد الحميد عن العرش.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها محاولة جادة لدراسة فترة حكم السلطان عبد الحميد ،ومعرفة الظروف السياسية المحيطة به داخلياً وخارجياً، وخصوصاً منذ ظهور جمعية الاتحاد والترقي، ونشاطها الداخلي والخارجي، وعلاقتها بالقوى الاوروبية واليهودية العالمية بجميع مؤسساتها والأشكال التي عبروا فيها عن أنفسهم من ماسونية ودونمة وصهيونية.

أما الهدف من اختيار هذه الدراسة ،فيكمن في إضافة رسالة الى مجموعة الكتب عن السلطان عبد الحميد ،التي إن قورنت بالكتب الأجنبية تعتبر قليلة ،وذلك في محاولة لتوضيح أهم الأحداث التي أدت إلى ثورة ١٩٠٨ ضد السلطان عبد الحميد، ومن ثم خلعه عن العرش سنة ١٩٠٩،كما وتأتي هذه الدراسة للإجابة على عدة أسئلة منها:

- ما هي الظروف الداخلية والخارجية التي وجد فيها السلطان عبد الحميد وأدت إلى خلعه؟
- ما هي العوامل التي أدت إلى خلع السلطان عبد الحميد؟
- هل كانت جمعية الاتحاد والترقي تعبر عن الأماني القومية التركية أو العثمانية؟
- هل كانت قرارات جمعية الاتحاد والترقي قرارات تركية او عثمانية؟
- ما مدى مساهمة القوى الأجنبية المختلفة مع جمعية الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد ؟
- ما هي نتائج ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان عبد الحميد عن العرش ١٩٠٩؟

وأما الدافع على كتابة هذه الدراسة ،فيكمن في توفر مؤلفات كثيرة كتبت باللغات الأجنبية عن السلطان عبد الحميد، لكن هذه المؤلفات قد غزاها التعصب الديني و القومي في كثير من الأحيان، ومن أمثلتها كتاب: ألما وتلن (Alma wittlin) في مؤلفها. عبد الحميد الثاني ظل الله على الأرض، الذي احتوى في كثير من صفحاته على مغالطات تاريخية واضحة، أوجبت الحذر في استقاء المعلومات منه . كذلك كتاب ماري ملز باتريك في مؤلفها: سلاطين بني عثمان الخمسة، الذي يحتوي كذلك على أخطاء تاريخية واضحة ،وتحامل على الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد ،باعتباره حاكما رجعيا يعمل جل جهوده ويكرس كافة إمكانياته لمنع الشعب من التعلم . ومن المؤلفات العثمانية .خواطر نيازي أو صحيفة من تاريخ الانقلاب العثماني الكبير ،لمؤلفه : أحمد نيازي الرسنة لي ، الذي كان مناوئا للسلطان ، بل وقائد الثورة التي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ ضد السلطان عبد الحميد ، وهذا يكفي ليكون مؤلفه من المجموعة التي يجب الحذر منها. كذلك كتاب أحمد صائب في مؤلفه :عبد الحميدك أوائل سلطنتي ، الذي يعتبر من جماعة تركيا الفتاة ، التي رفعت لواء المعارضة لسنوات عديدة .

وأما المصادر العربية التي تتحدث عن السلطان عبد الحميد، فلا تخلو من اتهامه بالظلم والاستبداد وسفك الدماء، ومحاربته لكل كلمة حرة ،وهؤلاء كانوا من المناوئين للسلطان عبد الحميد، بل وينتمون الى أحزاب سياسية كان لها الدور الريادي في مناهضته ،ومن هؤلاء ولي الدين يكن في مؤلفه: المعلوم والمجهول ،الذي كان من المنتمين الى جمعية الاتحاد والترقي ،كما كان مناصرا للإنجليز وسياستهم في مصر، والتي عبر عنها صراحة في مؤلفه الذي احتوى المديح لهم والذم للسلطان عبد الحميد. ولم يخطر ببال أحد من هؤلاء الذين عاصروا السلطان عبد الحميد أن يقوموا بتسجيل الأحداث بشكل حيادي لرسم صورة صادقة نسبياً عنه.

وأما المؤلفات العربية الحديثة عن السلطان عبد الحميد فهي قليلة نسبيا، دون الدخول في كثير من التفصيلات عنه .وكانت هذه المؤلفات في كثير منها غير محايدة على الإطلاق، حيث غزاها التعصب القومي والحزبي، بشكل جعل الحيادية فيها أمرا ثانويا، ورغم ذلك فقد وجدت مؤلفات تناولت السلطان عبد الحميد بنوع من التوسع في محاولة للدفاع عنه وإعادة الاعتبار له، وتفسير بعض المواقف الخلافية، ومن ذلك أورخان محمد علي، في مؤلفه: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده. ومحمد حرب في مؤلفه: عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار ١٨٤٢-١٩٠٩ .وعبد العزيز الشناوي في مؤلفه: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. وحسان حلاق في مؤلفه: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩ . لكن هذه المؤلفات في كثير من الأحيان لا تتناول بعض الأمور الهامة ،مثل نشأة ونشاط جمعية الاتحاد والترقي بنوع من التوسع وخصوصاً نشاطها في أوروبا والأقطار العربية وعلاقتها باليهودية. كما أن اعتماد هذه المؤلفات قليل على المصادر الأساسية والهامة سواء كانت عربية أو أجنبية .

وسيتم خلال هذه الدراسة اتباع الطريقة الوصفية في معالجة الموضوعات مما يساعد على فهم الامور بشكل أسهل، وجعلها اكثر مرونة ووضوحاً.

ومما شجعني على الكتابة في هذا الموضوع، هو الرغبة الذاتية في البحث عن هذه الشخصية، التي أثارت جدلاً قوياً على المستوى العثماني المحلي والعربي والأوروبي ،والوقوف على الظروف السياسية التي تولى فيها حكم الدولة العثمانية وعلاقاته الداخلية والخارجية سواء كانت مع شعوب دولته، أو مع القوى الاوروبية، وتعامله مع المعارضة السياسية والعسكرية بأشكالها حتى خلعه من منصبه. كذلك توفر العديد من المصادر الأساسية لهذه الدراسة، سواء كانت أجنبية أو عربية، الأمر الذي ساعد على إثراء الدراسة بالمعلومات.

ومن الصعوبات التي واجهتني خلال هذه الدراسة، قلة توفر المصادر والمراجع الحيادية او التي تنصف السلطان عبد الحميد، سواء كانت باللغة العربية أو الأجنبية، بل ان تعصب العديد من المؤلفات ضده، وعدم اتفاق كثير منها حول نقاط معينة كان يوقع الإرباك في اختيار المادة العلمية التي يمكنها خدمة هذا الموضوع.

وتنقسم هذه الدراسة إلى أربعة فصول.

الفصل الأول بعنوان : أحوال الدولة العثمانية الداخلية والخارجية .

يتناول هذا الفصل هذه الأحوال قبل وبعد تولي السلطان عبد الحميد حكم الدولة العثمانية، حيث تم التركيز على المواضيع ذات التأثير المباشر على الدولة وعلاقاتها الداخلية ،مثل شخصية السلطان عبد الحميد، وظروف توليه حكم الدولة العثمانية والأحداث التي كانت خلال هذه الفترة والتي أثرت على حكمه. كذلك مؤسسة القصر ،والإصلاحات الداخلية، ومسألة الأقليات ودورها في السياسة العثمانية، مثل المسالة البلغارية والمسألة الأرمنية. ثم مشكلة القروض، التي كانت بين الدولة العثمانية والدول الاوروبية، وأثرها على نمط العلاقة بينهما.

أما الأحوال الخارجية : فقد تعرضت فيها للامتيازات الأجنبية ومراحلها وأثرها على الاقتصاد العثماني. والتنافس الدولي وظهور المسألة الشرقية، حيث تم البحث في أصل هذه المسألة والمراحل التي مرت بها، وسياسة السلطان عبد الحميد المضادة التي تمثلت بسياسة الجامعة الإسلامية، وأهدافها والطرق التي اتبعها السلطان من اجل هذه السياسة، خصوصاً فيما يتعلق بالسكك الحديدية ،مثل خط سكة حديد بغداد وخط سكة حديد الحجاز، وفوائد هذه الخطوط، وأثرها على الشعوب الإسلامية وعلى الدولة العثمانية ،وما أثارته من عداء. كذلك تم التطرق الى حروب الدولة العثمانية خصوصاً الحرب مع روسيا ،ابتداء من أسباب الحرب مروراً بمعاهدة سان استيفانو، حتى مؤتمر برلين ،وذيول هذه الحروب على الدولة العثمانية، والموقف منها وازدياد التنافس الأوروبي عليها بعد اختلاف مصالحهم، بالإضافة لذلك فقد تم البحث في الحرب اليونانية العثمانية ونتائجها وأثرها على الدولة العثمانية وعلى الشعوب الإسلامية.

الفصل الثاني بعنوان : نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها.

تم البحث في بداية هذا الفصل في نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها، حيث تم التطرق إلى جذور جمعية الاتحاد والترقي، التي كانت على يد شناسي ومصطفى فاضل ونامق كمال ، ثم النشأة الحقيقية لهذه الجمعية، التي كانت على يد إبراهيم تيمو مع العديد من زملائه في المدارس والكليات

الحربية، وموقف الدولة من هذه الجمعية، والمراحل والأطوار التي مرت بها، وكيفية تعامل السلطان عبد الحميد معهم من حيث السياسة التي اتبعها ضدهم، وصولاً إلى تجدد نشاطهم في مناطق عدة ،والمحاولات الانقلابية التي حاولوا القيام بها، ونشاطها المكثف في عدة عواصم عالمية مثل باريس وجنيف والقاهرة، والحوافز والمعوقات التي اعترضتها هناك، وموقف هذه الدول من هذا النشاط، كذلك الخلافات التي نشأت داخل الجمعية وعودة العديد من زعمائها إلى استانبول، والالتزام بسياسة الدولة. ثم هروب داماد محمود باشا ، صهر السلطان عبد الحميد الذي أعطى قوة استثنائية لجمعية الاتحاد والترقي، ودور ابنيه البرنس صباح الدين ولطف الله في هذه الجمعية من حيث ترتيبهم لعقد مؤتمرات عامة لها، ثم قيادتهما حركة الانشقاق داخل هذه الجمعية.

الفصل الثالث بعنوان : الدولة العثمانية واليهود.

تم في هذا الفصل البحث في حقيقة يهود الدونمة، حيث تم التعريف بهم وبماهيتهم وأصولهم وعاداتهم وتقاليدهم، وصولاً الى موقف الدولة منهم، وما حققوه من نفوذ داخل الدولة ،ثم علاقتهم بجمعية الاتحاد والترقي ،والحجم القيادي الذي مثلوه داخل هذه الجمعية.كما تم البحث كذلك في الماسونية ، حيث تم تعريفها والبحث في نشأتها، وموقفها من الدين والسياسة، وموقف السلطان عبد الحميد منها، ثم علاقتها بجمعية الاتحاد والترقي، والطرق التي اتبعتاها معاً لتحقيق أهدافها، كذلك الأمر بالنسبة للحركة الصهيونية، حيث تم التعريف بها ،ونشاطها لدى السلطان عبد الحميد، وموقفه منها ومن قراراتها وتصوراتها التي أقرت في المؤتمرات الصهيونية، ثم علاقة هذه الحركة بجمعية الاتحاد والترقي حتى قبل ثورة ١٩٠٨.

الفصل الرابع بعنوان : ثورة ١٩٠٨.

تم التطرق في هذا الفصل إلى قيام جمعية الاتحاد والترقي بثورة ١٩٠٨، والتحضيرات والظروف التي أدت بها الى القيام بهذه الثورة، وقادة هذه الثورة، وموقف السلطان عبد الحميد تجاهها، وتصرفه نحوها، وموقف الدول الاوروبية والولايات العربية منها، وصولاً الى نجاحهم في السيطرة على زمام الامور في الدولة العثمانية ،وتسلمهم مقاليد الامور، كما تم البحث في سبب عدم خلع السلطان عبد الحميد بعد ثورة ١٩٠٨ مباشرة رغم نجاح الجمعية الكبير في تحييده عن أعمال الإدارة السياسية للدولة، ثم مدى تحقيق جمعية الاتحاد والترقي لوعودها وبرامجها ونداءاتها التي طالما طالبت السلطان عبد الحميد بتطبيقها، والتي من أجلها رفعت لواء المعارضة السياسية والعسكرية. وصولاً الى الثورة المضادة، التي عرفت باسم أحداث ٣١ مارت، والأسباب التي أدت الى قيامها، والتي كان نهايتها زحف جيش الجمعية الذي عرف باسم جيش الحركة من سلانيك الى استانبول وخلعهم السلطان عبد الحميد بفتوى من شيخ الاسلام.

ثم بعد ذلك تم البحث في النتائج المباشرة لثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان ١٩٠٩ ، وموقف الدول الاوروبية من ذلك وازدياد النشاط والنفوذ الصهيوني والماسوني داخل الدولة العثمانية وفي فلسطين، من حيث إقامة الجمعيات والمؤسسات المختلفة والصحف والمجلات، وانعكاس تولي جمعية الاتحاد والترقي الحكم على

ازدياد هجرة اليهود الى فلسطين بدون قيود، واستملاكهم الأراضي، والتهاون في تطبيق القوانين الخاصة بذلك، بل ومجاهرة بعضهم بتأييده للهجرة الى غير ذلك من الأحداث التي سيتم مناقشتها خلال هذه الدراسة .

ثم يأتي بعد ذلك دور السلطان عبد الحميد الثاني ليفسر لنا سبب خلعه، وتتبع ذلك الامر حتى عزله في سلانيك وأماكن أخرى وصولاً الى مرضه ووفاته.

الفصل الأول

الفصل الأول

أحوال الدولة العثمانية الداخلية والخارجية

أ- أحوال الدولة العثمانية الداخلية.

١- شخصية السلطان عبد الحميد الثاني.

ميلاده :

ولد السلطان 'عبد الحميد' في الساعة الخامسة من يوم ١٦ شعبان ١٢٥٨هـ / ٢٢ أيلول ١٨٤٢م، وهو الولد الثاني للسلطان 'عبد المجيد'[١] بعد السلطان 'مراد الخامس'[٢]، وأمه هي'تيريموجكان قادين '[٣] (Tirimüjgan) وكعادة السلاطين أقيمت كافة مظاهر البهجة والفرح في كافة أرجاء الدولة لمدة سبعة أيام 'البشارة ' احتفالاً بهذه المناسبة[٤].

---

(١) السلطان عبد المجيد، هو السلطان الحادي والثلاثون في سلسلة سلاطين بني عثمان، ولد في ١٤ شعبان ١٢٣٧/٦أيار ١٨٢٢، تولى أمر السلطنة وعمره سبعة عشرة سنة، شهد مؤتمر لندن ومعاهدة ١٥ تموز ١٨٤٠ بين محمد علي باشا والدول الأوروبية من اجل عودته إلى حدوده الأولى. وفي عهده اندلعت المذابح بين الكاثوليك الموارنة والدروز في لبنان ، كما نشبت حرب القرم عام ١٨٥٣ . وقد وقعت الدولة العثمانية في عهده على معاهدة باريس بخصوص حقوق الأقليات عام ١٨٥٦، وتوفي في ٦ حزيران ١٨٦١.

لمزيد من التفاصيل عن السلطان عبد المجيد أنظر –

محمد فريد بك المحامي. *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، تحقيق، إحسان حقي، (ط ٦ ، بيروت: دار النفائس، ١٩٨٨) ،ص ٤٥٥-٥٢٩.

(٢) عائشة عثمان أوغلي. *والدي السلطان عبد الحميد الثاني*، ترجمة، صالح سعداوي صالح، (عمان: دار البشير للنشر، ١٩٩١)، ص١١. – لمزيد من التفاصيل عن السلطان مراد الخامس أنظر الفصل الثاني و الثالث .

(٣) تيريموجكان: (١٦/٨/١٨١٩-٣/١٠/١٨٥٢)، هي الزوجة الرابعة للسلطان عبد المجيد ، شركسية الأصل كزوجات أكثرية سلاطين بني عثمان المتأخرين .من قبيلة الشابسوغ. رفعت عام ١٨٤٩ إلى رتبة الزوجة الثالثة .توفيت ابنتها نعيمة قبل ولادتها للسلطان عبد الحميد وعمرها عامين ونصف بمرض الجدري(١١/١٠/١٨٤٠-١/٥/١٨٤٣).عاش ابنها عابد الذي ولدته بعد ذلك ١٥ يوما (٢٢/٤/١٨٤٨-٧/٥/١٨٤٨). كانت تيريموجكان نحيفة البنية،خضراء العينين، ذات شعر أصفر فاتح .ماتت بمرض السل وسنها ٣٣عاما، ودفنت في مقبرة مراد الخامس في يني جامع . لمزيد من التفاصيل أنظر :

يلماز أوزتونا . *تاريخ الدولة العثمانية* ، ترجمة، عدنان محمود سلمان (ط١، استانبول :منشورات فيصل للتمويل،١٩٩٠)،ج٢، ص٩٥.

(٤) عثمان أوغلي. *والدي*، ص ١١ .

ولقد أطلق أعداء السلطان 'عبد الحميد' كثيراً من الشائعات والأكاذيب حول نسب أمه، تحدوهم الرغبة في إظهاره بمظهر الوريث غير الشرعي لعرش السلطنة، حيث ادعوا أن والدته جارية أرمنية، وما إلى ذلك من التشكيك[1].

ومن هؤلاء كان المؤرخ 'احمد صائب' الذي قال: " أنها دخلت خدمة القصر دون حاجة لذلك وأتخذت لقب جارية غير مرغوب فيها "[2]، ولكن ' محمود كمال اينال ' وصف إدعاء 'أحمد صائب' هذا بأنه بعيد عن الصحة وهذيان، وقد اتهم 'احمد صائب' بأنه من جماعة 'تركيا الفتاة '، وان ما ورد في مؤلفه من أقوال يعتبر شيء ليس له قيمة[3].

ويعتبر كتاب 'أحمد صائب' هذا مصدرا مهما للباحثين في فترة السلطان 'عبد الحميد'، والحقيقة أن والدة السلطان 'عبد الحميد' كانت شركسية من فرع قبيلة 'الشابسوغ'، ولدت في قفقاسيا ودخلت بين جواري السلطان 'عبد المجيد'[4].

نشأته وطفولته .

كان السلطان 'عبد الحميد' يتميز بذكاء وفطنة ، كما كان ماهرا في إخفاء مقاصده وأفكاره عن الآخرين، ولا يتوانى أبدا في أداء الواجبات الدينية، حذرا ،كتوما جدا ،قليل الكلام كثير الإصغاء ،ولوعا جدا بتمحيص أخلاق البشر والنفوذ الى نقاط ضعفهم .من الصعب جدا أن يغشه أحد . كان أبوه يقول له عند تودده إليه: " ابني الشكاك الصامت" [5] .وكان في طفولته يحب العزلة، ولقد توفيت أمه في ١٨٥٢/١٠/٣ على أثر أصابتها بمرض السل وهو في سن العاشرة من عمره[6]. ولقد قام السلطان 'عبد المجيد' بإخفاء هذا الخبر عن ابنه، إلا ان هذا الأمر لم يكن ليستمر طويلا حيث استدعاه السلطان 'عبد

---

[1] أنظر: أورخان محمد علي . *السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده*، (ط١، العراق: دار الانبار، ١٩٨٧) ص٨٣.

[2] احمد صائب . عبد *الحميدك أوائل سلطنتي*، (إيكنجي طبعي، القاهرة: هندية مطبعة سندة طبع أولنمشدر، ١٣٢٦هـ)، ص٤-٥.

[3] Mahmud Kemal İnal. *Son Sadrazamlar* (İstanbul, 1982) C.III, p.1266.

[4] Loc. cit.

– ومن المؤلفات التي تتحدث عن أصول والدة السلطان وتؤكد أنها شركسية من جورجيا وليست أرمنية

- Elizabeth Normeley Latimer . *Russia and Turkey in the Nineteenth Century* (Chicago: AC Mac Clurrg & C.O., 1967), p.341.
- Süleyman Kacabaş . *Sultan II Abdülhamid Şahsiyeti ve Politikasi* (İstanbul: 1995) p.15.

[5] أوزتونا . *تاريخ* ،ج٢ ، ص٩٥ .

[6] İsmail Hami Danişmand. *Osmanli Tarihi Kronolojisi* (İstanbul: 1972), Vol. IV, p.285.

المجيد' وقام بتقبيله من خديه قائلاً له: " لا تبك يا بني، فلا اعتراض على أمر الله، وأنا أبوك وأمك في آن واحد" [1].

وكان السلطان 'عبد الحميد' يتحدث عن أمه بقوله "أمي المسكينة تركتنا وهي في سن الشباب، خيالها أمام عيني دائماً، لن أنساها ما حييت، فقد كانت تحبني كثيراً، وكانت تجعلني اجلس أمامها طوال مرضها، وحسبها أن تنظر إلي ولم تكن ترضى لنفسها أن تقبلني رحمة الله عليها" [2]. وذلك بسبب مرضها المعدي.

وبعد وفاة والدة السلطان 'عبد الحميد' تولت 'برستو قادين أفندي (Pristo Kadin Efendi) الزوجة الرابعة للسلطان 'عبد المجيد' تربيته، حيث أنها لم تكن قد رزقت بولد، فقامت بتربيته تربية حسنة[3]. وعندما تولى السلطان 'عبد الحميد' عرش الدولة كان مؤمناً بضرورة عدم تدخل نساء القصر في شؤون الدولة لأنه من شأن ذلك أن يسفر عن نتائج غير طيبة، فكان أول ما فعله في اليوم التالي أن قام بتقبيل يد مربيته 'برستو قادين ' قائلاً لها: "إنني لم أشعر في يوم من الأيام بحرماني من والدتي، وأنت بنظري مثلها تماماً، لا فرق بينكما، إن مكانتك هي مكانة 'والدة سلطان'[4]. وسوف يكون من حقك استخدام كل صلاحيات الوالدة في السراي، غير إنني أرجو منك بصورة خاصة أن تتجنبي أبداً التدخل في شؤون الدولة، فتسعين لحماية هذا أو ذاك، وتساعدي الطامعين في الرتب"[5] .كما قال:"لو كانت أمي على قيد الحياة ما كان بوسعها أن ترعاني أكثر مما رعتني هي"[6]. ولقد ظلت 'برستوقادين' حتى وفاتها وفية لطلب السلطان 'عبد الحميد' .

ويعتقد أن سياسة السلطان 'عبد الحميد' تجاه نساء القصر ؛كانت ردة فعل بسبب إحساسه بأن والدته لم تأخذ حقها بين نساء القصر الأخريات ،ومعاملة والده السيئة له ، وتفضيل أخيه 'مراد' عليه، مما دفعه إلى عدم الثقة بأحد وبمركزية الحكم .

شباب السلطان عبد الحميد .

كان السلطان 'عبد الحميد' متوسط القامة، يميل شعر رأسه ولحيته إلى اللون الكستنائي الغامق، كثيف شعر الرأس إلا في قمتها،وكان محدب الأنف بالشكل الذي يحمل سمته بني عثمان، وعيناه شهلاوان بين الزرقة والخضرة تحيط بهما بعض الحلقات ،وكانت نظراته تنم عن الذكاء والحساسية ،كما كان

---

(١) عثمان أوغلي. *والدي* ، ص٧٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص٦٦ ؛ محمد علي . *السلطان*، ص٨٥.

(٣) عثمان أوغلي. والدي، ص٦٨-٧٣.

(٤) أي والدة السلطان – أو السلطانة الوالدة.

(٥) المصدر نفسه، ص٦٨-٦٩.

(٦) المصدر نفسه، ص٧٦-٧٧ ؛ أوزتونا. *تاريخ* ،ج٢ ،ص٩٥.

صوته جهورياً قوياً، قادراً على شرح أفكاره ومراميه بأفصح العبارة[1] كما كان من عاداته النوم والاستيقاظ مبكراً، حيث ينهض قبل طلوع الشمس، ويدخل الحمام للاغتسال[2] إلى جانب العديد من الإعمال الاعتيادية.

وكان السلطان 'عبد الحميد' يحب بطبعه حياة الانزواء، وكان يحس فيها بطعم الراحة ويعود ذلك الى نشأته في ظروف خاصة، مثل التعليم الذي يلعب دوراً هاماً وخاصاً في هذه التربية[3]. ويقول في ذلك السلطان 'عبد الحميد': "لعلهم ينسون الظروف التي نشأت وترعرعت فيها، لقد عاش اخوتي من بنين وبنات حياة مليئة بالعطف والدلال بينما كان أبي يعاملني معاملة سيئة وقاسية، لأسباب أجهلها. لم يعطف علي سوى أخي 'مراد' المسكين، كانت حياتي منذ بدايتها متسمة بالجدية ما أحببت اللعب أبداً، بدأت أفكر بالكون والوجود وأنا في مقتبل العمر، وكان حبي للخيال سبباً في تعرضي لزجر اساتذتي، وتكدير والدي وقد أدى عدم تفهم الناس لأفكاري الى انطوائي على نفسي انطواءً كاملاً"[4]. وهذا يدلل على أن السلطان 'عبد الحميد' حرم من أبيه ، وهو الشيء الذي كان يتمتع به اخوته، الأمر الذي استطاعت تعويضه به مربيته 'برستوقادين أفندي'، كما توضح ان السلطان كان له شخصيته المميزة و عقليته التي لا تعرف إلا الجدية منذ الصغر، والابتعاد بشكل كلي عن اللعب واللهو، الأمر الذي سيكون له انعكاسه على السلطان 'عبد الحميد' بعد توليه الحكم.

ولم يتلق السلطان 'عبد الحميد' القدر الكافي من التعليم في القصر[5]،ولهذا السبب لم يكن تحصيله العلمي جيداً ولذلك حاول تثقيف نفسه بنفسه، ويقول في ذلك: "لم يكن والدي مهتماً بتربية أولاده، وان حياته كأمير داخل القفص[6] كانت مسألة صعبة، ومن سوء الطالع، ولهذا أفقدته إحساسه بالإنسانية، ولم استطع إضافة شيء على ما علمني إياه أساتذتي من الموسيقى والتاريخ وجودة الخط والفارسية والعربية والآداب العثمانية والمعلومات الدينية والدروس عن الاجداد، ولم يعلمني أساتذتي شيئاً عن الغرب، ولم يثقفنا أحد في هذا الموضوع، ولهذا السبب قررت ان أعلم نفسي بنفسي"[7].

---

[1] عثمان أوغلي. *والدي* ، ص٦٣.

[2] المصدر نفسه، ص٧٧.

[3] السلطان عبد الحميد الثاني . *مذكراتي السياسية ١٨٩١ – ١٩٠٨* (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٧)، ص٢٠٩

ومذكرات السلطان عبد الحميد الثاني هي الترجمة الحرفية للأصل التركي بعنوان:

Sultan Abdülhamit. *Siyasi Hatiratim* (İstanbul: Hareket Yayinlari, 1974)

[4] المصدر والصفحة نفسهما.

[5] İnal. *Son Sadrazamlar*, p.1264.

[6] القفص : استعمل هذا المصطلح كتعديل كيفي لقانون قتل الأخوة الذي اختطه السلطان بايزيد الأول وتحول إلى قانون ثابت في عهد السلطان محمد الفاتح، حيث تم التخلي عن القتل، ويقوم السلاطين بدلا من ذلك بوضع جميع الأمراء–عدا أبناء السلطان الحاكم– في القصور السلطانية مع تشديد الحراسة عليهم، وذلك خوفا من أن يستهويهم الحكم فيقومون بما لا يرغبه السلاطين القابضين على زمام الأمور.

حسن الضيقة. الدولة العثمانية الثقافة المجتمع السلطة (ط١، بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر،١٩٩٢)، ص٧٦–٧٧.

[7] Michel de Grece. *II Abdülhamid Yildiz Sürgünü* (İstanbul: Bayladi , 1995), p.27.

وقد تكون للعزلة التي أوجد فيها السلطان 'عبد الحميد' نفسه أثرا في حب القراءة، حيث كان يقرأ بانتظام جريدة 'حوادث' و 'تصوير أفكار' و 'بصيرت' كما كان يطلع على الصحف الغربية وكان يذهب ويستعير الكتب ويدعو بعض الكُتاب إلى القصر ويناقش معهم بعض الموضوعات[١].

وبالإضافة إلى ذلك كان السلطان 'عبد الحميد' يحضر دورساً مع أخيه السلطان 'مراد' الذي يكبره بسنتين في مواضيع مختلفة، فعلى سبيل المثال: تعلم الألحان الموسيقية الشرقية التركية على يد 'عمر أفندي' واللغة الفارسية من 'علي حجوي أفندي' وعلوم أخرى مع العربية من 'فريد أفندي' و 'شريف أفندي' والتاريخ العثماني من المؤرخ 'لطفي أفندي'[٢] والفرنسية من 'أدهم أفندي' ومن 'ارمينيوس فامبري'[٣](Arminius Vambery) والموسيقى الفرنسية من شخص يدعى 'جاردي' (Gardet) كما تعلم الموسيقى أيضا من موسيقيين إيطاليين يدعيان 'جواتيلي' (Guatelli) و 'لومباردي' (Lombardi)[٤].

وكان السلطان 'عبد الحميد' يقول: " كنت قد شغفت بالعزف على البيانو في شبابي، وكان أبي قد احضر من أوروبا آلة بيانو لكل أمير من الأمراء ودعا إلى السراي مدرسي الموسيقى من الإيطاليين والفرنسيين، وكان المعلم الفرنسي 'الكساندر أفندي' (Alexander Efendi) قد عينوه لي مدرساً، وقد عملت على العزف مدة طويلة، ولكن الحياة للأسف لم تدع لي الفرصة حتى اخصص للموسيقي وقتاً، على الرغم من حبي الشديد لها[٥]، كما شغف السلطان بالنجارة منذ أيام والده، حيث كان والده السلطان 'عبد المجيد' شغوفاً هو الآخر بهذه الصنعة، وكانت أدوات النجارة الخاصة به في حوزة السلطان 'عبد

---

[١] Orhan kologlu. *Abdülhamid Gerçegi* (İstanbul, 1987), p.43 . أنظر – عثمان أوغلي. *والدي*، ص٩٠–٩١.

[٢] أحمد لطفي أفندي : مؤرخ مشهور. من كتاب الوقائع ومؤرخي الدولة العثمانية الرسميين ، له كتاب مشهور عرف بتاريخ لطفي . لمزيد من التفاصيل، أنظر- وليد العريض ."كتاب الوقائع في الدولة العثمانية في القرنيين الثامن و التاسع عشر" . بحث غير منشور .

[٣] ارمينيوس فامبري . ١٨٣٢ –١٩١٣ ، مستشرق ورحالة يهودي مجري ، عمل في استانبول سكرتيراً لفؤاد باشا وأسلم منذ ١٨٥٧ ، تجول في أواسط آسيا ١٨٦١ – ١٨٦٤، ثم ذهب الى بودابست وعمل أستاذا للغات الشرقية في جامعتها الى أن تقاعد عام ١٩٠٥ . صديق شخصي للسلطان عبد الحميد والملك إدوارد السابع . لمزيد من التفاصيل Mim Kemal Öke. *Gizli Belgelerle II Abdülhamid Devri ve Ingiliz Ajani Yahudi Vambery Saraydaki Casus* (Istanbul: 1983) p.84.
ولقد ترجم الدكتور "وليد العريض " هذا الكتاب بعنوان *"جاسوس في قصر السلطان"* وهي ترجمه مخطوطة لم تطبع بعد.
أنظر كذلك *Encyclopaedia Judaica* (Jerusalem :Keter Publishing House , 1978) Vol. 1, P.65-66

[٤] Danişmand. *Osmanli*, p.285.

[٥] عثمان أوغلي. *والدي*، ص٨٥.

الحميد' فيما بعد، ثم أضاف عليها آلات حديثة استحضرها من أوروبا، وكثيرا من الأثـــاث والمصنوعـــات المطعمة بالصدف من عمله كانت محفوظة في قصر 'يلدز'[١].

وهذا يدلل على اعتماد السلطان على نفسه لعلمه أن أساس الأزمات في الدولة العثمانية نابع مـــن قعود الرجل العثماني عن العمل والابداع، حيث تعود ان يبقى ســيدا يــأمر غـيره بقضـاء حاجاتــه[٢]، وبالإضافة لذلك كان مهتما بركوب البحر والسباحة وركوب الخيل، واستخدام العربة كمـــا كـــان يـــهوى التجديف واستخدام المراكب الشراعية، واطلاق النار، والخروج للصيد واللعب بالسيف وكان من شدة حبـه للتجديف وقيادة المراكب الشراعية، أن قام السلطان 'عبد العزيز' بمنعه من الذهاب إلى قصر 'طارابيـــا ' وذلك عندما أخبر بنزول ابن أخيه 'عبد الحميد' كل يوم إلى البحر، وقام بإعطائه بدلا مـــن ذلـك قصـــر 'ماصلاك '، حيث اهتم هناك بأمور الزراعة [٣]. والى جانب الزراعة اهتم بتربية الأغنام والأبقار، وجلـب الزهور المختلفة من أوروبا، وجعل قسما من الحديقة لتربية الزهور والاهتمـــام بـــها، كمـــا كـــان محبـا للمطالعة[٤].

ويمكن القول ان السلطان 'عبد الحميد' كان يختلف في حياته الخاصة في الطعام والشراب والنـــوم وطراز الادارة، وخصوصا فيما يتعلق بميزانيته، فقد كان مقتصدا في مصاريفه لإيمانه باستمرارية الحيـــاة والمستقبل، لذلك فقد كان وضعه المالي جيدا على عكس باقي الأمراء، لذلك اتهم بالبخل، كما كان بفضـــل وضعه المالي وحرصه يقوم بإقراض أخيه السلطان 'مراد'، وعندما كان يريد الترفيه عن نفسه يفعل ذلـــك بأقل التكاليف، وكان يستشير باستمرار ' زريف الصراف ' في كيفية تنظيم ميزانيته، ولقد قـــام بدفـــع ٦٠ ألف ليرة من مصاريف جلوسه على العرش من جيبه الخاص، وهذا يدلل على ان السلطان 'عبد الحميـــد' كان له سياسة وفكر اقتصادي منظم منذ شبابه[٥].

ويقول السلطان 'عبد الحميد' في ذلك: "أعلم ان بعض الناس ينعتونني بالشح فلا احتد لهذا النعـــت، بل اعتبره مدحا لي، أعرف كيف أنظم حساباتي، ولا احب ان القي مالي هنـــا وهنـــاك إســـرافا، تعلمـت الأرقام وأنا في السنوات الأولى من عمري، وشهدت حياة البذخ التي كان يعيشها عمي، وشهدت عن قـرب النتائج المؤسفة لهذا التبذير ... لم يحدث ان صرفت أموالا على لهو ... إنني مدين بحالتي المادية الجيـــدة للمحاسبة الدقيقة والاستثمار المعقول"[٦].

---

(١) عثمان أوغلي. *والدي*، ص٨٥-٨٧.

(٢) عبد الحميد الثاني. *مذكراتي* ، ص٢٠٣.

(٣) عثمان أوغلي. *والدي*، ص٨٧-٨٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٨٩-٩٠.

(٥) Tahsin Paşa. *Abdülhamid ve Yildiz hatiralari*, (İstanbul. 1933), p.10-11.

(٦) عبد الحميد الثاني. *مذكراتي* ، ص٢١٦

ظروف تولي السلطان عبد الحميد حكم الدولة العثمانية.

يتطلب البحث في ظروف تولي السلطان عبد الحميد حكم الدولة العثمانية معرفة مسبقة بـالأحداث التي كانت في عهد السلطان 'عبد العزيز' حيث كان 'لمدحت باشا'[1] دور هام في سياسة الدولة العثمانية.

وهناك اختلاف في أصل 'مدحت باشا'[2]، ويعتقد أنه يهودي الأصل وابن لحاخام مجري، وإلـى ذلك ذهب الكاتب الغربي 'بين هيس' (Ben Hess)[3].وكان مدحت باشا قد تمكن من إقناع السلطان 'عبـد العزيز' بعزل الصدر الأعظم 'محمود نديم' ليشغله هو نفسه في ١٨٧٢/٧/٣١، وكان ذلـك لأول مـرة، وكان 'مدحت باشا' معجباً بإنجلترا ونظامها، وكانت 'إنجلترا' تبادله الشعور نفسه[4].

ويعتبر 'مدحت باشا' من الذين جذبتهم الماسونية إلى صفوفها بعد أن تفشت في الدولة العثمانيـة، لذلك فقد اخذ يبحث عن أولئك الذين كانوا يوماً ماسون ، وبمساعدتهم افتتح مدحت باشا محفلاً ماسـونياً برعايته[5]، ومن هناك كان التخطيط الفعلي لخلع السلطان 'عبد العزيز' بمشاركة العديد من زملائه وكـان على رأسهم 'حسين عوني باشا' [6] الذي كانت ثقته بمدحت باشا ضعيفة.

ويبين الضابط الفرنسي ' شارل مسمير' (Charles Mismer) في كتاب ' مذكرات عـن العـالم الإسلامي' سبب ضعف ثقة 'حسين عوني' بمدحت باشا، وذلك لان الأخير كان يسكر كل ليلـة وعندمـا يسكر لا يستطيع ان يسيطر على نفسه، ولا يستطيع ضبط لسانه[7]. حيث كان 'مدحت باشا' قد أدمن علـى ذلك منذ شبابه، وأشتهر عليه هذا الأمر [8] وقد يكون للتنافس على منصب الصدر الأعظم سبب لفقـدان الثقة هذه ، وقد يكون سبب اتفاقهما هو المصالح المشتركة التي تعود على كليهما بخلع السـلطان 'عبـد العزيز'.

عندما استقر الرأي على خلع السلطان 'عبد العزيز' عقدت اتصـالات سـرية مـع المسـؤولين الفرنسيين لترتيب ذلك، ويقول المؤرخ ' نظام الدين نظيف' : " ... وفي باريس عقد حسين عوني بعـض

---

(١) أحمد مدحت باشا:(١٨٢٢-١٨٨٥)، ولد في استانبول، تولى العديد من المناصب الإدارية المختلفة إلى أن أصبح وهـو فـي الأربعين من عمره واليا على ولاية بلغاريا، ثم واليا على الدانوب، كما عين عام ١٨٦٨ واليا على بغداد، إلى جانب العديد مـن المناصب الأخرى. أحمد نوري النعيمي. اليهود والدولة العثمانية،(ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧)،ص١٠٣.

(٢) محمد حرب. *السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار*(ط١، دمشق: دار الطباعة للنشر، ١٩٩٠)، ص٥٠.

(٣)أنور الجندي. *يقظة الفكر الإسلامي في مواجهة الاستعمار*، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١)، ص١٢٩.

(٤)محمد حرب. *مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني* (ط٣، دمشق: دار القلم، ١٩٩١)، ص٢٨٣.

(٥)حسين عمر حمادة. *الأدبيات الماسونية وصلتها بالعقائد اليهودية والصهيونية*(ط١، بيروت: دار الوثائق، ١٩٩٥)، ص٣٢٣.

(٦) حسين عوني باشا. ١٨٢٠-١٨٧٦ تخرج من المدرسة الحربية ١٨٤٨ برتبة نقيب أركان حرب، وعمل مدرسـاً بالمدرسـة الحربية، واشترك في حرب القرم، كما عمل ناظراً للمدرسة الحربية السلطانية، وعمل قائداً للجيش إلا انه عـزل ونفـي إلـى إسبرطة ١٨٧١ لمدة ١١ شهر، ثم صدر عنه العفو فتولى العديد من المناصب من جديد، وفي عام ١٨٧٤ عين صـدراً أعظمـاً لكنه عزل بعد ذلك، ثم عُين والياً على أزمير، ثم اغتيل عام ١٨٧٦م. انظر حرب. *مذكرات*، ص٢٧٤.

(٧) محمد علي. *السلطان*، ص٦٦.

(٨) حرب. *مذكرات*، ص٧٧.

الاتصالات السرية إذ ذهب مع الضابط ' شارل مسمير ' إلى فرساي، واجتمع هناك مع رئيس الجمهورية المارشال 'ماكماهون' على إنفراد، وهذه الزيارة كانت خارج البروتوكول، وكانت زيارة سرية، إذ كيف يمكن لمارشال في الإمبراطورية العثمانية قد شغل منصب الصدر الأعظم أن يزور رئيس الجمهورية الفرنسية دون ان يأخذ موعدا للزيارة عن طريق السفير العثماني في باريس، ودون أن يحضر السفير ذلك الاجتماع، إلا أن يكون ذلك الاجتماع سريا..."[1] كما أجريت كذلك اتصالات مع إنجلترا وألمانيا وكانت النتيجة الاتفاق على خلع السلطان 'عبد العزيز'.

واستطاع 'مدحت باشا' و'حسين عوني باشا' جمع عدد كاف من القيادات العسكرية والسياسية الكافية لخلع السلطان 'عبد العزيز'[2] حيث تمت مهاجمة قصره في 'دولمة باغجه'، بعد حصولهم على فتوى من شيخ الإسلام، وقاموا بمحاصرته برا وبحرا على ظهر بارجة حربية، ثم صعدوا إليه وأبلغوه الفتوى، ومن هناك نقل إلى قصره في 'أورطه كوي'، ولم تمض ثلاثة أيام على خلعه حتى أعلن عن انتحاره في ٤ حزيران ١٨٧٦، وذلك بقص شرايين يديه، بواسطة مقص، ولكن أغلب الاعتقاد أن السلطان لم ينتحر بل قتل وهذا ما ذهب إليه العديد من المؤرخين ومنهم 'نظام الدين نظيف'[3].

وهناك اختلاف في سبب خلع السلطان 'عبدا لعزيز'، إلا ان كثيرا منهم يذهب إلى أن السبب يعود إلى 'مدحت باشا' الذي قدم مطالبه الدستورية، ولما عزل السلطان 'مدحت باشا' عمل الأخير مع المعارضة السياسية في الخفاء، واستصدروا فتوى بخلع السلطان 'عبد العزيز' من شيخ الإسلام في ١٧ جمادي الأول سنة ١٢٩٣ الموافق ٣٠ أيار ١٨٧٦[4].

وكان قادة الإنقلاب على السلطان عبدالعزيز هم:

١- مدحت باشا.
٢- سر عسكر 'ناظر الحربية' حسين عوني باشا.
٣- الصدر الأعظم أي 'رئيس الوزراء' رشدي باشا المعروف "بالمترجم".
٤- ناظر البحرية أحمد باشا.
٥- ناظر المدارس العسكرية، سليمان باشا.
٦- قائد حامية استانبول مصطفى سيفي باشا[5].

---

[1] محمد علي. *السلطان*، ص٦٨.

[2] يوسف بك آصاف. *تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن*، تقديم محمد زينهم محمد عزب، (ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٥)، ص١٢٥؛ فتحية النبراوي – محمد نصر مهنا. *قضايا العالم الإسلامي، مشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر*، (ط١، الإسكندرية: منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٣)، ص١٤٤.

[3] محمد علي. *السلطان*، ص٧٢.

[4] النبراوي. مهنا. *قضايا*، ص١٤٤؛ آصاف. *تاريخ*، ص١٢٥.

[5] محمد علي. *السلطان*، ص٦٣.

وبعد هذه الوفاة المريبة، ظلت عملية البحث عن أسباب الوفاة مجمدة، وعلى الاثر نُصّب 'مراد الخامس' سلطانا ، الذي كان متأثراً جداً من الأحوال التي رآها قبل جلوسه، مما لا يليق حصوله لعمه السلطان 'عبد العزيز' وطريقة موته ١٨٧٦ ، ودخول 'حسين عوني' عليه دون استئذان، وورود الاخبار عن عصيان أهل 'البوسنة والهرسك' الذي امتد الى منطقة 'الصرب' و'الجبل الأسود' و'بلغاريا' في نفس الفترة وغيرهما من المناطق، حيث أعلنوا العصيان المسلح على الدولة العثمانية[١]، كذلك حادثة 'حسن جركس أفندي'في ١٦ حزيران ١٨٧٦ [٢] ذلك أن الوكلاء أي النظار عقدوا ليلاً اجتماعاً في استانبول في سرايا 'مدحت باشا' رئيس مجلس الشورى في 'طوشان طاش' وهو حي في العاصمة، فذهب 'حسن جركس'، وأراد الدخول على الوكلاء فمنعه الحجاب، إلا انه تذرع بأهمية الموضوع الذي من اجله قدم اليهم، فذهب أحد الحجاب يستأذن، فدخل خلفه وقام بإطلاق النار بغزارة ، حيث أصاب وزير الحربية 'حسين عوني باشا'برصاصتين، ثم 'راشد باشا' ناظر الخارجية فقتل، ثم أصاب بعض الوزراء المتواجدين، أما 'مدحت باشا' وبقية الوزراء فقد هربوا إلى غرفة مجاورة، وأغلقوا أبوابها[٣]. فلحقهم 'حسن جركس' قائلا: والله لا أريد منكم غير 'مدحت باشا' ثم تكاثر عليه الحرس فأثخنوه بالجراح، واعتقلوه، وحكم عليه بالإعدام ونفذ فيه فيما بعد[٤].

كل تلك الأحداث أوجبت حصول خلل في شعور 'السلطان مراد'، وأهتم الأطباء بعلاجه مدة فلم ينجحوا،فتشاور الوزراء، وعلى رأسهم 'مدحت باشا'، واتفقوا على خلعه بفتوى من شيخ الإسلام الذي أفتى بأنه مخلوع شرعا[٥].

لقد كان 'مدحت باشا' معجبا بالحضارة الغربية، حيث درس دساتير كل من فينا ولندن وباريس وبروكسل قبل أن يضع دستوره، كما كان على علاقة مع 'دزرائيلي' رئيس وزراء بريطانيا حيث كان قد احتك به وتأثر بميوله وأفكاره[٦]. ومن هنا قام 'مدحت باشا' بوضع دستوره ، لكن خلع السلطان 'عبد العزيز' ومرض السلطان مراد وخلعه فيما بعد حالا دون إعلانه[٧].

---

[1] Noel Barber, *The Sultans* (New York: Simon and Schuster, 1973)P. 168.

[٢] حسن جركس أفندي. هو ضابط شركسي برتبة صاع قول أغاسي كان ياورا للسلطان عبدا لعزيز، وقيل أن شقيقته إحدى سيدات السرايا.

[3] Enver Ziya Karal. *Osmanli Tarihi, Islaht Fermani Devri 1861-1876*, (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1988) Vol.7. p.360.

[٤] إبراهيم بك حليم. *التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية*، (ط١، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، ١٩٠٥)، ص٢١١.

[٥] انظر فتوى خلع السلطان مراد الخامس في-عثمان نوري. *عبد الحميد ثاني ودور سلطنتي، حيات خصوصية وسياسة سي*. (استانبول: كتانجانة إسلام وعسكري، إبراهيم حلمي، ١٣٢٧هـ)، ص٩٩؛ صائب. *عبدالحميدك*، ص١٢؛ حليم. *التحفة*، ص٢١١.

[٦] ماري ملز باتريك. *سلاطين بني عثمان الخمسة*، تعريب، حنا غصن – كامل مروة – كامل صموئيل مسيحة،(بيروت: مجلة اللطائف العصرية، مطبعة صادر ١٩٣٣)، ص١١٧.

[٧] مدحت باشا. *مذكرات مدحت باشا*، تعريب، كمال بك حتاتة (ط١، مصر: مطبعة هندية، د.تا)، ص٣٢.

ظلت أمور الدولة مترديه بسبب مرض السلطان 'مراد'، ولقد قام 'مدحت باشا' ولمـدة شـهرين كاملين بإدارة الأمور، ولذلك لم تقدم أوراق اعتماد سفراء الدول الأجنبية، وظلت الأمور غاية في السوء[1] ولقد تم الاتفاق فيما بعد بين 'مدحت باشا' وأنصاره على اختيار 'عبد الحميد' سلطانا على الدولة، واشـترط 'مدحت باشا' عليه أن يقبل بالدستور، واخذ عليه عهدا بخطه بأن لا يحيد عن أسلوب وطريق الدستور وأن لا يستبد برأيه[2].

وفي ظل هذه الأحداث – من وفاة السلطان 'عبد العزيز' في ٤ حزيران ١٨٧٦ وتنصيب السلطان 'مراد الخامس' الذي استمر حكمه قرابة ثلاثة أشهر حتى أتهم بالجنون وخلعه – تمت المناداة بعبد الحميد سلطانا على الدولة العثمانية في ٣١ آب ١٨٧٦ الساعة ١٢. وفي ٧ أيلول ١٨٧٦ جرت مراسم تتويجه بتقلد السيف في مسجد أبي أيوب الأنصاري كما جرت عليه العادة [3].وهنا برزت أولى المصاعب التي واجهت السلطان 'عبدالحميد'، وهي ضبط الأمور داخل الدولة والحد من الفتن والنزعات الفردية للحكم عند بعض الوزراء، وكبار رجال الدولة، ولكن الظروف كانت صعبة، إذ دخلت روسيا في حربها ضد الدولة العثمانية في ظل حالة من الضعف والتشرذم والانقسامات عام ١٨٧٧م.

فيما بعد وفي بعض الاجتماعات في الباب العالي للتشاور في الأحوال الداخلية والخارجية، أخرج 'مدحت باشا' قانونه الأساسي من جيبه وقام بعرضه عليهم، حيث قرروا باتفاق الآراء تبديل بعض مواده، وجعلها موافقة لروح العصر، وإناطة أمر تبديل هذه البنود بلجنة تحت رئاسة 'مدحت باشا'، وكان أعضاء الأسرة السلطانية حاضرين في هذا الاجتماع، فأعطى كل منهم نسخة من هذا القانون[4].واستكمل تعديل مواد القانون الأساسي الموضوعة على بساط النقد حتى اجتمع المجلس العمومي المركب من الوكلاء والعلماء والأعيان، وصودق عليه بعد قراءته، وأرسل إلى السلطان لتصدر به الإرادة السنية[5].

وكان 'عبد الحميد' قد قرأ نسخة من هذا القانون، وقال: إن الدولة لا تخلص من مشاكلها الحاضرة إلا إذا عملت حكومتها به، ولما جلس على العرش، جلس وهو مصمم على إعلانه[6]، حيث صدرت به إرادة سنية وأعلن في ٧ ذي الحجة ١٢٩٣ هـ / ٢٤ تشرين ثاني ١٨٧٦، وكخطوة أخيرة، الفت لجنة من ستة عشر موظفا مدنيا وعشرة علماء، وقائدين عسكريين، وبعد مداولات صعبة، أقرت اللجنة القانون الأساسي، والحقيقة أن هذا القانون كان مستوحى من الدستور البلجيكي[7]، ولقد صرح 'مدحت

---

(1) مدحت باشا. *مذكرات*، ص٢٣.

(2) ولي الدين يكن. *المعلوم و المجهول*،(مصر :مطبعة الشعب، ١٩٠٩)، ج١، ص٤٠ ؛ نوري. *عبد الحميد*، ص٩٧.

(3) أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٠١ ؛ المحامي. *تاريخ*، ص٥٨٧. أنظر كذلك .
Sir Edward .S.Greasy.M.A. *History of the Ottoman Turks from the beginning of their Empire to the present time*, (London: Richard Bently and Son, 1877), P.548.

(4) مدحت باشا. *مذكرات*، ص٢٢.

(5) المصدر والصفحة نفسهما.

(6) المصدر نفسه، ص ٢٣ .

(7) المصدر والصفحة نفسهما .

باشا' حينها بأن هذا القانون يرتكز على الحرية والعدالة والمساواة[1] ، ثم أمر السلطان 'عبد الحميد' بتشكيل البرلمان ، وتم افتتاحه في ١٩ آذار ١٨٧٧ ، وكان يؤلف من مجلس أعلى يعرف بمجلس 'الأعيان ويعين أعضاؤه مدى الحياة ، ومن مجلس أدنى ينتخب أعضاؤه لمدة خمسة سنوات ويسمى 'مجلس المبعوثان'[2].

ورغم التضييق والحصار الذي كان يلاقيه السلطان 'عبد الحميد' من 'مدحت باشا' ورفاقه ، إلا انه عمل فوراً على إحياء الشعور الإسلامي في العالم ، بحيث أوجد بفضل رعايته مبدأ التضامن بين المسلمين[3].كما قام بإيجاد الثقة في النفوس ، واستطاع حثهم على بناء المدارس والثكنات العسكرية (القشلات) وحث الناس على التبرع لشراء القطع البحرية ، واستطاع فعلا تطوير الأسطول والمدراس وتنظيم الإدارة وغيرها من الأعمال[4]. ولا ينكر على السلطان 'عبد الحميد' عنايته بالصحة العامة ، فقد نظم أمورها ، واتخذت التدابير الكاملة التي تحول دون انتشار الأوبئة ولا سيما الكوليرا ، كذلك قام بافتتاح المدرسة الطبية في 'حيدر باشا' ، أحد أحياء إستانبول ، حتى أن أطباء الحرم السلطاني توافدوا عليها للاستفادة من علومها[5].

هذا من جانب، وفي الجانب الآخر كانت السفارات والقناصل الأجنبية لا تزال تعمل على جمع المعلومات الوافية عن السلطان الجديد ،وكانت اغلب التقارير البريطانية تتحدث عن مرض السلطان ، بأمراض عدة مثل مرض العظام ،وأن السلطان عبد الحميد لن يدوم مدة طويلة . أما التقارير الروسية فقد وصفته بأن صحته ليست على ما يرام[6]وانه ربما يكون مصابا بمرض السل ، لان والدته توفيت به[7] ويمكن القول أن مرسلي التقارير معذورون في تقاريرهم هذه ، حيث كان السلطان يجري كثيرا من الاتصالات عن طريق طبيبه الخاص الذي كان يتردد كثيرا على قصر السلطان[8]

---

(1) باتريك. *سلاطين*، ص ٨٧ .

(2) الهدى . نيويورك ، العدد ١٣١ ، السنة ١١ ، الاثنين ٢٧ تموز ١٩٠٨ ، ص ١.

(3) العمران . دمشق ، العدد ٤٠٨ ، ج ٣١ ، م ٢ ، السنة ١٣ ، ١ مايو ١٩٠٩ ، ص ٥٤٢ .

(4) احسان النمر . *نظرات وتحقيقات في التاريخ العثماني* (بيروت: د.نا،د.تا)، ص ١٦٩-١٧٠ .

(5) باتريك . *سلاطين* ، ص ٧٩ .

(6) محمد علي . *السلطان*، ص٨٩-٩٠.

(7) سليم سركيس . *سر مملكة* ، (مصر : د.نا ، ١٨٩٥) ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(8) محمد علي. *السلطان* ، ص ٨٩-٩٠.

حادثة قصر جراغان Çirağan ١٨٧٨.

كان من أهم الأحداث الخطيرة والهامة في بداية تولى السلطان 'عبد الحميد' لمقاليد الأمور، حادثة قصر جراغان ، والتي تزعمها 'علي سعاوي' (Ali Suavi) [١] ، الذي كان ميالا للفتن والثورات فنفي سنة ١٢٨٧هـ/١٨٦٩م ومكث خارج البلاد تسع سنوات ، ثم عاد بمسعى من 'مدحت باشا' ، وعين ناظرا على المكتب السلطاني ، الذي يتعلم فيه أبناء السلطان 'عبد الحميد' ، لكنه عزل من منصبه بسبب عدم تحسن سلوكه ، وتدخله في الأمور السياسية[٢].

ولقد استغل 'علي سعاوى' الأحوال السيئة في دولته بعد الحرب الروسية العثمانية ، وتدفق ١٥٠ ألف مسلم إلي العاصمة هربا من أذى الروس ، بعد أن وطأت أقدامهم قراهم ومدنهم. وفي يوم ٢٠ أيار ١٨٧٨ اجتمع 'علي سعاوى' الذي كان من زعماء الشبان الأتراك مع العديد من مناصريه ، واتفقوا فيما بينهم على عزل السلطان 'عبد الحميد' ، واعادة السلطان' 'مراد الخامس' المخلوع إلى العرش من جديد[٣]، وذلك بعد أن انتشرت إشاعة مفادها أن 'مراد الخامس' تعافى من مرضه ، وانه لا بد من توليه شؤون الدولة ، ولقد ساعدت المحافل الماسونية 'علي سعاوى' في ذلك[٤].

وفي اليوم المحدد قسم المهاجمون إلى قسمين: الأول، أراد مهاجمة قصر 'جراغان' من جهة البحر تحت رئاسة أحدهم ويدعى 'صالح بك' والقسم الثاني تحت رئاسة 'علي سعاوى' نفسه من جهة البر ، وكانوا جميعا يرتدون زي المهاجرين ، ثم اجتمع القسمان البري والبحري عند بوابة القصر ، وحاولوا الدخول فمنعهم أحد الحراس ، فقتلوه ، ودخلوا القصر عنوة ، وصاروا يفتشون عن السلطان المخلوع 'مراد' ، حتى وجدوه في إحدى الغرف ، وقام 'علي سعاوى' بتسليمه مسدسا[٥] ، وسرعان ما جاء الحرس السلطاني من قصر يلدز حيث يقيم السلطان 'عبد الحميد' ، وقاموا بمحاصرة قصر 'جراغان' برا وبحرا ، وقتل في هذا الحادث 'علي سعاوى' نفسه مع عشرين من المتآمرين ، وجرح اكثر من ثلاثين آخرين ، وقدمت لوائح اتهام بحقهم إلى المحكمة[٦] ، ويعتقد أن المخابرات الإنجليزية كانت خلف هذه العملية ،

---

(١) علي سعاوى . (١٨٣٨-١٨٧٨) ثائر وكاتب ، كتب في جريدة 'مخبر' عام ١٨٦٦ ، ذهب إلى أوروبا عام ١٨٦٩ ، واصدر هناك صحيفة 'علوم' ، في باريس ، ثم عاد إلى الدولة العثمانية وكتب في صحيفة 'بصيرت' ، أي البصيرة ، انظر -حرب . *مذكرات* ، ص ٢٧٩ .

(٢) المحامي . *تاريخ* ، ص ٦٤٨ ; الشناوي . *الدولة* ، ج ٢ ، ص ١٠٠٩ .

(3) Charles Swallow . *The Sick Man of Europe, Ottoman Empire to Turkish Republic 1789-1923* (London : Ernest Benn, 1973) P.87; Palmer. *The Decline* , P.157..

(4) Erik .J. Zürcher. *The Unionist Factor , The Role of the Committee of Union and Progress in the Turkish National Movement 1905-1926* (Leiden: E.J.Brill, 1984) P.12.

(5) Zürcher . *Turkey* , P.90-91.

(٦) المحامي .*تاريخ* ، ص ٦٤٨ ، الشناوي . *الدولة* ، ج ٢ ، ص ١٠٠٩-١٠١٠ ، Zürcher . *The Unionist*, p.12.

حيث كانت تريد وبصورة مطلقة أن تكون إدارة هذه الدولة في يد الأشخاص المقربين لها، واختير لهذه المهمة 'علي سعاوي' ، الذي كان متزوجا من امرأة إنجليزية اسمها 'ماري' التي يعتقد أنها من المخابرات الإنجليزية[١] .

بعد حادثة 'جراغان' هذه بثلاثة أيام أي في ٢٢ أيار ١٨٧٨ التهمت النيران أجزاء كبيرة من مقر الباب العالي ، وأحرقت بالكامل دائرة شورى الدولة ، وتوابعها ، ودائرة الأحكام العدلية ، والتشريفات والداخلية ، والكثير من الأمتعة ، والأثاث ، والمفروشات ، والأوراق الرسمية ، وكان هذا الحريق في الغالب متعمداً من قبل أصحاب حادثة قصر جراغان انتقاما لفشلهم[٢].

أما 'مدحت باشا' الذي كان يتمتع بنفوذ قوي فقد ساءت العلاقة بينه وبين السلطان 'عبد الحميد' ، حيث عزل من منصب الصدارة في ٥ شباط ١٨٧٧، بعد أن تولاه في ١٩ كانون ثاني ١٨٧٧ ، أي بعد اقل من شهر على توليه هذا المنصب، وازدادت الأمور سوءاً بعد حادثة 'جراغان' حيث أُتهم 'مدحت باشا ' بأنه خلف هذا الحادث ، كما نسب إلى 'مدحت باشا' انه يسعى لفصل السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية ، أي الدعوة للعلمانية [٣].كما ويعتقد أن 'مدحت باشا' نادى بوصاية وانتداب غربي على الشعوب العثمانية[٤] ، وانه كان يشارك 'الشبان الأتراك' (Jön Türk) معظم أفكارهم الغربية [٥]، وانه ورفاقه من اليهود دبروا خضوع الدولة العثمانية وسياستها إلى حكومات أوروبا بحجة الاصطلاح ، والتركيز على حماية الرعايا غير المسلمين [٦] كما أن 'مدحت باشا ' من أوائل الذين رأوا في الإنجليز صديقاً لهم ، حيث اعتقد بصداقتها ، وأنها افضل الدول في معاملة الإسلام والمسلمين[٧] .

ومهما يكن من أمر فان السلطان 'عبد الحميد' كان فاقداً للثقة بشكل مطلق بمدحت باشا ، حيث يقول :"كيف يمكنني أن اعتمد على رجال أمثال مدحت باشا ورشدي ونوري!؟ إن الأخيرين هما صهرا عمي عبد العزيز ، وهؤلاء يصرون على تسميتي بصاحب الشوكة من جهة ، ويدعون انهم بهذا الدستور سيكسبون الإمبراطورية العثمانية منجزات حضارية ، أليس ذلك بالأمر المضحك !؟" [٨] .

---

[١] أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢ ، ص١١٨ – ١٢٠ .

[٢] المحامي . *تاريخ* ، ص ٦٤٩ .

[٣] المصدر نفسه، ص٥٩٣ ؛ مدحت باشا . *مذكراتي* ، ص ٢٥ .

[٤] عبد الله التل . *الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام* ، (ط ٢ ، بيروت : المكتب الإسلامي) ص ٨٣ .

[٥] ألبرت حوراني . *الفكر العربي في عصر النهضة ، ١٧٩٨-١٩٣٩* ، (ط ٣ ، بيروت : دار النهار للنشر ، ١٩٧٧) ، ص ١٣٣ .

[٦] التل . *الأفعى* ، ص ٨٣ .

[٧] إسماعيل أفندي الصفايحي. *إيقاظ الإخوان لدسائس الأعداء وما يقتضيه حال الزمان* (استانبول : مطبعة عسكرية سليمانية ، ١٣٣١ هـ) ، ص ٢١ ؛ أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢ ، ص١٢٨ .

[8] Abdülhamit . *Siyasi* , P.58 .

كما ويذكر السلطان 'عبد الحميد' أن 'مدحت باشا' عمل على اغتياله فيقول :" أما مدحت فكان يعمل في الخفاء ليغتالني رجاله ، ويتخلص مني، أني مدين بحياتي ليقظة رجالي المخلصين ، ما جرى لي كان كاف لأن يهز من يملك أقوى الأعصاب، إذا فلا عجب بعد هذه الأمور أن أكون محتاطا"(١) .

وظلت كل هذه الأمور في جانب واتهام 'مدحت باشا' في وفاة السلطان 'عبد العزيز' في جانب آخر، حيث أثيرت المسألة من جديد بعد حوالي خمس سنوات، وقدم مدحت باشا وبعض أعوانه للمحكمة ، وشهد عليه بعض المرتكبين لعملية القتل ، لذلك فقد عقد مجلس من علماء الشرع على هيئة محكمة عليا وأدانت 'مدحت باشا' وزملائه باغتيال السلطان 'عبد العزيز'(٢)، وحكمت عليه هذه المحكمة التي سميت 'بمحكمة يلدز' في ٢٧ حزيران ١٨٨١ بالإعدام ، وقد احدث هذا الحكم ضجة في كبرى الأندية الأوروبية ، واحتج مندوبو الدول الأوروبية على الحكم ، وكانت إنجلترا اكثر الدول احتجاجا ودفاعا عن رجلها ، حيث تناولت الحكم باستنكار شديد(٣) .

ولوجود الضغوط الأوروبية ولحالة الاستهجان هذه فقد خفف الحكم بالسجن ، ثم نفي فيما بعد إلى السجن العسكري في الطائف على ظهر السفينة 'عز الدين ' ، واستمر حبسه هناك(٤) ، وقد يكون السلطان 'عبد الحميد' قد استند في نفيه 'مدحت باشا' على المادة التي ادخلها الأخير إلى الدستور ، والتي تمنح الحاكم حق نفي الأشخاص الذين يرى بقاءهم مضر من الناحية السياسية رغم أن الدستور كان معطلا (٥). وأثناء هذه الفترة حاولت إنجلترا تهريب 'مدحت باشا' من سجنه إلى مصر ، إلا أن الشريف 'أمير مكة ' منع هذا التدخل ، وكان ما لاقاه 'مدحت باشا' فيما بعد من معاملة سيئة وتشديد ، إنما بسبب هذه المحاولة الفاشلة(٦) والتي تمت بمساعدة بارجة عسكرية إنجليزية في البحر الأحمر(٧) ، وبعد هذه المحاولة الفاشلة لإنقاذ 'مدحت باشا' ، اقتحم الجنود غرفته وقاموا بقتله مع 'محمود جلال الدين باشا' خنقا في ٦ أيار ١٨٨٤ (٨) وألصقت التهمة بالسلطان 'عبد الحميد' الذي ينفي ذلك بقوله :" بعد وفاة مدحت باشا بعشر سنوات تقريبا نشرت في أوروبا رسالة باللغة التركية ، وردت فيها مجموعة من التفصيلات والأسماء المشتركة في قتله ، وإذا كان ما ورد في هذه الرسالة صحيحا ، فيتضح منها انه ليس بين المشتركين في الحادثة من ينتمون لي ، وانه ليس لي علاقة بهما ، والحقيقة أني كنت دائم التخوف من مدحت باشا ،

---

(1) Abdülhamit. *Siyasi*, P. 72

(٢) باتريك . *سلاطين* ، ص ٩٠-٩١ ؛ لمزيد من التفاصيل عن محاكمة مدحت باشا أنظر :
Ismail Hakki Uzunçarşili . *Midhat Paşa ve Taif Mahkumlari* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi , 1992).

(٣) حرب . *العثمانيون* ، ص ٣٢ ، انظر ، باتريك . *سلاطين* ، ص ٩١ .

(4) Halide Edib. *Conflict of East and west in Turkey* (Lahore: Shaikh Muhammad Ashraf) P. 76

(٥) أوزتونا ، *تاريخ* ، ج٢ ، ص١٠٤ .

(6) İsmet Bozdağ . *Abdülhamid in Hatira Defleri Belgeler ve resimlerle*, (İstanbul: Kervan kitapçilik,1975), p. 28 .

(٧) حرب . *العثمانيون* ، ص ٣٢ .

(٨) أوزتونا .*تاريخ* ، ج٢ ، ص ١٢٨.

ولكن ... وبكل تأكيد أنني لن أفيد شيئا إذا وضعت عدوي في مصاف الشهداء"[1] .

كل تلك الأحداث أوجبت اليقظة والحذر في تعامل السلطان 'عبد الحميد' مع رجال قصره .

٢- مؤسسة القصر.

كان السلطان 'عبد الحميد' دائم التخوف من المستقبل، بسبب معرفته بالدور الأوروبي في السياسة الداخلية والخارجية لدولته، لذلك فقد كان يستغل كافة الإمكانيات التي في يده ويتهرب من الوقوع في أي مواجهة حقيقية بينه وبين هذه الدول، بل ويعمل كل طاقته لتحقيق هذا الهدف [2] ولقد أزعجت السلطان 'عبد الحميد' الصداقات المشبوهة مع جيرانه الأوروبيين في بداية توليه الحكم لذلك فقد طبق سياسة 'الاعتماد على النفس ' وهذا يدلل على أنه ليس بحاجة الى نصائح وقروض هؤلاء، ولأن الاعتماد على النفس جعل السلطان يتذوق فيه طعم الاستقلال [3] .

وغالبا ما كان السلطان 'عبد الحميد' يسأل كثيرا، ويسمع باهتمام، لكنه كما في كل وقت كان يخفي آراءه الخاصة بحذر شديد عن جميع المحيطين به، سواء عن الأشخاص الذين يعتقدون أنهم يؤثرون عليه ، أو أولئك الذين يعتقدون أنهم أخذوا الأفكار عنه [4].

ومن مميزاته الفكرية، فقد كان ذكيا يقظا ، ورغم حضور ذهنه إلا أنه يفكر بهدوء وروية، ولا يدلي برأيه إلا بعد أن يقلب أفكاره ويأخذ رأي مستشاريه [5] ، حتى أشاع المعادون له أنه بذلك وقع تحت سيطرة مستشاريه، ويقول في ذلك السلطان 'عبد الحميد' :"يمكنني أن أقول بأنني لم أقع تحت تأثير أي رجل استشرته، إنني بطبيعة الحال أستشير أحد الكتاب، وأحيانا أحد أمناء السر، وحينا آخر أحد الوزراء، إذا اقتضى الأمر، لكن القرار دائما هو القرار الذي أتخذه بمفردي" [6] ، ثم يقول : " يشكو المعارضون من أنني أخضع لتأثيرات بعض المستشارين من حين لآخر، إنه خطأ فادح...والحقيقة أنني أستمع إلى كل المستشارين،وأقيس آراءهم بأعصاب باردة ثم أتخذ قراري على بصيرة دون أي ارتباك، فلا أرجع عنه، وأضعه قيد التنفيذ" [7]. هذا من جانب ومن جانب آخر فقد كان السلطان عبد الحميد يحذر الناس ولا يثق بمن حوله، لذلك فقد كان يبتعد عن أقرب المقربين له، ويمكن تفهم ذلك الأمر بسبب محاولات الاغتيال العديدة والفاشلة التي تعرض لها خصوصا في السنوات الأولى لتوليه الحكم [8] وفيما بعد عمد السلطان

---

[1] حرب . مذكرات ، ص ٧٨-٧٩ .

[2] أوكه . جاسوس ،ص٧٧.

[3] المرجع نفسه، ص٧٩.

[4] المرجع نفسه ، ص٧٧.

[5] المرجع نفسه ، ص٣٥.

[6] عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص٢١١.

[7] المصدر نفسه، ص٧٩.

[8] المصدر والصفحة نفسهما.

'عبد الحميد' الى إحلال موظفين مسلمين عثمانيين بدلا من الموظفين غير المسلمين ، حتى أصبح من النادر وجود غير المسلمين في وظائف وزارة الخارجية، والمؤسسات العسكرية والمدنية إلا في حالات استثنائية[١].

أما كبار الموظفين الذين يشكلون حاشية السلطان، فقد كانوا حسودين ولا ينفكون عن تدبير المكائد والدسائس لكل من يحظى بقبول السلطان وتقريبه منه [٢] .ورغم ذلك فليس هناك شخص واحد من الطبقة العليا التي تكونت حول السلطان 'عبد الحميد' تشتكى من إدارته، فقد كانت هذه الحاشية في الماضي اكثر ارتباطا بالقوى الأوروبية –في عهد والده عبد المجيد وعمه عبد العزيز –، بل يمكن القول أنهم كانوا خادمين مطيعين لهذه القوى، لكن ومع تولي السلطان عبد الحميد مقاليد الأمور، أصبح هؤلاء أكثر استقلالية عن القوى الأوروبية كأنهم أنقذوا أنفسهم من وصاية أصدقائهم، بل وأصبحوا أكثر تحكما فيما يخص شؤونهم الداخلية والخارجية[٣] وكان هؤلاء من جانب آخر يميلون إلى الرفاهية وعدم البساطة في حياتهم، بل ويقبضون رواتب ضخمة وهؤلاء شكلوا نسبة كبيرة منهم: أربعون مشيرا وستون وزيرا، وثلاثة عشر ناظرا، ومائة وثمانون موظفا من الدرجة الممتازة ، وثلاثمائة وتسعون من الدرجة الأولى، وواحد وعشرون مرافقا برتبة باشا ، ومائة وخمسة وعشرون مرافقا فخزيا وواحد وعشرون مرافقا فعليا ، وهذا العدد الضخم كان النتيجة المباشرة للوساطة والتودد والنفعية التي كانت متفشية بين موظفي القصر.وهؤلاء كانوا يكلفون الخزينة أموالا طائلة [٤]في حين كان صغار الموظفين في الدولة يعانون من أوضاع مالية صعبة، حيث كانت رواتبهم تتأخر باستمرار ، و رغم أن السلطان 'عبد الحميد' أمر بدفع رواتبهم بانتظام ، إلا أن الشكاوى كانت لا تزال تصله من حين لآخر[٥].

أما فيما يتعلق بمنصب الصدر الأعظم، فقد كان هؤلاء أكثر ارتباطا بالدول الأوروبية من غيرهم، وكان السلطان 'عبد الحميد' كلما شعر بأن إحدى الدول تريد الضغط عليه وتسعى لمعاداة الدولة العثمانية، يقوم بإبداء الليونة، ويظهر التقرب لهذه الدولة بتعيين الصدر الأعظم من الذين يوالونها، حيث كان يعي جيدا ميول هؤلاء، فكان 'كامل باشا' يرى تأييد السياسة الإنجليزية و'سعيد باشا' يرغب في التقرب من 'فرنسا'، و'خليل باشا' يود مسايرة 'روسيا' و'توفيق باشا' يحب زيادة النفوذ الألماني، أو يرى فيه أقل أطماعا من غيرها وهذا الأخير كان يتطابق تصوره مع توجه وسياسة السلطان 'عبد الحميد' الذي كان يعين الصدر الأعظم الذي يراه ملائما للسياسة التي يريد إتباعها مع الدول الأوروبية [٦] ويقول في ذلك السلطان 'عبد الحميد' :" ومن الطبيعي أن أضطر أحيانا إلى إجراء تغيير عندما أحس بالحاجة إلى ضحية

---

[١] أوكه. *جاسوس*، ص١٠٧.

[٢] عبد الحميد الثاني. *مذكراتي*، ص٢١٢.

[٣] أوكه. *جاسوس*، ص٣٣.

[٤] عبد الحميد الثاني. *مذاكرتي*، ص٥٢-٥٣.

[٥] المصدر نفسه، ص ٥٣.

[٦] محمود شاكر. *التاريخ الإسلامي، العهد العثماني* (ط٢، بيروت : المكتب الإسلامي، ١٩٨٧) ص١٨٦.

سياسية فأعين أحيانا 'كامل باشا' إرضاء لإنجلترا وتارة أعين الذئب العجوز 'سعيد باشا الصغير' وفقا للمصلحة العامة ... وابعاد الصدر الأعظم واستبداله بآخر لا يستوجب كل هذا الضجيج فما الفرق بين 'كامل' 'وسعيد' إذا كان الرئيس الفعلي للوزراء هو السلطان المقيم في قصر يلدز" [١]

وكان السلطان 'عبد الحميد' يعي جيدا خطر هؤلاء على الدولة، وقد علم توجهاتهم السياسية لكنه في نفس الوقت كان يعاني من قلة من تتوفر فيهم القدرة على شغل منصب الصدر الأعظم، وفيما بعد تدارك السلطان هذا الأمر، واستطاع علاجه حيث قام بتضخيم دائرة مابين القصر والوزارة (Mabayn) ، فصار يحول إليها الأشغال تدريجيا، وصار الولاة يتصلون بهذه الدائرة وأخيرا أصبح المابين كل شيء في الدولة، ولهذا وصفوا السلطان 'عبد الحميد' بأنه مستبد ، ولقد ضجت الصحف الأوروبية على هذا الأمر، لأنه قضى على نفوذ دولهم في الوزارات ، وبالتالي على العديد من دسائسها داخل دولته [٢].

لقد كان السلطان 'عبد الحميد' يرى أنه على رأس دولة ينفرط عقدها في اللحظة التي تضعف فيها إدارتها المركزية [٣].

٣- الإصلاحات الداخلية .

تختلف كل إمبراطورية أو دولة كبرى في مدة بقائها وفقا للظروف الداخلية والخارجية، لكن استحالة وقف التأثير الزماني والمكاني عليها، يؤدي إلى ضعف عام تكون نتيجته السقوط الطبيعي، والدولة العثمانية شأنها في ذلك شأن هذه الإمبراطوريات والدول، عاشت عصور القوة وشدة البأس، حتى أثرت عليها هذه العوامل.

ولقد أدرك سلاطين بنى عثمان هذا الأمر في وقت متأخر، حيث شهدت الدولة حالة من الانحطاط السياسي العسكري والاجتماعي والعلمي والإقتصادي، الأمر الذي حذا بهؤلاء السلاطين للعمل من اجل النهوض بالدولة واللحاق بركب الحضارة مثلما عليه الأمر في أوروبا، ولقد كتبت المئات من الكتب وآلاف المقالات عن التنظيمات ولكن التنظيمات (Tanzimat) لا يمكن أن تفهم بمعزل عن العلاقة بين الدولة العثمانية والقوى الأوروبية [٤].

---

(١) عبد الحميد الثاني. *مذكراتي* ، ص١٠٠.

(٢) النمر. *نظرات*، ص١٧٠-١٧١

(٣) عبد الحميد الثاني. *مذكراتي*، ص٥٦.

(4) Gülhane Hatt-i Hümâyunu, 150 Yılında Tanzimat, Hakkı Dursun yıldız, (Yayına Hazırlayan) . (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi 1992), P.524.

كان من أوائل السلاطين الذين عملوا على إصلاح الدولة السلطان 'محمود الثاني' [1] الذي رأى ما وصلت إليه فرق 'الإنكشارية'[2] من الضعف والانحطاط وعدم الانقياد، لذلك فقد طلب منهم الانقياد العسكري بالقوانين، وتسليحهم بالأسلحة النارية الحديثة، وتمرينهم على الأصول العسكرية الجديدة المتبعة في أوروبا [3].

ولقد سار السلطان 'عبد المجيد' على نفس المنهج الإصلاحي الذي سار عليه السلطان 'محمود' لذلك فقد أصدر عقب توليه حكم الدولة إعلانا في ٢٦ شعبان ١٢٥٥هـ/٤ تشرين ثاني ١٨٣٩ سمي بإعلان خط شريف كلخانه 'خطي شريفي كلخانه'[4]. وفيما بعد أعلن السلطان 'عبد المجيد' عن إصلاحات خيرية عرفت باسم خط همايون 'خطي همايوني' الذي صدر في ١١ جمادى الآخرة ١٢٧٢هـ/١٨ شباط ١٨٥٦.

ولقد استمرت العمليات الإصلاحية في عهد السلطان 'عبد العزيز' حيث أنشأ سنة ١٨٧٦ 'شوراي دولت' التي يطلق عليها الأوروبيون 'مجلس الدولة' (Council of State)، ولكن هذه الإصلاحات ظلت إصلاحات ورقية (Paper Reforms) بسبب التواني في تطبيق قراراتها [5].

واستمر السلطان 'عبد الحميد' بإجراء إصلاحات كان أهمها إعلان الدستور-المشروطية أو القانون الأساسي- وذلك في ١٣ كانون أول١٨٧٦ ،وذلك بسبب الضغوط التي تعرض لها من جانب 'مدحت باشا'[6]، وكان هذا الدستور ينص على تشكيل مجلس برلماني يسمى مجلس المبعوثان ،تم إجراء الانتخابات له وشارك في ذلك الولايات البعيدة مثل 'اليمن' و'ليبيا' ،وقد جاء الأعضاء الذين تم انتخابهم الى 'استانبول' للمشاركة في أعمال المجلس الذي افتتح رسميا في ١٩ آذار ١٨٧٧ وكان بعض الأعضاء يجيد التحدث باللغة التركية والبعض الآخر لا يجيد فعل ذلك .وكانت اللغة التركية هي لغة المناقشة في

---

(١) محمود خان الثاني: هو ابن السلطان عبد الحميد الأول، ولد في ١٣ رمضان ١١٩٩هـ/ ٢٠ تموز ١٧٨٥، ظهر في عهده الوهابيون وكلف محمد على باشا بمحاربتهم، ولقد ثار أهل اليونان مطالبين بالاستقلال حيث أرسل إليهم محمد على باشا للقضاء على ثورتهم، وشنت روسيا في عهده حربها على الدولة وانتهت بتوقيع معاهدة أدرنة ١٢٤٥هـ/١٧٢٩ وفي عهده احتلت فرنسا الجزائر، وتمرد محمد على باشا على الدولة العثمانية - انظر، المحامي، *تاريخ* ، ص٣٩٨-٤٥٤.

(٢) الانكشارية : هي مجموعة من الشبان يؤخذون من أسرى الحرب، بحيث يفصلون عن كل من يذكرهم بجنسيتهم أو ديانتهم أو أصولهم و العمل على تربيتهم تربية إسلامية، بحيث لا يعرفون أبا إلا السلطان، ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله، ولقد أسس هذه الفرق السلطان أورخان الأول ثاني سلاطين بنى عثمان، وبعد تكوين فرقهم يتم السير بهم إلى الحاج بكتاشي شيخ الطريقة البكتاشيه يدعو لهم بالخير والبركة وتم تسميتهم بعد ذلك ' يني تشاري' أي الجيش الجديد - المحامي. *تاريخ*، ص١٢٢-١٢٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٩٨.

(٤) المصدر نفسه ،ص٤٨٣-٣٨٤، انظر *Gülhan-i Hatt-i Hümâyunu* p.525.

(5) William Miller. *The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927*, (London: Frank Cass C.O-L.T.D. 1966), p.298.

(٦) أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٠٢.

المجلس ،ولما كانت مهمة النظام البرلماني غير معروفة جيداً لأعضاء المجلس ؛فقد كانت الأصوات تعلو من كل جانب أثناء المناقشات[1] وذلك لعدم تفهم المسؤوليات والواجبات التي يلقيها عليهم النظام البرلماني، بالإضافة الى أن نواب الأقليات كانت لهم علاقات مع الدول الأوروبية، بل وحصلوا على تأييدها ،وتقاضوا الأموال منها ،لذلك فقد ظهر من هؤلاء النواب من يدافع عن التخلي عن جزيرة 'كريت' الى 'اليونان' ، ونواب آخرين طالبوا بتأسيس إمارة أرمنية في 'الأناضول الشرقية'[2].

كان السلطان 'عبد الحميد' يعي جيداً أن هذه السياسة قد تجر البلاد الى الهاوية لأنه يعلم أن الشعوب العثمانية ليست ناضجة لخوض مثل هذه التجربة البرلمانية؛ وأن مثل هذه التجربة في دولة تضم العديد من المذاهب والأعراق قد تؤدي الى ارتفاع حدة الخلافات والتباينات والنزعات الانفصالية[3]، لذلك فقد أمر السلطان 'عبد الحميد' بتعطيل مجلس المبعوثان ،وتعطيل الدستور بقرار الحكومة الموشح بالإرادة السنية السلطانية لأجل غير معلوم في ١٣ شباط ١٨٧٨ .ولم يكن السلطان قد ألغى الدستور رسميا ودل على ذلك أن الدستور كان ينشر في النشرة السنوية الرسمية للدولة العثمانية (السالنامه) مدة تزيد عن ٣١ سنة دون انقطاع[4] .

قام السلطان 'عبد الحميد'، بإلقاء خطاب يوم الثلاثاء ٢٢ أيلول ١٩٠٨ -بعد ثورة ١٩٠٨-جاء فيه أسباب تعليقه للدستور أمام المابين فقال : "إنني لم اقدر على إيقاف مجلس المبعوثان منذ ثلاث وثلاثين سنة إلا بعد التردد الكثير، لأن بلادي لم تكن إذ ذاك مستعدة للحكم الدستوري ، فقد كان الجيش غير منتظم ، والبحرية بالغة أحط درجة من الضعف والإنحطاط، وكان التهذيب سائراً إلى الوراء ومالية الدولة في أتعس حالة من العجز ، ولم تكن وسائط النقل موفورة بين النقط المأهولة في البلاد ، أما الشعب فكان منقسماً متضعضع القوة ،فاقداً كل مزايا التفاهم والاتحاد . ففي تلك الظروف، رأيت في استمرار مجلس المبعوثان داعياً إلى الخراب والدمار من نشوب الحروب الأهلية بين العناصر والأحزاب المختلفة فكان أول واجب على تنظيم الجيش، ثم النظر في تهذيب وترقية الشعب وإيجاد وسائط وتسهيلات النقل المؤدية إلى العمران مثل إنشاء سكك حديدية وغيرها" [5] .

كان السلطان'عبد الحميد' يدرك أن هناك نقصاً كبيراً في عدد المثقفين المدنيين القادرين على إدارة الوظائف المدنية ، لذلك فقد سعى الى التوسع في نشر التعليم في جميع مستوياته واتجاهاته ،لذلك قام بتفعيل نشاط كلية الإدارة المدنية (ملكية مكتبي) التي أنشأها والده السلطان 'عبد المجيد' عام ١٨٥٩، حيث أدخل عليها مناهج حديثة، وفتح أبوابها للوافدين من شتى أنحاء الدولة ،حتى أصبحت مركزاً ثقافياً.

---

[1] أوزتونا. *تاريخ*، ج٢،ص١٠٥.

[2] المصدر نفسه ،ص١١٨.

[3] روبير مانتران (محرر). *تاريخ الدولة العثمانية* ،ترجمة ،بشير السباعي(القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر،١٩٩٣) ،ج٢ ، ص٨٣.

[4] أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١١٦.

[5] الهدى . نيويورك العدد ١٨١ السنة ١١، الخميس ٢٤ أيلول ١٩٠٨،ص١.

كان من المدارس العليا التي أمر السلطان بإنشائها .. المدرسة السلطانية للشؤون المالية ١٨٧٨ ومدرسة الحقوق الشاهانية ١٨٧٨، ومدرسة الفنون الجميلة ١٨٧٩، ومدرسة التجارة ١٨٨٢، ومدرسة الهندسة المدنية ١٨٨٤ ،ومدرسة الطب البيطري ١٨٨٩ ،ومدرسة الشرطة ١٨٩١ ،ومدرسة الجمارك ١٨٩٢ ،ومدرسة الطب ١٨٩٨ ،ومدراس للصم والبكم والعمي، وغيرها من المدارس العليا الأخرى التي بلغ عددها آنذاك ١٨ مدرسة[١]، الى جانب العديد من الكليات والمعاهد الأخرى كان أهمها . إنشاء جامعة استانبول سنة ١٩٠٠ [٢] من أجل الطلاب العثمانيين، بحيث لا يضطروا الى الذهاب الى أوروبا وحفاظا على عاداتهم وتقاليدهم.

أما المدارس الدينية فقد تركت تؤدي رسالتها الدينية باللغة العربية ، التي كانت تدرس إجباريا مع الفارسية دون استثناء ، والى جانب ذلك انشأ السلطان عبد الحميد العديد من المدارس الرشدية (الإعدادية المتوسطة، وبلغ عددها في ولايات الدولة العثمانية ٢٩ مدرسة ،بالإضافة الى عدد من المدارس الثانوية، كان أشهرها المدرسة السلطانية في 'غلاطة سراي'(Galata Saray) في 'استانبول'[٣]، وكانت تدريس اللغة العربية وآدابها إجباريا في هذه المدارس على أوسع نطاق[٤]. والى جانب ذلك تم تأسيس المكتبات والمتاحف ومكاتب البريد ومعامل عديدة والمستشفيات ودار النفوس العامة والغرف التجارية والزراعية والصناعية[٥] .

يقول السلطان 'عبد الحميد' في ذلك الأمر :"لقد ارتفع عدد المدارس منذ اعتليت العرش الى عشرة أضعاف ما كانت عليه، ومع ذلك فلا تفي هذه المدارس بالحاجة. والمدارس الثانوية عندنا على مستوى عال من المناهج تعترف به الأوساط العلمية ،ونحن بحاجة الى فتح مدارس إعدادية تهيئ الطلاب لدخول مؤسسات علمية، ليتخرج منها مهندسون ومعماريون وفنيون "[٦] .

ولقد أدخل السلطان 'عبد الحميد' إلى جانب ذلك إصلاحات عسكرية خصوصا فيما يتعلق بالجيش ، كانت على قدر من الأهمية، ومن ذلك أنه استقدم عددا من الجنرالات الألمان المختصين ...، حيث قام هؤلاء بتدريب الجيش العثماني وفق متطلبات العصر، كما قام بإرسال بعثات عسكرية للتدريب في الجيش الألماني [٧]،حتى أن الجنرال 'فون درغورت' (Von der Gotte) قال: بأن الجيش العثماني يحتل المرتبة الأولى بين الجيوش، وأنه لا يوجد من يتفوق عليهم [٨] . كما أثنى الإمبراطور الألماني على

---

(١) عثمان أوغلي. *والدي*، ص٢٢-٢٣.

(٢) مانتران. *تاريخ*، ص١٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٣.

(٤) أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٥٢.

(٥) محمد علي. *السلطان*، ص١٦٨.

(٦) عبد الحميد الثاني. *مذكراتي*، ص١٨٧.

(٧) مصطفى طوران. *أسرار الانقلاب العثماني* ، ترجمة، كمال خوجه ، (ط٣، بيروت : دار السلام، ١٩٨٠) ص٣٨.

(٨) عبد الحميد الثاني. *مذكراتي*، ص٥٤.

الضباط العثمانيين الذين كانوا يتلقون التدريبات و العلوم العسكرية، ووصفهم بأنهم في تقدم مستمر. ويقول السلطان 'عبد الحميد' في ذلك :" وأغلب ظني أن الإمبراطور مخطئ في حكمه هذا ، لأن تقرير سفيرنا في 'برلين' يفيد بأن القليل من هؤلاء الضباط يركز اهتمامه على الدراسة ، وتفيد المصادر الوثيقة أن القادة العسكريين البروسيين (الألمان) يمدحون ضباطنا، لا لأنهم يستحقون المديح، بل يغضون النظر على الكثير من سقطاتهم كي يكونوا صالحين لهذا المديح ، إن تلقي أولاد الباشوات العلوم العسكرية في 'بروسيا' يكلفنا كثيرا، لكنه يولد انطباعا حسنا في الخارج ، فعلى هذا النحو نبرهن على أننا لم نبخل بشيء في سبيل إبقاء جيشنا في المستوى المطلوب، ونزكي من تفاخر أصدقائنا الألمان، ولكن اكثر شبابنا الموفدين إلى 'المانيا' ويا للأسف يفقدون في أنفسهم فضيلة الاعتدال والبساطة اللتين يتميز بهما العثمانيون، وما يتعلمونه هناك عبارة عن شرب الخمور، وعادات منافية للخلق، وما شابهما، ثم يعودون وهم منتفخون بالعظمة والكبرياء"[1] .

كان هناك عدم رضا من قبل الموظفين والضباط والجنود تجاه سياسة السلطان ،ذلك أن هؤلاء أصبحوا يتقاضون ٦ رواتب بدلا من ١٢ راتبا، وبهذه الحالة خفضت معيشتهم إلى النصف ، ويمكن القول أنه بالإمكان العيش بالرواتب الستة ، لكن هؤلاء أخذوا يشعرون بأنهم دائنون للدولة، وأن الدولة مدينة لهم [2] ،بالإضافة الى ذلك كان يوجد فرق بين الحد الأدنى والحد الأعلى للرواتب، إذ كانت الدولة تجزل العطاء لكبار موظفيها ،فمثلا نجد راتب الصدر الأعظم أعلى خمسا وعشرين مرة من راتب سكرتير الوزارة[3]، كذلك نجد راتب المشير (المارشال) في السنوات الأخيرة للسلطان 'عبد الحميد' هو ٣٠٠ قطعة ذهبية، وراتب اللواء ٦٠ ،والعقيد ٢٥ ،والرائد ١٢ ،والنقيب المتقدم ١٠ ،النقيب ٥ ،والملازم أول ٣ ،والملازم ٢ ليرة ذهبية[4]، ورغم ذلك فلا يمكن الإدعاء أن الفاقة أو المجاعة كانت موجودة في الدولة العثمانية .لم يكن هناك شخص جائع أو بلا مأوى ، وكانت مشكلة البطالة في حدها الأدنى[5].

لقد كان هناك العديد من المعوقات التي اعترضت السلطان 'عبد الحميد' وأثرت على سياسته؛ ومن ذلك الانحطاط الذي أصاب العثمانيين ، حيث عم الكسل وعدم الاكتراث، ولم تعد الطبقة المثقفة تهتم بالأمور، ولم يعد الموظفون والعسكريون يثقون بأنفسهم ،ولا يوجد هناك من يريد أن يعمل، ولا أن يعلم، ولم يستطيع الخبراء الأوروبيون أن يعملوا شيئا حيال هذه الظواهر، وأينما حلوا وجدوا هذه التصرفات اللامسؤولة التي حطت من عزيمتهم، فأخلدوا أيضا إلى الدعة والراحة كباقي الناس[6].

---

[1] عبد الحميد الثاني. *مذكراتي*، ص٥٤.

[2] أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٤٧.

[3] مانتران. *تاريخ*، ج٢، ص١٧١.

[4] أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٤٧.

[5] المصدر نفسه، ص١٤٩.

[6] عبد الحميد الثاني. *مذكراتي*، ص ٥٦.

هكذا ترسخت اللامبالاة وعدم الاكتراث في كافة طبقات الشعب ، "وأصبحت عادة من عاداته، وقد تكون هذه العادة سبب جميع مصائب الدولة العثمانية ، لذلك وجب على رجال البلاد لاسيما الأساتذة والعلماء والطبقة المثقفة عموما ، أن يعمدوا إلى الناشئة لحضها على العمل من أجل الدولة والأمة، وإلا فكيف يمكن إنقاذ الدولة إذا لم يتم التغلب على الارتخاء "[1] . لذلك قام السلطان 'عبد الحميد' بالعمل على رفع مستوى العلوم والثقافة، فأنشأ المدارس المختلفة في تخصصاتها، وأدخل المناهج العلمية[2]. وكان السلطان لا يريد من الغرب الحضارة لأنه كان يرى ان للشرق حضارته الإسلامية الخاصة، لذلك فقد كان جل اهتمامه منصب على العلوم الحديثة ، فالإسلام عنده لم يكن ضد التقدم، وكان يعتقد ان الأمور القيمة يجب أن تكون طبيعية وأن تأتي من الداخل وحسب الحاجة إليها ولا يمكن أن يكتب لها النجاح إذا كانت على شكل تطعيم من الخارج[3].

ومن نتائج الإصلاحات في عهد السلطان 'عبد الحميد' :

١-أن المدارس والكليات والمعاهد التي تم افتتاحها كلفت خزينة الدولة أموالا طائلة زادت من الأعباء المالية للدولة .

٢-أدت زيادة المدارس والكليات والمعاهد الى زيادة الخريجين الذين يحتاجون الى وظائف في مؤسسات الدولة المختلفة؛ وبالتالي فإن الدولة بحاجة الى الأموال كي توفر لهم المرتبات الشهرية، الأمر الذي أدى بالدولة الى تخفيض مرتبات الموظفين والجيش، وعدم القدرة في أحيان كثيرة على دفع كامل مرتباتهم الشهرية بانتظام، الأمر الذي سيكون له مردود سلبي على حكم السلطان 'عبد الحميد' .

٣-هذه الأمور أدت الى قيام الدولة بالبحث عن الأموال، الأمر الذي لم توفره إلا عن طريق القروض الأجنبية ،مما أدى إلى زيادة نفوذ الدول المقرضة في سياسة الدولة وبالتالي إلى وجود معارضة عثمانية ضد هذا التدخل .

٤- الأقليات .

كانت مسألة الأقليات من أهم المسائل التي أثرت على الأحوال الداخلية للدولة العثمانية، فقد شكلت مسألة الأقليات عناصر غير مستقرة في توجهها، كما تم استغلالها من قبل القوى الأوروبية ضد الدولة العثمانية، وكان من بين اكثر هذه المسائل إلحاحا في عهد السلطان 'عبد الحميد' المسألة البلغارية والمسألة الأرمنية.

---

(١) عبد الحميد الثاني. *مذكراتي*، ص ٥٦.

(٢) طوران. *أسرار*، ص٣٧-٣٨

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى. *في أصول التاريخ العثماني*، (ط١، القاهرة : دار الشروق، ١٩٨٢) ص٢٤٢.

أ- المسألة البلغارية:

ظل البلغار داخل الدولة العثمانية يشكلون مشكلة قومية، رغم ما عرف عن الدولة العثمانية من تسامح ديني، وذلك منذ خضوع البلغار للسيطرة العثمانية، حيث قاموا بالعديد من الثورات بين الحين والآخر، واستمرت أعمالهم هذه حتى وقت متأخر، ولقد قام السلطان 'عبد العزيز' بمحاولات عديدة لاحتواء البلغار، ومن ذلك أنه قام بإصدار فرمان سلطاني مؤرخ في ١١ آذار ١٨٧٠ بإنشاء كنيسة خاصة بالبلغار مستقلة عن الكنيسة الشرقية (اليونانية) في 'استانبول'[١] ، حيث كانت الكنيسة اليونانية تمارس العنف تجاه المعلمين البلغار، ومنع نشر الكتب البلغارية، كما عملت بكل الوسائل لوقف الحركة القومية والتربوية للبلغار[٢]. ونص قرار الفرمان على حرية البلغار في إدارة شؤونهم الدينية وتحرير الأرثوذكس من نفوذ البطريرك اليوناني الذي تمتع بزعامة دينية في بلاد البلقان مثل 'البلغار' و'الصرب'، ولقد نص كذلك على أن يكون بطريرك الكنيسة الجديدة من أهل 'بلغاريا'، وكان يطلق على شاغل هذا المنصب لقب 'إكسارك' (Exarch) ومن هذه الكلمة اشتقت عبارة 'الإكساركية البلغارية ' The Bulgarian (Exarchate) وهي تعني الكنيسة التي يرأسها البطريرك البلغاري[٣].

وإلى جانب ذلك وجد هناك سببان دفعا الدولة العثمانية إلى إعلان هذا الفرمان هما :

١- نقمة الدولة العثمانية على اليونان لاشتراكهم في الثورات التي قام بها سكان جزيرة 'كريت' المسيحيين ضد الحكم العثماني، وإمدادهم بالأسلحة والذخائر والمتطوعين ، وإسهامهم في المذابح التي قام بها سكان 'كريت' ضد مسلمي الجزيرة.

٢- الضغط الشديد الذي كانت تمارسه 'روسيا' لإنشاء هذه الكنيسة، وكان الهدف من ذلك دعم فكرة 'الجامعة السلافية ' (Pan- Slavism) التي نادت بها واستهدفت ضم جميع السلاف الأرثوذكس في أوروبا تحت زعامتها وسيطرتها[٤]. كما أرادت الدولة العثمانية كذلك زيادة الخلافات والانقسامات بين العناصر المسيحية، لا سيما 'اليونان' و'البلغار' و'الصرب' الذين كانوا ضالعين في كثير من الاضطرابات والثورات داخل الدولة، في نفس الوقت الذي كانت الدولة تجد صعوبات شتى بخصوص دعم نفوذها بين هذه العناصر[٥].

رغم محاولات البطريرك اليوناني ثني السلطان عن رأيه، وعندما تأكد من عزمه على ذلك قام البطريرك بإصدار قرار الحرمان (ex-Communication) ضد الاكسارك البلغاري ورجال الدين

---

[١] عبد العزيز الشناوي. *الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦) ج٢، ص٨٤٢-٨٤٣.

[٢] نيكولاي تودوروف. موجز *تاريخ بلغاريا* ، ترجمة، احمد سليمان الأحمد، (دمشق: مطبوعات دار الثقافة، ١٩٨١)، ص٩٤.

[٣] الشناوي. *الدولة*، ج٢، ص٨٤٣.

[٤] المرجع والصفحة نفسهما.

[5] Miller. *The Ottoman*, P. 344-346.

وأتباعهم، وهذا بدوره أدى إلى صراع ديني بين اليونانيين 'البطريركيين' (Patriarchists)، وبين البلغاريين 'الاكساركيين' (Exarchists) حيث قام كل فريق بتكوين العصابات، واستخدام الأسلحة، وأخذ كل فريق يسعى لإثبات صحة موقفه بالضربات القاتلة [1]. لكن هذا الأمر لم يكن يعني على الإطلاق وقف 'البلغار' للاضطرابات، حيث قام 'البلغار' في نيسان ١٨٧٦ بانتفاضة الأمر الذي شجع الشعوب السلافية الأخرى في البلقان[2].

لم تسارع الدولة العثمانية إلى وقف هذه الاضطرابات الأمر الذي أدى إلى انتشارها في عدة مدن ،في الوقت الذي ركزت فيه أوروبا على 'البلغار' لأنها وجدت في مسألتهم مادة خصبة للتشهير بالدولة العثمانية، ابتغاء استمرارية الرأي العام الأوروبي المعادي للدولة العثمانية، وإعادة فتح ملف المسألة الشرقية من جديد[3].

كان من أسباب تذمر 'البلغار'، أن الدولة العثمانية كانت قد أنزلت في 'بلغاريا' عائلات شركسية، كانوا قد هربوا من الحكم الروسي، وقام العملاء الروس باستغلال هذه الهجرات، فأدخلوا في روع 'البلغار' أن الدولة تهدف إلى إقطاع أراضيهم لهؤلاء الشركس ومن ثم استبعاد أصحاب البلاد الأصليين[4].

هذه الأمور أدت إلى انتقال 'البلغار' من مرحلة الاضطرابات إلى إعلان الثورة في أيار وحزيران ١٨٧٦، حيث تسلل العملاء الروس إلى هذه المناطق، وقاموا بالتخطيط لهذه الثورة التي سيقوم بها السلاف الأرثوذكس الذين تجمعهم بالروس وحدة الجنس والعقيدة والمذهب، وكان المخطط يقوم على تحريك الثوار للقيام بمذابح عامة ضد المسلمين، في الوقت نفسه الذي يقوم فيه الثوار بإشعال الحرائق في عدة مدن ، على أن تقوم 'روسيا' بالتدخل عسكريا، لذلك فقد تدفقت الأسلحة والمعدات والأموال إلى الثوار[5].

بدأ الثوار 'البلغار' عملياتهم بإجراء مذابح عامة بين المسلمين المجردين من السلاح، فكانت خسائرهم فادحة في الأرواح والممتلكات، وعجز قائد القوات العثمانية غير النظامية عن مواجهة الموقف، لذلك فقد استنجد بوالي 'إستانبول' ليرسل إليه النجدات العسكرية من القوات النظامية، وكإجراء وقائي قام الوالي بتوزيع الأسلحة المتواجدة في حوزته على السكان المسلمين الذين ردوا في فورة غضبهم على 'البلغار' بالمثل وكانت خسائر المسلمين عموما أكبر باستثناء قرية ' باتاق' (Batak) وهي تقع شمال جبل 'رودوب' (Rhodope)، حيث أن أهلها كانوا قد انضموا إلى الثوار البلغار، فهاجمتها القوات العثمانية، واعملت القتل في سكانها[6].

---

[1] Miller. *The Ottoman*, P.346

[2] تودوروف. موجز، ص١٠٩.

[3] الشناوي. *الدولة*، ج٢، ص٨٤١-٨٤٢.

[4] المرجع نفسه، ج٢ ، ص٨٤٢.

[5] المرجع نفسه، ج٢ ، ص٨٤٣.

[6] المرجع والصفحة نفسهما.

وقد أثارت مذابح 'البلغار' بحق المسلمين الرأي العام الإسلامي، حيث قام طلاب المدارس الدينية في العاصمة 'استانبول' وأتباع الطرق الصوفية بمظاهرات صاخبة واعتبروا السلطان 'عبد العزيز' مسؤولا عن تلك المذابح، كما اتهموا الصدر الأعظم بأنه ذو ميول واتجاهات 'روسية '[1] ولما خلع السلطان 'عبد العزيز'،تولى السلطان 'مراد الخامس' ومن ثم عزله وتولية السلطان 'عبد الحميد الثاني' الحكم، قام البلغار باستغلال هذه الهزات العنيفة في العرش العثماني فقاموا بتوسيع هجماتهم بحيث شملت الأطفال والنساء [2] ولما وصلت القوات النظامية العثمانية إلى 'بلغاريا' سيطرت على الموقف مستخدمة العنف لإخماد هذه الثورة، وإزاء ذلك نشط الإعلام الأوروبي كدأبه على التنديد بوحشية القوات العثمانية، ومذابحهم بحق 'البلغار'[3].

ويؤكد السلطان 'عبد الحميد' حقه في حماية شعبه من 'البلغار' فيقول: "إن حماية شعبنا من المنظمات الإرهابية هي حقنا بل هي واجبة علينا"[4] كما يوضح أن سبب فشل البلغار وغيرهم نابع من عدائهم لبعضهم البعض فيقول: "فالصربيون يبغضون البلغار، و'البلغار' يشمئزون من الرومانيين والبلغار واليونانيين يعادى بعضهم بعضا، والبلغار يؤمنون بأنهم متفوقون على باقي الأقوام في مكدونية، واليونان يدعون أن البلغار يكرهون اليونانيين على التخلي عن قوميتهم"[5].،وكانت سياسة السلطان 'عبد الحميد' عدم السماح بانتصار أي من هذه الأقليات ،وجعلهم يستمرون في عدم تفاهمهم ، وبهذه الطريقة حال دون تفاهمهم ضد المسلمين .لقد كانت سياسة التفريق سياسة واقعية في ذلك العصر[6] .

ب- المسألة الأرمنية.

كان للأرمن في العصور القديمة دولة واستقلال وكانت مملكتهم واقعة في شرقي الأناضول بين الإمبراطورية البيزنطية والفارسية، فيخضعون تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، ولما استولى الأتراك السلاجقة على تلك البلاد رحل قسم إلى غرب الأناضول. وبذلك أصبح الأرمن ينتشرون في الشرق والغرب ولا يشكلون أكثرية عددية بالنسبة للسكان المسلمين.

ولما ظهر ضعف الدولة العثمانية اصبح الأرمن ينظرون إلى تجديد ملكهم القديم[7] ولقد حمل مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ حلولا لهذه المسألة، حيث نصت على إجراء إصلاحات في المنطقة التي تسكنها الأقلية الأرمنية، لكن تجاهل الدولة العثمانية لبنود هذه المعاهدة ودعم أوروبا للأرمن أدى لتكوين لجان

---

[1] الشناوي. *الدولة*، ج٢، ص ٨٤٥.

[2] المرجع والصفحة نفسهما .

[3] تودوروف. موجز. ص١١٣.

[4] عبد الحميد الثاني . *مذكراتي* ، ص ١٤٨

[5] المصدر نفسه ، ص ١٥٦ – ١٥٧

[7] أوزتونا. *تاريخ*، ج٢ ، ص١٦٠.

[7] عبد الحميد الثاني. *مذكراتي*، ص٤٥.

أرمنية ثورية داخلية، حيث شكلت في منطقة 'ون' (Van) منظمة 'الصليب الأسود' أي 'قـــرة هـــاج' و 'ارمنة قان'. وفي 'أرضروم' تم تأسيس قيادة 'حماة الوطـــن' أي 'وطـــن قرويـــو جـــولارى'،إلا أن هـــذه المنظمات ظلت على الصعيد المحلي فقط ولم تجد لها رواجا[1] ،واقتصر نشاطها على مهاجمـــة جـــامعي الضرائب وعمال البريد والقضاة، وادرك الأرمن فشلهم في تحقيق شيء فنقلوا نشاطهم إلى الخارج، حيـــث تم تكوين منظمات عده منها منظمة الهنشاك 'الناقوس' (Hunchak) التي تكونت ســـنة ١٨٨٧ مـــن الطلبة الأرمن الذين يستكملون دراستهم في 'سويسرا' و'فرنسا'[2].

ولقد أصدرت منظمة 'الناقوس' صحيفة تحمل اسمها وصحيفة أخرى تحمل أسم 'أرمينيـــا ' التـــي عهد بإدارتها إلى 'نزاريك' (Nezarek) الذي تم تكليفه بالإقامة في 'جنيف' بسويسرا حيث بدأ هناك فـــي إصدار هذه الصحف، ثم انتقل مقر الصحيفة إلى 'أثينا' ، بحيث يسهل إرسال أعداد من هذه الصحيفة إلـــى الأقاليم العثمانية، لكن الحكومة اليونانية رفضت بقاء إصدارها في عاصمتهم [3]. وقـــد نشـــرت صحيفـــة 'الهنشاك' في لندن سنة ١٨٨٩ رسالة جاء فيها :"من الواضح قبل كل شيء أننا فوضويون، ولنـــا رغبـــة وطيدة منصوص عليها في لوائحنا ألا وهي نشر مبادئ الفوضى في الأناضول، بـــإحداث الاضطرابـــات، وأن هدفنا الأساسي هو إنشاء حكومة وطنية مستقلة في تلك البلاد، والحصول على الحرية السياســـية فـــي أوسع نطاق"[4].

أمـــا المنظمـــة الأرمنيـــة الثانيـــة،فـــــهي 'الداشـــــناك' (Dashnak) أو 'داشناكتســـــونيون'، (Daschnagtzoution – Dashnaksutyun) وهي 'الإتحاد الثوري الأرمني' (The Armenian Revolutionary Federation) وهي منظمة تأسست في 'روسيا' سنة ١٨٩٠ ،واستطاعت ضم الكثـــير من الأرمن الروس بعد أن تعرضوا لشتى أنواع الظلم والاضطهاد في 'روسيا'، وكان برنامج هذه المنظمـــة هو العمل على تكوين أفراد ثوريين وتسهيل تسللهم إلى داخل الأراضي العثمانية لإثارة الذعر في نفـــوس الموظفين العثمانيين المسلمين والأرمن على حد سواء، وارتكاب مذابح عامة ضد المسلمين لاعتقـــادهم ان هذه الجرائم ستعمل على تصعيد الأوضاع، الأمر الذي سيؤدي في النهاية حسب تصورهـــم إلـــى إنشـــاء 'جمهورية أرمنية اشتراكية مستقلة' (An Independent Socialist Armenian Republic) [5].

ولقد أقامت منظمة 'الداشناك' العديد من الخلايا الثورية في العاصمة 'استانبول'، وفي مدن أخـــرى كما أقامت لها برنامجا لكن نشاطها عموما كان محدودا، في الوقت الذي أصابت فيـــه منظمـــة 'الهنشـــاك'

---

(1) معهد السياسة الخارجية. *الأزمة الأرمنية في تسع أسئلة وأجوبة* (انقرة: جامعة حاجتبه، ١٩٩٣)، ص٢٩-٣٠.

(2) Salahi Ramsdan Sonyel. *The Ottoman Armenian, Victims of Great power Diplomacy* (London: K.Rustem & Brother, 1987) p.112.

(3) Kâmuran Gürün. *The Armenian File, The Meth of Innocence Exposed,* (London: K. Rustem & Brother, 1985) P.122.

(4) الشناوي . *الدولة*، ج٣، ص١٥٦٥.

(5) Stanford. J. shaw & Ezel Kural shaw. *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey* (Cambridg: Cambridge University Press, 1977) Vol. 2 , p.203; Sonyel. *The Ottoman*, p. 123; Gürün. *The Armenian*, p. 124.

نجاحاً تاماً حيث أسست مراكز لها في 'أرضروم' و'خاربوت' و' أزمير' و'حلب'[1] وغيرها من المـــدن، كما قامت 'الهنشاك' بالتعاون مع المنظمات القومية البلقانية الثائرة على الحكم العثماني في 'مكدونية' فـــي الوقت الذي كانوا يغمرون فيه المدن العثمانية بمنشورات ثورية، قام الثوار الأرمن بإرسالها عن طريـــق البريد الأجنبي، كما عهد لأعضاء هذه المنظمة القيام بعمليات تفجير فـــي الأمـــاكن العامـــة والمكـــاتب الحكومية، حيث قتل العديد من الموظفين وهم جالسين على مكاتبهم [2].

كان الثوار إلى جانب ذلك يقومون بإجبار مواطنيهم من الفلاحين والتجار على إيواء عنـــاصرهم وإلا تعرضوا للقتل[3]، ولقد استطاعت القوات العثمانية حصر عمليات هؤلاء الثوار في أضيق نطاق حيث ساعدهم في ذلك المواطنين الأرمن الذين كانوا يرفضون التعاون مع الثوار إلا أن الثوار الأرمن قـــاموا فيما بعد بموجات عنيفة من المذابح والغارات ضد المسلمين، أدت إلى زيادة الظروف صعوبة، بحيـــث أصبح من الصعوبة أن يعيش الأرمن والمسلمين جنباً إلى جنب[4].

استمرت عصابات الأرمن الثورية في تصعيد عملياتها، حيث دبرت عملية انتقامية فـــي منطقـــة 'ساسون' (Sasun) التي تقع جنوب غرب 'موش' (Muş)، حيث يقطن بها قبائل من الأرمـــن الرحـــل رجالها ذوو بأس شديد، يميلون للسلب والنهب، وذلك عندما أراد الوالي المحلي أن يجمع المتأخرات مـــن الضرائب التي كانت مقررة عليهم، حيث قام رجال 'الهنشاك' بتحريض هؤلاء الرجال لاستخدام الســـيوف والأسلحة النارية ضد جامعي الضرائب.

ولما أسرعت القوات العثمانية النظامية للسيطرة على الموقف هرب ثوار 'الهنشاك' إلى الجبال تفادياً لمعركة يعرفون سلفاً نتائجها وفي طريقهم اعملوا القتل والتدمير بسكان وقرى 'المسلمين' لأنـــهم أدركـــوا أن الأرمن الذين تُركوا خلفهم سيلاقون نفس المصير[5]. وبذلك هدفت عصابات الأرمن لتحقيق هدفين:

الأول : ذبح المسلمين .

والثاني: ترك الأرمن يُقتلون في قراهم حتى يتيح ذلك لوسائل الإعلام الأوروبية المعادية شن حملتـــها للنيل من العثمانيين ومن ثم حمل الدول الأوروبية على التدخل[6].

لقد استغلت عصابات الأرمن مواطنيها ابشع استغلال في الوقت الذي استغلت فيه أوروبا قضية الأرمن لصالح تدخلها[7].ولقد أرسل 'كوري'(Currie) السفير الإنجليزي لدى 'استانبول' فـــي ١٨٩٤/٣/٢٨ برقيـــة

---

(1) Gürün. *The Armenian*, p. 125-126 ; Shaw –shaw. *History*, p.203.

(2) Shaw- Shaw . *History*, p.203.

(3) Loc.cit,

(4) Loc. cit.

(5) Loc cit.,

(6) انظر – معهد السياسة. *الأزمة*، ص٢٢-٣٩.

(7) Ibid., p.204.

إلى وزارة الخارجية يقول فيها" إن هدف الثوار الأرمن إحداث اضطرابات وقلاقل حتى يقوم العثمانيون برد مماثل، وبهذا يكون الأرمن قد مهدوا السبيل للتدخل الأجنبي"[١].

ومهما يكن من أمر فإن مذابح الأرمن بحق المسلمين أدت إلى وجود ردود فعل غاضبة من قبل السكان المسلمين والجنود العثمانيين، لكن الدعاية الأرمنية والأوروبية نشطت رغبة في تهويل الأمور، لذلك فقد قرر الأرمن أن القوات العثمانية قتلت ذبحا في منطقة الاضطرابات عشرين ألف أرمني ودمرت خمسا وعشرين قرية أرمنية [٢].

وعلى أثر هذه المذابح تدخلت أوروبا وعقدت الاجتماعات في 'لندن' لنصرة قضية الأرمن، وقامت 'إنجلترا' بالطلب من الباب العالي الموافقة على تشكيل لجنة دولية تتقصى الحقائق في مذابح 'ساسون' (Sasun)، واستجاب لذلك الباب العالي، وتكونت لجنة دولية كان في عضويتها الدولة العثمانية و'بريطانيا' و'فرنسا' و'روسيا'، وتجولت اللجنة للتحقيق في ٣٠ أيلول ١٨٩٥، واستمر التحقيق عدة أسابيع، ثم قدمت تقريرها الذي جاء فيه : أن الأرمن هم الذين بدءوا الاضطرابات بسبب تحريض المنظمات الثورية لهم ومن عملاء قدموا من الخارج وزعوا الأسلحة، وارتكبوا أقصى ما يمكن القيام به من جرائم[٣].

كما جاء في التقرير أن الأرمن كانوا يعتصمون في الجبال بعد قيامهم بالمذابح، حتى يتمكنوا من التصدي للقوات العثمانية، كما أكد التقرير أن القوات العثمانية تصرفت وفق القانون، وأن الأرقام التي ذكرت عن الضحايا الأرمن كان مبالغ فيها إلى حد بعيد[٤].

لم يرض هذا التقرير الأرمن ، لذلك فقد قاموا بمظاهرات صاخبة احتجاجا على ما ورد في التقرير، في حين ظل الرأي العام الأوروبي داعما لهم. وفي أيار ١٨٩٥ قدم كل من سفراء 'بريطانيا' و'روسيا' و'فرنسا' في العاصمة العثمانية خطة مصالحة بين الدولة العثمانية والأرمن، تتضمن إصدار العفو عن المتهمين الذين صدر بحقهم أحكام بالسجن أو النفي، وإنشاء لجنة مراقبة دولية تطبق بعض الإصلاحات وتعمل على عدم تجدد الاضطرابات والمذابح ، وأشار هؤلاء بضرورة قبول السلطان 'عبد الحميد' بذلك، حيث قبل هذا الأمر بشكل جزئي في ١٧ تشرين أول ١٨٩٥، حيث رفض إنشاء لجنة دولية، لكنه وافق على إصدار العفو، وإدخال بعض الإصلاحات ، وكان يهدف من ذلك تهدئة الرأي العام الأوروبي وحكوماتها وهذا ما كان[٥].

ويوضح السلطان 'عبد الحميد' موقفه من الأزمة الأرمنية محللا بعض أسبابها بقوله: "في الحقيقة ان الأرمن قد اندمجوا في العادات الشرقية، وعاشوا معنا في سلام خلال خمسمائة عام، وهم عرق شرقي

---

(١) معهد السياسة. *الأزمة*، ص٣٢-٣٣.

(4) Shaw- Shaw . *History*, P.204-205.

(3) Miller. *The Ottoman* , p.429.

(4) Loc.cit., ; أنظر كذلك – أوكه. *جاسوس* ، ص١٠٩

(٥) الشناوي . *الدولة*، ج٣،ص١٥٧٠.

غير محارب ولا معتدٍ، فإذا تصادف وأن تعرضوا إلى بعض الحوادث المؤسفة، فإن سبب ذلك يعود الى العملاء الذين حرضوا السياسيين الأوروبيين، الذين لا يعرفون شيئاً عن صفات الملة الأرمنية ... تعرفون حق المعرفة إنني لست متعصباً، فجميع العثمانيين بالنسبة لي واحد مهما اختلفت دياناتهم ومذاهبهم وأصولهم، لست أنا من يعمل على التفرقة الدينية، بل القوى الأوروبية"[1].

لم يكن هذا يعني على الإطلاق وقف الأرمن لعملياتهم، حيث استمروا بمهاجمة الموظفين و المواطنين العثمانيين، وتصدى لهم المسلمين مما زاد من خطورة الأوضاع، ولما رأى السفراء الأجانب أن الأمور خرجت عن مسارها على اثر ازدياد مذابح الأرمن بحق المسلمين، طالبوا السلطان 'عبد الحميد' بإعلان الأحكام العرفية، وعلى أثر ذلك نقلت عصابات الأرمن نشاطها إلى 'الأناضول'، وطوال هذه المدة قابلت القوات العسكرية العنف بالعنف، وبلغ من سخط الجماهير المسلمة أن ردوا على المذابح بحقهم بمذابح مماثلة ضد الأرمن[2]، وظلت العصابات الأرمنية تقوم بين الفينة والأخرى بعمليات مماثلة في الوقت الذي تناسوا تماماً ما كان يتمتع به الأرمن من نفوذ داخل الدولة العثمانية، حيث يقول السلطان 'عبد الحميد': "ان الذين يعرفون حقائق الأمور يؤكدون تفوق الأرمن مالياً علينا، لقد تقلد الأرمن أعلى المناصب الوظيفية في الدولة بما فيها منصب الصدارة العظمى، ولا أكون مبالغاً أبداً إذا قلت أن ثلث الموظفين هم من الأرمن...إن الأرمن هم أغنى الرعايا"[3].

لم تكن 'روسيا' هي الوحيدة التي تساند قضية الأرمن، حيث برزت 'إنجلترا' وبقوة على مسرح هذه الأحداث، حيث أرادت تكرار ما تسميته ' بالمظالم البلغارية ' داخل الدولة العثمانية، أي انفصال الأرمن عن الدولة العثمانية، وإنشاء دولة مستقلة لهم في شرق 'الأناضول'، كما حدث انفصال البلغار من قبل، ويمكن القول ان الحل الذي تريده 'إنجلترا' لقضية الأرمن يكمن في تخلي الدولة العثمانية عن منطقة ثلثها من المسيحيين والباقي من المسلمين[4]، لذلك فإن السلطان 'عبد الحميد' يقول موجهاً كلامه إلى 'أرمينيوس فامبري': "قولوا لأصدقائكم الإنجليز بالحرف الواحد وبصفة شخصية إلى اللورد 'سالزبوري' (Salisbury)[5] الذي اكن له كل احترام، إنني جاهز لاصلاح الأوضاع السيئة في أرمينيا، أما ان تقام دولة مستقلة – وهنا انفعل السلطان – فإن قطع رأسي هذا يكون أحسن"[6]، ذلك أن قضية الأرمن تختلف اختلافا كلياً عن كل قضايا الشعوب البلقانية، لأن الأرمن كانوا يقيمون في قلب الدولة العثمانية[7].

---

(1) أوكه. *جاسوس*، ص٤٤.

(2) الشناوي. *الدولة*، ج٣، ص ١٥٧٣.

(3) عبد الحميد الثاني. *مذكراتي*، ص٢٧.

(4) اوكه. *جاسوس*، ص ٣١-٣٢.

(5) سالزبوري : ١٨٣٠-١٩٠٣ هو السيد روبرت آرثر تالبوت جاسكوين سيسل ، مركيز سالزبوري الثالث ، سياسي بريطاني ، تولى رئاسة الوزراء ثلاث مرات ١٨٨٥ - ١٨٨٦ ، ١٨٨٦ - ١٨٩٢ ، ١٨٩٥ - ١٩٠٢ .
Encyclopaedia Britannica (U.S.A. : International Copyright Union, 1971) Vol. 10, P. 356.

(6) أوكه .*جاسوس*، ص ٤٥.

(7) Bernard Lewis. The Emergence of Modern Turkey (Oxford : Oxford University, 1961), p. 356.

ومن نتائج هذه الأزمات :

- تلاقي وجهات النظر بين القوى الأوروبية تجاه المسألة البلغارية والمسألة الأرمنية، وكل ما يخص خراب الدولة العثمانية .
- وجود تحالفات دولية تعمل على زيادة النفوذ الأجنبي و إضعاف الدولة العثمانية.
- تدخل دولي لإجراء إصلاحات في 'بلغاريا' و'أرمينيا' وهذا شكل تدخلاً سافراً في شؤون الدولة العثمانية الداخلية.
- تأثير الثورات الداخلية على الأوضاع الاقتصادية والعسكرية للدولة العثمانية، ذلك أن هذه الثورات كلفت الدولة أموالا طائلة ،الأمر الذي لم تستطع الدولة تعويضه إلا عن طريق القروض الأجنبية .
- تشويه صورة السلطان عبد الحميد في الإعلام الأوروبي، ونشر دعاية معارضة للدولة العثمانية.

٥- مشكلة القروض .

بالكاد يذكر التاريخ سلطاناً تسلم زمام الحكم بمثل الظروف التي تولى بها السلطان 'عبد الحميد' حكم الدولة العثمانية[١]، حيث كانت الدولة تعاني من العديد من المشكلات المزمنة، وكان من هذه المشكلات الملحة ' مشكلة القروض ' أو (الديون). حيث تحولت الدولة العثمانية إلى سوق للصرافة، ثم إلى شبه مستعمرة للدول الأوروبية الرأسمالية، وقد مهدت مرحلة التنظيمات العثمانية الثانية التي بدأت 'بخط همايون ' السبيل لرأس المال الأجنبي، حيث فتحت له المزيد من الحقوق والامتيازات التجارية ، وتسهيلات لم تكن في السابق[٢].

ويمكن القول أن القروض بدأت في عهد السلطان 'عبد المجيد' سنة ١٨٥٣ واستمرت في عهد السلطان 'عبد العزيز'، ولقد صرفت هذه القروض في سداد تعويضات حرب القرم ، وبناء قصر 'دولمة باغجة ' وتغطية تكاليف الثورات في 'البوسنة والهرسك (Bosnia. Herzegovina)'*[٣].

---

(٣) باتريك. *سلاطين*، ص٨٥.

(٤) فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكي. *تاريخ الأقطار العربية الحديث*، ترجمة،عفيفة البستاني(ط٧،بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٠)، ص٣٧٤.

(٥) Ziya Karamursal . *Osmanli Mali Tarihi, Hakkinda Tetkikler* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi,1989),p.102.

*بوسنة ، وهرسك . هي إحدى الجمهوريات المكونة لجمهورية يوغسلافيا الاتحادية (سابقا) تقع ما بين جهورية كرواتيا ، والجبل الأسود ، ويحدها من الشمال مجرى نهر السافاو وتبلغ مساحتها ٥١,١٢٩ ميل٢، وعدد سكانها ٣,٣ مليون نسمة ، أي بكثافة ٦٤,١ للميل الواحد ، وعاصمتها هي سراييفو ، التي يبلغ عدد سكانها ١٧٥ ألف نسمة ، وتتجمع الجالية الإسلامية في يوغسلافيا (سابقا) في سراييفو التي تعتبر مركزا للثقافة الإسلامية . انظر – احمد عطية الله. *القاموس السياسي* ، (ط ٣ ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٨)، ص ٢٣٤ .

ويمكن القول ان هذه المشكلة ظهرت أيضا عقب انهيار الصناعات العثمانيــة أمــام الصناعــات الأوروبية وقيام رأس المال الأجنبي باستغلال المواد الخام، وأهمها الفحم الحجري والرصــاص والفضــة والنحاس، والتي نقلت إلى أوروبا لتصنيعها، بدلا مــن قيــام الدولــة باســتغلال هــذه المــواد لتطويــر صناعاتها[١]والى جانب ذلك كان لإسراف السلاطين العثمانيين وبذخهم دور كبير في وضع الدولة المــالي المحرج بل ان السلطان 'عبد الحميد' يرى أن الإسراف والتبذير الذي قام به الســلاطين ، لا ســيما عمــه السلطان 'عبد العزيز' هو الذي أوصل الدولة العثمانية إلى الإفلاس[٢]، الأمر الذي أدى بالدولة الى البحــث عن الأموال لسد عجزها المالي.

ولقد ازداد تدهور المركز المالي للدولة فيما بعد، وكانت النتيجة النهائية إعلان الدولة إفلاسها فــي ٦ تشرين أول ١٨٧٥م بعد عجزها عن تسديد فوائد ديونها، وتأجيل تسديدها إلى خمسة ســنوات أخــرى، الأمر الذي أساء إلى سمعة الدولة المالية [٣]. ولقد أثار إعلان الدولة العثمانية إفلاسها ضجة كبــيرة فــي الأوساط المالية الأوروبية، وانهالت التهديدات صريحة بأنها ستستخدم القوة مــن أجــل اســترداد حقــوق مؤسساتها ومواطنيها من حملة السندات [٤].

وعندما تولى السلطان 'عبد الحميد' عرش السلطنة، كانت مشكلة القروض من أهم المشكلات التــي تهدد بها أوروبا بالتدخل، لذلك فقد حمل دستور عام ١٨٧٦ حلول لهذه المسألة، وقد طلب مــــن 'مجلــس النواب' المصادقة على الميزانيات الجديدة، حيث خفضت رواتب الموظفيــن والمتقــاعدين مــن منتســبي الخدمة المدنية، كما تم تشكيل ' لجنة الميزانية الخاصة ' لتمحيص طلبات الميزانية الحكومية بانتظام فــي المستقبل مع تجنب الحديث عن الضرائب، لأن هذا الأمر من شأنه إضعاف الاقتصاد[٥].

كما حثت الحكومة على توسيع الأعمال الزراعية والصناعية والتجارية وتحسين طرق اســـتغلال الموارد الطبيعية[٦]، وتأكيدا للمبدأ القائم بالعمل على تحسين الأوضاع المالية، فقد أمر السلطان بتخفيــض مخصصاته الشخصية فيقول:" أمرت بتخفيض مخصصاتي الشخصية كي أكون قدوة حسنة ومثلا للتضحية عند وزرائي"[٧] كما قام بالقضاء على الإسراف داخل القصر ، لاسيما نفقات المطبخ الســلطاني، وألغــى

---

(١) سيار الجميل . *العرب والأتراك* ، الانبعاث والتحديث من العثمانية إلى العلمنة ، (ط١، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٧)، ص ٧٥ .

(٢)عبد الحميد الثاني . *مذكراتي* ، ص ٢١٦

(3) Lewis. *The Emergence*, P. 446-447 ; Karamursal, *Osmanli*, p.102 انظر .

(4) Şevket Pamuk. *The Ottoman Empire and European Capitalism 1820-1913 Trade Investment and production*, (Cambridge: Cambridge University press,1987)P.61-62

(٥) الجميل. *العرب*، ص ٧٧.

(٦) المرجع نفسه، ص ٧٨.

(١) عبد الحميد الثاني . *مذكراتي* ، ص٩٧

الامتيازات التي تتمتع بها والدة السلطان وبذلك وفر الكثير من الأموال[1]. كما قام بإلزام الأمراء وأفـــراد الأسرة السلطانية والصدور العظام والوزراء على تقليل نفقاتهم، في الوقت الذي أزيلت فيه نفقات القصـــر السلطاني من خزينة الدولة، ودفعت من الخزينة السلطانية التي كانت تحت إدارة رجل يمتاز بالكفاءة وهـــو 'هاكوب باشا' (Hagop Paşa)، كما أن ميزانية الدولة قد خضعت لتدقيق خبير 'لجنة الإصلاح المالي (İslahati Maliye Komisyonu) قبل أن تصل إلى 'الصدارة العظمـــى'[2].ولقـــد وصلـــت الديـــون العمومية قبيل تولى السلطان 'عبد الحميد' ثلاثمائة مليون ليرة[3]. لذلك فقد استقدم الخـــبراء المـــاليين مـــن أوروبا، حيث أعدوا له التقارير بإمكانية الوفاء بهذه الديون[4] أما الفوائد فكانت أربعة عشر مليونا[5].

كان السلطان 'عبد الحميد' يعمل على تحاشي عقد مثل هذه القروض، لكن إصلاحاته الماليـــة لـــم تحقق نجاحا كاملا، وذلك يعود إلى افتقار الدولة العثمانية إلى السياسة الماليـــة، وإلـــى الإدارة المدروســـة والمراقبة القوية[6].

إلى جانب ذلك كانت لحروب الدولة الخاسرة التي دامت طويلا ، وكلفت أموالا طائلة أثرها علـــى سياسة السلطان المالية، فضلا عن خسارة الدولة للعديد من الأقاليم الهامة، كما أن كثيرا من الأموال ذهبت خلال سياسة الدولة الإصلاحية وخططها التنظيمية وإعادة تنظيم الجيش[7]. الأمر الذي جعل هذه القـــروض سببا هاما في استفحال الأزمات المالية للدولة العثمانية [8].

رغم ذلك قام السلطان 'عبد الحميد' بتخفيض الديون العمومية من ثلاثمائة مليون ليرة إلى ثلاثيـــن مليون ليرة بعد دفع ما تطلبته حروب الدولة [9]. لكن هذه الأمور لم تكف حيث اضطـــر الســـلطان 'عبـــد الحميد' للجوء إلى المقرضين الأجانب ، وذلك لجلب استثماراتهم داخـــل الدولـــة بعـــد مـــا رأى هـــؤلاء الإصلاحات والأساليب التحديثية التي قام بها السلطان 'عبد الحميد'، لذلك فقد قام بعقد قـــرض قيمتـــه ١٢ بليون قرش (12 Billion Kuruş) بين عامي ١٨٨٦-١٩٠٨ تم استلام ١٠،٨ بليون قرش منها[10] .

كانت هذه القروض في ظل وجود 'مصلحة الديون العمومية العثمانية ' التي صدر بـــها مرســـوم سلطاني في ٨ كانون أول ١٨٨١ وذلك من أجل وضع آلية للإشراف على الخطوات اللازمة لإيفاء الدولـــة

---

(١) محمد كرد علي. *خطط الشام*، (ط٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٠) ج٣، ص٩٩.

(3) Shaw- Shaw. *History*, P.222.

(4) Ismet Bozdağ . *Abdülhamid in Hatira Defteri, Belgeler ve resimelerle*,(Istanbul: Kervan Kitapçilik,1975), p.11.

(٤) طوران. *أسرار*،ص٣٥.

(٥) حرب. *السلطان* ، ص٥١.

(٧) عبد الحميد الثاني . *مذكراتي* ، ص ٩٤ .

(٨) الجميل. *العرب* ، ص٨٣-٨٤.

(9) Shaw-Shaw. *History*, p.222.

(10) Bozdağ. *Abdülhamid*, p.11

(11) Shaw-Shaw. *History*, p.226.

بتعهداتها وقد ترأست هذه المصلحة فرنسا وإنجلترا بالتناوب[1] في حين عملت هذه المصلحة كوسيط مع الشركات الأوروبية التي تبحث عن فرص للاستثمار داخل الدولة العثمانية [2].

وكانت القروض قد أدت إلى زيادة التنافس الأوروبي، كون كل دولة ترغب في ان تكون مصدر للقروض ، مما يساعد في سياستها تجاه الدولة العثمانية ، وهذا أدى إلى اهتزاز العلاقات الأوروبية في موقفها تجاه الدولة العثمانية ؛ وانعكس ذلك تماما على قدرة كل دولة في تحصيل امتيازات جديدة داخل هذه الدولة ، مما مكن السلطان 'عبد الحميد' من استغلال ذلك الأمر في إدامة الصراع الأوروبي لصالح دولته.

ومن نتائج مشكلة القروض :

١-أنها كانت امتدادا للأحوال المالية السيئة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، وأن الإصلاحات المالية التي ادخلها السلطان 'عبد الحميد' كانت تتم وقد سبقتها قروض إضافية متراكمة ،الأمر الذي أدى إلى زيادة الأعباء المالية للدولة.

٢-أن القروض كانت مرتفعة ،وتبين ذلك أثناء إعلان الدولة العثمانية إفلاسها عام ١٨٧٥ ،حين عجزت حتى عن تسديد الفوائد، الأمر الذي فتح المجال للتدخل الأوروبي بالسياسة الداخلية والخارجية للدولة العثمانية ،وخصوصا فيما يتعلق بالأمور الاقتصادية.

٣-كانت القروض تؤدي إلى زيادة الامتيازات الممنوحة للدول المقرضة في شتى المجالات داخل الدولة العثمانية.

٤-لم تستفيد الدولة العثمانية من القروض، كونها كانت تستخدم كمصاريف للقضاء على الفتن والثورات والنزعات الاستقلالية داخل الدولة، بدلا من استخدامها في أعمال التنمية الاقتصادية للدولة.

٥-أدت مشكلة القروض إلى ظهور آراء تعتبر السلطان 'عبد الحميد ' هو السبب في استفحال الأزمات المالية للدولة، إلى جانب الأزمات الأخرى .وبالتالي الى ظهور المعارضة لحكمه .

---

[1] Pamuk. *The Ottomans*, p.62.

[2] Roderic. H. Davision. *Reform in the Ottoman Empire 1856-1876* (Princeton : Princeton University press,1963). p.93.

ب- أحوال الدولة العثمانية الخارجية .

تعرضت الدولة العثمانية للعديد من المؤثرات الخارجية أثرت على سياسة الدولـــة، والتـــي علـــى أساسها كانت الدولة في كثير من الأحيان ترسم سياستها وفق متطلباتها ومن ذلك .

١- الامتيازات الأجنبية:

تعرف كلمة الامتيازات اصطلاحا : بأنها مجموعة الحقوق التي تمنح للدول الأجنبية من قبـل دول أخرى بناء على اتفاق أو معاهدة مبرمة بينهما[١].

وتاريخ الامتيازات قديم جدا ، وكانت أحد الشروط الرئيسية لتبادل التجارة الدولية ، وكانت إحـدى الوسائل الضرورية للإمبراطوريات القوية لتحقيق مصالحها في شتى المجالات ، وقد تنوعت الامتيـازات، فمنها الامتيازات التجارية والدينية والسياسية وغيرهما[٢] .

ولقد مرت الامتيازات في أربعة مراحل كان أهمها المرحلة الرابعة التي امتدت من سـنة ١٨٣٩-١٩١٤م. وتميزت هذه المرحلة من الامتيازات عن سابقاتها باتخاذ معاهداتها سـمة الدوليـة المشـتركة، ويقصد بها تحالف عدة دول واشتراكها معا في طرف واحد في معاهدة ما مقابل الطـرف الثـاني الـذي تمثله الدولة العثمانية، بعد أن كانت هذه المعاهدات ثنائية الأطراف في السابق، كما تميزت هذه المرحلـة بالشمولية في تحقيق الأهداف الاقتصادية والسياسية والدينيـة والعسـكرية وحقـوق الملكيـات الخاصـة والحريات العامة والنواحي الاقتصادية والعدلية وأخذت الامتيازات تناسـب العصـر الجديـد والمصـالح الأوروبية[٣].

اثر الامتيازات على اقتصاد الدولة العثمانية .

أثرت الامتيازات تأثيرا سلبيا على الاقتصاد العثماني بشكل خاص، وعلى الدولة العثمانية بشـكل عام ، حيث شهدت الدولة ضعفا واضحا على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي، في الوقت الـذي قررت فيه الامتيازات للدول الأوروبية الكثير من الحقوق، منها الإعفاء الكامل من الضرائـب الجمركيـة الداخلية ، الأمر الذي أدى الى خفض أسعار البضائع واستهلاكها بسرعة، كما أدى إلى أضعاف التجـارة الداخلية والخارجية، في الوقت الذي وجدت فيه أسواق أوروبية داخل الدولة ، الأمر الذي جعل الصناعـات العثمانية غير قادرة على منافسة نظيرتها الأوروبية، وفي الوقت نفسه الذي قامت فيه أوروبـا باسـتغلال

---

(١) وليد العريض . " *تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية وآثارها* " ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ،الجامعة الأردنية ، عدد ١، م٢٤ ، ١٩٩٧ ، ص ١٤٥ .

(٢) المرجع والصفحة نفسهما.

(٣) المرجع نفسه ، ص١٥١. - أنظر عن مراحل الامتيازات بتوسع في: العريض. *تاريخ*، ص ١٤٨-١٥١.

المواد الخام واستخراجها بأسعار زهيدة ، وهذا أدى في كثير من الاحيان إلى صعوبة إيجاد العثمانيين لهذه المواد لصناعاتها الوطنية ، مما أدى إلى اختفاء الصناعات الصغيرة من الأسواق[١]، ولقد تركزت الأسواق الأوروبية في قلب الدولة العثمانية، دون مناطق أخرى في شرق الدولة والمناطق العربية [٢].

ويوضح 'جب – بوون' مدى ما كانت تمنحه الامتيازات للأجانب ومدى استغلالها من قبلهم بقوله: "ولما كان تحت تصرف كل سفير خمسون براءة ولما كانت المنحة تتجدد عند كل تعيين جديد، لا يدعو للعجب ان تزداد بسرعة أعداد أولئك الذين كانوا ينعمون بالرعاية الفرنسية والنمساوية والسويدية والبريطانية، وغيرها من الجنسيات الأوروبية ممن كانوا يندمجون في هذه الجنسيات و يشاركون في نفس القضاء القنصلي، ويمكن أن نتبين مدى سوء استعمال هذا الحق ما وصل إلينا من أن باشا 'حلب' شكا إلى الباب العالي في عام ١٧٩٣ من أن عدد تراجمة القناصل في 'حلب' زاد حتى بلغ حوالي ألف وخمسمائة وكلهم معفون من الضرائب ويعملون في التجارة" [٣].

الحقيقة أن الامتيازات وجدت في ظل خلل واضح في النشاط التجاري للدولة العثمانية، حيث اعتبر هذا النشاط محطا لقدر حضارتهم التي تقوم على الفروسية والشهامة، إلا أن الأمور بدأت تخرج من كونها مجرد امتيازات تجارية إلى اكتساب مميزات قانونية أصبحت حقوقا في أيدي الدول العظمى تؤثر إما في تعزيز أهدافها القومية، وإما لإجبار الدولة على إدخال الإصلاحيات التي وعدت بها في عدة مؤتمرات وفرمانات إصلاحية[٤].

ومن وجهة النظر العثمانية كان من الاعتراضات على نظام الامتيازات الأجنبية هو الطريقة التي أدت إلى ظهور نظام الحماية التي أعطت نوعا من التنظيم الذي يخول الرعايا العثمانيين إما الحصول على الجنسية الأجنبية، وإما طلب الحماية من أية دولة أجنبية دون ان يتطلب هذا الإقامة في هذه الدول التي تعطيه الحماية، بالتالي يصبح له حق التمتع بالامتيازات الأجنبية سواء كانت سياسة أو تجارية أو دينية، كما يتمتع بها رعايا الدول الأخرى الذين يعيشون في الدولة العثمانية[٥].

هذا الأمر أدى بالكثير من هؤلاء الرعايا للتهرب من عبء الضرائب والتمتع بالامتيازات، بل وصل الأمر إلى أن الصناديق البريدية للدول الأوروبية كانت وفق الامتيازات معفاة تماما من التفتيش والمراقبة من وإلى الدولة العثمانية[٦].

---

[١] العريض. *تاريخ* ، ص ١٥٨.

[٢] سيار الجميل. *تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦* (الموصل : جامعة الموصل ، ١٩٩١) ص٣٣٩..

[٣] هاملتون جب – هارولد بوون. *المجتمع الإسلامي والغرب* ، ترجمة ، احمد عبد الرحيم مصطفى، (مصر: دار المعارف، ١٩٧١)، ج٢، ص ١٦٢.

[٤] ميم كمال أوكه. *السلطان عبد الحميد الثاني، بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية* ، ترجمة، إسماعيل صادق، (ط١، القاهرة : الزهراء للأعلام العربي، ١٩٩٢)، ص٥٤-٥٥.

[٥] المرجع نفسه ، ص ٥٥.

[٦] باتريك. *سلاطين* ، ص٩٦.

تعدى أمر الامتيازات إلى قيام الدول الأوروبية بأعمال المراقبة داخل ولايات الدولة العثمانية ففي مكدونية[1] (Macedonia) - التي تتألف من ولايات 'مناستير'[2](Monastir) و'كوسوفو' و 'سلانيك'- تأسست أواخر القرن التاسع عشر إدارة خاصة تحت مراقبة خمس دول أوربية هي 'إنجلترا' و'فرنسا' و'روسيا' و'النمسا' و'إيطاليا'، وكانت المراقبة تشمل بوجه خاص الشؤون المالية وأمور الأمن، وكانت كل منهما تحت مراقبة دولة من هذه الدول الخمس، على ان يكون مركز كل ولاية هيئة مراقبة تشرف على أعمال مراقبي الاقضية، على ان تكون في 'سلانيك' هيئة للمراقبة الدولية مع مفتش عام عثماني يعين لمدة خمس سنوات، فلا يتم عزله طوال هذه المدة ويتمتع بسلطات تنفيذية هامة[3] الأمر الذي كان ينتقص من سيادة الدولة العثمانية على أراضيها.

"ومع أن المقصود أصلا من هذه المعاهدات أنها امتيازات منحها حاكم ذو سلطان، لا أنها حقوق انتزعت من سيد ضعيف، فقد منح الأجانب امتيازات إقليمية كانت شيئا مذلا للترك حتى انحلال الإمبراطورية "[4].

كانت حصيلة الامتيازات أنها وفرت للأوروبيين تشكيل حكومة داخل الحكومة العثمانية مما حال دون قيام الدولة حقاً بتنفيذ مشروعاتها، لذلك فقد اعتبرت الامتيازات الأجنبية بمثابة مواثيق مذلة

---

(1) مكدونية : هي اقليم جنوب شرق اوروبا ، تمتد شمالا من بحر ايجة بين ابيروس وتراقيا ، وينقسم الاقليم من الناحية السياسية الى مكدونية اليونانية وعاصمتها سلانيك ، وجمهورية مكدونية اليوغسلافية المتمتعة بالحكم الذاتي وعاصمتها سكوبلي ، ومكدونية البلغارية . ولقد صارت مكدونية رقعة خليطة من الاديان والقوميات من المسيحيين والمسلمين واليهود والبلغار واليونان . وحينما اخذت الدولة العثمانية تتفكك في القرن التاسع عشر ، ادّعت كل من اليونان وصربيا وبلغاريا حقّها في تملكها ، وأعطت معاهدة سان استيفانو الجانب الاكبر منها الى بلغاريا ، لكن مؤتمر برلين أعاد الحكم العثماني المباشر عليها من جديد . انظر – عبد الغني العريسي . *مختارات المفيد* ، (ط ٤ ، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩١)، ص ٢٩٧.

(2) مناستير . أو بيتولا Bitola في السلافية ، وهناك من يرى ان هذا الاسم من Butelion اليونانية او Obitel السلافية ، او بيت الله بالعربية ، ومن هنا تبدو الصلة بين تسمية بيت الله والتسمية العثمانية مناستير أي الدير ، وذلك عندما سقطت في يد العثمانيين خلال ١٣٨٣ – ١٣٨٧، حيث تطورت بسرعة لتصبح من اعظم المراكز الاقتصادية والثقافية في البلقان ، وفي القرن الخامس عشر ، استوطنت فيها ٢٠٠ عائلة يهودية ، مما جعل لليهود حضور مميز فيها منذ ذلك الحين . انظر حسن كلشي . الوجه الاخر للاتحاد والترقي، تقديم وترجمة محمد الارناؤوط ، (اربد : قدسية للطباعة والنشر١٩٩٠) ، ص ٣٨.

(3) ساطع الحصري . *البلاد العربية والدولة العثمانية*، (ط٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠)، ص ١٠٧ .

(4) فيليب حتي. *تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين* ، ترجمة، كمال اليازجي، (بيروت : دار الثقافة، ١٩٥٩) ،ج٢ ، ص٣١٣ ؛ الشناوي . *الدولة* ، ج٢، ص٧٥٠.

للعثمانيين[1] خصوصا وأن مبدأ التبادلية والتعامل بالمثل على سبيل التكافؤ أمر لم يعد قائما مثلما كان عليه الأمر في السابق[2].

ويوضح السلطان 'عبد الحميد' انه لما أراد إلغاء الامتيازات قامت الصحف الأوروبية بالصياح والعويل، حيث اظهروا الدولة العثمانية بمظهر المعتدي على حقوق الآخرين في حين يدرك المحايد أن هذه الامتيازات هي التي هضمت حقوق الدولة العثمانية وألحقت بها الحيف[3].

٢- التنافس الدولي وظهور المسألة الشرقية.

ظهرت العديد من الدراسات الأوروبية التي تحدثت حول تقسيم الدولة العثمانية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر[4]. ومن هنا ظهر مصطلح 'المسألة الشرقية' الذي أرادوا به حال الدولة العثمانية بالنظر الى مصالحهم وأطماعهم ، حيث اعتقدت أوروبا أن الدولة العثمانية تجاوزت الشيخوخة ، وآن انحلالها، وكل دولة تطلب حقها من تلك الغنيمة ، ويتذرعون الى ذلك غالبا بأسباب دينية، فيزعمون انهم يريدون حماية المسيحية في الشرق ، أو القصاص من بعض الحكام العثمانيين ، لأنهم تعدوا على مصالحهم التجارية ، وكان الغرض الأساسي من هذا التحرش هو القضاء على الدولة العثمانية كليا [5].

ومن الصعب حصر المسألة الشرقية في إطار واحد من التعريف، ولكن يمكن القول بوجه عام بأن المسألة الشرقية تتناول المصالح المتضاربة ، والتنافس العنيف الذي وقع بين الدول الأوروبية في مجالات السياسة والاقتصاد والدين ، وعلى وجه التحديد ، فهي المسألة التي تتناول في الدرجة الأولى الدولة العثمانية، منذ ان ظهر العثمانيون في آسيا الصغرى ، وفي جنوب أوروبا ، ومنطقة الشرق الأدنى، وبذلك شاع القول السائد :"منذ أن ظهر الأتراك في أوروبا نشأت مسألة شرقية"[6] .

كما اصطلح على تسمية الدولة العثمانية باسم ' رجل أوروبا المريض' (The Sick Man of Europe) ، وقد صدرت هذه التسمية عن القيصر الروسي 'نيقولا الأول' (Nekolas I) في حديث جرى سنة ١٨٤٤ بينه وبين 'ابردين' (Aberdeen) رئيس وزراء بريطانيا وذلك في 'وندسور' (Windsor)، في إنجلترا، حيث كانت تجمع الاثنان صداقة وثيقة ، لكن هذا المصطلح أو التصريح لم يكن الأول من

---

(١) الحصري . *البلاد* ، ص٧٥١.

(٢) قيس العزاوي. *الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط* (ط١، فلوريدا: مركز دراسات الإسلام والعالم، ١٩٨٤)، ص٢٠.

(٣) عبد الحميد الثاني. مذ*كراتي*، ص٧٠

(٤) رفيق شاكر النتشة. *السلطان عبد الحميد وفلسطين، السلطان الذي خسر عرشه من اجل فلسطين*، (ط١ ، الرياض: شركة مطابع نجد التجارية، ١٩٨٤) ص ٦٢ .

(٥) حسين لبيب. *تاريخ المسألة الشرقية*، (مصر: مطبعة الهلال، ١٩٢١)، ص ٤ .

(٦) زين نور الدين زين. *الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ولادة دولتي سوريا ولبنان*، (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٠)، ص ٢٢ - انظر، وديع تلحوق. *الصليبية الجديدة في فلسطين*، (دمشق: مطبعة النضال، ١٩٨٤)، ص ١٩.

نوعه لقيصر روسيا ، بل سبقه تصريح يتفق في مضمونه على ذلك ، حين صرح في عام ١٨٣٣ بالقول: "I have no power to give life to the dead, and the Turkish Empire, is: dead, I have no confidence in this old body, preserving life, it is dissolution from all sides" "ليس في استطاعتي ان ابعث الحياة في الموتى، ان الإمبراطورية العثمانية دولة ميتة ، وليس لدي ثقة في ان يستمر هذا الجسم العجوز محافظا على الحياة ، انه في حالة انحلال في جميع النواحي"[١].

ولهذا فقد سعت الدول الأوروبية لحل هذه المشكلة، وقد وضعوا لذلك الخرائط ، وكانت 'إنجلترا' اقل الدول رغبة في إنهاء المسألة الشرقية ، باقتسام أملاك الدولة العثمانية[٢]، في حين كانت 'روسيا' اشد رغبة من غيرها في إنهاء هذه المسألة ، حيث كانت 'روسيا' في سياستها تجاه الدولة العثمانية تقوم على التطبيق العملي للتعليمات التي وضعها القيصر 'بطرس الأكبر'-مؤسس روسيا الحديثة- بالإضافة إلى تطبيق وصايا القيصر 'اسكندر الأول' (Alexander I) الذي طلب في ١٩ نيسان ١٨١٢م من رجال السياسة وموظفي الدولة ان يغرسوا في قلوب الأمم البلقانية حب الروس، وتحريض الناس على تأسيس ممالك داخل الدولة العثمانية، وظلت 'روسيا' ورجال سياستها الى وقت بعيد يطبقون هذه التعليمات والوصايا بحذافيرها[٣] .

ولم تترك الدول الأوروبية حركات التحرر الذاتي تسير بنفسها داخل القوميات التي تخضع للدولة العثمانية، بل أسرعت وقامت بصبغها بالصبغة الدينية العامة لدمجها مع أهدافها الخاصة ، ذلك لأن مبدأ التوسع الاستعماري الحديث كان قد انتشر بينها ، وكانت هذه الدول تتنافس فيما بينها في هذا الميدان ، وكل منها تسعى للظفر بحصة الأسد ، وتسعى للسبق في السيطرة ، وانتزاع أجزاء مما تطمح إليه قبل سواها من الدول ، ولما كانت الدولة العثمانية تسيطر فعليا على منافذ بعض المضائق ، وعلى كثير من البلاد التي تتنازعها مطامع الدول الاستعمارية، لذا اصبح لا بد من إزالتها عن الطريق بأية وسيلة كانت واقتسام تركتها، وتوزيع ممتلكاتها غنائم وأسلابا على تلك الدول الطامحة[٤] .

لذلك فقد قال قيصر روسيا 'نقولا الأول' حين كان يبذل جهده لاقناع 'بريطانيا' على اقتسام الدولة العثمانية : "يوجد بين وزرائي رأيان بشأن تركيا ، فبعضهم يصرح بأنها في حالة الاحتضار، وبعضهم يعلن انها لقيت حتفها ، وعلى كل حال فلا شيء يحول دون مماتها العاجل"[٥].وكانت 'إنجلترا' تسعى في

---

(١) الشناوي. *الدولة* ، ج ٢ ، ص ٨٣١ .

(٢) لبيب. *تاريخ* ، ص ٥ .

(٣) عبد الحميد الثاني . *مذكراتي* ، ص١٤٥

(٤) تلحوق. *الصليبية*، ص ٢٠ .

(٥) النمر. *نظرات*، ص ١٦٩ .

هذه المرحلة إلى إدامة الصداقة بينها وبين الدولة العثمانية بسبب ما تمثله الأخيرة من نفوذ لدى مسلمي 'الهند'[1] .

مما يذكر في هذا المجال أن اللورد 'سالزبوري' رئيس الوزراء البريطاني في حديث له عام ١٨٩٥ مع 'دي كورسيل' (de Courcel) السفير الفرنسي في 'لندن' صرح بأنه آسف اشد الآسف لان الحكومة البريطانية رفضت مشروع تقسيم الدولة العثمانية الذي عرضه عليها 'نقولا الأول' عام ١٨٥٣ ، وقال بأن الحكومة البريطانية قد راهنت على ما اسماه 'بالحصان الخاسر' ،وبهذا بدأ التوجه البريطاني يتجه الى ما كانت تتجه إليه العديد من الدول الأوروبية ، خصوصاً 'روسيا' و'النمسا' لإنهاء وجود الدولة العثمانية[2].وكانت 'إنجلترا' رغم ذلك أكثر الدول حذرا في تعاملها مع السلطان 'عبد الحميد'؛ فإلى جانب كونه غير محبوب ،إلا أنه رجل دولة لديه الملايين من المسيحيين ، وبصفة خلافته له نفوذ على رعايا الدول الأوروبية المسلمين، في الوقت الذي كانت فيه ممتلكات 'إنجلترا' تشتمل على أكبر عدد من المسلمين في العالم ،أما الدولة العثمانية فكانت الثانية[3].

يمكن القول أن السلطان 'عبد الحميد' لم يكن يتهرب من المشاكل التي تواجهه داخلياً وخارجياً بسبب معرفته بأنه أستاذ في تدبير المكائد[4]، ولما كان يعلم تفاصيل السياسة الأوروبية، فقد كان يأخذ رأي مستشاريه قبل إصدار أي قرار، ويوزن أفكاره بعد أن يوزن أفكارهم[5].

كل تلك الأخطار حذت بالدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان 'عبد الحميد' للوصول إلى توازن القوى، وكانت الجهة المؤهلة لإحداث ذلك التوازن هي 'ألمانيا' ، التي وصلت علاقاتها الذروة مع الدول العثمانية في العقد التاسع من القرن التاسع عشر، الأمر الذي كان يتمشى مع سياسة 'ألمانيا' العليا، التي بدأت بالظهور على مسرح الأحداث، بعد ان شهدت بحريتها نمواً كبيراً، وتقدمت صناعتها، وازداد عدد سكانها زيادة دعتها الى إيجاد أسواق لصناعتها ، وكان هذا الأمر يفرض عليها القيام بسياسة نشطة في كل بقعة من بقاع العالم ، وبذلك بدأت 'ألمانيا' تتجه إلى الطريق الخارجي متذرعة بأن للضرورة أحكامها[6]، وأصبحت 'ألمانيا' بذلك إحدى الدول المنافسة لإنجلترا الدولة الأكثر تطوراً من الناحية الصناعية، وبدأت بسياستها العالمية (Welt Politik) لسد فجوة التنافس الاستعماري بينها وبين 'إنجلترا'، وبدأت بذلك تهدد 'إنجلترا' المتفوقة منذ زمن يوماً بعد يوم[7]، ورغم ذلك كانت سياسة السلطان

---

(1) مصطفى كامل . *المسألة الشرقية*، (مصر : د.نا، ١٨٩٨)، ج١، ص ٢١ .

(2) الشناوي . *الدولة* ، ج٢ ، ص ٨٣٢-٨٣٣ .

(3) أوزتونا. *تاريخ* ، ج٢ ، ص ١٤٩ .

(4) أوكه . *جاسوس* ، ص٣٥.

(5) المرجع نفسه، ص٣٦.

(6) الشناوي . *الدولة* ، ج ٣، ص ١٣٤٤.

(7) أوكه . *جاسوس* ، ص ١٨١.

'عبد الحميد' تقوم على مبدأ 'الحياد المطلق' ويقصد بذلك الابتعاد كليا عن السياسة الأوروبية والتأكيد على انه من الأهمية الابتعاد عن الدول الأوروبية في أي مجابهة عسكرية[١]. لقد "كان السلطان 'عبد الحميد' يخط سياسته بأداء يتميز بالثقة والسيطرة على الأوضاع المتناقضة سواء ما انتهى منها أو لم ينته"[٢].

بذلك دخلت 'ألمانيا' السياسة الخارجية من أوسع أبوابها ، وأصبحت السياسة الخارجية لها تتجه نحو عدم تحكم 'روسيا' في مضائق 'البسفور' و 'الدردنيل' ، يشاركها في ذلك إمبراطورية 'النمسا – المجر'، بعد أن كانت لا تهتم بذلك مطلقا، وكان هذا الاهتمام واضحا بعد النزاع السياسي الذي وقع بين 'روسيا' و'بروسيا' ، وبعد ان أصبحت لألمانيا مصالح في مد خط حديد 'الأناضول' و'بغداد'، إذ أن مضيق 'استانبول' هو نقطة البداية لكثير من هذه الخطوط ، لا سيما خط حديد 'الأناضول'[٣] .

من اجل هذه العلاقة الجديدة بين 'ألمانيا' والدولة العثمانية ، قام القيصر الألماني 'وليام الثاني' (Kaiser William II) ، بثاني زيارة للسلطان 'عبد الحميد' في ٣٠ أيلول ١٨٩٨، ليؤكد موقف 'ألمانيا' من الحرب ضد اليونان عام ١٨٩٧[٤] حيث أبدى القيصر اهتماما بهذه الحرب، لذلك فقد أرسل القيصر الألماني ضابطا عسكريا كبيرا ليساعد صديقه السلطان[٥]. وكان القيصر الى جانب ذلك يسعى لتنمية العلاقات الثنائية بين الدولتين في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والعمرانية والعلمية، بما فيها تنشيط البعثات الألمانية للكشف عن الآثار في المناطق العثمانية، وقد عرفت سياسة التقارب نحو الدولة العثمانية باسم 'الاتجاه نحو الشرق' (Drang Nach Osten)[٦].

بعد زيارة القيصر الألماني الى العاصمة العثمانية، قام بزيارة الى الأراضي المقدسة– فلسطين– و'سوريا' و'لبنان'، كما زار قبر 'صلاح الدين الأيوبي'، فخطب مشيدا بالخليفة 'عبد الحميد' وبـ ٣٠٠ مليون مسلم الذين يقودهم مؤكدا على صداقة إمبراطور ألمانيا للمسلمين[٧].

وقد شجعت 'ألمانيا' تدفق رؤوس الأموال الألمانية على الدولة العثمانية ، وزيادة حجم التبادل التجاري بين الدولتين، حيث أوفدت مندوبين للشركات التجارية الألمانية الى 'استانبول' ، وأسست بنوكا كبرى، كما انشأ جماعة من أصحاب رؤوس الاموال الألمانية خطا للملاحة البحرية بين 'هامبورج' و'استانبول' سنة ١٨٨٩، عقب الزيارة الأولى للقيصر الألماني 'وليام الثاني' للدولة العثمانية ، وقد أطلق على هذا الخط اسم 'خط الليفانت[٨] الألماني' (Deutsche levante linie) وذلك لدعم تجارة 'ألمانيا' في الدولة، واحتل بذلك رأس المال

---

(١) أوكه . *جاسوس*، ص ٣٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٤ .

(٣) عبد الحميد الثاني . *مذكراتي* ، ص١١٨

(4) Alan Palmer. *The Decline and fall of the Ottoman Empire*, (London: John Murray, 1992), p. 189.

(٥) باتريك. *سلاطين* ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٦) الشناوي. *الدولة* ، ج ٣ ، ص ١٣٤٦ .

(7) Ibid.,p.191-192.

(٨) ليفانت . تاريخيا: هي الأقطار الشرقية على طول ساحل البحر المتوسط. وقد ارتبط هذا المصطلح عموما بإقامة علاقات تجارية بين الدول، ولقد استعمل هذا المصطلح خلال التعامل التجاري مع سوريا، وأحيانا بين اليونان ومصر،كما=

الألماني المكانة الأولى ،وأقصيت عن مركز الصدارة رؤوس أموال كل من 'إنجلترا' و'فرنسا'[1].

رغم ذلك كان السلطان 'عبد الحميد' أدهى من أن ينحصر بصره ببطولات حاميه الجديد، لكنه كان يدرك جيداً أهمية هذا الحليف القوي في المحافل الأوروبية ، لذلك فقد رحب السلطان أشد الترحيب بما أعلنه القيصر من صداقته له ولجميع المسلمين ، ومباهاته بذلك، ويمكن القول ان السلطان 'عبد الحميد' لم يكن ليرحب بمثل هذه الصداقة من أجل الصداقة نفسها، بل من أجل المنافع التي تعود عليه وعلى دولته منها، وأما من حيث مطامع 'ألمانيا' في الدولة العثمانية ، فقد كان 'عبد الحميد' يميل إلى أن يساوم فيها ما دامت هذه المطامع لا تنطوي على سيطرة سياسية ، بل وكان شديد الحرص على الظهور بمظهر الكريم في مساومته[2] .ولم يكن بد من ذلك ،إذ لا يمكن للدولة العثمانية أن تبقى وحيدة.

ويوضح السلطان 'عبد الحميد' سبب توجهه نحو 'ألمانيا' فيقول: "أني كنت أرى بوضوح أن ظهور 'ألمانيا' كفيل بإخلال التوازن الأوروبي ، وان هذا سيوقع الدول الأوروبية بعضها في بعض . كانت قوة الألمان تزداد عاماً بعد عام، وكنت ألاحظ اضطراب كل من الفرنسيين والإنجليز والروس لهذا النمو الألماني ، ونهاية هذا الأمر سيكون صدامهم"[3]. في نفس الوقت الذي خفت 'فرنسا' من حدة تنافسها مع 'إنجلترا' وان لم تتركه ، وبدأت تسلك طريقاً للبحث عن تفاهم مع الروس لضمان أمنها، لذلك فقد تراجعت سياستها تجاه الدولة العثمانية، وأخذت في التأييد المتصل للروس في خلافاتهم مع الدولة العثمانية، في الوقت الذي نفسه الذي بدأ فيه الروس يعملون حسابا للألمان، جيرانهم الأقوياء في الغرب، أما النمسا فقد أقامت سياستها من جديد دون الفصل بين العدو والصديق[4] .

إلى جانب هذا التوازن الذي قام به السلطان 'عبد الحميد' بصداقته لألمانيا كان يقوم على المستوى الداخلي بسياسة لا تقل في أهميتها عن إحداث التوازن الخارجي ، وهذا الأمر كان في مسايرة سفراء الدول الأوروبية، واكتساب ثقتهم ، وفي كثير من الأحيان شراء ذممهم، حيث كان هؤلاء السفراء يقومون بإرسال تقاريرهم بما يصغر أمر الدولة العثمانية[5]، وكانت مهمة السفراء الأوروبيين سهلة ينفذون كافة أعمالهم بسهولة ويسر في عهد السلطانيين 'عبد المجيد' و'عبد العزيز' لأن مهمتهما كانت مقتصرة على تسيير السلطنة فقط وليس الحكم حسب مقدرات الدولة،أما في عهد السلطان 'عبد الحميد' فقد اختلف الأمر كلياً ،حيث ربط كل شيء في الدولة به شخصياً، وكان يتدخل في كل صغيرة وكبيرة[6]، لذلك فهو لم يكن

=استعمل بين الأناضول والشرقين الأوسط والأدنى، ثم أصبح إلى حد بعيد يعني الولايات التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان، ثم أصبحت تعني هاتين المنطقتين فقط حتى استقلالهما.
The New Encyclopaedia Britannica (U.S.A: International Copyright Union, 1992) , Vol. 7.p.304.

(1) الشناوي. الدولة، ج٣، ص١٣٤٦.

(2) جورج انطونيوس . *يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية* ، ترجمة ، ناصر الدين أسد – إحسان عباس، (ط ٦، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠)، ص ١٤٧ .

(3) Bozdag. *Abdülhamid*, p. 71.

(4) Ibid., p.140-141 .

(5) النمر. *نظرات* ، ص ١٧٥ .

(6) أوكه . *جاسوس* ، ص٣٨.

يقبل بسهولة استقبال سفراء الدول الأجنبية، وفي حالة موافقته على مقابلتهم كانوا لا يحصلون إلا على أجوبة محددة وواضحة، إضافة إلى السرية التي كانت تتسم بها هذه المقابلات في كثير من الاحيان[1].
وإلى جانب ذلك كان لجهل سفراء هذه الدول باللغة العثمانية أثره ايضاً، مما جعلهم عاجزين على فهم الشرقيين، ولهذا ظل السلطان 'عبد الحميد' بالنسبة لهم لغزاً صعب الحل، بل وعاجزين عن اكتشاف أسرار سياسته رغم متابعتهم الحثيثة لأعماله[2]، وفي حالة اكتساب أحد هؤلاء الدبلوماسيين حب السلطان اكثر من غيره نجد الأمور تختلط عليه ما بين الاحترام والخوف، ذلك ان السلطان كان يوزن ابتساماته ونظراته وحتى مكرماته عليهم، كما اتبع أسلوب المساواة بين الجميع في المعاملات، وذلك حتى يستطيع ان يفهم بوضوح ما يفعله كل دبلوماسي، ثم تقدير أعمالهم. ونادراً ما كان هؤلاء يذكرون تأثيرهم على السلطان 'عبد الحميد' أو عن منزلتهم عنده[3].

هذه الصفات التي تمتع بها السلطان جعلت هؤلاء الدبلوماسيين الذين كانوا دائماً يحاولون خداعه يحتارون كثيراً، كما أن اللطف والمحبة والصداقة تجاه كل واحد منهم كانت تجعلهم يحتارون في فهم أسس سياسته ونواياه، التي كانوا يبحثونها من كل جانب. ومن الطبيعي جداً ان يشعر هؤلاء الدبلوماسيون بأنهم فقدوا أعصابهم وانهارت آمالهم بعد عجزهم على الوقوف على أسراره[4].

ويقول في ذلك السلطان 'عبد الحميد': "يتصدر السفراء كراسيهم في قصورهم وكأنهم حكام البلاد. لا تتعدى صلاتهم بعض كبار الموظفين. انهم يصدرون حكمهم من علٍ. لا يعرفون من البلاد سوى 'استانبول' والجزر. ليست لديهم أية فكرة عن التركيب الداخلي لمجتمعنا، لا يعرفون ديننا ولا يفهمونه، ومع ذلك فهم دائبون على جعلنا نقبل بنصائحهم. ومن حسن الحظ انهم لا يتفقون فيما بينهم"[5].

ولقد اشتهر عن السلطان 'عبد الحميد' دهائه السياسي، حيث تحدثت صحيفة 'الكون'(Al-Kawn) -التي كثيرا ما كانت تتحدث عن طغيان السلطان عبد الحميد واستبداده- عن هذه الخصلة فقالت :" ليس 'بسمارك' [6](Bismarck) في زمانه بأعظم سياسة من 'عبد الحميد' في هذه الأوان، وليس 'عمرو بن العاص' بأعظم منه في دهائه، فقد حير العالم بأسره من توغله في الدهاء

---

(١) أوكه . *جاسوس* ، ص ٢٢.

(٢) المرجع نفسه ، ص ٨٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ٥٦.

(٥) عبد الحميد الثاني . *مذكراتي*، ص ٨٩.

(٦) بسمارك: ولد عام ١٨١٥ ، وهو أول مستشار للإمبراطورية الألمانية بعد إعلانها سنة ١٨٧١ ، وقد عرف الثلث الأخير من القرن التاسع عشر في أوروبا بأنه عصر بسمارك ، للدور القيادي الذي قام به ، حيث عمل على بسط سلطات بروسيا على الإمارات الألمانية ، وترأس مؤتمر برلين ١٨٧٨ عقب الحرب الروسية العثمانية ،و أعاد تنظيم حدود البلقان ، غير ان وليام الثاني الذي كان يقود النشاط الاشتراكي ضده أدت به إلى الإقالة في ١٨٩٠ وتوفي في ١٨٩٩ - العريسي . *مختارات*، ص ٢٧٥ .

والمكر، حتى انه يلعب بدولة برمتها على إصبعه و يداعبها كما يداعب الهر الفأرة ، ويروغ عنها تخيـــلا واستنباطا لبلوغه غاياته منها كما يروغ الثعلب "[1].

إن بقاء الدولة العثمانية لا يعود فقط الى ما تمتع به السلطان 'عبد الحميد' من دهاء، وساعده فـــي ذلك التنافس بين الدول الأوروبية، وعدم اتفاق مصالحهم ، حيث يقول البارون 'فون مارشال' (Von Marshall)، السفير الألماني في استانبول في ٣٠ أيار ١٩١٠ "ان الإمبراطورية العثمانية استطاعت فـي القرن الماضي ان تحافظ على بقائها ، ليس بفضل قوتها ، بل بفضل تضارب مصالح الدول العظمى ، لقـد كان الوارثون المتنافسون على ارث الرجل المريض من القوة والعدد ، بحيـث لـم يجـرؤ وارث واحـد بمفرده ، ان يلجأ الى القوة كي يعجل في موت الموروث لينال نصيبه من الإرث"[2] .

ولما كان السلطان 'عبد الحميد' لا يثق باستمرارية اللاوفاق الأوروبي حـول الدولـة العثمانيـة ، والذي طالما عمل على إذكائه فيهم فقد سعى الى إدخال إصلاحات والعمل على تجميع كلمـة المسـلمين ، لذلك نجد ان معظم إصلاحاته قد انبثقت بموجب قرارات سلطانية تم توجيهها نحو برنامج طوره بنفسـه ، وأوصله إلى وزرائه عام ١٨٧٩ مباشرة بعد أن قام بإلغاء الدستور وحـل البرلمـان ، وبذلـك انشـطر الاصلاحيون العثمانيون منذ البداية الى قسمين: قسم معه وآخر ضده ، فسبب ذلك الانشقاق مشاكل عديـدة أثرت مباشرة على تنفيذ برنامجه[3]. لذلك كله فقد اتجهت أوروبا نحو إثارة الأقليات العرقيـة والمذهبيـة، كما عملت على دعم الجمعيات العثمانية السرية ماديا ومعنويا من أجل خلع السلطان 'عبد الحميد'.

الجامعة الإسلامية .

برز في المجال الإصلاحي داخل الدولة العثمانية ثلاثة اتجاهات فكرية هامة:

الاتجاه الأول: نادى بضرورة الإصلاح عن طريق الاقتباس المباشر من النظم والأساليب الأوروبيـة فـي مجالات الحياة المختلفة كالإدارة والاجتماع والثقافـة والاقتصـاد دون قيـد أو شـرط، ودون أي اعتبارات خاصة بماضي الدولة العثمانية الإسلامي. وكان من اشهر المنادين بهذا الاتجـاه 'فـؤاد باشا' (١٨١٥-١٨٦٩) و 'مدحت باشا' (١٨٢٢-١٨٨٥).

الاتجاه الثاني: كان يمثل الاتجاه الإسلامي الصرف، مؤكدين ان العثمانيين مدينـون اكـثر مـن غـيرهم للإسلام لاعتباره البوابة التي دخلوا منها التاريخ، فالإسلام عندهم اساس دولتهم وحضارتهم واليـه يرجع كل ما يفخرون به، وقد تزعم هذا الاتجاه المؤرخ 'احمد جودت' (١٨٢٢-١٨٩٥)، و 'محمـد عاكف ارسوي' و 'بديع الزمان سعيد النورسي' ، وكان السلطان 'عبد الحميد' يميل الى هذا الاتجـاه، لذلك فقد قام بتفعيله.

---

(1) الكون. نيويورك، العدد ١١٩ ، السنة الثالثة ، الخميس ، ٢٩ نيسان ١٩٠٩ ، ص ١ .

(2) زين . *الصراع* ، ص ٥٥ .

(3) Shaw-Shaw. *History*, p 221.

الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه التوفيقي في الاصلاح ، الذي نادى بضرورة العودة الى الجذور الإسلامية وتطبيق ما يتعلق بالإسلام من مبادئ وأفكار في الحياة العملية داخل الدولة العثمانية، وفي نفس الوقت الأخذ بأسباب الحضارة الغربية، ومن أعلام هذا الاتجاه 'نامق كمال'[١] (١٨٤٠-١٨٨٨)[٢].

كان من ضمن سياسة السلطان 'عبد الحميد' لدرء المخاطر التي تجابه الدولة العثمانية من قبل الدول الأوروبية سياسة 'الجامعة الإسلامية' .

كانت سياسة الجامعة الإسلامية عند السلطان 'عبد الحميد' فكانت تهدف الى تجميع كلمة المسلمين ورص صفوفهم من اجل مواجهة التحدي الذي تفرضه عليهم الدول الأوروبية، والتي اخذ ضغطها يشتد يوما بعد يوم، وبدأ يتحول بعد ذلك الى نفوذ فعلي واحتلال عسكري ، حيث قامت القوات الإنجليزية باحتلال 'قبرص' سنة ١٨٧٨ ، واستولت 'فرنسا' على 'تونس' سنة ١٨٨١ كما احتلت القوات الإنجليزية 'مصر' سنة ١٨٨٢ ، وأضحت أوروبا تهدد قلب العالم الإسلامي، في الوقت الذي رأت فيه شعوبها هذا الخطر الذي يهدد كيانها ، ورأت كل منها مصيرها المحتوم ، وكان من الطبيعي ان تتجه هذه الشعوب جميعا نحو الدعوة الى التضامن ضد هذا الخطر المشترك[٣] .

لذلك فقد أُعتبرت الجامعة الإسلامية من أهم الحركات السياسية والدينية التي ظهرت في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر ، إذ أحدثت فيه نتائج بعيدة المدى ، وكان لها اكبر الأثر في نمو الوعي السياسي وازدياد اليقظة الدينية في مختلف أرجائه[٤].

ومن مقاصد الجامعة الإسلامية :

١- العمل على التصدي للأطماع الأوروبية المتزايدة في العالم الإسلامي .
٢- إيجاد حسن التفاهم بين جميع مسلمي العالم في المسائل الاجتماعية .
٣- ترقية العالم الإسلامي في شؤونه الدينية والاجتماعية والأدبية .
٤- تنمية شعور الإخاء بين المسلمين وتبادل مصالحهم .
٥- إزالة سوء التفاهم الحاصل بين المسلمين وغير المسلمين .

---

(١) انظر عن نامق كمال في الفصل الثاني.

(٢) احمد فهد بركات الشوابكة . *حركة الجامعة الإسلامية*، (ط١، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٤)، ص ٣٣.

(٣) عبد الباسط محمد حسن . *جمال الدين الأفغاني وأثره في العالم الإسلامي الحديث* ، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة ، ١٩٨٢)، ص ٢٣٩-٢٤٠ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٦٥ .

٦- مساعدة المسلمين بقدر المستطاع في سائر أنحاء العالم .

٧- ايجاد معاهد علمية إسلامية في غير الأقطار الإسلامية .

٨- تعضيد الخلافة في آل عثمان[١] .

ولقد ارتبط اسم الجامعة الإسلامية بشخص المصلح الإسلامي ، 'جمال الدين الأفغاني'[٢] المتهم في نسبه ومذهبه وربما يكون 'الأفغاني' قد انتسب للأفغان لأمر هام يتعلق برسالته الإصلاحية الكبرى ، فليس أمرا سهلا ان تنتشر أفكاره في أقطار سنية المذهب إذا علم انه شيعي ، ولان درجة تقبله ستكون اقل[٣].

وكانت دعوة 'جمال الدين الأفغاني' تهدف الى بلوغ غايتين هما:

١- إصلاح أحوال المسلمين ، ولا يتأتى ذلك إلا بمسايرة المدنية الحديثة، والأخذ بأسباب التقدم .

٢- السعي الى تحرير الشرق من سيطرة الغرب ، ولا يكون ذلك إلا باتحاد المسلمين وجمع كلمتهم حتى يستطيعوا تحقيق استقلالهم وحريتهم[٤].

وقد قام 'جمال الدين' بزيارة العديد من المناطق ، حتى أصبح السفر والتنقل صفتين متلازمتين له واثناء تواجده في 'فرنسا' قام بإصدار صحيفة 'العروة الوثقى' مع العديد من المصلحين في الفترة ما بين

---

(١) المنار. مصر ، *"الخلافة الإسلامية والجامعة العثمانية"* ، ج ١١ ، م ١٣ ، ص ٦٨٢ .

(٢) جمال الدين الأفغاني: هو ابن السيد صفتر، ولد في قرية أسد أباد قرب همذان سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨ م ، ولقد اختلف المؤرخون في أمر نسبه ومذهبه حتى ان عبد القادر المغربي وهو على علاقة بجمال الدين الأفغاني ، تساءل كيف يكون الاختلاف في أمر جمال الدين وهو قريب العهد بهم ، ويذكر محمد حسن خان الملقب باعتماد الدين وأحد المقربين إلى ملك إيران ناصر الدين شاه في كتابه المعروف باسم " المآثر والآثار" أن جمال الدين نشأ في قرية أسد أباد من أعمال إيران، وان أهل إيران يفتخرون به كثيرا ، في حين ان كثير من أهل السنة يعتبرونه أفغاني النسب والأصل سني المذهب، كما يؤكد ذلك كبير تلامذته محمد عبده، لكن اغلب الظن ان جمال الدين الأفغاني ينحدر من اصل إيراني وانه شيعي المذهب ، انظر:

- محمد أبو رية. *جمال الدين الأفغاني*، (القاهرة: دار المعارف للطباعة ، ١٩٦١)، ص ١٥-١٦ .
- محمود قاسم. *جمال الدين الأفغاني، حياته وفلسفته*، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية)، ص ٩-١٠ .
- ميرزا لطف الله خان الأسد ابادي. *حقيقة جمال الدين الأفغاني*، ترجمة ، عبد المنعم حسين، (المنصورة: دار الوفاء للطباعة، ١٩٨٦)، ص ٣٨ .
- محمد سلام مدكور. *جمال الدين الأفغاني، باعث النهضة الفكرية في الشرق*، (ط١، القاهرة: مطبعة الهواري، ١٩٣٧)، ص ٢٥ .
- انظر – أوكه. *جاسوس*، ص٩٦.

(٣) قدري قلعجي. *جمال الدين الأفغاني*، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٤٧)، ص٤١٠ انظر – محمد محمد حسين. *الإسلام والحضارة الغربية*، (ط٤، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١)، ص ٦١ .

(٤) حلمي محروس إسماعيل. *تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني الى نهاية الحرب العالمية الأولى*، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٧)، ص ٣٢٨-٣٢٩ .

١٣ آذار ١٨٨٤ وهو اليوم الذي صدر فيه العدد الأول حتى آخر عدد منها في ٦ تشرين أول ١٨٨٤ ، وكانت هذه الصحيفة تدعو الى إعادة الأمل والنجاح في النفوس، والعودة للتمسك بالأصول التي كان عليها الآباء الأوائل ، والدفاع عن الإسلام ، وتقوية الصلات بين المسلمين[١].

ولما ذهب 'جمال الدين الأفغاني' الى استانبول سنة ١٨٩٢، أستقبل إستقبالا حافلا حيث قربه السلطان 'عبد الحميد' ، واخذ يتباحث معه في شؤون الدولة وحال الإسلام ، وكان لذلك أثره في 'جمال الدين' الذي عزم على البقاء[٢]. وفي إحدى اجتماعاتهما الخاصة ، خاطب السلطان 'عبد الحميد' 'جمال الدين' بقوله: "أني ملتمس من حضرتك ان تبذل غاية الجهد ، حتى تستطيع توحيد آرائنا وبمساعدة حضرتكم أن ننشئ ونؤسس اتحادا واتفاقا قويا ثابت الأركان ، لا يقبل الخلل بين الشعوب الإسلامية ، حتى يمكن بفضل تلك الوحدة التي تمد أمم الجامعة الإسلامية يد المودة والإخاء ، بعضها الى بعض ، وتنهض بالصناعة والعلوم في ظل الاستقلال والاتحاد الاسلامي، ولكي يحصل لها التوفيق بعون الله تعالى، لاسترجاع القوة العظيمة السابقة ، ولا تتأخر عن ركب السعادة والرقي"[٣] .

من هنا يتضح ان السلطان 'عبد الحميد' كان هو صاحب الفكرة بالدعوة الى الجامعة الإسلامية ، وليس 'جمال الدين' كما يتناقل ذلك العديد من المؤرخين. ورغم الشبهات التي حامت حول شخصية 'جمال الدين' – بخصوص انتسابه للمحافل الماسونية وتدرجه فيها، حتى وصل الى درجة غاية في الأهمية، وحول موقفه المعادي من الاستعمار ، ومن ثم لجوئه إليهم ضد خصومه المسلمين،[٤]–إلا انه كان يؤيد قيام حكومة إسلامية واحدة تأتم بالإسلام وتعاليمه وتعمل على مقاومة الدول الاستعمارية، حيث قام بالتحريض ضد الإنجليز في 'الهند' وفي مناطق وسط آسيا[٥].

ومن اجل الجامعة الإسلامية قام السلطان 'عبد الحميد' بإرسال أعداد كبيرة من خريجي مدارس استانبول الدينية للدعاية للجامعة الإسلامية في 'الهند' و'تركستان' و'إيران' و'الصين' و'سنغافورة' و'ماليزيا' و'الحبشة' ، واقطار المغرب العربي[٦] لينشروا الأنباء الحسنة عن الخليفة والدولة العثمانية ، ويشيدوا بورعه، ويبشروا بحركة الجامعة الإسلامية ، واعادة أمجاد الدولة الإسلامية في صدر الإسلام، كما كانوا يسعون الى توثيق الروابط بينها وبين الدولة تحت زعامته كخليفة للمسلمين ، وقد سخر لذلك الصحف وانشأ المجلات ، والنشرات الدورية ، كما كان يدعو رجال الفكر الإسلامي لزيارة 'استانبول'

---

(١) قلعجي . *جمال الدين* ، ص ٦٥ ؛ انظر عن العروة الوثقى واسباب إيقافها في
– محمد عمارة . *جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام* ، (ط١، بيروت: دار الوحدة ، ١٩٨٤)، ص ٦٩ .

(٢) مدكور . *جمال الدين* ، ص ١٨٧–١٨٨؛ قاسم . جمال الدين ، ص ٨٠ .

(٣) الاسد ابادي . *حقيقة*، ص ١٧٩ .

(٤) انظر – نجدة فتحي صفوة . *الماسونية في الوطن العربي* ، (لندن: مركز الدراسات العربية، ١٩٨٠)، ص ٢٢–٢٤ .

(٥) أوكه . *جاسوس*، ص٩٦.

(٦) أوزتونا. *تاريخ* ج٢، ص١٥٦ ؛ ابراهيم خليل احمد . *تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦–١٩١٦* (الموصل: جامعة الموصل، د.تا)، ص ٣٦٨ .

واستضافتهم رغبة منه في إيجاد صلات معهم ، لدعم نفوذه في الأوساط الإسلامية ، وكان يحرص على ان يقترن لقب الخليفة مع كلمة السلطان[١] .

قام السلطان 'عبد الحميد' بتخصيص مبالغ وفيرة جدا لاصلاح المساجد ، وأقيمت معاهد ومدراس إسلامية جديدة ، لتقوم بعملها على تثقيف الجيل العثماني الشاب ، كما اصدر أوامره بضرورة الاهتمام بالأعياد والمناسبات الإسلامية على مدار السنة ، وادخل العلوم الدينية واللغة العربية في المجلات الثقافية والإدارية ، كما منع الحكومة من إطلاق الترجمات الأوروبية للأسماء العربية والتركية على أسماء الشوارع والمباني العامة ، في الوقت الذي استعاد فيه السلطان 'عبد الحميد' حقه في تعيين الموظفين الدينيين في الولايات العثمانية السابقة التي دخلت تحت استعمار وحكم الدول الأوروبية، في الوقت نفسه الذي كان الباب العالي يحتج ويتدخل بشكل رسمي فيما لو وردت أنباء عن وقوع مظالم على المسلمين في هذه الأقاليم[٢].

لقد حظيت سياسة الجامعة الإسلامية بردود فعل طيبة ، حيث وصلت الردود التي تعبر عن قبول حسن وسرور عظيم من قبل مختلف طبقات المجتمع الإسلامي، سواء كانوا علماء أو غير ذلك ، بل ان كثير منهم قد أرسل تحفا وهدايا ورسائل كتعبير عن رضاهم ، ودعمهم لهذه الفكرة [٣] .

وربما يقاس مدى نجاح الجامعة الإسلامية في العالم الإسلامي أثناء الحرب العثمانية -اليونانية سنة ١٨٩٧، حيث كاد هذا الحدث ان يمر طبيعيا كغيره من الاحداث قبل الجامعة الإسلامية ، دون أن يثير اهتماما لدى الشعوب الإسلامية، لكن في أعقاب الحرب أقيمت احتفالات واسعة في الأقطار الإسلامية خارج نطاق الدولة العثمانية ، ابتهاجا بالانتصارات التي حققها العثمانيون على 'اليونان' ، وبالتالي شحنت هذه الحرب سكان هذه البلاد بكثير من الثقة والاعتداد بالنفس ، والقدرة على التخلص من السيطرة الأوروبية[٤] .

السكك الحديدية في العالم الإسلامي .

- خط سكة حديد بغداد .

كان من أهم الخطوط الحديدية التي قام بها السلطان 'عبد الحميد' ، خط 'سكة حديد بغداد' ذلك المشروع الذي استحوذ على اهتمام 'ألمانيا' ، لانه كان يشكل ركنا أساسيا في السياسة العليا لها ، المتجهة نحو الشرق ، وكان هذا المشروع يقوم على مد خط حديدي يربط 'ألمانيا' 'باستانبول' و'أنقرة' في 'آسيا

---

(1) Shaw - Shaw . *History*, p. 260 .

(2) Loc. cit.

(٣) الأسدابادي. حقيقة، ص ٨٣ .

(٤) الشناوي. *الدولة* ،ج ٣، ص ١٢١٩ .

الصغرى'، ثم الى الشمال ، ثم تتجه شرقاً الى 'الموصل' في 'العراق' ثم جنوباً الى 'بغداد'، على أن يمتد الى 'البصرة' ، ثم يتجه الى موقع ما على الخليج تتفق عليه الدولتان فيما بعد[1] .

وقد أطلق على مشروع هذا الخط من قبيل الاختصار طريق 'ب.ب.ب' (B.B.B) ،لأنه يبدأ من برلين ثم بيزنطة ثم بغداد ، وبذلك تبدأ هذه المحطات الثلاث بحرف الباء[2]، في حين يطلق اغلب المؤرخين على هذا الخط اسم 'سكة حديد بغداد' (The Baghdad Railway)، وقد بلغ من اهتمام إمبراطور 'ألمانيا' بهذا المشروع انه زار العاصمة العثمانية للمرة الثانية ٣٠ أيلول ١٨٩٨، استطاع خلالها الحصول على الامتياز المنشود، إذ اصدر السلطان 'عبد الحميد' فرمانا بذلك تمهيدا للموافقة على تنفيذ هذا المشروع، وكان الإمبراطور الألماني قد ضغط على 'البنك العثماني' (Deutsche Bank) ، لتمويل المشروع على أساس ان هذا الخط الحديث يمثل مصلحة قومية عليا لألمانيا[3]، لأنه يهدد بالخطر مركز 'بريطانيا' في الشرق ومطامع 'روسيا' في 'فارس'، ومع ان رجال السياسة الألمان بعيدي النظر حذروا من مخاطر هذا المشروع ، وما قد يخلفه من عداء واضح لاكثر من دولة أوروبية، إلا أن الشخصيات المسيطرة التي كانت في المحل الأول تعمل على خدمة مصالحها وافقت على هذا المشروع[4] .

ويوضح السلطان 'عبد الحميد' ما أثارته فكرة مد خط 'سكة حديد بغداد' من ردود فعل ، فيقول :"ان التنافس الشديد بين الدول الكبرى حول إنشاء الخطوط الحديدية في إمبراطوريتنا أمر مستغرب يدعو الى الشك ، ان أهمية الخطوط الحديدية ليست حصراً على الناحية الاقتصادية ، بل تتعداها الى الناحية السياسية أيضا ، وان تناست الدول الكبرى هذا الامر، والتنافس حول 'خط سكة حديد بغداد' بدأ يأخذ شكلاً بشعاً ، أربع دول كبرى تشترك في هذه الحلبة، ولا يتورع سفراؤهم عن استخدام كل الوسائل في سبيل استمرار الصراع غير المعلن بينهم ، انه منظر يمتع ناظريه"[5]."فإنجلترا و'فرنسا' مزقتا ثوب وقارهما ، أما 'ألمانيا' فقد سلكت مسلكاً حسناً، والصحافة الإنجليزية والفرنسية بل والروسية ايضاً تختلق الأكاذيب، دون أي حرج، لبث الشكوك بيننا وبين الألمان"[6] .

وكانت 'إنجلترا' اكثر الدول التي عملت جل جهدها للحيلولة دون تنفيذ هذا المشروع[7]وظل هذا

---

[1] الشناوي. *الدولة* ،ج ٣،ص ١٣٤٨.

[2] المرجع والصفحة نفسهما.

[3] المرجع والصفحة نفسهما.

[4] كارل بروكلمان . *تاريخ الشعوب الإسلامية* ، ترجمة، نبيه أمين فارس و منير بعلبكي، (ط ١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٠)، ج٤ ، ص٧٣.

[5] عبد الحميد الثاني . *مذكراتي* ، ص ٨١.

[6] المصدر والصفحة نفسهما.

[7] المصدر نفسه ، ص٦٧ .

الخط الحديدي مثيرا للحساسية بين القوى الأوروبية العظمى لسنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى[1].

- سكة حديد الحجاز .

لم تكن 'سكة حديد بغداد' هي الأولى داخل الدولة العثمانية، حيث يعود اول خط سكة حديد في الدولة الى عام ١٨٧٣ ، الذي أنشئ بواسطة 'فرنسا' وشركات بريطانية ، وكان يمر في 'ازميت' ثم 'حيدر باشا' في الجانب الآسيوي من 'استانبول' على 'البسفور'[2]. كما لم تكن الأخيرة، حيث ظهرت بعدها فكرة مد خط سكة حديد 'الحجاز'.

إن فكرة ربط 'الشام' بإقليم 'الحجاز' لم تكن وليدة عهد السلطان 'عبد الحميد الثاني' ، وليست بنت وقتها، بل ترجع الفكرة الى عام ١٨٦٤، وذلك عندما اقترح الأمريكي 'زاميل' (Zamill) الذي ينحدر من اصل ألماني على الحكومة العثمانية فكرة إنشاء خط حديد يربط بين 'دمشق' وساحل البحر الأحمر، لكن الحكومة العثمانية لم تكن قد سيطرت بعد على كافة الأمور في لواء 'الكرك'، الذي كان من المقرر ان يمر فيه الخط الحديدي، حيث كانت الاضطرابات التي تقوم بها العشائر البدوية هناك[3].

وهناك اختلاف بواضع فكرة إنشاء خط سكة حديد 'الحجاز' ، حيث كثر المدعون لها بعد نجاحها، إلا أن هناك آراء تقول أن 'جمال الدين الأفغاني' هو صاحب هذه الفكرة، وقد أراد بذلك تقوية علاقة الدولة بالمسلمين، وجمع شملهم حول الخلافة، وانه صارح بذلك 'عزت باشا العابد' [4] المقرب من السلطان[5].

ومهما يكن من أمر، فقد وصل هذا الأمر للسلطان 'عبد الحميد' الذي استدعى إليه 'أبو الهدى الصيادي' [6] وعرض عليه الفكرة، فصادق 'أبو الهدى' على ما قاله السلطان ، ثم قام باستدعاء أشراف

---

(1) Erik J. Zürcher. *Turkey A modern History*, (London: I.B Tauris, 1993), P. 82

(2) Ibid., P. 81.

(٣) السيد محمد الدقن . *سكة حديد الحجاز الحميدية، دراسة وثائقية*، (ط ١، القاهرة: د.نا)، ١٩٨٥ ، ص ٧٥ .

(٤) عزت باشا العابد : سياسي عربي من دمشق، استطاع ان يشق طريقه الى السلطان عبد الحميد بعد ان سطع نجمه ، وقضى ثلاثة عشر عاما في منصب السكرتير الثاني للسلطان عبد الحميد حتى خلعه عام ١٩٠٨ ، وكان عزت باشا من اقوى موظفي الدولة ، لا يفوقه في النفوذ والدهاء إلا سيده السلطان عبد الحميد ، وتوفي في ١٩٢٤ . انظر – انطونيوس . *يقظة* ، ١٤١ .

(٥) العمران . دمشق ، عدد ٣٨١ ، ج ٤ ، م ٢ ، سنة ١٢ ، ٢٦ سبتمبر ١٩٠٨ ، ص ٧٧ .

(٦) أبو الهدى الصيادي: (١٨٤٩-١٩٠٩) من اشهر علماء الدين في عصره ، ومن مناصبه تولى منصب نقيب أشراف عموم ولاية حلب ، وكان حينها في الرابعة والعشرين من عمره ١٨٧٣ زمن السلطان عبد العزيز ، وقام السلطان عبد الحميد بتقريبه منه ، وقلده مشيخة المشايخ في دار الخلافة ، واصبح يلقب ب "مستشار الملك" ، وقد قضى عمره في خدمة الدولة ، يدافع عن الخلافة العثمانية ويؤكد واجب المسلمين في الاعتراف والتمسك بها ، والوقوف الى جانب سلطانها ، في الوقت الذي كان يسدي النصائح مخلصا للسلطان عبد الحميد ، وذلك وفق الوثائق والأوراق التي ضبطها رجال الاتحاد والترقي بعد خلعهم السلطان عبد الحميد ، انظر – حرب . *السلطان* ، ص ١٨٩-١٩٠.

مكة وأشراف الحجاز واليمن ، وعرض عليهم الأمر فوافقوه ، كذلك فعل مع 'جمال الدين الأفغاني' فكان رأيه كما ذهبت إليه آراء الجميع[1]. لهذا فقد عزم السلطان على المضي قدما نحو تطبيق المشروع فاستعان بالأمناء من رجال الدولة حيث ألف منهم لجنة لادارة الخط ، وجعل من نفسه رئيس شرف لها ، والصدر الأعظم رئيس أول ، و'عزت باشا العابد' رئيس ثان ، كما أنشأ لها إدارة منتظمة مستقلة ، وجعلت هذه اللجنة تعمل على طباعة المنشورات لطلب المعونة من الخيرين، وتقوم بنشر أسماء المتبرعين في الصحف العامة، كما اصدر السلطان 'عبد الحميد' أنواطا باسم الخط الحجازي ، من ذهب وفضة ونيكل ، وجعل ينعم بها على المتبرعين بالأموال ، وفوق ذلك كان ينعم بالرتب والأوسمة على الذين تزيد تبرعاتهم عن المبالغ المعينة لنيل الأنواط الحجازية[2] .إلى جانب ذلك ، فرضت في جميع أنحاء الدولة ضريبة خاصة على شكل طابع بريد ووجهت الدعوى الى الموظفين في الحجاز ليتبرعوا بنسبة معينة من مرتباتهم[3].ولأجل تشجيع جانب التبرعات لدى المسلمين، افتتح السلطان 'عبد الحميد' باب التبرعات بمبلغ ٣٢٠ ألف ليرة عثمانية من ماله الخاص،وعلى الأثر تبرع شاه 'فارس' بخمسين ألف ليرة، وأرسل عباس حلمي الثاني خديوي مصر كميات من مواد البناء ،ونقلت مخصصات دائرة الحج ومقدارها ١٥٠ ألف ليرة في السنة الى ميزانية الخط [4] .

ويمكن إجمال حصيلة التبرعات بأنها فاقت الرقم المأمول[5] ، حيث يذكر بروكلمان ان حصيلة التبرعات كانت مليون ليرة عثمانية ، وهو يساوي ثلث نفقات الخط البالغة ثلاثة ملايين ليرة عثمانية[6]. وما إن صدرت الإرادة السنية بإنشاء هذا الخط أواخر سنة ١٨٩٩ ، حتى انبرت الصحف الأوروبية في معارضتها ، فبحثت بعضها الفكرة سياسياً ، فأظهرت مخاوفها ، وبحثتها فنياً، فحكمت عليها باستحالة تحققه، لعدم وجود المياه الكافية في الطريق ولمعارضة العربان ، وبحثتها من ناحية إدارية، فتوقعت بناءً على الخلل الإداري الواضح في الدولة العثمانية ان تذهب الاموال التي جمعت لهذا الخط الى جيوب رجال الدولة ، وأجمعت الصحف الأوروبية على استحالة إتمام هذا الخط[7]. في الوقت الذي تسابقت فيه الدول الأوروبية خصوصاً 'فرنسا' و'إنجلترا'

---

(١) العمران. دمشق ، عدد ٣٨١ ، ج ٤ ، م ٢ ، سنة ١٢ ، ٢٦ سبتمبر ١٩٠٨ ، ص ٧٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

(٣) انطونيوس . *يقظة*، ص ١٤٢ .

(٤) فردريك .ج . بيك . *تاريخ شرقي الأردن وقبائلها* ، ترجمة، بهاء الدين طوقان، (ط١، عمان: الدار العربية ، ١٩٣٥)، ص ٢٦٤-٢٦٥ ؛ عبد العزيز محمد عوض . *الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٢٤-١٩١٤*، (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٧)، ص ٢٨٣ .

(٥) العمران. دمشق، العدد ٣٨١ ، ج ٤ ، م ٢ ، سنة ١٢، ٢٦ سبتمبر ١٩٠٨ ، ص ٧٩ .

(٦) بروكلمان . *تاريخ* ، ص ٧٤ .

(٧) العمران. دمشق ، العدد ٣٨١ ، ج ٤، م ٢سنة ١٢، ٢٦ سبتمبر ١٩٠٨ ، ص ٧٨-٧٩ .

من اجل الفوز بامتياز هذا الخط. لكن السلطان 'عبد الحميد' سفّه توقعاتهم، حيث اخذ على عاتقه مراقبة سير العمل وشدد مراقبته، حيث كان يعزل اكبر مأمور إذا ثبت انه اختلس من أموال الخط الحجازي، ولو بخمسة قروش أو تهاون في جبايتها[1]. وبمساعدة عدد من المهندسين الألمان بدأ العمل في هذا المشروع في ٣١ آب سنة ١٩٠٠ ، وما ان وافى ٣١ آب سنة ١٩٠٨ حتى كانت السكة قد مدت الى 'المدينة المنورة'، وهي مسافة تبلغ حوالي ٩٠٠ ميل[2].

فوائد سكة حديد الحجاز.

كانت خدمة حجاج بيت الله وتوفير وسيلة سفر عصرية مريحة يتوفر فيها الأمن والسرعة والراحة من أهم أولويات مد هذا الخط ، حيث كان الحجاج يتعرضون الى الكثير من الأخطار منها هجوم عشائر البدو عليهم حيث يسلبون أموالهم وأمتعتهم[3] وكان هذا الأمر من شأنه زيادة الاخوة الإسلامية بين المسلمين ، كما يستطاع من خلالها دوام حشد الجنود من ابعد جهات السلطنة لاسيما بعد ارتباطها بخطوط سكك حديدية أخرى ، حيث يعمل الجنود ويدربون، كما أنها تعمل على تنظيم البلاد ، وتعمير الجهات ، واقامة الأسواق التجارية ، وتعميم وسائل الحضارة ، ونقل الثروات بأنواعها[4]، وكل هذه الأهداف نجدها منسجمة تماما مع ما يسعى إليه السلطان 'عبد الحميد' بخصوص الجامعة الإسلامية التي تدعو الى تكتل جميع القوى الإسلامية، وتوحيد صفوفها لمقاومة الأطماع الأوروبية في العالم الإسلامي.

ويؤكد النجاح في مد خط سكة حديد الحجاز ما يلي:

١- خدمة حركة الجامعة الإسلامية من خلال جمع الحجاج المسلمين من المناطق النائية 'كالصين' و'الهند' و'طهران'

٢- دل المشروع على تأكيد حيوية الدولة وقابليتها وقدرتها على التطور والتجديد.

٣- تعادل أهمية هذا المشروع أهمية قناة السويس، بسبب أهميته في تجميع كلمة المسلمين.

٤- كان هناك اهتماماً اعلامياً على مستوى الصحف بهذا المشروع، سواء على المستوى الداخلي او الخارجي.

٥- عبر هذا المشروع عن سياسة ماهرة للسلطان 'عبد الحميد' وبأنه الزعيم لـ ٣٠٠ مليون مسلم.

٦- تنبه السلطات الاستعمارية في ديار العالم الإسلامي إلى خطورة الحج وتأثير نتائجه على مصالحها الاستعمارية فحاولت السلطات البريطانية تعطيل قافلة الحج ، أو التقليل من عدد المشاركين فيها على الأقل باسم الاحتياطات الصحية تارة ، وبرفع الضرائب على المشاركين في الحج تارة أخرى ، ولقد

---

(1) العمران. دمشق ، العدد ٣٨١ ، ج ٤، م ٢سنة ١٢، ٢٦ سبتمبر ١٩٠٨ ، ص ٧٨-٧٩.

(2) باتريك . *سلاطين*، ص ١٠٩ ؛ انظر - بروكلمان . *تاريخ*، ص ٧٤ .

(3) الدقن . سكة ، ص ٧٧ .

(4) لبيب . *تاريخ* ، ص ٨٨ .

عطلت السلطات الفرنسية في شمال أفريقيا الحج في الأعوام ١٨٩٩-١٩٠١، كما منعت روسيا رعاياها من المسلمين عام ١٩٠٢ من أداء هذه الفريضة.

٧- استغناء السلطان 'عبد الحميد' عن القروض الأجنبية لهذا المشروع، وجعل تكاليفه جميعاً من تبرعات المسلمين، وهذا الأمر لم يرق لأوروبا التي اعتادت الضغط على السلاطين من خلال القروض.

٨- ازدياد المعارضة الأوروبية خصوصاً من 'إنجلترا' و'فرنسا' للمشروع كونه يهدد مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية في المنطقة التي يمر فيها هذا الخط أو في المناطق المجاورة لها . كما أن هذا الخط سيعطي حضوراً أقوى للدولة العثمانية في البحر الأحمر والخليج العربي.

٩- أدى هذا المشروع الى زيادة سيطرة السلطان 'عبد الحميد' على بلاد الشام والحجاز، وهذا الأمر يتعارض مع سياسة الدول الأوروبية الساعية لزعزعة هذه السيطرة[١].

ويمكن القول أن وجهة نظر المعارضة السياسية للجامعة الإسلامية تمثلت فيما يلي:

١- الدعوة إلى إحلال الرابطة القومية والوطنية بدلا من الرابطة الإسلامية.

٢- الاعتماد على النظم السياسية الغربية في الحكم، وتطبيق تلك النماذج داخل الدولة العثمانية.

٣- الدعوة لاعتماد الثقافة الغربية كبديل عن الثقافة والمفهوم الإسلامي للحياة.

٤- أن الدعوة للجامعة الإسلامية سيعمل على زيادة شعور الطوائف المسيحية، بأنهم أدنى درجة من المسلمين، وهذا ما تسعى الدول الأوروبية لتفعيله ،خصوصا وأن العناصر المسيحية مؤهلة تماما لذلك.

ولقد كانت أوروبا تعمل على تعزيز النهج الوطني والقومي داخل الدولة العثمانية وخارجها، والداعي إلى عزل الدين عن شتى مجالات الحياة، لذلك فقد سهلت أوروبا مهمة الأحزاب العثمانية المعارضة، كما عملت على دعم الأحزاب و الحركات القومية للأقليات العرقية والمذهبية داخل الدولة العثمانية وخارجها كرد علي سياسة الجامعة الإسلامية .

وظلت هذه الخطوات الحثيثة التي يقوم بها السلطان 'عبد الحميد' لأجل دعم حركة الجامعة الإسلامية تقابل بالهجوم الأوروبي، لا سيما عن طريق الصحافة، وقام 'مجلس العموم البريطاني' بمهاجمة الدولة العثمانية ،وكانت الدول الأوروبية تنظر إلى كل زائر عثماني للمسلمين في ممتلكاتها كجاسوس، يسعى لتهديد سلامة هذه الأملاك[٢]. بل ان حركة الجامعة الإسلامية حدت بالحكومة الإنجليزية بمراقبة الحجاج الهنود والأفغان وحجاج آسيا الوسطى العائدين من مكة الى بلادهم، باعتبارهم وظفوا من قبل السلطان 'عبد الحميد' 'خليفة المسلمين' ، وزودوا بالتعليمات اللازمة من قبل رجال الحكومة التابعين لـه لنصرة الجامعة الإسلامية بكل ما تحمله من أهداف[٣].

---

[١]الشوابكة . حركة ، ص ١٧٩ -١٩٧ ، بتصرف .

[2] Shaw-Shaw . *History*, p. 260 .

[٣] أوكه . *جاسوس* ، ص١٣٢.

ويقول 'ارمينيوس فامبري' عن مدى نجاح السلطان في هذه الحركة: "ويجب علي ان اعترف بأنني مندهش من قدرة السلطان 'عبد الحميد' على بسط نفوذه على جميع زوايا المسلمين في جميع أنحاء العالم، تحت اسم الجامعة الإسلامية ... إنني لا أبالغ إذا قلت أن فكرة الجامعة الإسلامية لم تكن قوية في أي وقت من الأوقات كما هو الحال في عهد السلطان 'عبد الحميد' "[1].

ولقد أشاعت أوروبا أن حركة الجامعة الإسلامية هي حركة رجعية تنظر الى الوراء وتستلهم الأفكار من القرون الوسطى ، وإنها تنطوي على خطر كبير بالنسبة لأوروبا عامة وللمسيحية خاصة، فهي تدعو من وجهة نظرهم الى التعصب المذهبي ، والتفرقة بين العناصر ، وإنها صبغت بروح التعصب الديني، وتغذي العناصر بالحقد والكراهية بين المسلمين والمسيحيين على السواء، وساد الاعتقاد في الأوساط الأوروبية أن الجامعة الإسلامية تحرض الطبقات العامة وتهيجها، وأن العالم المتمدن سيرى من أخطار الجامعة الإسلامية ومصائبها اشد مما رأته أوروبا من المتبربرين في القرون الوسطى[2]. وقد ثبت أن الدول الأوروبية في موقفها السياسي من الدولة العثمانية كانت تأخذ في حسبانها مسألة الجامعة الإسلامية وخطرها على سياستها داخل الدولة العثمانية والولايات الإسلامية الأخرى[3].

ومن النتائج التي ترتبت على سياسة الجامعة الإسلامية :

١-أدت إلى تعزيز السلطان عبد الحميد لحكمه داخل الدولة العثمانية وخارجها.

٢-إضعاف جذوة المسألة الشرقية المتمثلة بتهديدات أوروبا بتقسيم أملاك الدولة العثمانية.

٣-إضعاف موقف المعارضة السياسية لكثير من الوقت، كونها أنهت العديد من الذرائع التي تذرعت بها لفترة طويلة.

٤-أن الدين هو وسيلة تهذيب سياسي واجتماعي وخلقي لدى المسلمين .

٥-أثبتت هذه السياسة أنها عامل وحدة بين فئات المجتمع الإسلامي وعامل تجمع سياسي وديني.

٦-أن الدولة العثمانية مؤهلة أكثر من غيرها لقيادة العالم الإسلامي .

٧-أن الدولة العثمانية صالحة لأن تكون موطن الخلافة الإسلامية.

٨-قدرة هذه السياسة على إيجاد نوع من التوازن بين الدولة العثمانية وأوروبا.

ورغم ما حققه السلطان عبد الحميد من توحيد كلمة المسلمين تحت اسم الجامعة الإسلامية ، إلا انه فشل في التخلص من الاحتلال الأوروبي لأجزاء من دولته ، أو مساعدة الشعوب الإسلامية خارج الدولة العثمانية من التخلص من الاحتلال الأوروبي لها ، ويمكن القول أن السلطان عبد الحميد فشل إلى حد ما في جني ثمار الجامعة الإسلامية.

---

(١) أوكه . *جاسوس* ، ص١٣٢.

(٢) حسن . *جمال الدين* ، ص ٦٥ .

(٣) محسن عبد الحميد . *جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه* ، (ط ٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة للنشر ، ١٩٨٥)، ص ١٣٥ .

٣- حروب الدولة العثمانية.

خاضت الدولة العثمانية العديد من الحروب في بداية عهدها لأنها بالأساس كانت دولة عسكرية من الدرجة الأولى، والتي غالبا ما كانت هي الطرف المنتصر فيها، لكن هذه الأمور اختلفت كليا في النصف الثاني من حياتها، حيث تعرضت الدولة للعديد من الحروب كانت هي في الغالب الجانب الخاسر. وفي عهد السلطان 'عبد الحميد' استمرت هذه الحروب ، وكان أهمها الحرب الروسية العثمانية .

الحرب الروسية العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨).

كانت روسيا دائما تسعى للوصول الى المياه الدافئة ، حيث ظلت تشعر بإهانة إغلاق المضائق ، ومع ذلك فان موقفها سيكون أسوأ ، فيما لو فتحت المضائق ، وهم بدون أسطول في البحر الأسود ، في الوقت الذي ظلت النمسا تعتمد على الملاحة على نهر الدانوب ، باعتباره أهم حلقة وصل مع العالم الخارجي ، كما ظل الإنجليز بحاجة للدولة العثمانية كحاجز محايد ، لضمان شرق البحر المتوسط ، والشرق الأدنى ، واحتاجوا إليه اكثر من السابق منذ افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ، في حين ظل الفرنسيون والألمان مولين أساسيين للدولة العثمانية[١] .ولقد كانت 'روسيا' في عهد السلطان 'عبد الحميد' تتذرع بالدين والعنصر الأرثوذكسي في الشرق، والصقالبة في البلقان من أجل التدخل في شؤون الدولة العثمانية .

والحرب الروسية العثمانية لم تنشأ بشكل عفوي شأنها في ذلك شأن بقية الحروب الأخرى، ذلك أن 'روسيا' كانت تعمل على إثارة القلاقل ، والفتن داخل الدولة العثمانية ، بتحريض الأقليات العرقية و المذهبية ، واستخدمت لذلك الصحف لإثارة الخواطر[٢]. وفي سنة ١٨٧٥ هاجت الخواطر في 'البوسنة والهرسك' بناء على تحريض جيرانها 'الصرب' و 'الجبل الأسود' اللذين تدعمهما 'روسيا' ، طلبا للاستقلال الإداري ، وربما كانت 'النمسا' لها يدا في ذلك كون أنظارها تتجه لضم إمارتي 'البوسنة والهرسك' المطالبتين بمظاهر استقلالية ، ولما رفض الباب العالي مطالبهم، اظهر هؤلاء العصيان ، واشهروا السلاح ضد عساكر الدولة ، فصدرت الإرادة للقضاء على تمردهم ، الأمر الذي أثار غضب أوروبا المسيحية[٣].

كانت جميع الحركات التي تقوم بها الأقليات، تدعمها 'روسيا' بشكل مباشر، حيث أرادت من خلال ذلك تقويض الدولة العثمانية دون تدخل عسكري مباشر منها، إلا أن هذه المحاولات كانت تبوء بالفشل، لذلك فان 'روسيا' عزمت على إعلان الحرب مستغلة أي حدث جديد من اجل هذا الهدف، ولقد صادف في

---

[١] A.J.P. Taylor . *The Straggle for Mastery in Europe, 1848-1918* (Oxford: At the Clarendon press, 1957) P.228.

[٢] مدحت باشا . *مذكرات*، ص ٢٢ .

[٣] كارلتون هيز . *التاريخ الأوروبي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤* ، ترجمة ، فاضل حسين ، (الموصل: جامعة الموصل ، ١٩٨٧) ، ص ٤١٠ ؛ انظر - صائب . عبد *الحميدك*، ص ١٧ .

ذلك الوقت خطف فتاة بلغارية أعلنت إسلامها ، الأمر الذي أثار مشاعر المسلمين ، حيث قتل كل من قنصلي 'فرنسا' و'ألمانيا'، لتواتر الإشاعة ان الفتاة تم إخفاؤها في بيت قنصل 'ألمانيا' ، الأمر الذي دعا أوروبا لتبادل المخابرات، حيث اجتمع كل من البرنس 'غورشاكوف' رئيس وزراء 'روسيا' ، والكونت 'اندراسي' (Count Andrassy)[1] رئيس وزراء 'النمسا' مع 'بسمارك' ، لإيجاد سبب للتدخل، وقاموا بتحرير لائحة للسلطان سميت بـ'لائحة برلين' وهي مذكرة لاصلاح أحوال المسيحية في الولايات العثمانية ، خصوصا فيما يتعلق بالعصابات العرقية والمذهبية ، وإلا فان الدول الأوروبية ستتدخل إذا لم تصل الحكومة العثمانية لهدنة معهم خلال شهرين أو ستة أسابيع[2] .

مؤتمر الآستانة .

في ٥ تشرين أول ١٨٧٦ عرض وزير خارجية إنجلترا على باقي الدول التي تدعي حق التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ، عقد مؤتمر في العاصمة استانبول (الآستانة) لتسوية حالة مسيحيي الدولة لمنع حرب محتملة بين الدولة العثمانية وروسيا التي تؤكد على حقها في حماية المسيحيين داخل الدولة العثمانية، حيث كانت روسيا في حالة إعداد وتجهيز لجيوشها استعدادا للحرب .

ولقد تم عقد اجتماعات ابتدائية من ١١-١٧ كانون أول في سفارة 'روسيا' ، ولم يتم قبول الدولة العثمانية في هذه الاجتماعات ، مما يدل على تحيز واضح من قبل دول أوروبا لصالح 'روسيا'[3] مؤكدين على ما جاءت به 'لائحة برلين' ، ومؤكدين على الدولة العثمانية ضرورة القبول لكثير من الالتزامات المخلة بسيادتها .

وفي ٢٣ كانون أول ١٨٧٦ ، اجتمع المؤتمر في 'استانبول' بصفة رسمية في سراي البحرية تحت رئاسة 'صفوت باشا' ناظر خارجية الدولة ، حيث انتخب رئيسا للمؤتمر ، واشتراك العديد من ممثلي الدول الأوروبية [4]،وعقدت ٩ جلسات من ٢٣ كانون أول ١٨٧٦ وحتى ٢٠ كانون ثاني ١٨٧٧ ، بينما كان عصيان 'البوسنة والهرسك والاضطرابات في جزيرة 'كريت' مستمرة[5].

---

(١) الكونت اندراسي: هو سياسي مجري شهير ، ولد سنة ١٨٢٣ ، تربى في مدرسة بودابست ، واشتغل بالسياسة ، وفي سنة ١٨٤٨ كان من أهم دعاة الثورة ، وساعد المسيو 'كسوت' على طلب الحرية ، والمحاربة للحصول عليها ، واثناء الثورة سافر الى استانبول للحصول على المساعدة كذلك فعل في إنجلترا ، وهناك وصله خبر الحكم عليه بالإعدام لكنه عاد فيما بعد ، بعد صدور العفو بحقه ١٨٥٩ ، حيث اشغل عدة مناصب هامة ، وتوفي سنة ١٨٩٠ - المحامي. *تاريخ* ، ص ٦١٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦١٥-٦١٦ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٦١٦-٦١٧ ؛ أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٠١.

(٥) أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٠١.

واثناء انعقاد المؤتمر أطلقت المدافع من جميع القلاع ، والمراكب إيذانا بإعلان القانون الأساسي (الدستور) الذي ساوى بين جميع الرعايا في الدولة العثمانية ، الأمر الذي أثار ارتباكا لدى مبعوثي الدول، وكانت النتيجة النهائية لهذا المؤتمر هو الفشل ، حيث غادر مندوبي الدول العاصمة ، وبذلك أخذت 'روسيا' تستعد فعليا للحرب[١].في الوقت الذي شكل 'مدحت باشا' في الباب العالي مجلسا فوق العادة يتألف من ٢٤٠ شخصا ،٦٠ منهم مسيحيون ،دعا فيه الى الحرب وهاجم الذين لا يصوتون لها، واتهمهم بأنهم غير محبين لوطنهم ، بل واتهمهم بالخيانة، وقام فيما بعد بتوزيع النقود على طلاب المدارس الدينية، وقاد المظاهرات المطالبة بالحرب حتى قصر السلطان. ولم تكن الصحافة أقل تحريضا ،حيث طالبوا برفض مؤتمر الأستانة، وأي قرارات صدرت عنه[٢].

إعلان الحرب .

في ٢٤ نيسان ١٨٧٧ أرسل الى 'توفيق باشا' المكلف بمصالح الباب العالي لدى 'روسيا' كتابا من 'غورشاكوف' رئيس وزراء روسيا ، يقول فيه: ان الإمبراطور الروسي مضطر للاعتماد على القوة العسكرية لتنفيذ مطالب 'روسيا' والمحافظة على أمنها، ومن وقتها تعتبر 'روسيا' نفسها في حالة حرب مع الدولة العثمانية، كما عمدت 'روسيا' إلى منح موظفيها جوازات السفر اللازمة كعلامة على قطع العلاقات الدبلوماسية بسبب الحرب [٣] .

كان الروس يأملون نصرا سريعا نظرا لما كان عليه الجيش العثماني من تجهيز سيئ ، وعدم كفاية التموين ، والخدمات الصحية[٤] ، لكن الحرب شهدت عدة جبهات ، كان اشهرها معركة 'بلفنة' [٥] حيث هزمت القوات الروسية هزيمة ساحقة في بداية المعارك حتى سقوطها ، كذلك جبهات 'الأناضول' ، حيث تمت محاصرة مدينة 'قارص' [٦] لمرتين، ومن ثم فتحها عنوة في ١٨ تشرين ثاني ١٨٧٧ ، وبسقوط مدينة 'قارص' الهامة أيقن 'الصرب' أن النصر حليف القوات الروسية ، لذلك أعلنوا الحرب على الدولة العثمانية ، في نفس الوقت الذي استطاعت القوات الروسية محاصرة العاصمة 'إستانبول' [٧].

---

(١) المحامي . *تاريخ* ، ص ٦١٧ .

(٢) أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٠٢-١٠٣.

(٣) المحامي ، *تاريخ* ، ص ٦٢٧ ؛ أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٠٦.

(٤) نور الدين حاطوم . *تاريخ القرن التاسع عشر في اوروبه والعالم* ، (ط ١ ، دمشق : دار الفكر ، ١٩٩٥) ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ .

(٥) بلفنة . Plevne تقع اليوم في شمال بلاد بلغاريا بالقرب من الحدود الرومانية ، والى الشمال الشرقي من صوفيا .

(٦) قارص. Kars شمال شرق الأناضول .

(٧) أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١١٥ ؛ المحامي . *تاريخ* ، ص ٦٢٩ - ٦٤٠ .

هدنة أدرنة .

تركت الدولة العثمانية وحدها تواجه مصيرها ، ورأى السلطان 'عبد الحميد' أن إطالة أمد الحرب أمر لا طائل منه، لأنه سيجلب على الدولة الكوارث ، لذلك فقد طالبت الدولة العثمانية بعقد هدنة عسكرية في ١٩ كانون ثاني ١٨٧٨ [١] ، واشترطت 'روسيا' لعقد هذه الهدنة ان تشتمل على مبادئ أساسية منها استقلال 'الصرب' و'رومانيا' و'الجبل الأسود' ، وتنازل الدولة لهذه المناطق على بعض الأراضي، وتمنح 'بلغاريا' استقلالا ذاتيا، وجعل الإدارة في 'البوسنة والهرسك' مستقلة، وتقرير غرامة حربية تدفعها الدولة لروسيا ، فوافقت الدولة ،وعقدت الهدنة في ٣٠ كانون ثاني ، وعلى هذا الأساس وضعت الحرب أوزارها بعد قتال استمر تسعة اشهر [٢] .

معاهدة سان استيفانو[٣] آذار ١٨٧٨.

عقدت في ١٢ آذار ١٨٧٨ معاهدة 'سان استيفانو' كامتداد لهدنة 'أدرنة' ، وكانت هذه المعاهدة التي لم تطبق تتكون من ٢٩ بندا ، وذلك بعد عدة اجتماعات ، وأنذرت الدولة العثمانية ضرورة الموافقة على الشروط المعروضة ، قبل اليوم الثالث من شهر آذار ١٨٧٨ لأن هذا اليوم يوافق عيد القيصر الروسي ، والا فإن هدنة ادرنة تعتبر لاغية ، ويحتل الجيش الروسي العاصمة 'استانبول'[٤] .

كانت هذه التهديدات ملزمة للدولة العثمانية ، لذلك فقد وافقت على معاهدة 'سان استيفانو' ، وكان أهم بنودها ان توسع حدود 'بلغاريا' ، ومنحها الاستقلال ، كما منح الاستقلال لامارة 'الصرب' و'الجبل الأسود' مع زيادة مساحتهما ، وحصلت 'رومانيا' على الاستقلال وزيادة مساحتها هي الأخرى ، كما وسعت روسيا مساحة أراضيها على حساب الأراضي العثمانية التي تحت يديها[٥] بالإضافة الى غرامة حربية مقدارها "١,٤١٠,٠٠٠,٠٠٠" روبل أي "٢٤٥,٢١٧,٣٩١" ليرة عثمانية[٦]. وتعتبر هذه المعاهدة من اكثر المعاهدات ضررا بالدولة العثمانية، كما تعتبر في القانون الدولي من أنواع المعاهدات غير المتكافئة أملتها دولة منتصرة على دولة منهزمة. لقد كانت هزيمة الدولة هزيمة عسكرية لها خسائرها السياسية والمالية والمعنوية على الدولة العثمانية في علاقتها بالدول الأوروبية[٧].

---

(١) محمد علي . *السلطان* ، ص ١٣٥ .

(٢) الشناوي . *الدولة* ، ج ٢ ، ص ١٠٨٧ .

(٣) سان استيفانو . هي قرية صغيرة على بحر مرمرة تبعد ١٠ اميال عن استانبول .

(٤) المرجع نفسه، ص ١٠٩٠ .

(٥) أوزتونا. *تاريخ* ، ج٢، ص١٢١-١٢٢ ؛ محمد علي . *السلطان* ، ص ١٣٩ ؛ انظر – بيرى اندرسون . *دولة الشرق الاستبدادية* ، ترجمة، بديع عمر نظمي ، (ط ١ ، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٣)، ص ٦١ .

(٦) انظر بنود اتفاقية سان استيفانو في – المحامي . *تاريخ* ، ص ٦٥٢-٦٦٤ .

(٧) الشناوي . *الدولة* ، ج٢، ص ١٠٩١ .

مؤتمر برلين .

كانت 'إنجلترا' اكثر الدول تخوفا ورفضا لنتائج معاهدة 'سان استيفانو' ، لا حفاظا على سيادة الدولة العثمانية ، ووحدة أراضيها ، بل خوفا من أطماع 'روسيا' ، التي تزداد وتهدد نفوذ المستعمرات البريطانية في 'الهند'، لذلك رأت 'إنجلترا' ضرورة تعديل هذه المعاهدة رغما عن 'روسيا' ، لتظهر أمام الهنود بمظهر القوة والبأس ، ونفوذ الكلمة ، لا سيما وان سلطتها على بلاد 'الهند' مبنية على الوهم اكثر من قوة السلاح[1].

كما كانت الإمبراطورية النمساوية معارضة لمعاهدة 'سان استيفانو' لأنها لم تحقق لها رغبتها في ضم ولايتي 'البوسنة والهرسك'[2] في حين ظلت 'فرنسا' على الحياد[3]. لذلك تم التدخل الأوروبي وعلى رأسهم 'إنجلترا' لتعديل معاهدة 'سان استيفانو' وعدم إبقاء الاحداث محصورة بين القيصر والسلطان ، وقد رحب 'بسمارك' بذلك معلنا بأنه سيكون وسيطا أمينا ، لذلك دعا الدول الأوروبية لعقد المؤتمر المقترح في برلين ، الأمر الذي اغضب القيصر الروسي ،لأنه يعلم علم اليقين ان مؤتمرا كهذا يحتمل ان يجرد 'روسيا' من كثير مما حصلت عليه في معاهدة 'سان استيفانو' ، لكن 'إنجلترا' الغاضبة قامت بالتهديد بشن الحرب ضد 'روسيا' فيما لو رفضت عقد مؤتمر 'برلين' ، وقامت بمظاهرة للأسطول الإنجليزي في المياه العثمانية لاقناع 'روسيا' بالمساهمة في المؤتمر[4].

أخيرا وافقت 'روسيا' على المشاركة في هذا المؤتمر ، حيث اجتمع في ١٣ حزيران ١٨٧٨ برئاسة 'بسمارك' ،فكان قبول الدول الكبرى للاجتماع في 'برلين' هو اعتراف ضمني بالمركز السياسي الممتاز الذي أصبحت تشغله 'المانيا' و على رأسها 'بسمارك' ، المتفوق على رجال السياسة المعاصرين له [5].

واستمر مؤتمر 'برلين' ٣١ يوما، وصيغت قراراته في ٦٤ مادة ، كان أهم بنود هذه القرارات التي وقعت يوم ٣١ تموز ١٨٧٨ ما يلي :-

١- أعيدت 'مكدونية' الى الدولة العثمانية بعد ان ضمت الى 'بلغاريا في معاهدة 'سان استيفانو' .
٢- قسمت 'بلغاريا' الى قسمين ، القسم الشمالي (بلغاريا الأصلية) وجعلها أمارة ذات استقلال ذاتي على ان تدفع ضريبة سنوية للباب العالي . أما القسم الجنوبي ، فقد جعلت إمارة مستقلة تحت اسم 'الروملي الشرقية' على ان يكون حاكمها مسيحيا تحت سيادة الباب العالي .
٣- ضمت 'البوسنة والهرسك' و'يني بازار' الى 'النمسا' .

---

(١) المحامي . *تاريخ* ، ص ٦٦٥ .

(٢) الشناوي . *الدولة* ، ج ٢ ، ص ١٠٩٦-١٠٩٩ .

(٣) المحامي . *تاريخ* ، ص٦٦٠ .

(٤) هيز . *التاريخ* ، ص ٤٠٣ .

(٥) أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٢١-١٢٣ ؛ الشناوي . *الدولة* ،ج٢ ،ص١١٠٠.

٤- منحت 'رومانيا' و'الصرب' و'الجبل الأسود' الاستقلال .

٥- نصت المعاهدة على إجراء الإصلاحات في المنطقة الشرقية من 'الأناضول' التي كانت تسكنها الأقلية الأرمنية .

٦- خفضت الغرامات الحربية المفروضة على الدولة العثمانية الى ٨٠٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك على ان تدفع على أقساط ، وكل قسط بمقدار ٣٥٠,٠٠٠ ، وفيما بعد نجح السلطان 'عبد الحميد' في تجميد العديد من بنود هذه المعاهدة[1] ولقد عقب 'غورشاكوف' بأن 'روسيا' خسرت مائة ألف جندي، ومليون روبل، دون أي مقابل[2].

كان لهذه الحرب الآثار الكبيرة على جميع الأصعدة سواء كانت سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو اجتماعية ، أثرت على كثير من القرارات الداخلية والخارجية للدولة العثمانية فيما بعد. كما كان لهذه الحرب آثارها على المستوى الدولي بالنسبة لموقفها من الدولة العثمانية ،حيث انتهجت هذه الدول 'سياسة التعويض' (Compensation Policy) ، و'سياسة المصالحة' (Conciliation Policy) ،على حساب الدولة العثمانية في مؤتمر 'برلين' عام ١٨٧٨، حيث بسطت 'إنجلترا' سيطرتها على 'قبرص' وبسطت 'فرنسا' حمايتها على 'تونس' سنة ١٨٨١، واحتلت 'إنجلترا' 'مصر' عام ١٨٨٢، ومن ثم إقامة حكم ثنائي (Condominium) بريطاني مصري في 'السودان' عام ١٨٩٩، وكان هذا الحكم في لحمته يعتبر إستئثارا بريطانيا بحكم 'السودان'[3] .

الحرب اليونانية العثمانية ١٨٩٧ .

كانت هذه الحرب هي الثانية في عهد السلطان 'عبد الحميد' ، وكان من أسباب هذه الحرب ان جزيرة 'كريت' كانت قد حصلت على بعض الامتيازات الخاصة ، بحيث اصبح نصف عدد المتصرفين و القائمقاميين من المسيحيين ، كما كان للوالي معاونان ، واحد مسلم وآخر مسيحي ، وكان لها مجلس إدارة يشكل المسيحيون فيه الأكثرية ، لذا فان المشاكل بين الوالي وهذا المجلس لا تكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد[4] .

بدأت القلاقل في هذه الجزيرة بعد أن طالب مسيحيوها ان يتولى مسيحي ولاية الجزيرة ، ولما استجاب السلطان ثار المسلمون على هذا التعيين ، وبدأت الصدامات ، حيث تدخلت 'اليونان' بإمداد مسيحيي الجزيرة بالعدة والعتاد والرجال ، بل تعدى الأمر الى إرسال أسطولها، وانزال جنودها في

---

(١) محمد علي. *السلطان*، ص١٤٢-١٤٤؛ أنظربنود معاهدة برلين في - المحامي. *تاريخ*، ص٦٩٦-٦٩٩.

(٢) باتريك. *سلاطين*، ص٩٣

(٣) الشناوي . *الدولة* ،ج٢ ،ص٩٥٨-٩٥٩.

(٤) محمد علي. *السلطان*، ص٢٢٠.

الجزيرة حيث أراقوا دماء المسلمين ، معربة عن تحديها للدولة العثمانية والدول الأوروبية التي طالبت 'اليونان' بسحب جيوشها خلال ستة أيام مؤكدة لها عدم رغبة أوروبا في ضم الجزيرة الى 'اليونان'[١] .

لم تكتف 'اليونان' بالتدخل في الجزيرة ، بل بدأت بالهجوم على حدود الدولة العثمانية ، وفي يوم الجمعة ٩ نيسان ١٨٩٧ بدأ الجيش اليوناني بتدمير بعض المخافر العثمانية ، وتكرر الهجوم واستخدمت اليونان مدافعها ، واحتلت جميع المخافر العثمانية على الحدود ، في الوقت نفسه الذي كان السلطان 'عبد الحميد' يراقب بشدة ما يجري بهدوء وصبر ويترك 'اليونان' للانقياد اكثر الى ابعد قدر ممكن ، وكان يخبر الدول الأوروبية بما يجري ،ويعلمها أولا بأول عن مجريات الاحداث حتى يعزل 'اليونان' ويظهرها بمظهر المعتدي على أراضي الغير[٢] .

وعلى الأثر قام السلطان 'عبد الحميد' بجمع وزرائه ، وحضر هو على رأسهم ، وسأل ناظر الحربية عما تحتاجه الحرب من اموال، وطلب من وزير المالية افتتاح اعتمادا بنصف مليون من خزينته الخاصة ، ثم أعلن الحرب رسميا على 'اليونان'[٣]،بعد أن كان واثقا من النصر السريع عليهم ، بناء على التقديرات ، لا سيما تقديرات ناظر الحربية[٤].

لقد استطاعت القوات العسكرية العثمانية إنزال الهزيمة الساحقة بالجيوش اليونانية، المتحصنة في المواقع العسكرية الجبلية، التي كانت 'اليونان' تعتمد عليها[٥]. وبذلك انفتحت الطريق أمام العاصمة أثينا، وعلى الأثر طلبت 'اليونان' مساعدة الدول الأوروبية للضغط على الدولة العثمانية لوقف الحرب، ولقد استجابت هذه الدول حيث أنذرت السلطان 'عبد الحميد' ضرورة إيقاف الحرب مؤكدة على المبدأ القائل "أنه حيث يدخل الصليب لا يدخل الهلال"[٦].

استجابت الدولة العثمانية لهذه الضغوط، وعقدت الاجتماعات ،حتى تم التوصل الى تسوية أهم بنودها:-

١- ان يعطى قسم من منطقة 'تساليا'[٧] للدولة العثمانية حيث كانت الدولة قد سيطرت عليها خلال الحرب.
٢- ان تدفع 'اليونان' أربعة ملايين ليرة للدولة العثمانية كتعويضات حرب ، الأمر الذي أدى الى إفلاس 'اليونان' ووضع ماليتها تحت إشراف دولي.
٣- ان تقدم 'اليونان' مائة ألف ليرة ذهبية للمتضررين من رعايا الدولة العثمانية أثناء الحرب .

---

(١) محمد علي. *السلطان*، ص٢٢٠-٢٢١.

(٢) المرجع نفسه ، ص٢٢١.

(٣) النمر. *نظرات*، ص١٩١.

(٤) محمد علي. *السلطان*، ص٢٢٢.

(٥) المرجع والصفحة نفسهما.

(٦) النمر . نظرات، ص ١٩٢.

(٧) تساليا : يقع هذا الإقليم في وسط اليونان الى الجنوب الغربي من سلانيك .

٤- ان تنهي 'اليونان' إعمال العصابات على الحدود[1]

وتعتبر هذه الشروط لصالح 'اليونان' المهزومة ، وذلك للتعاطف الذي كانت تبديه أوروبا معـها ، والتي بذلك التصرف حرمت الدولة العثمانية من جني ثمار نصرها ، إذ طبقت أوروبا مع الدولة العثمانية المقولة المشهورة: " إذا هزمت الدولة العثمانية أخذ منها الشيء الكثير ، وأما إذا انتصرت فلا تأخذ شيئا "[2]. لكن انتصار القوات العثمانية في هذه الحرب كانت له نتائج منها:

١- قدرة الدولة على الردع العسكري لأي اعتداء أوروبي خارجي على أراضيها بعد هزيمتها في الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧.

٢- تخفيف الضغط الأوروبي على الدولة العثمانية كون هذه الحرب الأخيرة كانت مفاجئة من حيث النتائج. ومدى قدرة الرجل المريض على الدفاع عن نفسه.

٣- إعادة الثقة والاعتزاز بالنفس بالنسبة لشعوب الدولة العثمانية وقدرتها على مواجهة التحديات.

٤- أدت هذه الحرب إلى إضعاف الأحزاب والجمعيات العثمانية المعارضة، التي كانت تدعي أن السلطان 'عبد الحميد' أوصل الدولة والجيش إلى حالة من الانهيار، بحيث لا تستطيع القيام بواجب الدفاع عن نفسها.

ويمكن إيجاز نتائج حروب الدولة العثمانية بما يلي :

١- إن ضعف الدولة العثمانية أدى بها إلى العديد من الهزائم التي أثرت على سياستها المالية بسبب الديون التي رصدت لسد نفقات الحرب ، وبالتالي إلى إعتماد الدولة على القروض ، مما أدى إلى زيادة وتوسع الإمتيازات الأجنبية داخل الدولة العثمانية.

٢- أدت الحروب إلى لجوء الدولة العثمانية إلى زيادة الضرائب على المواطنين، إلى جانب الضرائب الأخرى التي يؤدونها إلى الدولة، كذلك اقتطاع أجزاء من مرتبات الموظفين، وهذا أدى إلى زيادة الأعباء المالية للمواطنين، مما أدى إلى ظهور معارضة تحمل السلطان مسؤولية تدني مستوى معيشتهم.

٣- انسلاخ العديد من الولايات والمقاطعات الأوروبية عن الدولة العثمانية كنتيجة من نتائج الحروب والمعاهدات، أو بسبب تمردها وإعلان استقلالها استغلالا لدخول الدولة العثمانية في هذا الحروب.

٤- زيادة تفعيل المسألة الشرقية من قبل أوروبا خصوصا بعد الحرب مع روسيا كونها أوضحت مدى الضعف العسكري والاقتصادي للدولة العثمانية .

---

[1] النمر. *نظرات* ،ص١٩٢ ؛ أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٣٨-١٣٩ ؛ محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٢٣ .

[2] محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٢٣ .

٥- تغير سياسة القصر تجاه العديد من القضايا ؛ وخصوصا مسائل الامتيازات والأقليات والعلاقات الدولية.

٦- أجبرت هذه الحروب الدولة العثمانية – في كثير من الأحيان – على إدخال إصلاحات هي في الغالب غير مخطط لها وغير مرغوب فيها من قبل الدول الأوروبية. س

الفصل الثاني

الفصل الثاني

جمعية الاتحاد والترقي وثورة ١٩٠٨

١-نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها.

أ- جذور تركيا الفتاة (La Jaune Turquie) .

يمكن القول أن نشأة تركيا الفتاة تعتريها الكثير من الغموض وعدم الوضوح ، وكثرة الاجتهاد في مكان وتاريخ نشأتها ، إلا أن اغلب الآراء تذهب إلى أن بداية تأسيسها غير المباشر كان في عهد السلطان 'عبد العزيز' ، وذلك في 'كلية الخدمة المدنية' (Mülkiye) والكلية الحربية' (Harbiye) ، حيث دخلت المفاهيم الليبرالية[١].

ولقد كان كثير من الأتراك الشبان يستسيغ أفكار الثورة الفرنسية ، ومبادئها ،حتى أن كثيراً منهم كان يتهافت على مشاهدة الفرنسيين في استانبول، بل ان الحماسة بلغت ببعضهم إلى حد تزيين عماماتهم بشعار هذه الثورة[٢].

وكان منتصف القرن التاسع عشر قد شهد تأثراً بآداب ولغات أوروبا في التربية والتعليم ، وان كثيراً من الأتراك الشبان قد تعلموا الفرنسية لكونها لغة سياسية وقد عشقوا آدابها واستهوتهم أفكارها ، وكانت اللغة الفرنسية من اللغات المدعاة للفخر لمن يجيد كثيراً أو قليلاً منها[٣] .وكان من هؤلاء الذين ساروا على النهج الفرنسي واعجبوا بفلسفته وأدبه ' شناسي افندي' (Şinasi) الذي تعلم وتثقف في باريس، وترجم سنة ١٨٥٩ الكثير من الشعر الفرنسي إلى اللغة التركية، وانشأ في الدولة صحيفة ' تصوير أفكار' (Tasviri Efkar) [٤] ، بعد أن كان يشارك في تحرير أول صفحة تركية غير رسمية وهي صحيفة 'ترجمان أحوال ' (Tercuman-i Ahval) بعد عام ١٨٦٠، وكانت صحيفة ' تصوير أفكار' تحرر بمساعدة العديد من المثقفين ، ولقد أغلقت هذه الصحيفة أبوابها سنة ١٨٦٦ ، وقد صدر منها ما مجموعه ٨٣٠ عدد[٥] .

وقد لعب 'نامق كمال' (Namik Kemal) فيما بعد دورا كبيرا في هذه الصحيفة، وكان مع ذلك يزاول عمله كمترجم في الباب العالي ، وهنا بدأت أفكار 'نامق كمال' وآراؤه بالظهور ، وذلك عام

---

(1) Zürcher . *Turkey*, P.90 .

(٢) باسيل دقاق . *تركيا بين جبارين* ، (ط ١ ، بيروت: منشورات دار المكشوف ، ١٩٤٧) ، ص ١١ .

(٣) لبيب . *تاريخ* ، ص ٩١ .

(٤) المصدر والصفحة نفسهما ؛ انظر – موجز دائرة المعارف الإسلامية ، تحرير م.ت . هو تسما – و.ت أرنولد – ر.باسيت – ر.هارتمان ، (الشارقة : مركز الشارقة للإبداع الفني، د.تا) ج ٨ ، ص ٢٣٢٨ .

(5) Şerif Mardin. *The Genesis of Young Ottoman thought a study in the Modernization of Turkish Political Idea* (Princeton – NewYork: Princeton University Press, 1962), P.260, ؛ موجز دائرة المعارف ، ج ٨ ، ص٢٣٢٨.

١٢٧٧هـ/١٨٦١م[١] ، حيث بدأت أفكاره ومؤلفاته تتسلل إلى المشتغلين بالسياسة في المدرسة الحربية حيث كانت تقرأ خلسة ، وفي الليل حرصا من مراقبة الحكومة[٢] .

ويعتبر ' نامق كمال ' بمثابة الزعيم الروحي للشبان الأتراك ، وكان هو أول من استخدم مصطلح 'الترك ' (Turk) وذلك عندما تحدث عن إنجازات ومساهمات الأتراك في العلوم الإسلامية خلال القرون الوسطى[٣]. في الوقت الذي دخل مصطلح 'الترك ' ومشتقاته إلى المنشورات والمطبوعات العثمانية، حيث استعمل بشكل واسع في العهد الحميدي في صحيفة 'الترقي ' (Terakki) التي تأسست سنة ١٨٦٨ والتي حملت عنوان 'صحيفة تركية مخصصة للمصالح الشرقية والشؤون الدولية ' (ATurkish Newspaper Devoted to Eastern interests and International Affairs) واثنتان من أهم الصحف في العهد الحميدي 'ميزان ' (Mizan) 'واقدام' (Ikdam) اللتان ظهرتا سنة ١٨٨٦ و ١٨٩٤ على التوالي اعتبرت نفسها صحف تركية.[٤]

والى جانب 'نامق كمال' كان هناك 'مصطفى فاضل باشا '[٥]، الذي كان متأثرا ومعجبا بتنظيم 'الشبان الألمان' (Young Germany) و'الشبان الإيطاليين' (Young Italy) [٦] .

وكان 'مصطفى فاضل' قد اختلف مع السلطان 'عبد العزيز' عندما عين 'فؤاد باشا ' رئيساً لمجلس الأحكام للحكم في الخلاف بين 'مصطفى فاضل ' وأخوته على تقسيم ميراث أبيهم ، فوقع بينهم العداء الشديد، ولما تولى 'فؤاد باشا' منصب الصدارة العظمى ، عُزل 'مصطفى فاضل ' من نظارة المالية فشق عليه الأمر كثيراً [٧] .

ويُعتقد أن 'مصطفى فاضل' قام بتأسيس المجموعة الأولى للشبان الأتراك مع 'نامق كمال' و'علي سعاوى ' وغيرهم من المثقفين[٨]. وفيما بعد قام 'مصطفى فاضل' بتقديم عريضة استنكر فيها 'الاستبداد' واظهر عورات الدولة مبيناً أسباب ضعفها وانحطاطها بعبارات لم يسمع بمثلها من قبل في بلاط السلاطين لشدتها وقسوتها[٩]، وقد أدرك 'مصطفى فاضل ' عواقب عمله هذا فقام فوراً بالسفر إلى باريس

---

[١] نامق كمال بك . *عهد الفتح ، وقائع عصرين جرت بملتقى قارتين* ، ترجمة ، عبد العزيز أمين أفندي الخانجي ، (د.م : مطبعة محمود توفيق ، د.تا) ،ص ٨-٩ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ٢٨-٢٩ .

[3] Kushner. *The Rise*, P.23;. Altmur Kilic. *Turkey and the world* (Washington: Public Affairs press D.C, 1959) P.16-17 .

[4] Ibid., P. 21.

[٥]مصطفى فاضل باشا: (١٨٢٩-١٨٧٥) أخ الخديوي المصري إسماعيل.ذهب إلى استانبول بسبب خلافاته مع أخوته. من المؤسسين الأوائل لتركيا الفتاة مع شناسي ونامق كمال، والتي أصبحت فيما بعد النواة الأساسية لجمعية الاتحاد والترقي. ارنست رامزور . *تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨* ، ترجمة ، صالح احمد العلي ، (بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٠) ، ص ٤٠ .

[6] Zürcher . *The Unionist*, P. 6 .

[٧] أصاف . *تاريخ* ، ص ١٢٣ ، انظر — Mardin . *The Genesis*, P. 28 .

[8] Ibid., P. 44 .

[٩] المصدر والصفحة نفسها .

سنة ١٨٦٥ لينجو بنفسه معتقداً بان عمله هذا لن يمر دون عقاب[١] ، وهناك نبغ 'مصطفى فاضل' في الأدب والكتابة والسياسة[٢]، وكان على اتصال دائم بالشبان الأتراك .

وهناك من يرجع نشأة 'تركيا الفتاة ' إلى سنة ١٨٦٢ حينما تولى 'مصطفى فاضل' نظارة المعارف العثمانية[٣] ، وقد سمي هؤلاء بـ (جون ترك) أي 'الأتراك الشبان' أو ' تركيا الفتاة' [٤] ، كما أن آخرين يرجعون أصول هذه الحركة إلى سنة ١٨٦٥ م أو ١٨٦٨م ، وهناك من يعتبر نشأتها قبل ذلك بسنتين[٥].

ومن المؤرخين من ينكر وجود رابطة فعلية بين المنظرين الأوائل للأفكار الليبرالية وجمعية تركيا الفتاة ، حيث "أن الجمعية المسماة بتركيا الفتاة لم تكن مستندة إلى تنظيم معين أو تشكيل خاص ، فاعتباراً من ' شناسي' كانت هناك مجموعة من الشباب يعارضون سياسة الباب العالي آنذاك ، أو كانوا بالأحرى يعارضون ، وينتقدون السياسة الخارجية للدولة المتصفة بالعجز والمسكنة ، فهؤلاء الشبان كانوا يجتمعون في مطبعة جريدة 'تصوير أفكار' التي أنشأها 'شناسي' والتي خلفها لتلميذه 'نامق كمال' حيث يتبادلون الأفكار في انتقاد الحكومة، ثم أخذت تطلق صفة 'جون ترك ' على كل شخص ينتقد الحكومة ، ثم بدأوا بعقد الاجتماعات المتتالية في أماكن أخرى بصورة سرية"[٦] .

وكانت هذه المجموعة قد أسست مركزين رئيسيين لها في 'باريس ولندن' [٧] وتولى 'مصطفى فاضل' تنسيق العلاقة بينهما وبين النواة الأساسية داخل الدولة العثمانية[٨] .

وفيما بعد سعى 'نامق كمال' لتوسيع نطاق هذه الجمعية ومضاعفة نشاطها ، لكنه اعتقل لبضعة شهور هو وزملاؤه ، وضبطت بعض المستندات ، ثم أطلق سراحه بعد تدخل ناظر مدرسته الحربية 'رضا باشا'؛ الذي بذل جهداً في سبيل الإفراج عنه ، لكن استمرار 'نامق كمال' بتعاطي السياسة أدى إلى نفيه من قبل الدولة إلى الشام[٩] .

ولقد قام 'نامق كمال' بالعمل على توسيع رقعة جمعيته ، فقصد 'بيروت' و'يافا' و'القدس' بحجة القيام بتدريبات عسكرية ، وقد استطاع تأسيس فروع للجمعية في كل مدينة حل فيها ، إلا أن انتشار مبادئ الجمعية حسب رغبته في تلك المدن كان أمرا غير ممكن ، فعزم على السفر إلى 'مكدونية' حيث

---

[١] آصاف . *تاريخ* ، ص ١٢٣ .

[٢] المصدر والصفحة نفسها .

[٣] المصدر نفسه، ص١٢٤.

[٤] يكن . *المعلوم* ، ص ٨٠ .

[٥] دقاق . *تركيا* ، ص ١١ .

[٦] محمد علي . *السلطان* ، ص ٦٠ .

[٧] دقاق . *تركيا* ، ص ١١-١٢ .

[٨] نامق كمال . عهد ، ص ٣١ .

[٩] المصدر والصفحة نفسهما .

ذلك[1] لذلك فقد قام الأرض الصالحة لبذر تلك المبادئ وعلى إنباتها نباتاً حسناً ، وقام باطلاع اتباعه على نامق كمال' بشد الرحال عن طريق البحر لمكدونية ، حيث اتجه إلى 'مصر' ومنها إلى 'اليونان' ثم إلى 'سلانيك' ، وذلك رغبة منه في إخفاء أهدافه عن عيون الدولة ، وأسس هناك في مدينة 'سلانيك' فرعاً للجمعية[2] لكن هذه الطرق لم تحول دون معرفة الأجهزة الأمنية العثمانية التي كشفت أهداف هذا المخطط ، إلا أن 'نامق كمال' اثر الابتعاد إلى 'يافا' مرة أخري[3]. ولقد كانت هذه الجمعية تعتمد على السرية المطلقة ، والحذر في اختيار أعضائها ، والحذر الشديد من الوقوع فيما لا تحمد عقباه من قبل السلطات العثمانية[4] .

وفي شباط ١٨٦٧ نشرت صحيفة بلجيكية تدعى 'الشمال' (Le Nord) أنباء تتحدث على ان 'مصطفى فاضل' قد انشأ مؤسسة مصرفية داخل الدولة العثمانية ، فقام الأخير بإرسال تكذيب لهذا النبأ إلى الصحيفة ، وأشار إلى انه من أنصار ومؤيدي جمعية 'تركيا الفتاة ' وقد أعادت نشر هذا التكذيب صحيفة أخرى تدعى 'بريد الشرق' (Courrier d Orient) التي تصدر في 'بيرا'(Bira)، وهي إحدى ضواحي 'استانبول' ، وكان رئيس تحرير هذه الصحيفة على علاقة طيبة بالشبان الأتراك ، ولقد ترجم هذا الخطاب إلى اللغة التركية ، حيث ورد اسم الجمعية باسم 'يني عثمانلي لر' وتعني 'العثمانيون الجدد او الشبان '[5]وفي عام ١٨٦٧ انتقل نشاط الجمعية السياسي الفعلي إلى أوروبا لاسيما 'باريس' و'لندن' و'جنيف'[6] ولم تكن حتى هذه السنوات توجد هيئة مركزية أو مركز رسمي لهذه الجمعية ، وكان كل من يشتبه انه من المنتسبين لهذه الجمعية ينفى أو يقوم بالفرار ، فيعمل 'مصطفى فاضل' وأنصاره على استقطابهم[7] .

اقتصر نشاط هذه الجمعية تقريباً في هذه الفترة أي فترة السلطان 'عبد العزيز' على إصدار الصحف والنشرات ، فبعد صدور صحيفة 'تصوير أفكار' ظهرت صحيفة 'انقلاب' (Inkilab) وكان رئيس تحريرها أحد هؤلاء الشبان ويدعى 'احمد مختار'، حيث دعا إلى الانتقام بالثورة ، لكن الصحيفة لم تستمر بالصدور[8] وفي حوالي سنة ١٨٦٤ أنشئت في 'لندن'

---

(١) نامق كمال . عهد ، ص ٣١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١-٣٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(٤) الشناوي . *الدولة* ، ج ٢ ، ص ١٠٠٤-١٠٠٥ .

(٥) المرجع نفسه ، ج٢، ص ١٠٠٥ .

(٦) المرجع والصفحة نفسهما.

(٧) الهدى . نيويورك ، العدد ١٣١ ، السنة ١١ ، الاثنين ٢٧ تموز ١٩٠٨ ، ص ١ .

(8) M. Şükrü Hanioğlu . *The Young Turk in Opposition* (Oxford: Oxford University Press, 1995) P. 159 .

أول مجلة لجمعية تركيا الفتاة سميت 'حرية' (حريت – Hürriyet) وكانت تحت إشراف أحد أعضائـــها ويدعى 'رفعت بك'(١) .

كانت هذه الصحف والمجلات التي تصدر في الدول الأوروبية تلاقي صعوبات جمة في دخولـــها إلى الدولة العثمانية ، بسبب ما تفرضه الشرطة العثمانية من رقابة ، فتم إيجاد طريقة مضمونة وهـــي أن تصل هذه الصحف والمجلات عن طريق مكاتب بريد وزارة الخارجية للدول الأوروبية والقنوات التجارية المختلفة ، ولقد سهلت حكومات هذه الدول هذه المهمة(٢). ويقول في ذلك السلطان 'عبد الحميد' : "بـــدأت هذه المشكلة عندما سمح أسلافي للفرنسيين بنقل رسائلهم بأجهزتهم ووسائلهم الخاصة، ثم تطـــور الأمـــر فافتتحت الدول الأجنبية مراكز بريد تابعة لها ، ففوتت على الخزينة مورداً سنوياً ضخماً كما أخلت بسيادة الدولة العثمانية"(٣).

ويمكن إجمال نشاط تلك الحقبة بأنه كان يفتقر إلى التنظيم والدقة والخبرة والتنسيق ولـــم تـــأخذ الصبغة السياسية بالمعنى الشامل ، بل كانت مجرد بداية للعمل، وتشجيع للآخرين الذين تأثروا بـــالغرب ، وغالبا ما اقتصرت هذه الفترة على إصدار الصحف والمجلات والنشرات.

ب- نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها.

يمكن القول أن محاولات 'الشبان الأتراك' أو 'تركيا الفتاة' التي كان قادتـــها ومنظريـــها الأوائـــل 'شناسي' 'ونامق كمال' و'مصطفى فاضل' وغيرهم إنما كانت البداية الحقيقية أو المرحلة الأولي في حيـــاة الجمعيات السرية السياسية داخل الدولة العثمانية .

ولقد ظلت هذه الجمعية تعمل على البقاء في عهد السلطان 'عبد العزيز' حيث لم تجـــد المقاومـــة الكافية من جانبه ، لكن الأمر اختلف كليا منذ تولي السلطان 'عبد الحميد' مقاليد الأمور ، وخصوصا بعـــد الغاء الدستور "حيث انصدع شملهم ، ولم يبق منهم إلا من غلب عليه الخـــوف ،فـــآثر الســـكوت علـــى مضض، أو فتنه المال فاختار النفاق"(٤) .

لم تقف الأمور عند هذا الحد إذ سرعان ما نشط هؤلاء الشبان من جديد بعد مرور حوالي عقد من الزمان على محاولة 'علي سعاوي' لاعادة السلطان المخلوع 'مراد الخامس' ، وكانت هذه المـــرة مختلفـــة

(١) رامزور . تركية ، ص ٤٠ ؛ احمد نوري النعيمي. *الحياة السياسية في الدولة العثمانية* ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٩٠) ، ص ٧٣ .

(2) Zürcher. *The Unionist*, P. 7. انظر صورة عن هذه الرسائل في الملحق رقم١ .

(٣) عبد الحميد الثاني . *مذكراتي*، ص ٩٨.

(٤) يكن . *المعلوم* ، ص ٤٢ .

تماماً عن البداية أو البدايات الأولى ، حيث انتقلت أفكار الحرية والدستور والحياة البرلمانية وغيرها من الأفكار إلى الأجيال الجديدة في الكليات التخصصية في العاصمة ، ومن اهم هذه الكليات ، 'كلية الخدمة المدنية' (Mülkiye) و'الكلية الحربية' (Harbiye) و'الكلية البحرية' (Bahriye) و'الكلية الطبية العسكرية ' التي شهدت توسعاً في عهد السلطان 'عبد الحميد' ، إلى أن اصبح مجموع هذه الكليات مع نهاية القرن التاسع عشر مالا يقل عن ثمانية عشر كلية[١].

وتذهب اغلب الآراء إلى أن تأسيس جمعية الاتحاد والترقي إنما كان على يد 'إبراهيم تيمو'[٢] (Ibrahim Temo) الذي انتقل إلى المدرسة الطبية العسكرية ، وهناك ابتدأ مشواره بقراءة المؤلفات السياسية ، حيث تعرف خلال هذه المدة وفي نفس المدرسة على 'اسحق سكوتي دياربكري' (Ishak Süküti) الذي بقي حتى وفاته اقرب الأصدقاء المخلصين لإبراهيم تيمو ، بالإضافة إلى آخرين ممن كان لهم يداً في تأسيس جمعية الاتحاد والترقي[٣] ، وقام ' تيمو' بمساعدة زملائه هؤلاء بمطالعة المؤلفات السياسية التي كانت في اغلبها تعبر عن الأفكار الغربية ومنها كتب 'شناسي' و'نامق كمال'، كما أنه درس وتعمق في اللغة الفرنسية[٤] ، وفي عام ١٨٨٨-١٨٨٩ تخرج 'إبراهيم تيمو' من المدرسة الإعدادية الطبية ، فالتحق 'بالكلية الطبية العسكرية' التي كانت نموذجا للكليات الأوروبية[٥]. وهناك قضى 'إبراهيم تيمو' سنوات في هذه الكلية مما مكنه من إيجاد الفرصة المناسبة للتعرف على أنصار أفكاره ، وفيما بعد بادر في أيار ١٨٨٩ مع أربعة من طلاب هذه الكلية إلى تأسيس جمعية سرية ، وهؤلاء هم 'اسحق سكوتي'و'عبد الله جودت'[٦] و'محمد رشيد الجركسي' و'حسين زادة علي'، ولقد سميت

---

[١] Zürcher . *The Unionist*, P.12 .

[٢] إبراهيم تيمو: الباني الأصل ، ولد في مارس ١٨٦٥ في بلدة ستروغا Struga التي تقع في أقصى جنوب يوغسلافيا سابقاً، وهناك من يقول انه ولد في بلدة اوهريد Ohrid ، وكان والده يدعى مراد بن مصطفى ، ويعود بأصله إلى منطقة مات mat في ألبانيا ، ولقد انتقلت أسرته من بلدة مات إلى ستروغا المجاورة ، حيث أنهى إبراهيم تيمو دراسته في المدرسة الابتدائية بالإضافة إلى صفين من المدرسة الإعدادية (الرشدية) في ستروغا ثم غادر إلى استانبول ، ولقد تمكن بمساعدة إسماعيل طوبطاني I. Tobtani ووحيد بلوشميا Bloshmia وهما من أصدقاء والده من الوصول إلى أستاذ الجيولوجيا ، إبراهيم باشا وهو أيضا ألباني الأصل ، حيث قام الأخير بتسجيل إبراهيم تيمو في المدرسة الإعدادية الطبية . انظر- كلشي . *الوجه* ، ص ٢٠-٢٢ .

[٣] المصدر نفسه ، ، ص ٢١ .

[٤] كلشي . *الوجه* ، ص ٢١

[٥] المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

[٦] عبد الله جودت . تخرج من المدرسة الطبية سنة ١٨٩٤ ، ثم بادر إلى نشر كتب طبية أكسبته بعض الشهرة في ذلك الميدان ، كما اصبح معروفا كمترجم ، اذ دأب على ترجمة الكتب إلى التركية من الآداب الفرنسية والإيطالية والإنجليزية والألمانية والفارسية ، ومن اعظم إسهاماته ترجمته لعدة روايات لشكسبير إلى اللغة التركية . انظر- رامزور . تركية ، ص ٥٣ .

جمعيتهم باسم 'جمعية الاتحاد والترقي' (Ittihad ve Terakki Cemiyeti) [١].

سرعان ما اصبح هؤلاء الأربعة النواة الأولى والصلبة في هذه الجمعية السرية ، وربما يرجع السبب في خروج هذه الجمعية من المدارس والكليات الحربية ، إلى القطار الذي كان يأتي من 'باريس' إلى محطة 'سيركجي' (Sirkeciye) والتي تقع قرب المدرسة العسكرية ، حيث كانت الأفكار الغربية تصل للطلاب بشكل مباشر بسبب الاحتكاك بالأجانب ووصول الصحف والمجلات الغربية إليهم [٢] .

وبعد شهرين من تاريخ تأسيس هذه الجمعية بادر 'ابرهيم تيمو' لعقد اجتماع سري خارج مدينة 'استانبول' في قهوة يملكها ألباني مناصر لهم يدعى 'علوش آغا' ، وشارك في هذا الاجتماع اثنا عشر عضواً ، كان من بينهم 'عبد الله جودت' [٣] الذي كانت علاقته مع الحكومة تأخذ طابع الملاينة أحيانا وطابع العنف أحيانا أخرى[٤]، ولقد اشتهر على 'عبد الله جودت' إلحاده وعداوته الشديدة للإسلام[٥].

ولقد تم الاختلاف في الاجتماع الأول لهذه الجمعية في وجهات النظر حول قبول الأعضاء في الجمعية ، إذ طالب البعض بان يقتصر الأمر على الأعضاء المسلمين ، وفي النهاية تم الاتفاق بالإجماع على رأي 'إبراهيم تيمو' بان يكون القبول لكل عثماني بقطع النظر عن دينه أو قوميته ، وتم في هذا الاجتماع انتخاب 'علي رشدي هرسكلي' لمنصب رئيس الجمعية كونه اكبر الأعضاء سناً ، كما انتخب 'شرف الدين مغمومي' (Şerafeddin Mağmumi) أمينا للسر و'اصاف درويش' أمينا للصندوق ، أما 'إبراهيم تيمو' فلم ينتخب لإحدى هذه الوظائف ، أو ربما لم يرشح نفسه لأي منها ، أما الاجتماع الثاني لهذه الجمعية فلم يشارك فيه 'إبراهيم تيمو' واسحق سكوتي وذلك لأسباب أمنية ، ولقد تقرر التوسع

---

(1) Ahamet Bedevi Kuran. *Inkilâp Hareketleri ve Milli Mücadele* (Istanbul: Baha Matbaasi, 1956) P.

تذكر العديد من المصادر والمراجع ان الجمعية التي أسسها إبراهيم تيمو وزملائه كان اسمها جمعية الاتحاد العثماني (Ottoman Unity Society) Ittihadi Osmanli Cemiyeti

انظر - Zürcher. *Turkey*, P.91.

Zürcher. *The Unionist*, P. 13 .

Swallow. *The SickMan*, P. 87 .

(2) Sina Akşin . *Jön Türk Hareketinin Dönemlendirilmesi, VII Türk Tarih Kongresi, Kongreye sunulan bildiriler* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi 1988), III Cit, P. 1789.

(٣) كلشي. *الوجه* ، ص ٢٣.

(4) Metin Haper – Ayşe Öncu and, Heinz kramer. *Turkey and The West, Changing Political ond cultural Identities* (London- New York : I.B. Tauris & co. L.T.D, 1993), P. 125.

(٥) محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٧٩ .

وتأسيس خلايا ومجموعات منفصلة. بذلك بدأت الجمعية بالانتشار التدريجي في استانبول وخاصة بين الطلاب الضباط في مختلف المدارس والكليات الطبية والعسكرية[1] .

ولقد كانت هذه الاجتماعات تعقد بسرية تامة على طريقة 'الكاربوناري'[2](Carbonari) الإيطالية التي بدأ أثرها واضحاً في هذه الجمعية والتي كان إبراهيم تيمو معجباً بها[3] .

وبعد الاجتماع الثاني أراد 'إبراهيم تيمو' الذهاب إلى 'ستروغا ' و 'اوهريد' مسقط رأسه في العطلة الصيفية لتأسيس خلايا جديدة لجمعيته ، إلا انه سرعان ما اعتقل ، ونقل تحت الحراسة إلى استانبول ، وتم التحقيق معه لأسابيع ، ثم أطلق سراحه لقلة الأدلة[4] .

وفي عام ١٨٩٣ تخرج 'إبراهيم تيمو' كطبيب ، وحصل على رتبة ضابط، حيث تدرب في عدة مستشفيات وخلالها كان يمارس عمله الدعائي والسياسي في الليل ، وعندما ضرب زلزال العاصمة 'استانبول' في ١٠ تموز ١٨٩٤ كتب 'إبراهيم تيمو' قصيدة يقارن فيها بين زلزال 'استانبول' والزلزال السياسي الذي سيضرب النظام ، ولقد انتشرت هذه الأبيات بين صفوف الطلاب ، مما أدى إلى اعتقال 'إبراهيم تيمو' مرة أخرى ، ثم أطلق سراحه بعد فترة وجيزة[5] .

لقد ازداد النشاط الاتحادي بشكل كبير في هذه السنوات، كما زادت في الوقت نفسه رقابة الأجهزة الامنية على هذه النشاطات ، واعتقل 'تيمو' لمرات عديدة ، لكنه كما في السابق أطلق سراحه[6].

وحتى تلك الفترة لم تكن جمعية الاتحاد والترقي من القوة واثبات الذات بحيث تتأثر منها الدولة او يخاف سطوتها السلطان ، إلا أنها سرعان ما قويت واستفحل أمرها بعد مذابح الأرمن سنة ١٨٩٤ وثورات مكدونية ، كما أن كثيراً من المثقفين غادروا الدولة لطلب العلم في أوروبا ، فتم استقطابهم للجمعية ، حيث ألفوا هناك الفروع المختلفة وأنشاؤا الصحف والمجلات ، فامتدت بذلك الحركة ، وانتشرت وقويت شوكة المناهضين[7] .

وفي 'استانبول' استطاع 'إبراهيم تيمو' و'اسحق سكوتي' وغيرهم تأمين مطبعة حجرية بعد ثورة الأرمن ، وطبعوا بيانا تم توزيعه في أنحاء 'استانبول' ، حيث عبر هؤلاء عن أسفهم للثورة ، وما أعقبها من أحداث وحملوا الدولة المسؤولية المطلقة عن هذه الأحداث ، ودعا البيان إلى التخلص من السلطة

---

(١) كلشي . *الوجه* ، ص ٢٣-٢٤ ، رامزور. *تركية* ، ص ٥١ .

(٢) الكاربوناري Carbonari وهي جمعية إيطالية سرية تأسست في نابولي سنة ١٨٠٧ من قبل المشتغلين بقطع الأخشاب ، وكانت تهدف إلى طرد الفرنسيين والنمساويين من إيطاليا ، حيث كانوا يسيطرون على مقاليد الأمور ، انظر – الشناوي . *الدولة* ، ج ٢ ، ص ١٠٠٥ .

(٣) كلشي . *الوجه* ، ص ٢٢ ، انظر– Swallow. *The SickMan* , P.88 ; Akşin . *Jön Türk*, P. 1790

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤-٢٥ .

(٥) المصدر نفسه، ص٢٥.

(٦) المصدر نفسه ، ص٢٦ ؛ انظر – Kuran . *Inkilâp Hareketleri*, P.136

(٧) الهدى . نيويورك ، العدد ١٣١ ، السنة ١١ ، الاثنين ٢٧ تموز ١٩٠٨ ، ص ١ .

الاستبدادية ، وقد وقع البيان– غير المؤرخ – باسم 'جمعية الاتحاد والترقي العثمانية ' (عثمانلي اتحاد وترقي جمعيتي) ويبدو أن هذا البيان كان أول ظهور علني لهذه الجمعية بهذا الاسم[1].ولقد ترك هذا البيان ردود فعل على المستوى الخاص والعام ، وتعرض 'إبراهيم تيمو' على الأثر للاعتقال ثم أطلق سراحه، وتم تعيينه طبيباً في الأناضول بعد أن تأكدت الأجهزة الأمنية من اشتغاله بالسياسة، وذلك في محاولة لابعاده [2] .

هذا كان على الصعيد الداخلي والذي كان 'إبراهيم تيمو' على رأس نشاطه ، لكن الأمر بالنسبة لجمعية الاتحاد والترقي لم يكن ليشهد نشاطاً داخلياً فقط ، بل أن النشط الخارجي يكاد يطغ بالكامل على النشاط الداخلي بسبب سعته وشموله وتعدده في المناطق الأوروبية والآسيوية والأفريقية، وكان على رأس هؤلاء جميعاً 'احمد رضا بك' [3]، الذي كان يعمل في دائرة المعارف في 'بروسة' [4] ، وكان يشارك في بعض المقالات فيكيل المديح للسلطان 'عبد الحميد' في محاولة للتقرب إلى القصر[5] وفيما بعد اصبح مناوئاً ، حيث قام بالحصول على رخصة للسفر إلى باريس بحجة زيارة معرضها الدولي العام ، لكنه بعد أن اجتاز الحدود ووصل 'باريس' آثر البقاء فيها للعمل على مناهضة السلطان[6]، وقام 'ناظم سلانيكي' [7] الذي كان من أقطاب جمعية الاتحاد والترقي بالطلب من 'احمد رضا' الانضمام إلى الجمعية ، فوافق ، وعرض عليه ان يكون مديراً للصحيفة التي أصبحت فيما بعد الناطق الرسمي للجمعية وهي صحيفة 'مشورت '[8] (Meşveret) حيث ترأس مع

---

[1] كلشي. *الوجه* ، ص ٢٦ ؛ انظر – Kuran . *Inkilâp Hareketleri*, P. 184-191

[2] المصدر نفسه ، ص٢٧.

[3] احمد رضا بك . من أب تركي يعرف باسم "الإنجليزي علي بك" نظرا لميوله الإنجليزية ، وحبه لهم ، وأم نمساوية ، ولقد تثقف احمد رضا ثقافة حرة ، حصل على بعضها في فرنسا ، حيث تعلم الفرنسية ، واتقنها لغة وكتابة ، وكان من حيث المظهر ابعد ما يكون عن تصور الأوروبيين للأتراك ، حيث كان طويلاً نحيفاً ، ذا لحية متقنه التصفيف ، وملامح قاسية حادة ، تشير الى شيء من صرامة الخلق ، وكان عنيداً لا يقبل الهوادة ، متصلبا في آرائه ، انظر – رامزور . *تركية* ، ص ٥٥ .

[4] الحصري . *البلاد* ، ص ١٠٥ ؛ رامزور . *تركية* ، ص ٥٥ .

[5] محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٧٢ .

[6] الحصري . *البلاد* ، ص ١٠٥ .

[7] ناظم سلانيكي . ولد في سلانيك ، وتلقى دروسه في المكتب العسكري في اسكدار ، ولما كانت له ميول للأفكار الغربية تمت إحالته الى مجلس حربي ، فحكم عليه بالنفي الى اسيا الصغرى ، وفيما بعد تمكن من الفرار والالتجاء الى باريس ، حيث اخذ يكمل دراسته هناك ، ويقضي وقته في مدرسة الطب والمستشفيات وجمعية الاتحاد والترقي ، وقد قدمت له عدة مناصب ليتولاها ، إلا انه رفض وكان مقيما في باريس في حي شارل ديكارت .
– المقتبس . دمشق ، عدد ١٣ ، السنة ١١ ، الأربعاء ٣٠ كانون الأول ١٩٠٨ ، ص ١ .

[8] انظر عن صحيفة مشورت في -Charles Roden Buxton. *Turkey in Revolution,* (London: Fisher Unwin, 1909) P. 52
-Akşin. *Jön Türk* , P. 1790 ; Swallow. *The SickMan*, P. 88.

'خليل غانم'[1]مهمة تحريرها .

وكان 'خليل غانم' قد أنشأ في وقت سابق في جنيف صحيفة اسماها 'الهلال' ، كما كتب العديد من المقالات لعدة صحف مثل جريدة 'المناظرات' (Journal des Debats) ثم اصدر صحيفة 'تركيا الفتاة' (La Jeune Turquie)[2] .

كانت صحيفة 'مشورت' تصدر مرتين بالشهر ، وكانت تطبع باللغة التركية فقط، لأن هدفها بالأساس إنما كان للقراء الأتراك داخل الدولة العثمانية ، وفيما بعد قام 'احمد رضا' بإضافة ملحق خاص باللغة الفرنسية ، وبهذا أصبحت 'مشورت' الصحيفة الرسمية لجمعية الاتحاد والترقي[3] . وكان 'احمد رضا' منذ البداية قد اعتبر هذه الصحيفة ملكاً شخصياً له إلى حد كبير[4] .

ويمكن اعتبار أن 'إبراهيم تيمو' كان على خلاف واضح مع 'احمد رضا' زعيم جناح الجمعية في فرنسا ، وكان 'إبراهيم تيمو' يتهمه بعدم العقلانية ، وفي الوقت نفسه كان منزعجا من محاولات 'احمد رضا' لفرض نفسه رئيساً لجمعية الاتحاد والترقي ، كما كان هناك خلاف فيما بينهم ، بخصوص كيفية التعامل مع السلطان 'عبد الحميد' والطرق التي يجب انتهاجها[5] حيث كان 'احمد رضا' يؤيد الطرق السلمية البعيدة عن العنف ، أما الآخرون فكثيراً ما كانوا يؤيدون استخدام القوة والعنف لتحقيق مطالبهم الإصلاحية، باعتبارها الوسيلة الصحيحة لتحقيق ذلك[6] .

أما صحيفة 'مشورت' فقد نشرت في ٣ كانون أول ١٨٩٥ أهداف الجمعية لقرائها وتعتبر هذه الأهداف هي أول عرض كامل لآراء الجمعية ، وجاء عنوان المقال باسم 'منهاجنا' وجاء فيه : إننا نرغب في العمل لا لخلع الأسرة الحاكمة التي نعتبرها ضرورية لحفظ النظام السليم ، ولكن لنشر فكرة التقدم التي نريد لها نصراً سليماً ، ولما كان شعارنا هو النظام والترقي ، فإننا نخشى من الامتيازات التي تحصل بالعنف[7] .كما جاء :" إننا نطالب بالإصلاحات ، ولا نقصرها على هذه الولاية أو تلك ، بل

---

(١) خليل غانم . مسيحي من بيروت كان نائباً عن سورية في مجلس المبعوثان العثماني سنة ١٨٧٨ ، وقد هرب الى جنيف بعد تعطيل مجلس المبعوثان واصدر هناك جريدة الهلال ، ثم ذهب الى باريس وتجنس بالجنسية الفرنسية ، وكان له العديد من المقالات في الصحف والمجلات الأجنبية والعربية ، انظر – توفيق برو . *العرب والترك في العهد الدستوري ١٩٠٨–١٩١٤* ، (ط ١ ، دمشق : دار طلاس ، ١٩٩١) ص ٦٠ ؛ انظر – محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٧٤ ..

(٢) رامزور . *تركية* ، ص ٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٥–٥٦ .

(4) Kuran. *Inklâp Hareketleri*, P.156+161 .

(5) Loc. cit

(6) Ibid ,: P. 154 .

(٧) رامزور . *تركية*، ص ٥٧ .

نطلبها للإمبراطورية كافة ، لا لمصلحة قومية واحدة ، بل لمصلحة العثمانيين كافة سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو مسلمين"[1] .

وهذا ان دل على شيء فانه يدل على ما أكد عليه 'احمد رضا' سابقا بخصوص الخلاف في الطريقة التي ستتبع في التعامل مع السلطان 'عبد الحميد' ، وهو ان الجمعية لم تكن حتى ذلك الوقت تفكر في الانقلابات العسكرية واستبدال السلطان ، بل وتستهجن الجمعية الامتيازات التي يتم تحصيلها بالعنف ، وجاء كذلك في هذا المقال : "أن جل اهتمام الجمعية هو عثمنة الدولة ، بقطع النظر عن الجنس او الدين" ، إلا أن هذا المقال قد يكون قد عبر عن رأي وأفكار 'احمد رضا' الشخصية ، وقد لا تعبر بالضرورة عن الأفكار العامة لجمعية الاتحاد والترقي بشتى فروعها المحلية والدولية .

أما الأمر فقد كان مختلفا في الدولة العثمانية فيما يخص خلايا جمعية الاتحاد والترقي، حيث تم توقيف العديد من قادة الجمعية ضمن حملة اعتقالات سنة ١٨٩٥ ، وكان منهم 'اسحق سكوتي' و'عبد الله جودت' و'شرف الدين مغمومي' و'كريم سيباطي' (Karim Sibati) وغيرهم[2].

ولقد تم الاكتفاء بعقوبة النفي وتحديد الإقامة فيها[3] ، وقد نفي فيما بعد 'اسحق سكوتي' وآخرون إلى 'جزيرة رودس' ، ثم استطاع هو وزملاؤه السفر إلى باريس هرباً ، أما 'عبد الله جودت' فقد نفي إلى 'طرابلس الغرب'، ثم عبر الحدود إلى تونس وانتهى به المطاف في 'باريس'[4] ، وقد نفي بعده ثمانية وسبعون من هذه الجمعية إلى 'طرابلس الغرب' ، حيث أسسوا هناك فرعاً جديداً لجمعية الاتحاد والترقي ، حيث كانوا على قدر كبير من حرية الحركة[5] .أما 'إبراهيم تيمو' فقد وصلته الأخبار السيئة بخصوص الضربات التي تلقتها الجمعية وبذلك انقطعت اتصالاته مع الجمعية ، فآثر توجيه جهوده إلى أوروبا وخصوصاً رومانيا لتشكيل خلايا هناك بعد ان اصبح نشاط الجمعية الداخلي شبه متوقف[6] .

---

[1] رامزور . تركية ، ص٥٧.

[2] المصدر نفسه ، ص٥٨ ؛ محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٧٤ .

[3] محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٧٤ .

[4] رامزور . تركية ، ص ٥٨ .

[5] Ahmed Bedevi Kuran. *Inkilâp Tarihimiz ve Jön Türkler* (Istanbul: Tan Matbaasi, 1945) P. 36-3.; Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 144-145 .

[6] كلشي . *الوجه* ، ص ٣٠-٣١ ؛ Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 147 -

هروب مراد بك ميزانجي[1] (Murat Bey Mizanci) .

ظهر في هذه المرحلة الحرجة رجل لا يقل في الأهمية عن 'ابراهيم تيمو' و'احمد رضا' وهذا الرجل كان 'مراد بك' وهو من اصل داغستاني ، هاجر من بلده قاصداً العاصمة العثمانية ، وهو في مقتبل العمر ، وكان ذلك نحو عام ١٢٩٣ هـ/١٨٧٥م حيث لزم 'مراد بك' الصدر الأعظم 'محمد رشدي باشا' حيث أقام ببابه، وعمل على طلب العلم ما استطاع إليه سبيلا ، فاصاب منه الشيء الكثير من التاريخ والأدب وفن الكتابة[2] . وكان يكتب في صحيفة ' ثروت فنون' (Servet-I Fünun) التي كان يصدرها 'احمد إحسان بك'، كما كان يكتب في صحيفة ' الأدبيات الجديدة ' (Edebiyat-I Cedide) [3] ، كما قام بتحرير صحيفة 'ميزان' [4]، ثم أغلقت بعد فترة ، فعمل في نظارة المعارف ، ثم اخذ يتدرج في المناصب المختلفة حتى انتهى إلى وظيفة في لجنة 'الديون العمومية' براتب شهري لا يقل عن المائتي ليرة[5] .

ولقد قام الشيخ ' نائلي' بضم 'مراد بك' إلى جمعية الاتحاد والترقي بعد ما لمسه من ميول ليبرالية إصلاحية[6] ، وعلى الأثر قام ' مراد بك ' برفع كتاب مطول الى السلطان 'عبد الحميد' أوضح فيه ما ارتآه ضروريا لاصلاح الدولة ، وربما يكون 'مراد بك' قد اعتقد انه سيعاقب على ذلك فآثر الابتعاد ، حيث نزل 'مصر' [7] في ٧ تشرين ثاني ١٣١١ رومي / ١٨٩٥م[8] .

ولقد تطرق السلطان 'عبد الحميد' لمراد بك في مذكراته فقال: محمد مراد بك كان قفقاسيا ... قابل مدحت باشا واستمع إليه ، وتدرج في مناصب الدولة حتى اصدر جريدة ميزان عام ١٨٨٦م، حيث كان ينشر فيها مدائح لي ... وأغلقت الحكومة جريدته عام ١٨٨٩م، ثم هرب إلى مصر في ٧ تشرين ثاني ١٨٩٥م، استطاع الحصول على تصريح بإصدار جريدة 'ميزان' فيها في آب ١٨٩٦م[9] ، حيث اصبح

---

(١) مراد بك: ١٨٥٣-١٩١٤، صحفي ومؤرخ، يعرف بلقب ميزانجي نسبة إلى صحيفة ميزان. ولد في تفليس، وتعلم في روسيا، وفد إلى الدولة العثمانية فعمل مدرسا للتاريخ في المدرسة الملكية في عهد السلطان عبد الحميد، حيث اشتهر أمره . كان يجيد الفرنسية والروسية إلى جانب اللغة التركية. عمل في إدارة الديون العمومية فترة طويلة. أنظر. محمد حرب. *مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني* (ط٣. دمشق: دار القلم، ١٩٩١)، ص٢٨٥.

(٢) يكن . *المعلوم* ، ص ٧٥ .

(3) Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 152.

(4) Paul Fesch. *Constantinople aux derniers jours d Abdul-Hamid* (NewYork: Burt Franklin, 1971) P. 332-336 . -Shaw – Shaw . *History*, P. 257 .Zürcher. *The Unionist*, P. 13-15 .

(٥) يكن . *المعلوم* ، ص ٧٥ .

(٦) رامزور . *تركية* ، ص ٥٩ .

(٧) يكن . *المعلوم* ، ص ٤٦ ؛ Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 154 .

(8) Ibid., P. 151 , Kuran. *Inkilap Tarihimiz*, P. 40.

(9) Bozdag , *Abdülhamid*, P. 62 ; يكن . المعلوم ، ص٤٧

الفرار في ذلك الوقت 'موضه' من قبل الاتحاديين[١] .وحتى ذلك الوقت كان هناك فريقان : فريق يرى أن مراداً كافر نعمة وخائن ، وأنه مدفوع الى عمله هذا بيد عدو في ثياب صديق ، وفريق آخر يرى أن مراداً قام بما يجب عليه نحو وطنه ، وأن مثله بعيد عن أن تستهوي لبه المطامع ، وأن تستغويه الأهواء ؛ أما الأجانب فقد أعجبوا بمراد أيما إعجاب ، واعترفوا أنهم كانوا قد أساءوا الظن بالعثمانيين ، وكان أكثر الناس إعجاباً به الإنجليز الذين قدّموا له الأموال عن طيب خاطر.

ولقد كان 'مراد بك' قوّولاً لا فعولاً ، ولما انتظم له أمر الجمعية في 'مصر' احب الاستبداد بالأمر ، ولم يحب أن يكون لغيره كلمة مسموعة[٢] وحتى تلك الفترة كانت لجمعية الاتحاد والترقي صحيفتان تدخلان إلى الأراضي العثمانية وهما 'مشورت' التي يصدرها 'احمد رضا' في 'فرنسا' ، وكانت ذات سمعة سيئة نظراً لأنها كانت تعبر عن وجهة نظر 'احمد رضا' نفسه ، ولفقدانه الكثير من أصدقائه ، وتصلبه في كثير من المواقف[٣] ، بالإضافة إلى تصورات 'احمد رضا' الوضعية والمادية حيث كان من أنصار مذهب 'اوغست كونت' (Auguste Conte) [٤]. واما الصحيفة الثانية ، فكانت 'ميزان' التي كان يحررها 'مراد بك' في 'مصر' [٥] .

وهذه الصحف والمجلات كانت تجد طريقها إلى الدولة العثمانية دائماً وكما في السابق عن طريق دوائر البريد الأجنبية ، حيث كان في عاصمة الدولة كما معظم المدن الرئيسية مكاتب للبريد الأجنبي تابعة لسفارات الدول الأوروبية وقنصلياتها، وكانت جميعها مصونة من التفتيش والمراقبة بسبب ما تمنحه لهم الامتيازات الأجنبية ، وكان يتم تسليم هذه المطبوعات المختلفة الى المجموعات السرية التي تقوم بتوزيعها سرا على عناصرها[٦].

ولقد كان السلطان عبد الحميد يعي ذلك جيدا فيقول :" هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم اسم تركيا الفتاة كانوا في الأصل ثلاثة أشخاص أو خمسة ، وهؤلاء عملوا ضدي عدة سنوات في أوروبا ، تكلموا ، خططوا، كتبوا ، كل ذلك قبل أن يفكروا أن العمل ضدي معناه أيضا العمل ضد الوطن ، لقد كانت صحفهم التي يصدرونها تأتي خفية إلى البلاد عن طريق البريد الأجنبي ، وتوزع بواسطة الأجانب"[٧].

---

[1] Kuran . *Inkilp Hareketleri*, P. 154 , Kuran . *Inkilâp Tarihimiz*, P. 41 .

[٢] يكن . *المعلوم* ،ص٧٧-٧٩.

[٣] رامزور . *تركية* ، ص ٦٠ .

[4] Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, P. 27 . Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 136

[٥] المصدر والصفحة نفسهما .

[٦] الحصري . *البلاد* ، ص ١٠٤ ، انظر – Kuran . *Inkilp Hareketleri*, P. 138

[7] Bozdag . *Abdülhamid*, P. 131-132 .

ويمكن الإجمال ان جمعية الاتحاد والترقي اتخذت لها جانبين.

الأول : الجانب السري الذي تتكون منه خلايا ومجموعات الاتحاد والترقي داخل الدولة العثمانية وتتبع طرق الحذر .

الثاني : الجانب العلني والذي تتكون منه خلايا ومجموعات الاتحاد والترقي خارج الدولة العثمانية خصوصا في أوروبا .

***محاولة انقلابية لجمعية الاتحاد والترقي.**

يبدو ان 'حاجي احمد افندي'[١] قد اصبح رئيس اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي في 'استانبول' سنة ١٨٩٦، حيث اتبعت توجيهاته العديد من الجماعات الأخرى المنتمية للجمعية ، كان منها جماعة 'الشيخ نائلي'، وهي مجموعة غالبا ما كانت تضم العلماء والقضاة، وجماعة أخرى تعمل في نظارة الحربية كان يرأسها المقدم 'شفيق بك'[٢]، وقد اتخذت الجمعية في الداخل قرارها للقيام بانقلاب عسكري، ولا يعرف سر اختيار شهر آب سنة ١٨٩٦ ميعادا للتنفيذ ، فقد كان الهدف الأسمى لجمعية الاتحاد والترقي دون المواقف الشخصية هو خلع السلطان 'عبد الحميد' واستبداله بمن يسير وفق سياستها وتوجهاتها ، وربما ان ثورة الأرمن الفاشلة، وما أعقبها من ردود فعل عنيفة من ناحية أوروبا وثورات الأقليات الأخرى كانت هي السبب في التخطيط لهذا الانقلاب[٣] .

وبالفعل فقد تم التخطيط لهذه العملية داخل الدولة عن طريق الفرقة الأولى من الجيش العثماني المتمركزة في 'استانبول' ، والتي كان 'كاظم باشا' قائدها ، ولقد استطاع 'حاجي احمد' ان يكسب ود 'كاظم باشا' ويجنده داخل صفوف الجمعية ، واناطة أمر الانقلاب إليه، بحيث تقوم هذه الفرقة باحتلال الباب العالي عند اجتماع مجلس الوزراء ، ثم تستحصل على فتوى من شيخ الإسلام بخلع السلطان 'عبد الحميد' من منصبه ، واناطة أمر السلطنة بالسلطان المخلوع 'مراد الخامس '، او' محمد رشاد' أخ السلطان 'عبد الحميد' ، وذلك لأنهما أضعف شخصية من السلطان 'عبد الحميد'[٤] .

وعلى الرغم من بساطة التخطيط ، وضعف الإمكانيات لاسيما بالنسبة لحجم الفرقة العسكرية المناط بها عملية الانقلاب ، والى أي مدى ستنجح في تنفيذ خطتها، إلا أن الجمعية استمرت في جديتها في تنفيذ الخطة لولا ان القدر شاء اكتشاف الخطة[٥] ذلك ان 'نادر بك ' ناظر مدرسة مثال الترقي 'نمونة ترقي' الذي كان عضواً في الجمعية ذهب الى مطعم 'طوقاتليان' في العاصمة ليقوم باحتساء الخمر احتفالا وابتهاجا بحدث لم يصبح حقيقة بعد ، وهو الانقلاب ، وخلع السلطان 'عبد الحميد' ، ولقد صادف

---

(١) حاجي أحمد أفندي: موظف مدني في دائرة حسابات نظارة الحربية العثمانية، أطلق عليه لقب حاجي(حاج) لأدائه فريضة الحج، فاصبح لقبا ملازما لاسمه. من قادة جمعية الاتحاد والترقي. رامزور. تركية. ص٥٤،١٧٠.

(2) Fesch. *Constantinople,* P. 331

(٣) رامزور . تركية ، ص٦٢.

(٤) انظر – آصاف . *تاريخ* ، ص ١٣٥؛ Fesch . *Constantinople,* P. 332 .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٢-٦٣ .

هناك شخصا يدعى 'مظهر بك ' ، وهو مدرس في مدرسة 'نادر بك' كذلك أبوه 'إسماعيل باشا' ، الـــذي كان مفتشاً عاماً للمدارس العسكرية ، ولقد استزاد 'نادر بك' في شرب الخمر ، فقال :" آه لو علم الباشـــا- السلطان- ماذا سيحدث غدا" ' باشم بلسن يارن نيلر أولجاق' (Başam bilsan yarin neler olacak) مما أثار حب الاستطلاع لدى 'إسماعيل باشا'، فألحّ على 'نادر بك' الذي وافاه بالتفاصيل ، فقام 'اســـماعيل باشا' من فوره بنقل هذه المعلومات إلى الأجهزة الأمنية ، فقامت من ليلتها باعتقال كل المتورطين[١] .

والغريب في الأمر ان المتهمين اعترفوا وادينوا بتهمهم ، ولم يقم السلطان 'عبد الحميـــد' بتطبيـــق أحكام قاسية كالإعدام ، أو مخففة كالسجن مثلاً ، بل ظل على طريقته المعتادة في التعامل مـــع أعدائـــه ، وهو إيثار النفي وإسداء النصح والمشورة إليهم ، واستمالتهم بالمناصب والرتب العالية ، او بدفـــع مبـــالغ كبيرة من الأموال لهم[٢] ، وطوال حكمه الذي استمر ثلاثة وثلاثين عاما لم ينفذ حكماً بالإعدام سوى فـــي حادثة واحدة فقط[٣] ، لذلك فقد فقست بيوض الأفاعي تحت جناحي رحمته[٤] .

ظلت سياسة السلطان عبد الحميد تبتعد كليا عن العنف طوال مدة حكمـــه[٥] ، لذلـــك فقـــد نفـــي المتآمرين وكان منهم 'كاظم باشا ' و'حاجي احمد' والشيخ 'نائلي' مع أخويه 'حقي بك' و'عيني بك' (Ayni Bey) وعدد آخر، وتم وضعهم في السفينة ، وتوزيعهم كل حسب مكان نفيه ، أما الأخطـــر مـــن بيـــن هؤلاء ، فقد تم نفيه الى 'ليبيا' و'سوريا'، حيث أقام الشيخ 'نائلي' واقاربه في أماكن كـ'حمص' فـــي ســـوريا و'بنغازي' في ليبيا ، كما أقام 'حاجي احمد' في 'فزان'[٦]. لكن اغلب هؤلاء المنفيين استطاعوا التملـــص والذهاب إلى حيث المراكز الأساسية لجمعية الاتحاد والترقي في 'باريس' و'جنيـــف' و'مصـــر' ، وعـــادت الجمعية إلى ما كانت عليه من ضعف وتشتت .

وتميزت هذه المرحلة بمحاولة الجمعية بالداخل القيام بانقلابات بقرارات ذاتية لا علاقة لها بمركـــز الجمعية في الخارج .

النشاط الاتحادي في مصر .

نشطت جمعية الاتحاد والترقي في مصر كثيراً ، وربما يرجع ذلك إلى سياسة إنجلترا مع الدولـــة العثمانية ، حيث كانت سياسة الدولة العثمانية تسعى إلى تعزيز التنافس الأوروبي الداخلي ، لذلك فقد فتـــح المجال أمام النفوذ الألماني على حساب بقية نفوذ الدول الأوروبية لا سيما روسيا وإنجلترا وفرنسا ، الذيـــن

---

(١) آصاف . *تاريخ* ، ص ٦٣ ؛ انظر - Akşin. *Jön Türk*, P1972..

(٢) محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٧٣ ؛ Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 140 .

(٣) طوران . *اسرار* ، ص ٢٨ .

(٤) محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٧٣ .

(٥) رامزور . *تركية* ، ص ٦٤ .

(6) Fesch. *Constantinople* , P. 334 .

حاولوا جاهدين استئصال أو تقليل النفوذ الألماني ، وعندما فشلوا مدوا أيديهم الى الاتحاديين في محاولة للتأثير على السلطان 'عبد الحميد' [١] .

وكانت 'مصر' من المراكز الخطيرة بالنسبة للنشاط السياسي الذي كانت تقوم به الجمعية ، وذلك لبعدها عن العاصمة 'استانبول' ، ووقوعها تحت الإدارة البريطانية مما جعلها ملجأ ومأوى لأنصار الجمعية الذين نفوا أو خشوا وقوعهم في قبضة عبد الحميد الحديدية[٢].

وكان من بين ما وفرته الحكومة المصرية لجمعية الاتحاد والترقي ، حرية الكتابة ، وإصدار الصحف ، حيث قام 'مراد بك' بإصدار صحيفة 'ميزان' ، كما أفسحت صحيفة 'المقطم' المجال للاتحاديين الهاربين إلى مصر حرية الكتابة ومهاجمة السلطان 'عبد الحميد' والطعن فيه من على ظهر صفحاتها ، حيث كانت 'المقطم' على عداء شديد مع الدولة العثمانية ، وهاجمت الدعم الذي تقدمه مصر للدولة العثمانية في أزماتها المالية كما في حروبها ، وعلى كل فقد كانت 'المقطم' صحيفة مؤيدة للسياسة الإنجليزية[٣] ، وكانت صحف جمعية الاتحاد والترقي وغيرها من الصحف المعارضة لسياسة السلطان 'عبد الحميد' قد اتخذت من 'مدحت باشا' ودستوره وسيلة لمهاجمة السلطان باعتباره بطل الدستور وشهيد الحرية . ويقول في ذلك 'أوزتونا' : "كان 'مدحت باشا' بطل المشروطية ، وشهيد الحرية ! .كان هؤلاء الشباب لا يعلمون أي عميل إنجليزي لعين هو ، كذلك لم يكن من مصلحتهم معرفة ذلك ، لانه كان يلزم لحصولهم على الحكم ان يرفعوا نوعا من الشعارات أو المثل ، حتى ولو كانت مفتعلة . من هو اكبر معارض لنظام عبد الحميد ؟ مدحت باشا ! اذاً هو بطل "[٤].

وكان من الاتحاديين الذين انطلقت أقلامهم في كتابة المقالات في صحيفة 'ميزان' شخص يدعى 'محمد قدري' حيث كان يذيل مقالاته بإمضاء 'محمد قدري العثماني' [٥] ,والى جانب صحيفة 'ميزان' قام 'مراد بك' بتأسيس صحيفة أخرى اسماها 'قانون أساسي' [٦] (Kanun-I esasi) باللغة العربية وأخرى باللغة التركية ، وكان يقوم بتحرير الكثير من مقالاتها محمد قدري[٧] ، بالإضافة إلى ذلك أنشئت صحف مثل 'حق' و'شرق' ثم بعد ذلك 'عثمانلي' و 'اجتهاد' [٨] .

---

(١) العريسي . *مختارات* ، ص ٢٤٤ .

(٢) زين نور الدين زين . *نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية*، (ط٣، بيروت: دار النهار، ١٩٧٩)، ص٧٦-٧٧.

(٣) حرب . *السلطان* ، ص ٢٣٧ .

(٤) أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢ ، ص ١٦٨ .

(٥) يكن . *المعلوم* ، ص ٦٤-٦٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٧٨ ، Kuran, *Inkilâp Hareketleri* , P. 157 .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .

(8) Loc. cit.,

ويتبين من الأسماء التي جمعت أن عدد الصحف التي أصدرتها جمعية الاتحاد والترقي عموماً باللغة التركية خارج حدود الدولة العثمانية قد ناهز المائة ، ويظهر ان ما يقرب من ثلث هذا العدد كان يصدر في القاهرة[١] ، ويذكر 'احمد بدوي كوران' (Kuran) ان عدد هذه الصحف كان ١١٦ صحيفة منها ٩٥ بالتركية و ٨ بالعربية و١٢ بالفرنسية و ١ يهودية (كذا) [٢]. أما المؤرخ 'يلماز أوزتونا' فيقول : "لو جمعت الصحف الدورية التي طبعت ضد السلطان 'عبد الحميد' في الخارج وأدخلت بصورة سرية الى الاقطار العثمانية في مكان واحد لشكلت مكتبة ، ونحن المؤرخين نعلم اليوم ، أن أكثر من تسعة أعشار ما كتب فيها افتراء ، وما يقارب تسعة وتسعين بالمائة منها نتيجة لتفهم خاطئ ، ونقد مبالغ فيه ".[٣]

ولقد وقع في 'مصر' حدثٌ هامٌ ، ذلك ان 'صالح جمال' الذي كان يملك المطبعة العثمانية التي تصدر صحيفة 'قانون أساسي' قد عرض لسبب ما مطبعته للبيع ، حيث جاء احد الرجال المحسوبين على السلطان عبد الحميد ، واخذ يغالي في الثمن حتى وقف عليه البيع ، فأراد أخذ المطبعة بما فيها من أوراق وكتب ودفاتر[٤] ، وقام رجال المطبعة الجدد بجمع الدفاتر فختموها والى الرسائل فجمعوها ، ولما رأى الاتحاديون ذلك أرسلوا إلى اللورد 'كرومر' المعتمد البريطاني في مصر يعلمونه بما حدث ، فقدم اللورد 'كرومر' بقواته ، حيث اخذ تلك الأوراق إلى دار الوكالة البريطانية حيث حفظت هناك[٥] .

ويذكر اللورد 'كرومر' هذه الحادثة فيقول :"... ومن أسباب خلافي مع الخديوي عباس حلمي ... ومن هذا القبيل ان رجلاً جاءني ذات يوم واخبرني أن في أحد المنازل خزانة فيها أوراق تعلم منها أسماء رجال تركيا الفتاة ، ... والقصد منها ضبط تلك الخزانة ، واخذ ما فيها من الأوراق ، وان حزب تركيا الفتاة في اشد القلق من جراء ذلك ، ... وانه لا بد من المبادرة إلى تلافي الخطب في الحال ، لانه يُراد وضع اختام المحكمة على الخزانة حالاً فيصعب فتحها بعد ذلك ، فأمرت حكمدار البوليس ان يذهب حالاً، ويفتح الخزانة ، ويأتي بما فيها من الأوراق الى الوكالة البريطانية ففعل كما أمرته" [٦] "وبهذه الصنائع تمكن اللورد 'كرومر' من قلوب 'المجاهدين العثمانيين' وبها سيخلد له الثناء في كتبهم كما خلد للامة الإنجليزية العظيمة التي منها نشأته ومنها أخلاقه"[٧] .

---

(١) الحصري . *البلاد* ، ص ١٠٦ ؛ احمد عبد الرحيم مصطفى . *في اصول التاريخ العثماني* ، (ط ١ ، بيروت : القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٢) ، ص ٢٦٠ .

(2) Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, P. 160.٢
انظر صورة عن هذه الصحف والمجلات في الملحق رقم

(٣) أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢ ، ص١٧٠ .

(٤) يكن . *المعلوم* ، ص ١٢٥ . .

(٥) المصدر والصفحة نفسهما ، انظر كذلك ص ١١٠ .

(٦) اللورد كرومر . *"كتاب عباس حلمي"*، المقتطف ، مصر ، ج ١ ، م ٤٧ ، ١١ اغسطس ١٩١٥ ، الفصل الخامس ، ص ١٢٣ .

(٧) يكن . *المعلوم* ، ص ١١١ .

و يمكن القول ان الصحف التركية داخل 'مصر' والبلاد الأخرى لم تدم طويلاً ، حيث لم يكن هناك أناس يقرءون التركية ، والذين يقرؤونها او يفهمونها في 'مصر' كانوا من الأتراك الذين استوطنوا 'مصر' في الأزمان السالفة ، وهم لا يعيرون للسياسة وزناً[١]، في الوقت الذي لاقت فيه الصحف العربية رواجاً كبيراً[٢] .

اما السلطان 'عبد الحميد' فقد ركز اهتمامه حتى ذلك الوقت على 'مصر' بسبب ازدياد نفوذ الجمعية فيها، وذلك في محاولة للقضاء على نشاطهم او إخراجهم منها[٣] . ذلك ان مركزهم في 'مصر' كان من اقوى المراكز[٤].

ومهما يكن من امر فقد بدأت الحكومة المصرية تظهر عدم ارتياحها لنشاط الجمعية في 'مصر' وذلك سنة ١٨٩٦ [٥] ، وقام اللورد 'كرومر' تحت الضغط بإخراج 'مراد بك' من 'مصر' ، حيث سافر الى 'باريس'[٦]، وفي هذه المرحلة طرد 'الخديوي' (Khedive) اثني عشر من أعضاء الفرع الى 'استانبول' وبقي ثلاثة أعضاء فقط من أعضاء الجمعية في فرع 'القاهرة' وهم 'باهريالي رضا' (Bahriyeli Riza) و'علي فخري' (Ali Fahri) و'ضياء افندي' (Ziya Efendi). وقام 'طونالي حلمي' (Tunali Hilmi)بعدة زيارات الى 'القاهرة' لتغذية وتعزيز الطموحات لعقد مؤتمر عام للمعارضة العثمانية ، الا ان وظيفته الرسمية في السفارة العثمانية في 'مدريد' وانهيار فرع الاتحاد والترقي في 'مصر' منعه من تحقيق هذه الغاية ، وتم إرسال 'علي فخري' الى 'جنيف' لتنظيم النشطاء وترك 'باهر يالي رضا' وحيداً وهو شخصية ليست على وفاق مع أعضاء الجمعية الآخرين في 'القاهرة' ولم يعمل شيء باستثناء نشر صحيفة للجمعية هناك [٧]. وبعد ان طلب 'طونالي حلمي' أحد قادة الجمعية من منظرّ الحركة في مصر 'علي فخري' – الذي لعب أدوارا رئيسية في فرع الاتحاد والترقي في 'مصر'– ، بالسفر الى 'جنيف' لتنظيم النشطاء هناك في إطار لجنة جديدة ، وبعد مناقشات مطولة تم إنشاء 'جمعية الشباب العثماني المنتقم' . Intikamci (The Committee of Avenging Young Ottomans) Cemiyeti Yeni Osmanlilar واصدرت هناك صحيفة 'انتقام' (Intikam) ، وصحيفة 'الأمة' (ملت– Millet) وصحيفة 'توكماك' (Tokmak) [٨] .

---

[١] يكن . *المعلوم* ، ص ٧٢ .

[٢] المصدر والصفحة نفسها .

[3] Kuran . *Inkilâp Hareketleri*, P . 155 .

[4] Loc cit; Aykut Kansu. *The Revolution of 1908 in Turkey* (Leiden: E.J. Brill, 1997), p. 50. انظر

[5] Fesch. *Constantinople*, P. 338 .

[6] Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, P.42, Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 155 .

[7] Hanioğlu.*The Young Turk*, p.158.

[8] Ibid ., P. 159 .

ولقد قامت جمعية الاتحاد والترقي بإصدار بيان باللغـــة العربيـــة بعنـــوان ' الحـق الصريـــح ' (Hakki Sarih)اتهمت فيه 'طونالي حلمي' (Tunali Hilmi) الذي أرسل للاستقصاء فـــي 'مصـــر' ، كذلك مركز الجمعية في مصر بالفساد ، وقد سارع هذا الفرع بنفي هذه الاتهامات ، وعلى كل أدت هـــذه الاحداث الى التأثير السلبي على مكانة الجمعية في 'مصر' ، والتـــي هـــي فـــي الأصـــل وصلـــت إلـــى الحضيض[١]. واثرت هذه التطورات الجديدة على الطرفين حيث جدد هؤلاء حملتهم ضد بعضهم البعـــض، وفي حزيران ١٩٠٠ اخبر 'ادهم روحي' 'اسحق سكوتي' (Ishak Süküti) ان 'صالح جمال' كان بصـــدد تنظيم حركة جديدة في الخفاء ضد مركز الاتحاد والترقي وطلب مركز الاتحاد والترقي من فرعـــه فـــي مصر الإعلان على انه ليس هناك جهاز رسمي للاتحاد والترقي خلاف العثماني ، وان الحق هـــو فـــرع الاتحاد في 'مصر'، ونشر الفرع الإنكار واعلنوا ان الذين اصدروا نشرة 'الحق الصريح' لا علاقـــة لـــهم بالجمعية[٢].

بعد هذا التوتر ذهب 'مراد بك' الى 'فرنسا' ، وهناك انضم اليه العديد مـــن قـــادة الجمعيـــة مثـــل 'اسحق سكوتي' و'سليمان نظيف' و'شرف الدين الدين مغمومي' وذلك لكراهيتهم 'لاحمد رضا' [٣]ويمكـــن القول ان 'مراد بك' كان من البداية على خلاف واضح مع 'احمد رضا' ولم يكن يرغب في التعامل او فـــي إقامة صداقة طيبة معه[٤] .

ولقد جرت انتخابات في 'باريس' ، وتم انتخاب 'مراد بك' رئيساً لجمعية الاتحاد والترقي ، وبذلـــك أصبح هناك فرعان داخل 'باريس' الأول تحت قيادة 'مراد بك' والثاني تحت قيادة 'أحمد رضا' ، وأصبـــح الاختلاف واضحا في الأفكار والتصورات[٥] ، ونتيجة لذلك اصبح 'مراد بك' زعيم الجمعية .

ولم يستمر الأمر هكذا ، حيث سافر 'مراد بك' الى 'جنيف' ، وذلك لتنظيم فروع الجمعية هنـــاك ، وقام بإعادة إصدار صحيفة 'ميزان' فيها[٦]، وخلال هذه الفترة نحى النشطاء الذين كانوا يعملـــون ضمـــن لجنة الاتحاد والترقي منحنى أكثر استقلالية وأسسوا عدداً من اللجان في 'جنيف'، مع ان غالبيتهم احتفظـــوا بالعضوية في الاتحاد والترقي، ووصف 'طونالي حلمي' أحد زعمائهم منذ مدة طويلة، الظـــروف التـــي برزوا في إطارها مع العديد من الجماعات الأخرى، مع اضطرارهم للبقاء تابعين للاتحاد والترقي، مـــع ان سياسات الجمعية غير مقبولة بالنسبة لهم ، خصوصاً بعد ضعف مركزهم، واستطاعوا خلال ذلـــك بنـــاء

---

(1) Hanioğlu.*The Young Turk* P. 163 .

(2) Loc.cit.,

(3) Kuran , *Inkilâp Tarihimiz* , P. 42 , Kuran. *Inkilâp Hareketleri* , P. 155 .

(4) Loc cit.,

(5) Kuran , *Inkilâp Tarihimiz*, P. 43 .

(٦) رامزور . تركية ، ص ٦٨ ؛ Kuran. *Inkilâp Hareketleri,* P. 157 ; Swallow . *The SickMan,* P. 88 ;

منظمات خاصة بهم والدفاع عن برامجها[1]، وهناك في 'جنيف' تزعم 'مراد بك' بشكل تام الجمعية ، وكان فرع 'جنيف' اقرب كثيراً إلى 'إبراهيم تيمو' على عكس فرع 'باريس'[2] .

وفي أيار ١٨٩٧ انتقل المركز الرئيسي لقيادة الجمعية من العاصمة 'استانبول' الى 'جنيف' و'باريس' في الوقت الذي زادت فيه حدة الخلاف بينهما[3]. وفي مقابلة مع صحيفة 'الوطن ' (La Patrie) في شهر تموز ١٨٩٧ اقر 'احمد رضا'بوجود هذه الخلافات بين أقسام الجمعية[4] ، واستمرت هذه الأحوال المتردية التي تعانيها الجمعية في أوروبا ، في حين كانت الجمعية في داخل الدولة تستفيق جزئياً من ضربتها بعد المحاولة الانقلابية الأخيرة والفاشلة ، حيث اجتمع العديد من الطلاب في المدارس والكليات الحربية ، وتم تأسيس لجان باسم 'لجنة سليمان باشا' تخليداً لاسم رجل وطني قديم ، كذلك 'لجنة حسين عوني' حيث لاقت هذه الفروع ترحيبا من فروع الجمعية في أوروبا ، بعد إقامة اتصالات بينهم ، الا ان هذه اللجان الجديدة سرعان ما تعرضت أيضا للاعتقال[5] ، حيث قبض على الضابط البحري 'حيدر بك' وهو يوزع البيانات التي كانت تحتوي على بنود من 'القانون الأساسي' الذي وضعه 'مدحت باشا' ، كما اعتقل العديد من الطلاب الآخرين ، فاقروا بأسماء أعضاء التنظيم وسيق أكثرهم إلى ثكنة 'طاش قشلة' وسجنوا ، وبعد محاكمة لهم برئاسة 'رشيد بك' صدر الحكم المعتاد في مثل هذه الحالات وهو النفي الجماعي[6] .

والحقيقة ان جمعية الاتحاد والترقي اعتادت فعلياً على تلقي الضربات المتتالية من قبل الاجهزة الأمنية في العاصمة 'استانبول' ، ولكن الأمر المفاجئ هذه المرة كانت الضربة التي تلقتها الجمعية في أوروبا .

عودة بعض قياديي الاتحاد والترقي إلى الدولة العثمانية.

آثر العديد من قياديي جمعية الاتحاد والترقي العودة الى الدولة العثمانية ، والالتزام تحت رايتها وذلك عام ١٨٩٧. ولقد علمنا سابقاً ان السلطان 'عبد الحميد' لم يكن يعتمد العنف بأشكاله المختلفة في تعامله مع جمعية الاتحاد والترقي ، وكان يحاول دائما استقطاب العناصر عن طريق توظيفها في سلك الدولة ، او عن طريق الرواتب الكبرى ، وغيرها من الإغراءات الأخرى ، ولقد تركزت أحداث عودة

---

[1] Hanioğlu. *The Young Turk*, p.158.

[2] كلشي . *الوجه* ، ص ٣٠ .

[3] رامزور . تركية ، ص ٦٨-٦٩ .

[4] Fesch. *Constantinople*, P. 338 .

[5] المصدر نفسه، ص ٧٤ .

[6] طوران. *اسرار* ، ص ٣٣-٣٤ .

زعماء من جمعية الاتحاد والترقي في شخص 'احمد جلال الدين باشا' وهو من 'القوقاز' وكان السلطان 'عبد الحميد' يوليه ثقة خاصة[١].

ولقد سافر 'احمد جلال الدين' الى 'باريس' واقام دعوى في المحكمة رفعها على 'أحمد رضا' وجمعية الاتحاد والترقي ، وذلك لان صحيفة 'مشورت' هاجمت السلطان بقوة وقام بالطلب من المحكمة ان تعمل على إخراج 'احمد رضا' من 'فرنسا' واغلاق صحيفة 'مشورت' ، الا ان المحكمة لم تحكم لصالحه[٢].

يمكن القول أن هذه القضية رفعت من شان 'احمد رضا' وجمعية الاتحاد والترقي ، باعتبارها وصلت الى درجة من التعاطف الأوروبي وأنها حازت على اهتمامهم[٣].وقام 'احمد جلال الدين' بالتركيز على فرع الجمعية في 'جنيف' وزعيمها 'مراد بك' على وجه الخصوص ، وذلك بسبب خلافه مع 'احمد رضا' وكون 'مراد بك' يمثل الزعامة لكثير من أنصار واتباع الجمعية في الداخل والخارج[٤].

والغريب في الأمر ان 'مراد بك' وافق على العودة إلى العاصمة 'استانبول' مقابل اصلاحات يقوم بها السلطان 'عبد الحميد' بالإضافة إلى إصدار عفو عام عنه وعن الاتحاديين واعطائهم حق إكمال تحصيلهم العلمي ، وان يعطيهم وظائف حكومية في الدولة ، وقد تم الاتفاق بين 'مراد بك' و'احمد جلال الدين' على ذلك ، وتم توقيع هذا الاتفاق فيما بينهم ، حيث عاد 'مراد بك' إلى استانبول في ٣٠ يوليه ١٣١٣ رومي/ ١٨٩٧م[٥].ولم يقتصر الامر على 'مراد بك' ، حيث عاد كل من 'اسحق سكوتي' الذي حصل فيما بعد على وظيفة في سفارة الدولة في 'روما' (Roma) ، كذلك عاد 'عبد الله جودت' (Abdüllah Cevdet) وحصل على وظيفة في سفارة الدولة في ' فينا' (Viyana) [٦]. كما عين 'طونالي حلمي ' كاتباً في سفارة الدولة في 'مدريد' ، ولم يبق لدى هؤلاء أي اثر للثورية[٧]. وقد يكون السبب في اختيار الوظائف لهؤلاء في السفارات للاستفادة منهم في توفير المعلومات عن الجمعية لصالح السلطان 'عبد الحميد'.

وربما ان موافقة هؤلاء على العودة يعود الى اقتناعهم ان الجمعية لن تستطيع تحقيق أهدافها بسبب حالة التشرذم التي تعاني منها وبسبب الضربات التي تعرضت لها ، ولقد وجد القليل من برر أعمال

---

(١) رامزور . تركية ، ص ٧٥-٧٦ ؛ Kuran . *Inkilâp Hareketleri* , P. 164

(2) Kuran . *Inkilâp Tarihimiz* , P. 49 .

(3) Kuran . *Inkilâp Tarihimiz,* P. 52 , Kuarn. *Inkilâp Hareketleri*, P. 166 .

(٤) المصدر نفسه ، ص٧٦.

(5) Kuran . *Inkilâp Hareketleri,* P. 169 ; Akşin . *Jön Türk,* P. 1793.

(6) Kuran . *Inkilâp Tarihimiz,* P 58 .

(٧) طوران . *اسرار* ، ص ٢٨ .

'مراد بك' ، لكن الأغلبية في الجمعية اعتبرت ذلك زلزلة ثقة ، حيث تزعزع ايمانهم بقدرتهم على تحقيق طموحاتهم .

هروب داماد محمود باشا [١].

كانت عودة 'مراد بك' و'عبد الله جودت' و'اسحق سكوتي' وغيرهم الى الدولة وتركهم لجمعية الاتحاد والترقي ضربة قاسية ولكن كما كانت الأمور تجري عادة بعد كل ضعف يصيب الجمعية سواء في الداخل او الخارج، يوجد القدر من البلسم الذي به تشفي الجمعية من كل جراحها ويبعث فيها الحياة والامل من جديد ، ذلك ان الجمعية أثبتت اكثر من مرة قدرتها على التجدد والاستمرارية .

لم يهتم 'احمد رضا' كثيراً بعودة 'مراد' بل ربما راق الأمر له كون 'مراد بك ' منافساً شديداً له . مؤكداً على استمراره في عمله، حيث توفرت له روح الاستمرارية بسبب ما كان يتميز به من عناد وجلد [٢] ، وكان ما قام به السلطان من إعادة قياديي الاتحاد والترقي واستمالتهم بالمناصب يثير جدلاً كبيراً بينهم ، الأمر الذي كان يسبب لهم المشاكل ويوجد بينهم الخلاف والفرقة. مما جعل مجادلة الجمعية تتجه ضد السلطان 'عبد الحميد' من جهة وضد بعضهم البعض من جهة أخري [٣] .ومهما يكن من أمر فان البلسم هذه المرة جاء عن طريق 'داماد محمود باشا' (Damad Mahmut Paşa) الذي فرّ في شهر كانون أول ١٨٩٩ مع ابنيه الأمير 'صباح الدين' (Prince Sabahaddin) 'ولطف الله' (Lûtfullah)[٤]

وهناك من يذكر أن سبب الخلاف بين 'محمود باشا' وبين السلطان 'عبد الحميد' إنما كان حول مسألة منح امتياز خط سكة حديد بغداد 'ألمانيا' ، وهو الذي يفضل 'إنجلترا' ، إلا انه عجز عن إقناع السلطان بذلك ، حيث قرر بعدها الرحيل مع ابنيه [٥].

ومهما يكن المبرر الذي بسببه غادر 'محمود باشا'، فان ذلك الأمر سبب ضربة مؤلمة للسلطان ، حيث يعني هذا ان المعارضة وجدت لها مناصرين من القصر السلطاني [٦]، كما أن ذلك أعطى قوة دفع استثنائية لجمعية الاتحاد والترقي كونها تستطيع اجتذاب مثل هؤلاء الرجال الذي هم على درجة عالية من الأهمية .

---

(١) داماد محمود باشا . ولد سنة ١٨٥٥ ، كان أبوه الاميرال خليل باشا ، وأمه بنت السلطان محمود الثاني ، لذلك أطلق عليه لقب داماد وهي تعني بالتركية (صهر) ، وكان محمود باشا على قدر كبير من الذكاء والثقافة ، وقد اشتغل فترة من الزمن خلال شبابه في سفارة الدولة العثمانية، في باريس ثم شغل منصب وزير العدلية ، وظل يشغله زهاء ثمانية اشهر ، انظر – رامزور . تركية ، ص ٨٣ .

(2) Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, p. 60 ; Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 175.

(3) Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 175.

(4) Akşin. *Jön Türk*, P. 1794 ; Shaw-Shaw . *History* ,p.258.

(٥) مانتران تاريخ ، ج٢،ص٢٣١.

(٦) المرجع والصفحة نفسهما ؛ Fesch. *Constantinople*, p .348-351.

فور مغادرة 'محمود باشا' مع ابنيه إلى مصر ،وظل السلطان 'عبد الحميد' يلح على الخديوي 'عباس حلمي باشا الثاني'[1] لاعادتهم إلى 'إستانبول' ،أو على الأقل إخراجهم من 'مصر' ، وقد دارت بينهما مخابرات كثيرة بهذا الشأن[2] ، وقام السلطان 'عبد الحميد' بإصدار العفو عن 'محمود باشا' ونجليه اكثر من مرة، " واللازم رجوعهم في اقرب وقت إلى الأستانة ، وبما أن الخليفة بلغه انه في العزم أن يرافقوا الجانب الخديوي عند قدومه إليها ، وهذا مالا تسمح به الظروف ، ولا يرغبه الخليفة ، فالأفضل ان يعودوا كما خرجوا بأنفسهم ، أما جماعة تركيا الفتاة ، فيخرجون من 'مصر' ويتوجهون أما إلى أوروبا أو إلى الأستانة"[3] .

ولهذه الغاية أرسل الخديوي 'احمد شفيق باشا'[4] إلى 'محمود باشا' حيث اخبره بالعفو السلطاني فرفض نجلاه الرجوع قبل إدخال إصلاحات في إدارة الدولة ، لكن أبيهم وافق ورضي بالعودة ، لكنه كان يخشى العودة منفرداً، وطلب من 'احمد شفيق باشا' ان يبقى بمصر مدة شهرين حتى يسافر ولداه لأوروبا[5]وكان 'محمود باشا' يوصف بأنه ذو طباع سيئة، فهو من ناحية باع نفسه للغرب كأنه بطل للحرية والدستور ومن جهة أخرى كان يقوم بمساومة السلطان من أجل الحصول على الأموال وبعض الامتيازات الخاصة به مقابل عودته إلى الدولة العثمانية[6].

وفي ١٠ نيسان ١٩٠٠ طلب 'محمود باشا' مقابلة 'احمد شفيق باشا' ، فلما تمت المقابلة اخبر 'محمود باشا' 'احمد شفيق' انه لا يرغب في العودة إلى 'استانبول' ، نظرا لما حصل له ولولديه من الإهانات من جانب الخديوي ، كما انه لا يأمن على حياته ، إذا ما رجع بدون ضمانات أجنبية واضحة[7]، وعلى الأثر قام 'محمود باشا' وولداه بالسفر إلى 'فرنسا' ، حيث تبين حقا جدية موقفه ، لذلك فقد قام 'احمد رضا' بتوجيه رسالة غاية في الإطراء والثناء له ، وبذلك اعتبر 'محمود باشا' ضمن النشطاء المنتمين للجمعية ، ولقد عبرت الجمعية عن فرحتها هذه أيما فرحة ، بسبب صلات 'محمود باشا' بالسلطان 'عبد الحميد' واثر انضمامه عليه[8] .

---

(١) عباس حلمي باشا . 'عباس الثاني' ١٨٤٧-١٩٤٤. خديوي مصر من ١٨٩٢-١٩١٤ وهو ابن الخديوي توفيق، خلعه الإنجليز بعد إعلانهم الحماية البريطانية على مصر في كانون أول ١٩١٤ ، أنظر- حرب . *مذكرات*، ص٢٧٧.

(٢) أحمد شفيق باشا .*مذكراتي في نصف قرن* ،(القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٤)،ج٢ ،ص٣٥٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٧-٣٥٨ ؛ انظر Akşin. *Jön Türk*, P. 1794

(٤) أحمد شفيق باشا : ولد سنة ١٨٦٠ ، وكان رئيس الديوان الخديوي ، ووكيل الجامعة المصرية سابقا ، وقد خدم التاريخ المصري خدمة جليلة بحولياته السياسية التي صدرت تحت العنوان " حوليات مصر السياسية " التي بلغت ١٠ اجزاء ، - شفيق باشا . *مذكراتي* ، ص التقديم

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٥٨ .

(٦) أوكه. *جاسوس*، ص ١٣٩-١٤٠.

(٧) شفيق باشا . *مذكراتي*، ص٣٥٨.

(8) Zürcher. *Turkey*, P. 92

إلى جانب ذلك شهدت الأحداث هروب أحد المقربين لحاشية السلطان 'عبد الحميد' وهو ' إسماعيل كمال الألباني '[1] الذي عينه السلطان حاكماً عاماً على 'طرابلس الغرب' .ولقد اعتقد ' إسماعيل كمال' ان الفرصة قد حانت للمعارضة بسبب تصوراته الإصلاحية وشكوك السلطان 'عبد الحميد' به ، فقام بالتنسيق مع السير 'نيكولاس اوكنور' (Sir Nicolas O'conor) السفير البريطاني في 'إستانبول' ، فذهب إلى المعدية الراسية في 'البوسفور' ، ثم انتقل منها وهو محاط بالحراسة اللازمة إلى سفينة ترفع العلم البريطاني ، حيث أبحرت إلى 'اليونان' في أول أيار ١٩٠٠ ، وانتقل بعدها إلى 'بروكسل' ، حيث اصدر هناك صحيفة 'ألبانيا' مع ألباني آخر يدعى ' فائق بك كونيتزا '(Konetze)، وعندما لم يتفقا قام بإصدار صحيفة 'تحية ألبانيا' (La Salut de L Albanie) [2] .

ولقد جرت في الحقيقة عدة محاولات للتوفيق بين أجنحة الجمعية المختلفة ، حيث كان كل فرع يتعامل بشكل مستقل ومنفصل ويعوزهم التنظيم[3] ، ولا يستشيرون الفروع الأخرى ، وكانوا في كثير من الأحيان ينافقون فيما بينهم ، بل وصل الأمر لحد توجيه الشتائم لبعضهم البعض[4] .

كان يفترض أن تناط عملية تنسيق المواقف هذه بشخص 'داماد محمود باشا ' الذي كان يحظى بالكثير من الاحترام والتقدير لدى كافة فروع الجمعية ، لكن 'محمود باشا' توفي سنة ١٩٠٢ ، وانتقلت الزعامة إلى ابنه الأمير 'صباح الدين' الذي كان من ابرز الذين ظهروا على مسرح الأحداث السياسية داخل الجمعية من سنة ١٩٠٢م وحتى ثورة ١٩٠٨[5].

ولقد قام الأمير 'صباح الدين' (١٨٧٧-١٩٤٨) وأخيه 'لطف الله' بتوجيه دعوة لانعقاد مؤتمر لجمعية الاتحاد والترقي من اجل تنسيق المواقف وحل المشاكل ورص الصفوف[6]، حيث لقيت دعوتهم ترحيبا حارا من كافة فروع الجمعية ، وعقد المؤتمر فعلا في منزل المسيو 'لوفافريو يوبتاليس' وهو أحد الفرنسيين المتعاطفين مع الجمعية[7] ، وذلك في الفترة من ٤-٩ شباط ١٩٠٢ [8] .

---

[1] إسماعيل كمال بك . (١٨٤٤-١٩١٩) من رجال الدولة العثمانية ، ومن زعماء الحركة القومية الألبانية ، تولى عدة مناصب في المشرق كولاية سورية ، إلى جانب العديد من المناصب الأخرى ، وقد انتخب في البرلمان العثماني عام ١٩٠٨ بعد الثورة ، ورئيسا للبرلمان خلال الثورة المضادة ، (أحداث ٣١ مارت ١٩٠٩) وقد اختلف كثيرا مع جمعية الاتحاد والترقي ، وقد تزعم أخيرا حركة القومية الألبانية ، وانتخب رئيساً للحكومة الألبانية الأولى التي أعلنت استقلالها في ٢٨ تشرين ثاني ١٩١٢ ، انظر – كلشي . *الوجه* ، ص ٣٤.

[2] رامزور . *تركية* ، ص ٨٨-٨٩ .

[3] Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 183.

[4] Ibid P. 194.

[5] المصدر نفسه ، ص ٩٢-٩٣ .

[6] مانتران . *تاريخ* ، ص ٢٣٢ .

[7] رامزور . *تركية* ، ص ص ٩٣ .

[8] كلشي . *الوجهس* ، ص ٣٣ ؛ Swallow. *The SickMan*, P. 88-89 ؛. –Zürcher. *Turkey* P.92;.

ولقد شارك في هذا المؤتمر ممثلين عن الأتراك والأرمن واليونان والعرب والألبان والأكراد واليهود[١]، كما شارك في هذا المؤتمر ممثلين عن 'المنظمات الثورية الأرمنية' (Armenian Revolutionary Organization) خصوصا 'الهنشاك' (Henchak) و'الداشناك' (Dashnak) [٢]، في الوقت الذي كان يمثل اليهود في هذا المؤتمر 'ألبرت فوا ' (Albert Fuo) الذي تلقى الدعوة لحضور المؤتمر بسبب إسهاماته ومشاركته الطويلة في الجمعية[٣]، واما عن مشاركة العرب فقيل ان 'خليل غانم' ادعى تمثيلهم في المؤتمر[٤] .

وتتضارب المعلومات حول حضور 'إبراهيم تيمو' هذا المؤتمر[٥] ، 'فحسن كلشي' يذكر أن 'إبراهيم تيمو' لم يحضر المؤتمر ويبرهن على ذلك بأنه لو حضره لذكر ذلك في مذكراته ، التي ذكر فيها انه قد كتب لفروع الجمعية في 'باريس' و'لندن' و'جنيف' موافقته على برنامج وقرارات المؤتمر[٦] وانه يرجو من هذا المؤتمر الشيء الكثير لا سيما إيجاد مركزية لجميع جمعيات ولجان الاتحاد والترقي ، وبناء جبهة عريضة للعمل[٧] .

لكن هذا المؤتمر زاد الخلافات ، وعمق الهوة بين فئات ولجان الجمعية ، ويمكن القول ان المؤتمر فشل إلي حد بعيد في تحقيق أهدافه ، الأمر الذي أدى إلى ظهور حزبين ، حزب الأمير 'صباح الدين 'و'إسماعيل كمال الألباني' ، اللذين يميلان إلى التدخل الأجنبي لإرساء النظام الدستوري ، وتقليل مركزية السلطات ، بحيث تحصل كل الشعوب غير التركية على نوع من الحكم الذاتي[٨] ، وهذا ما كان يميل إليه الأرمن الذين ينادون بتدخل الدول الأوروبية واستخدام القوة[٩] ، الأمر الذي أدى الى ازدياد الرابطة بين الأرمن والأمير 'صباح الدين'[١٠] بينما كان 'احمد رضا' وتياره ضد أي تدخل أجنبي خارجي،

---

(١) كلشي . *الوجه* ، ص ٣٣.

(2) Zürcher. *The Unionist*, P.17.

(3) Hanioğlu . *The Young Turk*, P. 183.

(4) Loc. cit.

(5) Ibid., P. 182.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٣-٣٤ .

(7) Sonyel , *Minorities*, P. 245.

(٨) المقتبس . دمشق ، العدد ١٣ ، السنة الأولى ، الأربعاء ٣١ كانون الأول ، ١٩٠٨ ، ص ١؛ كلشي . *الوجه* ، ص ٣٤ ؛ أنظر- لوتسكي . *تاريخ* ، ص ٣٩٤-٣٩٥.

(9) Zürcher. *The Unionist* , P. 17

(10) Fesch. *Constantinople*, P. 374 ; Akşin. *Jön Türk*, P 1794; Kansu. *The Revolution*, p.78-79.

وضد التفريط بمركزية السلطة، في حين كانت صحيفة 'مشورت' دائما تؤيد هذا التدخل[1] ، وبعبارة أخرى كان تيار الأمير 'صباح الدين' يميل نحو الليبرالية بينما تيار 'احمد رضا' يميل الى التعصب[2] .

ولقد اصبح الخلاف هذا فيما بعد مسألة انشقاق لكل منهم مؤيديه ، يعملون على نصرته ويحاولون إبرازه في دور الزعيم الحقيقي لجمعية الاتحاد والترقي ، وقام الأمير 'صباح الدين' بتسمية حزبه باسم ' جمعية التشبث الشخصي واللامركزية 'Teşebbüsü Şahsi ve Ademi Merkeziyeti (Society of Personal Initiative and Decentralization) [3]. ولقد وجدت آراء الأمير 'صباح الدين' صدى لاسيما على الصعيد الخارجي ، فإلى جانب الأرمن كان هناك أيضاً من يؤيدهم مثل اليونان الذين دخلت أفكار الأمير 'صباح الدين' آذانهم دون استئذان لأنها ضربت على أوتار اليونانية التي يتخيلونها ، فنهض نوابهم ، وثارت صحفهم تعضد هؤلاء الأحرار ومبادئهم ، وكان قادة هذا الحزب يعرفون كيف يستميلون الكثير من الأجانب الذين ازدحموا على العاصمة يريدون ان ينالوا شيئاً من الامتياز لاستثمار منافعها ، فكانوا يمنونهم بالوعود ، انه إذا ما انتهت السلطة إليهم أنالوهم ما يرغبون فيه ، وأغرب من هذا أن بعض هؤلاء الأحرار اظهروا أنفسهم ميالين للسياسة الإنجليزية ، فاغتر بهم بعض مراسلي الصحف البريطانية ، وشرعوا يعضدونهم بملء جهدهم[4] ، وعلى ما يبدو فان الأمير 'صباح الدين' آمن بان الكلام لا يحقق النتائج المرجوة، لذلك فقد اقتنع بضرورة العمل الجدي والواقعي ، المتمثل بالسير قدماً بالكفاح العسكري ضد السلطان 'عبد الحميد' ، حيث عمل على تدبير خطة انقلاب كانت غاية في السذاجة والبساطة في آن واحد ، ويتمثل ذلك بالاتصال بالمشير 'رجب باشا (Recep Paşa)، وهو ألباني الأصل كان قائدا للقوات العثمانية في ولاية 'طرابلس الغرب'، وتم وضع خطة وآلية لتنفيذها ، ثم عرض الخطة على السر 'ادموند مونسن' (Sir Edmund Monson)السفير البريطاني في 'باريس' عام ١٩٠٢ ، والذي بدوره زود 'إسماعيل كمال' برسالة إلى وزارة الخارجية البريطانية ، حيث وزيرها 'اللورد لانسدون(Lansdowne) ، وجاءت الردود مشجعة ومتحفظة في آن واحد ، مما شجع على مواصلة العمل والترتيبات لهذا الانقلاب ، وتنقل إسماعيل كمال في سبيل ذلك في كل من 'طرابلس الغرب' و'لندن' و'القاهرة' و'باريس' ، ولما عاد إلى 'باريس' ليطلع الأمير 'صباح الدين' وأخيه 'لطف الله'، وجد ان والدهما 'محمود باشا داماد' قد توفي في ١٨ كانون ثاني ١٩٠٢ ، ومع هذا فقد استكملوا الاستعدادات في 'لندن' ، وذلك عندما قام كل من الأمير 'صباح الدين' و'إسماعيل كمال' بترتيب الأمور المالية لهذا الانقلاب ، وفي الأيام الأخيرة ابلغ الأمير 'صباح الدين' 'إسماعيل كمال' انه توجد ثلاث سفن يونانية مستعدة للعمل فورا في 'أثينا' كي تتحرك إلى 'طرابلس الغرب'، والتي بدورها ستتوجه إلى العاصمة

---

[1] Fesch. *Constantinople*, P. 347

[2] كلشي . *الوجه* ، ص ٣٤-٣٥ .

[3] Sonyel. *Minorities*, P. 245 ; Zürcher. *Turkey*, P 92-93; Zürcher. *The Unionist*, P. 18 .

[4] النبراس . نشأة الانقلاب العثماني ، ج ٦ ، م ١ ، ص ٢١٢ .

العثمانية ، ولكن عند وصول 'إسماعيل كمال' إلى أثينا ، لم يجد أي استعداد أو تفاهم على الأمور[1] .وهناك من يذكر أن 'إسماعيل كمال' هو السبب وراء فشل هذا الانقلاب بسبب تلاعبه بالأموال التي أودعت إليه من اجل هذه العملية[2] ، ويذكر 'أقشن'(Akşin) انه تم تحويل مبلغ ١٠,٠٠٠ ليرة ذهبية (Altin) من بريطانيا رصدت لهذه العملية [3].

الحقيقة ان عداء السلطان لإنجلترا يعود في كثير من الأحيان إلى تشجيعهم ودعمهم لجمعية الاتحاد والترقي، حيث كانت صحفها الثورية في 'لندن' تتغذى على الأموال الإنجليزية وفي كثير من الأحيان كانت 'إنجلترا' توفر مظلة حماية لأعضاء الجمعية كما كانت توفر الملجأ الآمن لهم في 'استانبول' و'سوريا' بمساعدة بعض دبلوماسييها الموجودين هناك [4]. ويبدو أن الأمير 'صباح الدين' كان يعي أهمية الصحف من اجل نشر أفكار حزبه ، لذلك فقد قام بإصدار صحيفة 'ترقي' (Terakki) سنة ١٩٠٦ ، وعهد بإداراتها إلى أخيه بالتبني 'احمد فضلي بك' (فضلي تونغ) [5] الذي كان سكرتيراً عاماً 'لجمعية التشبث الشخصي واللامركزية ' الذي أنشأه الأمير 'صباح الدين' [6] .

أما 'لطف الله' فقد سافر سراً إلى 'استانبول' ليقوم بواجب التعزية لامه 'سنيحة سلطانة' لكنه فوجئ بضباط من القصر في استقباله ، فعاد ووافق على الإقامة في العاصمة على ضفاف مضيق البوسفور والغي حكم الإعدام الذي صدر بحقه[7] .

إعادة بناء جمعية الاتحاد الترقي داخل الدولة.

كان واضحاً أن جمعية الاتحاد والترقي داخل الدولة العثمانية عانت العديد من المشكلات أدت إلى انهيار بنائها لأكثر من مرة ، لكن هذا الأمر لم يكن يعني على الإطلاق عدم تجدد هذا النشاط الذي كان في كل مرة يبدأ ويتجدد من خلال المدارس والكليات الطبية العسكرية، وغالباً ما كانت هذه الجمعيات السرية داخل الدولة تصبح امتداداً لجمعية الاتحاد والترقي الأم في المنفى .وربما يكون 'المصطفى كمال' دور هذه المرة في نشاط الجمعية، حيث تخرج من كلية الأركان في كانون ثاني ١٩٠٥ ، وكان 'مصطفى

---

[1] رامزور . تركية ، ص ١٠١-١٠٣ ؛ Akşin. *Jön Türk*, P 1794

[2] Kuran. *Inkılâp Tarihimiz*, P. 159-164.

[3] Akşin. *Jön Türk*, P 1794

[4] أوكه . *جاسوس* ، ص١٢٥.

[5] أحمد فضلي بك . من الطلاب القدامى في الكلية العسكرية في استانبول ، حكمت عليه المحكمة العرفية بالإعدام في طاش قشلة لاشتراكه في نشاطات معادية للدولة ، ثم أبدل حكمة بالنفي إلى طرابلس الغرب حيث غادرها الى فرنسا ، حيث ساهم في تنظيم الجالية العثمانية هناك ، انظر – رامزور . تركية ، ص ١١٠ .

[6] رامزور . تركية ، ص ١١٢ ؛ Fesch. *Constantinople*, P. 382

[7] المصدر نفسه . ص ١١٢-١١٣ ؛ Ibid, P.377

كمال' منذ صغره ثوريا ، حيث ألقى عليه القبض في نفس اليوم الذي أنهى فيه دراسته[١] ، وربما كان ذلك وهو في سن (١٨-١٩) ، حيث ترك الأدب واستمر في هوايته الخاصة بإلقاء الخطب ، ذلك أن عدوى السياسة قد سرت إليه، في تلك الأيام التي أصبحت موضة بين طلاب المدارس والكليات الطبية المدنية والعسكرية[٢] .

كان 'مصطفى كمال' يؤمن بالحرية السياسية ، ومبدأ الحرية للجميع[٣] في الوقت نفسه كان لا يحترم دينا أو انساناً، ولا يقدس شيئا على الإطلاق[٤]. وفي سنة ١٩٠٦ قام 'مصطفى كمال' بإنشاء جمعية 'وطن' Vatan (Father Land Society)[٥] وقد ساعده في ذلك 'مفيد اوزداش'Mvfid Özdaş) والطبيب 'حاجي مصطفى بك'، ولعل الأخير هو المؤسس الحقيقي للجمعية في حين كان 'مصطفى كمال' عضواً مؤسساً[٦] .

ولقد قام 'مصطفى كمال' فيما بعد بتغيير اسم جمعيته إلى 'جمعية وطن وحرية ' Vatan ve Hürriyet Cemiyeti[٧] (Father Land and Liberty Society) عام ١٩٠٦، حيث اكتسب أعضاء في بيروت ويافا والقدس، وتذهب المصادر إلى أنه فيما كان يقضي إجازته في أزمير، غادرها سرا إلى مسقط رأسه سلانيك، حيث أسس فرعا محليا لجمعيته[٨]، وربما كان السبب في ذلك الرسالة التي تلقاها مصطفى كمال من صديقه القديم فتحي أوقيار، الذي نصحه بنقل الجمعية إلى سلانيك، لأن أي ثورة لن تندلع من العاصمة ولا من الولايات الشرقية للدولة[٩]، ولقد مكث مصطفى كمال في سلانيك أربعة أشهر[١٠]، حتى إذا علمت السلطات العثمانية بأنه أساء استخدام إجازته نقل إلى قيادة

---

[١] رامزور . تركية ، ص ١١٨ .

[٢] ضابط تركي سابق . *الرجل الصنم* ، ترجمة ، عبد الله عبد الرحمن ، (ط ٤ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢)، ص ٥٧.

[3] Ali Kazan Cigil – Ergun Özbudun (ed) . *Atatürk Founder of A Modern State*, (London: C.Hurst & Company, 1981) P. 23.

[٤] حمادة . الأدبيات ، ص ٣٣٩ .

[5] Gorge Blanco Villalta. *Atatürk* , Translated from Spanish by William Campbell, (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi , 1979) P 29; Jean – Louis Bacque – Grammont – Jean – Paul Roux . *Mustafa Kemal Atatürk , et La Turquie Nouvelle* (Paris : Maisnneuve et Larose, 1982) P,15.

[٦] رامزور . تركية ، ص ١١٨ .

[7] Vamik. D. Volkan – Norman Itzkowitz *The Immortal , Atatürk Apsychobiography* (Chicago: The University of Chicago, Press, 1984), P.58.

[٨] بروكلمان. تاريخ، طبعة ١٩٧٤، ص٥٩٨.

[٩] مصطفى الزين. ذئب الأناضول،(ط١، لندن – قبرص: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩١)،ص٣٧.

[١٠] رامزور . تركية ، ص ١٢٠-١٢١.

الثغور العسكرية في العقبة، ثم نقل بعد ثلاث سنوات إلى هيئة أركان القيادة العليا للروم ايلي[١] في سلانيك[٢].

ومهما يكن من أمر فانه وفي نفس الوقت فقد كانت المنظمة التي سيتم على يدها تنفيذ ثورة ١٩٠٨ ، باسم جمعية الاتحاد والترقي ، قد أصبحت قائمة في الجيش، وكان الشكل الأخير لهذه الجمعية ان برز فيها فجأة أشخاص وصلوا إلى القمة في قيادة وتوجيه الجمعية ، وكان من هؤلاء 'طلعت بك'[٣] و'رحمي بك' ، و'مدحت شكري' وآخرين ، ولقد سميت جمعيتهم بـ 'الجمعية العثمانية للحرية' (عثمانلي حريت جمعيتي Osmanli Hürriyet Cemiyeti)[٤] ويعتقد أن مؤسس هذه الجمعية هو 'طلعت بك'[٥] .

وكان من الضروري ان تكون لهذه الجمعية اتصالاتها مع الفروع الأخرى الموجودة داخل وخارج الدولة ، ولا سيما مع جمعية 'وطن وحرية' ، التي أنشأها 'مصطفى كمال' ، ويذكر 'نيازملا ': أن الجمعيتين اتفقتا على الاندماج[٦] في ٢٧ أيلول ١٩٠٧ م في سلانيك ، إلا أن عثمانلي حريت جمعيتي' قد احتوت واستقطبت عناصر جمعية وطن وحرية ، وجميع الجمعيات الثورية الأخرى باعتبارها الجمعية الأم[٧] . و أما الادعاء بان الجمعيتين اندمجتا معا اثر اتفاق عقد بينهما في ٢٧ أيلول ١٩٠٧ فهو ادعاء كاذب، وقد لفق لصالح 'مصطفى كمال' الذي كان حينها برتبة -

---

[١] الروم ايلي . هي الولايات الأوروبية من الدولة العثمانية.

[٢] بروكلمان. تاريخ، طبعة ١٩٧٤، ص٥٩٨. .

[٣] طلعت بك . ولد سنة ١٨٧٤ في أدرنة ، هو من زعماء الاتحاد والترقي ، تولى الصدارة من عام ١٩١٧-١٩١٨ فكان المسيطر الأول من الثالوث الحاكم آنذاك ، وكان طلعت بك ابن موظف عثماني صغير ، انضم إلى شركة الهاتف بعد أن لازم دراسة القانون فترة من الزمن في سلانيك وسرعان ما اعتقل هناك ، وفي عام ١٩٠٩ عين وزيرا للداخلية ، ثم تقلد منصب وزير البريد ثم الأمانة العامة للاتحاد والترقي ١٩١٢ ، وانحاز إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ، واستقال من مناصبه سنة ١٩١٩ قبل توقيع معاهدة الصلح بين المتحاربين ، وقد قتل في ألمانيا أثناء تواجده فيها سنة ١٩٢١، انظر – علي حسون . *العثمانيون والبلقان* ، (ط ٢ بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٨٦) ص ١٩٢ .

[٤] رامزور . *تركية* ، ص ١٢١ .

[٥] طوران . *أسرار* ، ص ٤٩ .

[٦] محمد قربان نيازملا . *السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية* (ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٨) ، ص ٥٩-٦٠ .

[٧] رامزور . تركية، ص ١٢٣ .

أركان حرب قول أغاسي (نقيب ركن متقدم) – ، لأنه لو كان هناك مثل هذا الاتفاق لتبوأ 'مصطفى كمال' مكانا مهما في جمعية الاتحاد والترقي[١] .

ولقد انتشرت هذه الجمعية الداخلية الجديدة بسرعة كبيرة ، وكونت خلاياها في كل مكان ، حيث كانت كل خلية تتكون من أربعة أو خمسة أعضاء ، وكل شخص منهم يقوم بتكوين خلية في نفس الحجم ، وذلك حفاظا على السرية ، وقد أخذت الجمعية نظام الخلايا عن تنظيم 'الكاربوناري ' الذي كان أعضاء 'تركيا الفتاة' قد استخدموه قبل حوالي عشرين سنة من تأسيس هذه الجمعية[٢].

ولقد قامت هذه الجمعية بالعمل على توسيع نشاطها فأقامت فروعا لها في 'مناستير' التي أصبحت مركزا لا يقل أهمية عن مركز' سلانيك' ، كما ظهرت فروع أخرى في العديد من الولايات العثمانية ، كانت على درجة من الأهمية والخطورة في ان واحد ، ومن هذه المناطق رسنة[٣] بإشراف الرئيس الأول الركن 'نيازي بك'[٤] ، الذي يذكر كيفية انضمامه إلى الجمعية بقوله :" وكنت اطلعت على منشورات الأحرار العثمانيين من هذا القبيل ، ومقررات مؤتمراتهم في باريس فيما يتعلق بالاتحاد من أحد إخواني بأزمير ثم 'سلانيك' ، وهو الملازم 'مجد الدين أفندي' ، فكان المومأ إليه واسطة مراسلتي في غضون ذلك ، وقبله مع من هم في أوروبا ، ثم اخبرني ان في 'سلانيك' جمعية مؤلفة من أحرار المسلمين ،وأعلمني بعدها أن أحرار العثمانيين الموجودين في أوروبا عدا أنصار احمد رضا بك لا شأن لهم فيهم به ، وانهم كالأرمن والبلغار رأيهم أن يطلبوا من أوروبا دخولها ومعونتها ، فكان شبابنا وضباطنا الذين يتهافتون في ذلك الزمان على منشورات احمد رضا بك اشد التهافت ، اعترفوا باحتياجنا إلى انقلاب وطيد الأركان للوصول إلى الإصلاحات العامة مكان الإصلاحات الفرعية ، واتحدوا كلهم في نقطة واحدة هي استرداد القانون الأساسي"[٥] .

كما نظمت لجان في كل من 'اسكوب' –إلى الشمال من مناستير– تحت إشراف المقدم 'غالب بك' ، وفي 'أدرنة' بإشراف 'عصمت اينونو' (Ismet Onünü) الذي كان معه كل من 'كاظم قره باشا' ، و'سيفي باشا' ، و'حسين قدري بك' ، بالإضافة إلى العديد من المراكز الأخرى ، وكان اغلب

---

(١) ضابط تركي . *الرجل* ، ص ٦٧ .

(٢) رامزور . *تركية* ، ص ١٢٢ .

(٣) رسنة . Rasna او Resen وهي تقع على ضفة بحيرة برسبا التي تفصل بين يوغسلافيا وألبانيا ، انظر – كلشي . الوجه ، ص ١٩ .

(٤) نيازي بك الرسنة لي : يوز باشي في الجيش العثماني ، ولد في رسنة من ولاية مناستير، ونشأ فيها ، كلفته الدولة مطاردة العصابات البلغارية ، فقام بمهمته خير قيام ، وفي سنة ١٨٩٧ كان ملازما ومشاركا في الحرب اليونانية ، حيث اثبت الصبر والشجاعة في القتال ، وفي سيطرته على بلدة فولو Volo ثم أرسل الى العاصمة ليكون مسؤولا عن الأسرى اليونانيين – المقتطف . مصر ، ج ١٠ ، م ٣٣ ، ١ أكتوبر ١٩٠٨ ، ص ٨١٦ .

(٥) احمد نيازي الرسنة لي . *خواطر نيازي ، أو صحيفة من تاريخ الانقلاب العثماني الكبير* ، تعريب ، ولي الدين يكن ، (مصر : مطبعة على سكر احمد ، ١٩٠٩)، ص ٢٩ .

هؤلاء المنتمين لهذه الجمعية من ضباط وجنود الجيش الثاني والثالث[١] .وفي هذه الأوان قامت كثير من فرق الجيش العثماني بإعلان العصيان المصغر ، وذلك لإجبار الحكومة على دفع رواتبهم المتأخرة ، ولقد استغل الضباط بساطة وسذاجة هؤلاء واستخدموهم أداة لتنفيذ توجهاتهم التي هي توجهات اتحادية[٢] .

أما عن كيفية الاندماج بين 'الجمعية العثمانية للأحرار' في الداخل و'جمعية الاتحاد والترقي' في الخارج ، فقد كانت على يد 'عمر ناجي' ، و'خسرو سامي' المنتميين إلى 'الجمعية العثمانية للأحرار' واللذين هربا إلى 'باريس' من الاعتقال ، ومن ثم قاما بدراسة برنامجي كل من البرنس 'صباح الدين' ، و'احمد رضا' ، ووجدا أن 'احمد رضا' اقرب إلى آراء وتصورات جمعيتهم ، وبعد محادثات سجال بينهم تم الاتحاد بين الجماعتين ، واتفقوا على إطلاق الاسم الأشهر والأقدم وهو 'جمعية الاتحاد والترقي " وذلك في ٢٧ أيلول ١٩٠٧ ، وجاء بيان الوحدة بين الجمعيتين وبرنامجهما في الوثيقة التالية :

"إن 'جمعية عثمانلي وترقي واتحاد' والتي مركزها 'باريس' و ' جمعية عثمانلي حريت' والتي مركزها 'سلانيك' ، قد اتحدنا باسم 'عثمانلي وترقي واتحاد جمعيتي ' من تاريخ ١٩ شعبان ١٣٢٥ هـ و ١٤ أيلول ١٣٢٢ رومي و ٢٧ أيلول ١٩٠٧ ميلادي"[٣] .

ومما جاء في بنود الاتفاق في نفس الوثيقة انه سيكون للجمعية مقران ، مقر خارجي في 'باريس' ، ومقر داخلي في 'سلانيك' ، على أن يكون للمقرين رئيسان منفصلان ، كما أكدت الوثيقة على أن الغرض هو إعادة دستور 'مدحت باشا' ١٨٧٦ إلى جانب العديد من القرارات الأخرى[٤] .

ولقد عقد المؤتمر الثاني للجمعية في باريس من ٢٧ -٢٩ كانون أول ١٩٠٧ ، وقد شارك فيه كل من 'احمد رضا' والأمير 'صباح الدين'، كذلك 'مالوميان' (Maloumian) ممثل 'الاتحاد الأرمني الثوري' 'الداشناك' الذي نجح إلى حد بعيد في توحيد العديد من الجماعات الثورية الأرمنية حيث كان يعلق آمالا كبيرة على الاتحاديين ، لذلك فقد سعوا إلى الوحدة أو التنسيق على الأقل في الاجتماعات ، من اجل المصالح المشتركة التي تربطهم معا ، ولقد قام المؤتمر بتقديم عدة توصيات منها:

١- المقاومة المسلحة لأعمال الظلم .
٢- المقاومة غير المسلحة وتتخذ شكل الإضرابات السياسية ، والاقتصادية بما في ذلك إضراب موظفي الحكومة والبوليس .
٣- المقاومة السلبية عن دفع الضرائب .
٤- نشر الدعاية في الجيش ، لحملهم على التصدي للسلطان وعدم محاربة الجمعيات الثورية .
٥- الثورة العامة إذا اقتضت الظروف ذلك[٥] .

---

(١) رامزور . تركية ، ص ١٣٢ .

(٢) المصدر والصفحة نفسهما .

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٧-١٣٨. .

(4) انظر هذه القرارات بالتفصيل في Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, P. 238-239

(٥) رامزور. تركية،ص١٣٢.

وبهذا شكل المؤتمر الثاني لهذه الجمعية منعطفاً خطيراً ، فلقد تم في هذا المؤتمر ما لم يتم من قبل من حيث عدم استبعاد الثورة والمقاومة المسلحة ، والعمل على استخدام الجيش ، وهذا ما لم يتم التطرق له صراحة أو الإماءة إليه في الأوقات السابقة .

ويبقى أن نقول أن الاتفاق الظاهري في المؤتمر الثاني لم يكن يعني على الإطلاق توحيد وجهات النظر بين البرنس 'صباح الدين' و'احمد رضا' لأنه ما إن جاء عام ١٩٠٨ حتى اتسعت الهوة لدرجة لا يمكن معها التوفيق بينهما(٢).

---

(١) رامزور . تركية، ص١٣٢.

(2) Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, P. 239 .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

الدولة العثمانية واليهود

أ- علاقة يهود الدونمة[1] بالدولة العثمانية.

١- ماهية يهود الدونمة والتعريف بهم.

أ- هجرة اليهود الى الدولة العثمانية

ظلت أوروبا تكن العداء الشديد لليهود منذ العصور الاولى لميلاد السيد المسيح ، وذلك بسبب ما كان يلتصق بهم من تهمة صلب المسيح ، فكانوا قرونا يمثلون جنسا ودينا غير مرغوب فيه أوروبيا، لذلك فان كثيرا من العنف والقسوة استعملت ضدهم .

فيما بعد وفي عام ١٤٩٢ أتم الملك الأرغواني ' فريدناند' (Ferdinand) ، والملكة القشتالية 'ايزابيلا' (Isabella)، استعادة العديد من المدن الهامة ومنها إمارة 'غرناطة' التي استسلمت للقوات المسيحية، وشرعت اسبانيا بحملة لطرد المسلمين واليهود معا[2]، وخير اليهود بين تغيير دينهم أو المغادرة، ولقد ارتضى القسم الاكبر منهم عدم المجازفة بحياتهم في المنفى واعتناق المسيحية ، أما أولئك الذين احتفظوا بدينهم سرا، فقد لاقوا من محاكم التفتيش صنوف العذاب ، واما الذين فضلوا الهجرة على أن يعيشوا مسيحيين ، وعددهم يقارب ٣٠٠,٠٠٠ ، فقد قرروا الهجرة فرارا بدينهم رغم ما في الطريق من مخاطر ، وفي النهاية وصل عدد كبير منهم إلى إيطاليا ، اما من وصل الدولة العثمانية منهم فقد تجاوز ١٠٠ الف يهودي[3]. حيث قام السلطان العثماني'بايزيد الثاني' (١٤٨١-١٥١٢) بالترحيب بهم والسماح لهم بالإقامة في شتى أنحاء الدولة ،وأعطاهم حقوقهم كاملة عقب ما كانوا يتعرضون له من مذابح[4].

وفي ظل حكم السلطان 'سليمان القانوني' (١٥٢٠-١٥٦٦) برز اليهود إلى حد كبير في مجالات الحياة المختلفة ،حيث عين السلطان 'سليمان' أحد اليهود في منصب المتحدث باسم الطائفة اليهودية ، كما ان معرفة اليهود باللغات الغربية ، وميلهم للتجارة وخبرتهم في شؤون المال والصرافة ، وعلاقتهم بالدول

---

(١) دونمة. هي تستعمل كصفة مشتقة من المصدر التركي "دونمك" بمعنى العودة والرجوع، وفي هذا المعنى كذلك ما ورد أنها كلمة تركية تعني مرتداً، ملحداً، زنديقاً، كافراً. أنظر – محمد قربان نيازملا. *السلطان عبدالحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الاسلامية*، (ط١، بيروت: دار البشائر الاسلامية، ١٩٨٨)، ص٦٧.

(2) Sir Edwin Pears. *Life of Abdul Hamid*, (New York: AnewYork Times Company, 1974). P. 298 .

(٣) صالح زهر الدين. *اليهود في تركيا ٥٠٠ عاماً*، (ط١، حلب: دار الصداقة للترجمة والنشر، ١٩٩٦)ص ١٠.

(4) M.A.Ubicini. *Letters on Turkey*, (New York - Arno Press: Anew York Times Company, 1973) Part. 2 P. 342-344..

أتاح لهم فرصة تسلم وظائف هامة في الدولة ، في وقت كانت الدولة العثمانية تشهد ازدهاراً وانفتاحا في علاقاتها مع اوروبا ، وفي هذا الوسط من الإيجابية بدأ اليهود حياتهم من جديد بحيث اعتبر القرن السادس عشر بمثابة 'العصر الذهبي' أو 'الحقبة الذهبية' من تاريخ اليهود في الدولة العثمانية[١] ، حيث عاش اليهود في سلام في الوقت الذي كانوا يلاقون في أوروبا تمييزاً وكراهية قوية ، كانت تتفاقم من وقت لآخر لتنتهي بالمذابح[٢] .

ومهما يكن من أمر فقد عرف اليهود المهاجرون إلى الدولة العثمانية 'باليهود السفارديم'[٣] (Sephardim) حيث استقروا في 'استانبول' (Istanbul) و'سلانيك' (Salonica) ،و'ادرنة' (Edirna) و'نيكوبولس' (Nicopolis) في المقاطعات الاوروبية؛ و'بورصة' (Bursa) و'أماسيا' (Amasya) و'توكات' (Tokat) في المقاطعات الأسيوية من الدولة العثمانية ، وسرعان ما اصبح في استانبول جالية يهودية كبيرة، في حين أصبحت 'سلانيك' مدينة غالبية سكانها من اليهود ، وقد عمل كثير من اليهود في الكلية الأكاديمية الطبية في 'سلامانكا' (Salamanca) ، واصبحوا اكثر أطباء القصر تأثيراً، كذلك عمل اليهود كمترجمين بسبب ارتباطهم ومعرفتهم السابقة بأوروبا قبل طردهم من أسبانيا[٤] .

ويمكن القول ان يهود الدولة العثمانية المهاجرين من 'اسبانيا' ظلوا شديدي الحرص على المحافظة على التراث اليهودي الأسباني[٥].

ولقد كتب مفكرون يهود عدداً من المقالات، فسروا تجاهل مجتمعهم للغة التركية ، حيث فشل اليهود في الماضي في دراسة اللغة التركية بسبب عزلتهم في أحياء خاصة بهم ، وتخصصهم في مهن تحتاج تعلم لغة أجنبية ، كما ان تعليم اللغة التركية لم يكن مهماً في الماضي ، بسبب انتفاء الاختلاط بين الفئات الاجتماعية المختلفة ، ثم أن الأمر يعود الى حد ما الى تعقيد اللغة التركية، الامر الذي جعل دراستها عملية صعبة ، وعندما امتزجت الطوائف والمجتمعات مع تطور اللغة التركية ، اصبح اليهود يتطلعون الى دراسة هذه اللغة وتعلمها ، وقد شكلوا اللجان لهذه الغاية ، واستخدموا اللغة التركية بعدها في معاملاتهم الرسمية[٦] .

---

(١) زهر الدين. *اليهود*، ص ١٢-١٣ .

(٢) ج.هـ . جانسن. *الصهيونية وإسرائيل واسيا*، ترجمة، حميد راشد، (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث، ١٩٧٣)، ص١٦.

(٣) أطلق على اليهود المطرودين من اسبانيا وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم السفارديم نسبة الى "سفاراديم" أسبانيا بالعبرية ، ويطلق هذا الاسم على عامة اليهود الشرقيين ، انظر – صبري جريس. *تاريخ الصهيونية ١٨٦٢-١٩٤٨* ، (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث، ١٩٧٧)، ج ١ ، ص ١٤.

(4) Salahi Sonyel, *Minorities and the Destruction of the Ottoman Empire*. (Ankara: Turkish Historical Society Parinting House, 1993) P. 50-51 .

(٥) المصدرو الصفحة نفسهما .

(6) David Kushner. *The Rise of Turkish Nationalism 1876-1908* (London : Frank Cass , 1977) P.94 .

كان للتعليم في 'سلانيك' نصيب فيما بعد ، حيث كان عند اليهود حوالي ٥٠ مدرسة يتلقى حوالي ٩٠٠٠ طالب تعليمهم الأساسي فيها ، وكان التدريس في الغالب باللغة الفرنسية[١] ، في الوقت الذي حظي يهود سلانيك على الأمن النسبي الذي تمتعوا به في ظل الحكم العثماني، كانوا يخشون من مواجهة المصاعب والمشاق فيما لو تغير اسيادهم[٢] .

لقد عاش اليهود في ظل الحرية التي لم يتمتعوا بها من قبل في أي قطر أوروبي من حيث الاستقلال الذاتي والإداري والطائفي ، فكان الحاخام الأكبر (الحاخام باشي)، ممثل اليهود في كل امر امام الحكومة ، فإلى جانب حرية اليهود في اختيار رؤسائهم الروحيين ، وفرض الضرائب ، وحل الخلافات فيما بينهم ، كانت لديهم المحكمة اليهودية التي تحكم بينهم حسب الشريعة اليهودية ، كما لم يحدث أدنى تدخل بالأموال التي تجمع لمؤسساتهم الخيرية او التعليمية ، وتمتعت مدارسهم الطائفية أجمالا باستقلال ثقافي ذاتي[٣] .

ويحدثنا المؤرخ التركي 'جواد رفعت اتلخان'، ان اليهود رغم كل ما قدم لهم من خدمات ، وتوفير كل وسائل الراحة والأمان لهم، إلا أنهم لم يحفظوا الجميل الذي أسدته لهم الدولة العثمانية ،ذلك أن اليهود بمجرد وصولهم إلى الدولة مهاجرين إليها من الظلم بادروا إلى ترويج الإشاعات وإطلاق الأضاليل والأكاذيب للتشنيع على الدولة العثمانية ، فاستنبطوا القصص الخيالية للحط من قدر الإسلام والمسلمين ، وكانوا يرسلون تلك الأخبار إلى صحافتهم المتنفذة في أوروبا لنشرها على أوسع نطاق بغية الإساءة لمن أحسنوا إليهم[٤] .

ب- ظهور يهود الدونمة ونشاطهم في الدولة العثمانية.

لم يعترف اليهود بالسيد المسيح ، لذلك ظلوا ينتظرون المسيح الذي ينقذ بني إسرائيل ويعيد لهم دولتهم ، ويفرض سيطرتهم وسطوتهم على العالم ، وكانوا يعتقدون ان المسيح المنتظر سيكون ملكا ونبيا ، لذلك فإنه سيجبر الجميع على التدين باليهودية[٥].ولقد وجد ذلك الأمر في عقائد اليهود مكانة خاصة، خلال القرن السابع عشر حيث تعرض اليهود في جميع أنحاء أوروبا، وخاصة أسبانيا إلى اوضاع سيئة

---

[1] Mete Tunçay - Erik . J . Zürcher (ed) . *Socialism and Nationalism in the Ottoman Empire 1876-1923* , (London: British Academic Press , 1994) P. 51 .

[2] Ibid ., P. 52 .

[٣] خيرية قاسمية. *النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ، ١٩٠٨-١٩١٨* ، (بيروت:منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث، ١٩٧٣)، ص١٩.

[٤] س . ناجي. *المفسدون في الارض ، جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ*، (ط ٢ ، دمشق: العربي للاعلان والنشر ، ١٩٧٣)، ص ٣١٢.

[٥] محمد حرب. *العثمانيون في التاريخ والحضارة*، (القاهرة: المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، ١٩٩٤)، ص ٧٧.

للغاية، وتيقظت في أوساطهم دعوى المسيح المنتظر والمخلص، وراجت في أذهان بعض أحبارهم فكـرة ان المسيح سيظهر عام ١٦٦٦م على وجه التحديد[1].

وفي هذا الجو ظهر اليهودي 'شباتاي زيفي' (Shabathai Zevi) وأعلـن عـن نفسـه المسـيح المنتظر[2]. وكان 'شباتاي زيفي' قد ولد في ٩ تموز ١٦٢٦ بمدينة 'ازمير' التركية من ابوين مهاجرين من اسبانيا ، اثر الاضطهاد الديني ، وكان أبوه يدعى 'موردخاي زيفي' (Mordechai Zevi) [3] ، وكـان 'شباتاي زيفي' هو ثالث ابناء أبيه 'موردخاي'[4] الذي كان يعمل وكيلا لمصنع انجليزي فـي 'سميرنـا' (Smyrna) [5] .

ولقد اخذ شباتاي زيفي باعداد نفسه ليصبح ذلك المسيح المنتظر الذي يدغدغ احلام اليهود ولذلـك فقد قام بتلقي علومه الدينية ودراسة التلمود على يد الحاخام المشهور 'جوزيف اسكابا' (Rabbi Joseph Escapa)[6]، بالاضافة الى العديد من العلوم الاخرى الى جانب انه اتسم بالذكـاء والطمـوح ومعرفـة ودراية بالشؤون الدينية، كما كان لديه اهتمام بالرياضة الروحية ، مما جعله قادراً على الاتيان بامور فيها استحواذ على عقول البسطاء والسذج[7]. ولقد تنقل 'شباتاي زيفي' في العديد من المدن ومنها 'القدس' حيث بعث برسائل إلى يهود الدولة العثمانية، وكان يوقعها باسم 'المولود الاول'(First Born) و'الابن الوحيـد لله' (Only son of God) و'منقذ إسرائيل' (Saviour of Israel) ويدعوهم فيها للالتفاف حولـه[8]. وفي مطلع شهر أيلول ١٦٦٦ حط 'شباتاي زيفي' رحاله في أزمير وأعلن عن نفسه المسيح المنتظر، وبدأ اليهود في الدولة العثمانية يعيشون نوعاً من الاستقلال في كل شيء يقدرون عليه، حيث كانت جميـع الطوائف تدعو للسلطان في معابدهم، وصار اليهود يسكتون في الكنيس عن الدعاء للسلطان، وبدلاً مـن ذلك كانوا يدعون لمسيحهم 'شباتاي زيفي'[9]، حيث انتشرت التوبة بينهم وتطلعوا إلى العودة إلـى ارض الميعاد عن طريق مسيحهم ، وتوقفت الأعمال التجارية ، وفي بعض الأماكن قـام العديـد مـن اليـهود

---

(١) محمد علي قطب، *يهود الدونمة*، (ط١، بيروت: دار القلم ، ١٩٨٧)، ص ١٧ .

(2) Stanford .J. Shaw . *The Jews of the Ottoman Empire and the Turkish Republic* (London: Mac Millan, 1991) P.133; Ubicini. *Letters*, P. 347; Bingamin Braud – Bernard Lewis. *Christian and Jews in the Ottoman Empire, The functioning of a plural society,(London: Holmes &Meier Publishers, INC, 1982)*, Vol.1, p. 25.

(3) Walter .F. Weiker . *Ottomans Turks and the Jewish Polity, A history of Jews of Turkey* (U.S.A: The Jerusalem Center for Public Affairs University Press of America, 1992) P. 102; Shaw. The Jews, P. 133 .

(4) Shaw . *The Jews* , P. 133 .

(5) Ubicini . *Letters* , P. 347 .

(6) Weiker . *Ottomans*, P. 102.

(٧) قطب. *يهود* ، ص ١٨ ؛ حرب. *العثمانيون* ، ص ٧٨ .

(8) Ubicini . *Letters* , P. 347-348 .

(٩) عجاج نويهض. *بروتوكولات حكماء صهيون ، نصوصها رموزها، اصولها التلمودية*، (ط ٤، بيروت: دار الاستقلال للدراسات – المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٩٦) ، ص ٥١٩ .

من التجار بالتبرع بالذخيرة والأطعمة ، لتشحن الى الارض الموعودة عن طريق البحر،و قام آخرين من كبار التجار بتوقيع عريضة يؤكدون فيها استعدادهم لإعانته ، وفي 'هامبورج' بألمانيا، اصبح اليهود يرقصون احتفالا بظهوره واقتراب العودة الى 'ارض الميعاد'[1]، وعلت الهتافات بحياة ملكهم ومسيحهم (Long Live The King Messiah - Long Live Sultan Zvi)[2] .

في ظل قمة شهرة 'شباتاي زيفي' لدى يهود الدولة العثمانية ، لم تكن هذه الدولة لتكترث بما يحدث ويرجع ذلك للتسامح الديني الذي كان سائدا وحرية الرأي والاعتقاد، واستقلالية الطوائف والمذاهب في شؤونها الداخلية ، وخصوصا الدينية منها .

كان 'محمد الرابع'(١٦٤٨-١٦٨٧) هو سلطان الدولة العثمانية في ذلك الوقت، وكان كثير من وزراء الدولة وأعيانها يرون ان امر 'شباتاي زيفي' قد تعدى اتباعه من اليهود الى غيرهم من الطوائف ، وفئات الشعب ، وأدى هذا الى تبنيهم موقفا تجاه 'شباتاي زيفي' ، لأنه قد يشكل خطرا على الدولة ، في الوقت الذي عرض فيه قاضي منطقة 'ازمير' على الصدر الاعظم 'فاضل احمد باشا' اعتقاله للحد من نشاطه ، فاعتقل واقتيد عن طريق البحر الى العاصمة 'استانبول' [3] ، وبقي في السجن لاكثر من شهرين[4] ، واثناء التحقيق معه انكر 'شباتاي' كل ما نسب اليه من اتهامات ، لكن الحقائق والمستندات والوثائق المضبوطة كانت دامغة، لهذا فقد تنقل بين العديد من السجون[5]إلا أن ذلك لم يحل دون زيادة شعبيته.

كانت هذه الأمور كفيلة بالدولة العثمانية كي تعمل على وضع حد لهذه المسألة ، ومعالجة موضوع 'شباتاي زيفي' معالجة نهائية ، لذلك فقد نقل الى قصر 'ادرنة ' للمحاكمة وهناك أدرك 'شباتاي' خطورة موقفه ، فقام بنكران كل شيء يتصل بدعوته ، الا ان هذا لا يكفي في ذلك الوقت ، لذلك فان المترجم الذي كان يتحدث بالأسبانية الى 'شباتاي' أقنعه بأنه إذا أراد النجاة بنفسه فما عليه الا ان يعلن إسلامه ، وإلا فهو هالك لا محالة[6].

وأصبح هناك أمران لا مفر منهما ، الأول : هو الموت جزاء ما ينادي به ، والثاني : هو ان يعلن إسلامه والنجاة بروحه ، فآثر الثاني واعلن إسلامه ، ودخل في شخصية المسلم[7]، حيث أعلن إسلامه في ١٥ أيلول ١٦٦٦ ، واتخذ اسم 'محمد أفندي وزوجته 'سارة' (Sara) سميت'فاطمة هانم' وأخواه الاثنان

---

[1] نويهض. *بروتوكولات*، ص ٥١٨ .

[2] Shaw . *The Jews* , P. 134 .

[3] قطب. *يهود* ، ص ٢٩-٣٠ .

[4] النعيمي. *يهود* ، ص ٣٥ .

[5] قطب. *يهود* ، ص ٣٠ .

[6] احمد حمدي الطاهر. *مؤامرات اليهود على العرب والمسلمين* (ط١، عمان: مطبعة شاهين، ١٩٦٩) ، ص ١٤٦ .

[7] Weiker . *Ottomans* , P. 104 .

سميا 'احمد' و'عبد الله' وأما ابنه فقد سمي 'اسماعيل' [١]، وبذلك اصبح 'شباتاي زيفي' اول يهودي دونمة (Dönme) [٢] .

لكن 'شباتاي' سرعان ما عاد لدعوته، حيث أرسل برسالة فورا إلى اتباعه قال فيها: أنه ما اسلم الا تسترا. وفيما بعد طلب 'شباتاي زيفي' من السلطات العثمانية السماح له بدعوة اليهود إلى الاسلام، فاذنت له ، وكانت فرصة ، حيث انطلق بين أوساط اليهود يدعوهم الى الايمان بمسيحيته ويحثهم على ضرورة تجمعهم حوله، وطلب من جميع اتباعه إعلان إسلامهم ظاهريا وبحذر، في الوقت نفسه الذي كانوا يبطنون عقائدهم اليهودية الشباتائية[٣] ، فجاءه أتباعه من كل مكان يلبسون الجبب والعمائم. وأمرهم بالإيمان المطلق به كمسيح يهوه الحق ، وانه لا مخلص غيره، وانه سيدهم ، وملكهم من نسل داود ، كما أمرهم بقراءة مزامير داود سرا كل يوم، كذلك جعل يوم إعلان إسلامه عيدا يجب الاحتفال به احتفالا بالغا[٤] ، وكان دائما ينبه اتباعه الى انه ما اسلم الا خدعة، وراح يقنعهم بأن يفعلوا ما يفعل في كل شيء ، وابقاء يهوديتهم في قلوبهم ، وقام اليهود بتلبية رغبته هذه[٥] .

لم تكن الدولة العثمانية غافلة عن حقيقة أفعال 'شباتاي'، لذلك فقد استقر الرأي اخيرا على نفيه الى منطقة 'برات' في البانيا مع بعض اتباعه المخلصين ، وبقي هناك لمدة خمس سنوات[٦]. وفي ١٦٧٥/٩/٣٠ مات المسيح المزيف 'شباتاي زيفي' في منفاه ، وقد بلغ من العمر ٤٩ عاما، حيث دفن هناك على ضفة أحد الأنهار[٧] .

كان هناك حوالي ٢٠٠ عائلة دونمة عند وفاة 'شباتاي زيفي'[٨] ظلوا على ما كان عليه قبل موته حتى ان اتباعه كانوا يقفون على قبره، ويدعون قائلين: 'يا شباتاي زيفي نحن بانتظارك'[٩]، في الوقت الذي تنبه الأتراك في وقت متأخر الى حقيقية هؤلاء ، ودل على ذلك ما نشرته صحيفة 'الدنيا المصورة' التركية سنة ١٩٣٥، حين قالت:"دونمة سلانيك الذين يعيشون بين ظهرانيكم ويتكلمون بلغتنا يحسون في الظاهر باحساسنا ، لكنهم في الحقيقة يأخذون الحيطة تجاه الاتراك ، لا يناكحون إلا من كان منهم ،

---

(1) Shaw . *Jews* , P. 135-136 .

(٢) قطب. يهود ، ص ٣٥ .

(٣) محمد حرب عبد الحميد. *"يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد"*،مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٥٧(فبراير ١٩٨٠) ، ص ٤٥ .

(٤) المرجع والصفحة نفسهما.

(٥) نويهض. *بروتوكولات* ، ص ٥٢٣ .

(٦) قطب. يهود ، ص ٤٢ ؛ نويهض. *بروتوكولات*، ص ٥٤٤ .

(٧) عبد الحميد. يهود ، ص ٤٥ .

(8) Weiker . *Ottomans* , P. 109 .

(٩) المرجع والصفحة نفسهما .

يحيون حياة خاصة بهم ، من المهد إلى اللحد ، في أعراسهم ومآتمهم ، وفي كل صفحة من صفحات عيشهم الاجتماعية منها والعائلية ، فهل تعرف حقيقتهم؟"[١].

ج- نشاط اليهود داخل الدولة العثمانية:

كان أغلب يهود الدونمة يقطنون 'سلانيك' (Salonica) ، حيث كانت تعتبر مركزا تجاريا هاما[٢]، وسيطر اليهود فيها على القطاع التجاري ، ومعظم الصناعات ،كما وشكل اليهود كذلك جزءا من البلوريتاريا (الطبقة العاملة الكادحة) خاصة في مصانع التبغ والنقل ، والصناعات الخفيفة[٣] ؛ وبذلك كانوا على علاقة دائمة بأوروبا، حيث اثر فيهم المجتمع الأوروبي تأثيرا واضحا، وكانت أرباحهم كثيرة و مستواهم الاقتصادي اعلى من مستوى غيرهم داخل الدولة العثمانية[٤]. وكان العمال في 'سلانيك' يمثلون مركزا للتفاوض، حيث اكتسبوا قوة اندفاع استثنائية ،وشكل هؤلاء العمال في 'سلانيك' اتحادات ونقابات عمالية للمطالبة بحقوقهم ، والتصدي لمشاكلهم[٥]، وكان اتحاد العمال في 'سلانيك' يمثل بكل تأكيد ظاهرة ملحوظة ومهمة ، حيث كان معظم الأعضاء من اليهود[٦].

إلى جانب ذلك كانت أغلب المصانع في 'سلانيك' مملوكة لليهود، وكانت عائلة 'ألاتيني' (Allatini Family) من اشهر العائلات الصناعية والتجارية في الولايات الأوروبية التابعة للدولة العثمانية ، حيث ركزت هذه العائلة على الصادرات الزراعية ، واستخدمت ثروتها في إنشاء مطاحن الدقيق البخارية ومصانع الطوب التي أدخلت عليها تحديثات بالاستعانة بخبرات فنية إيطالية ، وفي وقت سابق كانت عائلة الاتيني تحتكر تجارة التبغ في كثير من المقاطعات ، وفي منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر بدأ تجار أجانب من 'هنغاريا' و'أمريكا' وغيرهم يلعبون دورا اكبر من دور عائلة 'ألاتيني' ، وبدأت تحل محل البيوت المحلية عام ١٨٩٥ ، لذلك فقد ردت عائلة 'الاتيني' على ذلك الامر بإنشاء 'الشركة التجارية' في 'سلانيك' (Commercial Company of Salonika) لتحويل تجارة التبغ ، وبهذه الطريقة ظلت عائلة 'ألاتيني' ثاني اكبر مصدر للتبغ في البلاد بعد الشركة الهنغارية[٧] . إضافة إلى ذلك فقد كان اليهود يتمتعون عموما بكثير من المزايا ، فقد كانت اللغة الأسبانية هي الأكثر شيوعا

---

[١] قطب. *يهود*، ص ٥١.

[2] Shaw - Shaw . *History* , P. 264-265 .

[3] Tünçay - Zürcher . *Socialism*, P. 51.

[٤] نيازملا. *السلطان* ، ص ٦٧ .

[5] Donald Quataert - Erik J. Zürcher . *Workers and the Working , Class in the Ottoman Empire and Turkish Republic 1839-1950* , (London: Tauris Academic Studies, 1995), p.73

[6] Tünçay - Zürcher . *Socialism* , P. 49.

[7] Quataert - Zürdier . *Workers*, P. 68.

واستخداما لاسيما في الصحافة ، وان خفت جذوتها فيما بعد، وكانوا يديرون عددا كبيرا من المـــدارس[1] كي لا يضطروا الى إرسال أبنائهم إلى المدارس التركية ، حيث قاموا بتأسيس مدرستين ثانويتين ، همـــا 'ثانوية فيضية' ، و'ثانوية الترقي'، هذا غير المدارس الأساسية الابتدائية[2] ، كذلك قاموا بتأســيس وادارة ٣٠ كنيسا ، ومستشفى كبير ، ومركز للرعاية الصحية ، ومستشفى للأمراض العقليـــة ، ودار للأيتـــام ، وكان لليهود وخصوصا الدونمة منهم سلطات كبيرة فيما يتعلق بالشؤون البلدية[3].

د-معاملة السلطان عبد الحميد ليهود الدولة العثمانية.

قام السلطان 'عبد الحميد' بمعاملة اليهود على اختلاف فئاتهم ، ومذاهبهم معاملة طيبـــة ، وهـــي معاملة كانت امتدادا طبيعيا للمعاملة التي كان يتحلى بها سلاطين بني عثمان تجاه اليهود ، منذ طردهم من 'أسبانيا' ، وقد تمتع هؤلاء بكل الحقوق التي تمتع بها اصحاب الاقليات الأخرى ، لذلك فقد قام الســلطان 'عبد الحميد' بدفع رواتب منتظمة لكبار الحاخامات ، وبهذا حصلوا على مكانة مسؤولي أو موظفي الدولـة ، كما بدأ بتحويل ٨٠٠٠ فرنك إلى الحاخام الأكبر في 'استانبول' لتوزيعها على العائلات اليهودية الفقــيرة في العاصمة 'استانبول'، وفي عام ١٨٨١ عندما منع اليهود من المشاركة في الانتخابات البلديـــة، ألغـــى السلطان 'عبد الحميد' الانتخابات وعنف المسؤولين على تعديهما على حق اليهود، وفي أثناء الكارثة التـــي حدثت في الحي اليهودي في 'هاسكيني' (Haskeni) عام ١٨٨٢ بعد مقتل القيصر الروسي'الاســكندر الثاني'(Alexander II)، والتي خلفت ٦ الاف عائلة يهودية بلا مأوى ، قام السلطان 'عبد الحميد' بكل ما في وسعه للتخفيف عنهم ، كما قام في عام ١٨٨٣ بمنح الوسام العثماني الكبير لكبير حاخامي 'استانبول' ، 'موشي ليفي' (Moses Levi) ،عبر خلالها عن تعاطفه مع اليهود ، وحـــزنه عمـــا اصابـــهما مـــن الاضطهاد الذي يلاقونه في العديد من الدول الاوروبية ، مؤكدا انه مسرور جـــدا بالمســؤولين اليـــهود وبنشاطهم ، وغيرتهم ، وانه سوف يعمل في المستقبل على زيادة عددهم[4].

كما ان اليهود تمتعوا خلال هذه الفترة بسهولة دخولهم الى السلك الرسمي في الدولة ، وأصبح هذا الأمر أقل صعوبة من ذي قبل ، حيث كان في السلك الدبلوماسي قرابة ١٥ قنصلا ومستشـــارا ، ونـــائب مستشار يمثلون الدولة العثمانية في الداخل والخارج من اليهود سواء الدونمة او السفارديم، كما كان العديد من هؤلاء على رأس الحكومات الإقليمية، في حين حصل العديد منهم على لقب 'باشا' ، وهو لقب لم يكـن اليهود يحصلون عليه في السابق[5] . ولقد أجمل أحد مثقفي يهود الدونمة ويدعى 'محمد رشدي قرة قاشـــي

---

(1) Tünçay - Zürcher . *Socialism*, P. 51.

(٢) نيازملا. *السلطان* ، ص ٦٧ .

(3) Loc.cit .

(4) The Jewish Encyclopedia (U.S.A Ktav Publishing House INC, 1990) vol 1 . P.47 ..

(5) Loc.cit . ,

زادة' (Mehmet Rüştü Kara Kaşi Zade) أحوال اليهود الدونمة عبر جريدة 'الوقت' فقال :" أيـــها السادة منذ أكثر من ثلاثة قرون عشنا نحن الدونمة في كنف الشعب التركي العريق الكريـــم وتحـت جناح رحمته وبقينا على حالة شديدة من التعصب لمذهبنا باطننا يخالف ظاهرنـــا فـــي كـل افعالنـــا وحركاتنا. لقد اصدر مجلس الامة قانونا يمنع الخنازير البرية من الاضـــرار بالمزروعـــات ، فـــهل تظنون ان امة تفكر بمثل هذه الدقة في الامور ان تبقي في بيئتها عنصراً غريباً يمتص خيراتها؟. ليس لنا إلا اتباع أحد سبيلين ، اما ان نلتحم بموجب قانون خاص بالشعب التركي التحاماً تاماً ، نشـــاركهم في الأفراح والمصائب ، واما ان نبحث عن إمكانيات مادية ومعنوية خارج حدود هذا الوطن نصنـــع فيه كيانا خاصا بنا"[1] .

٢- علاقة جمعية الاتحاد والترقي بيهود الدونمة.

لعب يهود الدونمة دورا كبيرا في تأسيس ونشاط جمعية الاتحاد والترقي ، فهذه الجمعيـــة لـم تكن مقتصرة على الإطلاق على العنصر التركي ، بقدر ما كانت تضم خليطا من القوميات والأجنـاس والمذاهب المختلفة ، وإجمالا فزعماء الاتحاد والترقي كانوا بشكل عام من أصول اجتماعية متواضعـة ، إذ كانوا من أبناء صغار الموظفين ، وصغار تجار المدن ، فقد كان 'طلعت بك' موظفـا فـي أحـد مكاتب البرق 'التلغراف' [2] ، وكان بلغاريا من اصل غجري اعتنق الإسلام، وكان 'احمد رضا' نصفـه شركسيا والآخر مجريا ، و'أنور بك' هو ابن رجل بولندي[3] ، وكان 'إبراهيم تيمو' المؤسس الحقيقـي ألبانيا ، وبذلك يتضح جليا انه ليس من بين هذه الطبقة القيادية الهامة من هو تركي القومية .

وهناك مجال للحديث عن اليهود وتأثيرهم على الجمعية خصوصا في 'سلانيك' التي ربما تـم اختيارها ارضاء لرغبات اليهود والماسونية بالإضافة إلى كثرة أعضائها في 'مكدونية' التي يشـــكلون عناصر فعالة في جمعية الاتحاد والترقي[4]؛ بالإضافة إلى أن 'البلقان' كانت واقعة تحت تأثير القوميـة و الثورات المختلفة التي تقوم بها الاقليات العرقية و المذهبية .

ولقد عمل يهود الدونمة وفق منهجية واستراتيجية على قدر من التخطيط والمتابعة ، وكان مـن هؤلاء 'جاويد' (Cavid) الذي اصبح فيما بعد وزيرا للمالية ، حيث اثبت جدارة كبيرة في الشؤون الماليـة

---

(١) موفق بني المرجة. صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية (الكويت: مؤسسة صقر الخليج، ١٩٨٤) ، ص ٢٤٩ .

(٢) نوبار هوفسبيان (محرر) . *تركيا بين الصفوة البيروقراطية والحكم العسكري* ، ترجمة ، سامي الرزاز واخرون ، (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٥) ص ١٥-١٦ .

(٣) حسان على حلاق . موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩ (ط٢، بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٠)، ص ٣١١ .

(4) Pears. *Life*, P. 298; Miller. *The Ottoman*, P.135-136.

والاقتصادية ،كذلك 'نزهت فائق بك' ، و'مصطفى عارف بك'[١]، و'حسين جاهد بك' و'رحمي بك'، كما كان 'فتحي أوقيار' صديق 'مصطفى كمال' أيضا من الدونمة .

ولقد اتهمت صحيفة عربية تصدر في باريس باسم ' يقظة العرب ' جماعة الاتحاد والترقي بأنهم على ارتباط مع اليهود ، ومع الحركة الماسونية ، وذهبت الصحيفة إلي ابعد من ذلك ، فاتهمت اليهود بأنهم يسيطرون على جمعية الاتحاد والترقي[٢] .

ويقول 'سيتون واتسون' (Seton Watson) في كتابه 'نشأة القومية في البلقان' (Rise of Nationality in the Balkan) ما يلي :" أن أعضاء تركية الفتاة الذين كان غرب أوروبا على اتصال دائم بهم ،كانوا رجالاً منقطعين وبعيدين عن الحياة التركية ، وطراز تفكيرها ، لكونهم قضوا ردحاً طويلاً من الزمن في المنفى، كانوا متأثرين وبشكل سطحي بالحضارة الغربية ، وبالنظريات غير المتوازنة للروح الوحشية للثورة الفرنسية ، وكان كثير منهم أشخاص مشبوهين ، ولكنهم كانوا دون استثناء رجال مؤامرات لا رجال سياسة ، ومدفوعين بدافع الكراهية والحقد الشخصي ، لا بدافع الوطنية [وكل أعمالهم] كانت نتاج عمل مدينة واحدة ، وهي مدينة سلانيك ، إذ نمت وترعرعت فيها تحت حماية الماسونية .ان العقول الحقيقية للحركة كانت عقول يهودية أو يهودية مسلمة"[٣].

ولقد تلقت جمعية الاتحاد والترقي مساعدات مالية من يهود الدونمة الذين كانوا يمتازون بامتلاكهم الكثير من الثروات ، خصوصا امتلاكهم لتجارة سلانيك[٤] وبهذا احكم يهود الدونمة سيطرتهم على الجمعية ، وحتى يحافظوا على هذه السيطرة كان لا بد لهم أن يتظاهروا على الأقل ، بأنهم يوافقون على تحقيق جمعية الاتحاد والترقي لأحلامها القومية ، وكانت السرية والطرق الملتوية أمرين رئيسيين لكليهما[٥] وبهذا أوقع اليهود جمعية الاتحاد والترقي في شراكهم[٦] .

---

(١) محمد ابراهيم زغروت . *دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية* ، بحث ضمن كتاب *"الحياة الإدارية وبروز القوميات ، ودور الاقليات في الولايات العربية أثناء العهد العثماني"* (تونس : منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمريسكية ، ١٩٩٢) ص ٨٢ .

(٢) نيفيل مندل *."مواقف العرب والأتراك من الهجرة اليهودية إلى فلسطين بين عامي ١٨٨٢-١٩١٤ "*، مجلة الدراسات الفلسطينية ، بغداد : ترجمة مكي حبيب المؤمن ، عدد ٢٨ ،(أيار – حزيران ١٩٧٨) ص ٣١.

(٣) محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٨٦ .

(٤) المرجع والصفحة نفسهما ؛ مصطفى . *في أصول* ، ص ٢٦٤ ؛ بروكلمان . *تاريخ* ، ص ٨٠ .

(٥) محمد توفيق حسين . *"دور اليهود والماسونيين في الانقلاب العثماني ١٩٠٨ "* مجلة افاق عربية ،بغداد ، العدد ٩ ، السنة ٣ ، (أيار ١٩٧٨) ص ٥٩ ، وهذه هي الترجمة الحرفية لرسالة "لوثر" (Sir . G . Lowther) سفير إنجلترا في استانبول إلى وزير خارجية انجلترا "هاردنغ" (Sir . C. Hardinge) بتاريخ ١٩١٠/٥/٢٩ وهي رسالة مطولة حول نشاط اليهود في الدولة العثمانية ودورهم في ثورة عام ١٩٠٨م، وتحمل هذه الرسالة رقم F.O 800/139A في وثائق وزارة الخارجية البريطانية . ولقد نشرت هذه الرسالة حرفياً في:
Elie Kedourie . *Arab Political Memoirs and other studies*,(London: Frank Cass, 1974,P258.

(6) Loc.cit.

ولقد كان بعض الأتراك يرون ان الجمعية هي يهودية اكثر منها تركية ، في حين قال آخـرون: ان جمعية الاتحاد والترقي هي في جوهرها وأساسها يهودية تركية تعارض كل العناصر الأخرى[1] وهـذا لا يمنع من محاولة يهود الدونمة تنسيق المواقف مع الجهات الأخرى ، حيث قاموا بالتنسيق مع الجماعـات الثورية الأرمنية ، وجمعية الاتحاد والترقي[2] ،ومن هنا يتضح التداخل في العلاقات التي تربط الماسـونية التي هي مؤسسة يهودية وبين يهود الدونمة وجمعية الاتحاد والترقي ، ومـدى العلاقـة التـي تربطـهم ببعضهم البعض ، وبنوع من التأمل والتدقيق يتضح ان اليهود المنتسبين لجمعية الاتحاد والترقي اصبحـوا هم أصحاب الكلمة العليا والنفوذ فيها .

ولقد هاجمت صحيفة 'سبيل الرشاد' التركية فيما بعد طائفة يهود الدونمة حيـث نشـرت مقـالا مطولا ، هاجمت فيه يهود الدونمة فقالت :" فمن هؤلاء من هو مفتقر للعفة والحياء ومنهم مـن تقطعـت صلاته بأهله وأسرته ، فمن الطبيعي ان يناصبك هؤلاء العداء لانهم غرباء عن مجتمعك ... فيفتشون عـن سبل الراحة منك ... انهم يظهرون الإسلام كي يضمنوا بقاءهم بين المسلمين ويحصلوا علـى مكاسـب ضخمة، ويلقبون أولادهم ألقابا إسلامية، وليس لهم أي علاقة بالإسلام ، بـل مـلأت قلوبـهم الأحقـاد ، ويتخذون كافة التدابير الخفية لهدم الشعائر الإسلامية ، فان وجدوا فرصة سانحة انتقموا مـن الإسـلام ، وفعلوا كل شيء من شأنه إفساد الحياة الإسلامية"[3] .

ورغم ذلك فقد وجد من يدافع عنهم ، فهذا 'رؤوف ليسكوفيلكي' الذي كان عضـوا فـي جمعيـة الاتحاد والترقي يقول :" والغريب ان الدونمة يقيمون حصرا في تلك المدينـة -أي سـلانيك- ويتـهمون بالطمع الشديد ، لاشتغال أكثرهم بالتجارة ، هؤلاء كانوا اشد صراعا من اجل الحرية مـن غـيرهم مـن المسلمين ... ، فإننا لقينا أثناء صراعنا من اجل الحرية مساعدات وتضحيات جساما مـن الدونمـة ، ان حبهم الشديد للحرية الذي مع حرص هذه الجماعة على جمع المال والثروة ، أوقع الشبهة في قلوب بعـض أعضاء الجمعية فترة من الوقت ، والواقع ان بعض الجهلة من المسلمين في سلانيك كـانوا لا يحسـنون الظن بإخوانهم في الدين – أي الدونمة – بناء على بعض المضان الباطلة التي تدور حولهم منـذ أزمـان بعيدة "[4].

---

(1) Kedourie . *Arab.*, P.250

(2) النمر . *نظرات* ، ص ٢٠٩ .

(3) بني المرجة . *صحوة* ، ص ٢٥٢-٢٥٣ .

(4) المرجع نفسه ، ص ٢٥٤-٢٥٥ .

ب- الماسونية والدولة العثمانية.

١- ماهية الماسونية والتعريف بها.

انتشرت الماسونية السرية التنظيم في بقاع العالم المختلفة ، تحت أسماء وعناوين مختلفة ، واثــارت الكثير من التساؤلات لدى العامة ، بإختلاف دياناتهم وقومياتهم ، وكان الجدل الحقيقي يكمن فـــي ماهيــة الماسونية وتعريفها، وأهدافها ونشاطها ، وظلت الى عهد قريب تثير الفضول ، لدى كثير مـــن البــاحثين الذين عملوا بحثا وتنقيبا من اجل التوصل للحقيقة، التي طالما طلبها الجميع .

والماسونية هي تحريف للفظ 'فرمسون' وهو اسم مركب من لفظين فرنسيين هما 'فــوان' (Franc) ومعناها الصادق و 'ماسون'(Macon) أي الباني ، هم بذلك يريدون القـــول انــهم 'بنــاؤون صادقون'[١]. كذلك تقريبا قام 'يوسف الحاج'[٢] بتعريف الماسونية ، حيـــث أكــد "أن اصلـــها بالفرنســية 'فرنماسوري' وبالإنكليزية 'فريمايسن' أي البناء الحر او البناؤون الأحرار"[٣] .

والذي يبحث في موضوع الماسونية ، يجد أن هناك فئتين: فئة تمدح ، وفئة تقدح، خصوصا فيمــا يتعلق بموضوع موقف الماسونية من الدين والسياسة[٤].

وللماسونية طابعان: ظاهري وباطني ، فالطابع الظاهري هو الذي تظهر فيه للسذج كمـــا يوضـــح ذلك الماسوني المخضرم 'شاهين مكاريوس' بقوله: " الماسونية جمعية أدبية خيرية ، تحوي نخبة افـــاضل الرجال على اختلاف نحلهم ومللهم ، وتباين نزعاتهم ، وآرائهم ، وكانت في بادئ امرها عملية منحصـــرة في جماعة البنائين ثم اتسع نطاقها"[٥] "حيث تنور الاذهان وتنشر الاخاء ، وتوطد الحب بين الاعضــــاء ، وتحثهم على فعل الخير والاحسان لإخوتهم المحتاجين"[٦] . وأما الطابع الباطني فهو كما عرفـــه العلامـــة الهولندي 'دوزي'(Doze) بقوله :" هي جمهور عظيم من مذاهب مختلفة، ويعملون لغاية واحدة ، لا يعلمها الا القليلون منهم ، الا ان الغاية هي رفع راية اسرائيل في سماء ارض كنعان"[٧].

---

[١] لويس شيخو اليسوعي. *السر المصون في شيعة الفرمسون*، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩١٠)، ك ١ ، ص ١٤ .

[٢] يوسف الحاج. ماسوني من أصل لبناني نال من الماسونية ألقابا تدهش العقول لسموها، فاصبح نائب أستاذ اعظم إقليمـــي فلسطين، ومندوبا ساميا عاما، وخطيبا اعظم شرف ورئيس محفل "الحاج" تحت نظامات المحفل الاكبر الوطني المصـــري، انظر- لويس شيخو اليسوعي. *"الكذب بضاعة الفرمسون"*، المشرق ، بيروت ، العدد ٧ ، السنة ٢١، ١٩٢٣ ، ص٥٣٢ .

[٣] يوسف الحاج. *هيكل سليمان او الوطن القومي لليهود* ، (د.ب ، د.نا : د.تا)، ص ١٣٢ .

[٤] علي شلش. *اليهود والماسون في مصر* ، (ط ١، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٦) ، ص ١٩٣ .

[٥] شاهين مكاريوس. *الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية*، (بيروت : دار مارون عبود ، ١٩٨٥) ، ص ١١ .

[٦] محمد احمد ذياب. *المخططات الماسونية العالمية*، (ط١، القاهرة: دار المنار ، ١٩٨٩) ، ص ١٢ .

[٧] محمد علي الزعبي. *الماسونية منشئة ملك اسرائيل*، (بيروت: مؤسسة مطابع معتوق ، ١٩٧٨) ، ص ١١ .

نشأة الماسونية.

هناك اختلاف واضح في تاريخ نشأة الماسونية ، والسبب في ذلك يعود الى ان الماسونية جمعية سرية نظرا لما كان يتهددها من اضطهادات متلاحقة في الأجيال السابقة، ولا يزالون رغم ذلك على تضارب[١]. ويوجد قول أنها شيدت يوم بنى سليمان هيكله سنة ١٠١٢ ق.م[٢].

وهناك من اشتط في ادعائه بأن آدم هو مؤسسها، والاكثر شططا في الزعم، ادعاء بعضهم ان الله سبحانه وتعالى هو مؤسسها في جنة عدن ، وان الجنة كانت أول محفل ماسوني[٣]. وتقول 'دائرة المعارف البريطانية' في تحرير مادة الماسونية:" بأنها التعاليم والممارسات الخاصة بالطريقة الأخوية السرية للبنائين الأحرار والمقبولين، وهي اكبر جمعية سرية في العالم"[٤].

ويمكن القول ان الماسونية كجمعية لم يتجاوز عمرها العصور الوسطى على أبعد تقدير، وتم تجديد نشاطها أو بدأت عملها لأول مرة منذ القرن السابع عشر او الثامن عشر[٥] عندما عقد مؤتمر في 'لندن' برئاسة 'أندرسون' (Anderson) في ٢٤ حزيران ١٧١٧ واتخاذ اسم الماسونية لجمعيتهم[٦]

أقسام الماسونية

كانت الماسونية في كل وقت منذ نشأتها ، وفي كل بلد حلت به تظهر مقنعة تخفي غاية جهدها في نوادي اجتماعاتها، وما يدور بين أعضائها من الأبحاث ، وتلزم ذويها بالأقسام المحرجة الغليظة ، وتحت تهديد العقاب الصارم ، ان كشفوا شيئا من إسرارها[٧].

وتنقسم الماسونية الى ثلاث فئات أو درجات هي :-

أ- الماسونية الرمزية :

وهي تعطى درجة ٣٣ ، وهي أرقى الدرجات الماسونية الرمزية[٨]، وهم لا يعرفون من أهداف الماسونية الحقيقية شيئا[٩].

---

(١) جرجي زيدان. *تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها الى اليوم* ، (ط ١، بيروت: دار الجيل ، ١٩٨٢)، ص ١٤-١٥ .

(٢) شاهين مكاريوس. *تاريخ الماسونية العملية*، (د.ب : د.نا، ١٩٨٤)، ص ١٥-١٦ .

(٣) فتحي يكن. *حركات ومذاهب في ميزان الاسلام* ، (ط ٣ ، بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٩) ، ص ٥٤ .

(4) The Encyclopaedia Britannica. (U.S.A: International Copyright Union, 1971) Vol. 4 , p1017-1018.

(٥) محمود عبد الحكيم عثمان. *اليهود والحركات والمذاهب الهدامة في العصر الحديث*، (المنصورة: الدار الاسلامية للطباعة، ١٩٨٧)، ص ٣٧ .

(٦) محمد علي الزعبي. *الماسونية في العراء* ، (بيروت: دار الجيل ، ١٩٨٣)، ص ١٥ .

(٧) شيخو. *السر* ، ك ١ ، ص ١٥ .

(٨) احمد غلوش. *الجمعية الماسونية ، حقائقها وخفاياها*، (القاهرة : الدار القومية للنشر ، ١٩٦٦) ، ص ١٤ .

(٩) الزعبي. *الماسونية منشئة ملك اسرائيل* ، ص ١١ .

ب- الماسونية الملوكية :

وهي الفرقة الثانية، وقد يعرف أعضاؤها بعض الأهداف البعيدة للماسونية، لكنهم لا يرون إلا بعين مصالحهم الخاصة التي كلفتها بهم الماسونية [١] .

ج- الماسونية الكونية :

وهي فرقة غير معروفة إلا لنفر قليل جدا من اليهود أنفسهم ، أي أبناء الماسونية الكونية، وغاية أهداف أعضاء هذه الفرقة استخدام الماسونيين السالفي الذكر لإنشاء الفوضى في العالم دائما على قاعدة 'فرق تسد' ، وليس لهذه الفرقة غير محفل واحد في 'نيويورك'، وهو مجهول المكان[٢]، حيث يتكون أعضاؤها من ١٢ عضوا ، بالإضافة إلى رئيس يرأسهم ، وجميع هؤلاء يجب ان يكونوا من نسل يهودا مباشرة[٣] .

موقف الماسونية من الدولة.

كانت الماسونية دوما تدعى عدم عملها بالسياسة ، ويفند ذلك الماسوني السابق ، وأحد جنرالات الجيش التركي سابقا 'جواد رفعت أتلخان' بقوله : "كنا ندعي بأنه لا علاقة لنا مع الدين والسياسة، هل كان هذا خداعا منا !؟ ، لا أظن ، ولكننا خشية من مطاردة قوى البوليس والقوانين، كنا نضطر الى إخفاء مقاصدنا، وغاياتنا ، نعم نحن نشتغل بالسياسة ، وبالسياسة فقط في محافلنا ، لا بل بالسياسة العليا"[٤] ، حيث ان الماسونية "في باطن محافلها تعمل على تدبير الأمور العمومية ، وادارة شؤون البلاد على حسب غاياتها ، ووفقا لاهوائها"[٥].

يقول الكونت 'دي توغفنس' (de Taugwitz) احد اعيان الماسونية الالمانية في مقالة له سنة ١٨٨٢ :" قد تأكدت ، وعرفت حق المعرفة ان المأساة العظيمة التي ابتدأت سنة ١٧٨٨ و ١٧٨٩ مع قتل الملك [لويس السادس عشر] والفضائع التي رافقته، انما كانت نتيجة المحافل الماسونية"[٦]، ويعتقد أن الثورة الفرنسية إنما هي من تدبير المحافل الماسونية ، لاجل تحقيق اهدافها الخاصة، كما انها لعبت أهم الأدوار في إشعالها[٧] .

---

(١) الزعبي. *الماسونية منشئة ملك اسرائيل* ، ص ١١ ..

(٢) الحاج. *هيكل*، ص ٣٣-٣٤ .

(٣) داود عبد العفو سنقرط. *القوى الخفية لليهودية العالمية "الماسونية"* ، (عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٣)، ص ١٨ ؛ غلوش. الجمعية ، ص ١٦ .

(٤) جواد رفعت اتلخان. *أسرار الماسونية* ، ترجمة ، نور الدين رضا الواعظ ، سليمان محمد أمين القابلي ، (الدوحة : دار العلوم ، ١٩٥٦) ، ص ٢٥ .

(٥) شيخو. *السر* ، ك ١ ، ص ٣٣ .

(٦) المصدر والصفحة نفسهما.

(٧) اتلخان. *أسرار* ، ص ٢٤ .

ولقد صرح رئيس الماسونية في 'فرنسا' في خطاب تلاه سنة ١٧٩٤ مهنئا 'فرنسا' لسبقها الأمم في طريق الثورات ، وختم كلامه بهذه الألفاظ :"ان جماعتنا الماسونية قد أضرمت بالشعوب الأوروبية نار الثورات، فهيهات أن يخبو لظاها قبل أجيال متعددة" .

وقال 'بلات' (Belat) الماسوني في محفل سنة ١٨٨١ ما تعريبه الحرفي :" نعم انه لأمر ثابت ومقرر بأن الماسونية مشروع سياسي ، وانما هذا فخرنا" ، وقال 'غونار' (Gonnard) الماسوني الفرنسي في محفل سنة ١٨٨٦ :" اننا في محافلنا نسعى بأعمال السياسة ، وسياستنا هي نعم السياسة، فإن الأبحاث السياسية والاجتماعية غايتنا الخاصة التي نجاهر بها علنا"[١].كذلك يقول أحد رؤساء الماسونية السابقين 'ليمي' (Lemmi) :" ان الرجال الذين يكونون الحكومات ، يجب ضمهم الى الماسونية او يحرمون من وظائفهم"[٢].

وكان من عادة الماسونية إذا ضاقوا نقمة الدولة ، ومعارضة أرباب الحكم فيها ، أن ينكروا كل صلة باشتغالهم بالسياسة حتى تتغير الظروف ، فيعترفوا بعملهم[٣]. كذلك قول محرر مجلة الماسون المعروفة بـ 'الجمهورية الماسونية' (Republique Maconique) :" انه من الواجب اللازب ان تكون الماسونية زعيمة كل الأحزاب السياسية فتقودها ولا تنقاد لأوامرها"[٤]. ولاجل هذه الغاية يقاتل الماسونيون في الصفوف الاولى ، لأنها هي المنظمة الوحيدة التي تناهض الأديان والقوميات والتقاليد ، وذلك وفقا لما جاء في نشرة المشرق الاعظم الفرنسي سنة ١٨٩٠[٥].

٢-علاقة الماسونية باليهود.

كانت الجمعيات الخطيرة ولا تزال من أهم المؤسسات التي اعتمد عليها اليهود لتنفيذ أغراضهم، و الوصول إلى هدفهم، وقد ينشئ اليهود جمعيات لهذا الغرض، أو يوعزون بإنشائها، وقد يجد اليهود جمعيات ما أنشئت لهدف ما، فيندسون فيها، ويسعون إلى السيطرة عليها وتوجيهها وجهتهم التي يريدونها ولا تكاد توجد جمعية سرية وخطيرة إلا وكان اليهود يعيشون فيها من خلف الستار[٦].

والماسونية تخدم مخططات اليهود، بدليل ان الأعضاء المتقدمين فيها يقسمون عند التكريس للدرجات الماسونية العليا على التوراة، بعد أن يختفي القرآن والإنجيل، كما يقسمون على العمل لبناء

---

(١) صابر عبد الرحمن طعيمة. *الماسونية ذلك العالم المجهول، دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية* (ط٢، بيروت: دار الجيل،١٩٨١)، ص٢٣٩.

(٢) اتلخان. *أسرار* ، ص ٣٧ .

(٣) طعيمة. *الماسونية* ، ص ٢٣٨ .

(٤) المرجع والصفحة نفسهما.

(٥) اتلخان. *أسرار* ، ص ٣٠ .

(٦) احمد شلبي . *اليهودية*، (ط٨، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨)، ص ٢٢.

الهيكل، وقيام إسرائيل وحمايتها بكل الوسائل عند قيامها[1]. ويذكر "جــواد رفعــت أتلخــان" أن اليـهود استطاعوا نفث الروح اليهودية في المحافل الماسونية وسخروها لأغراضهم[2] فالماسونية التــي هــاجمت الأديان لا سيما المسيحية ، لم تقم في أي وقت من الأوقات بهجمات ضد اليهود[3].

ولقد قالت 'النشرة الإســرائيلية' (Laverite Israelite) ســنة ١٨٦١:" إن روح الماســونية الأوربية هي روح اليهودية، ومعتقداتها الأساسية لها نفس المثل واللغة ، وفــي الأغلـب نفـس التنظيـم والآمال التي تنير طريق الماسونية، وهي الآمال التي تنير طريق إسرائيل، وتدعمه، ومكان تتويجها هــو بيت العبادة البديع، حيث تصبح القدس رمزا وقلبا منتصرا[4].

كما أن اللغة الفنية والرموز والطقوس التــي تمارســها الماســونية الأوروبيــة مــلأى بــالمثل والاصطلاحات اليهودية، ففي محفل 'اسكتلندا' نجد التواريخ الموضوعــة علــى المراســلات الماســونية، ووثائقها الرسمية، كلها بحسب تقويم الأيام والأشهر اليهودية، كما تستعمل فيها أيضا الأبجدية العبرية[5].

ولقد كتب محرر إنجليزي موضحا العلاقة الوطيدة بين الماسونية واليهود بقولـــه:" إن الماســوني وإن لم يكن يهوديا بالولاء، إلا أنه رجل 'متهود'. وقال 'هولت زنكر' (Hollt Zinger)، رئيس محاكم فينا عن هذه العلاقة بسخرية:" إن من بين الماسونيين المائة في فينا، مائة واثنان من اليــهود " وقــال 'جــول ليمتر' (Jul Lemter) : "إن التساند والاتحاد الملحوظين بين ماسونيي العالم، يرجع إلى كثرة العنــاصر اليهودية بينهم"، وقد علق 'ر. كوجن' (R . Kojen)على رأي 'ليمتر' قائلا:" إنه ليس بمخدوع "[6]. وقالت المجلة اليهودية سنة(La Syinbolisme) سنة ١٩٢٨م عدد تمــوز: " إن أعظــم واجــب للماســوني الأوروبي هو تمجيد الجنس اليهودي "[7].

في حين عقب 'يوسف الحاج'، ما عرفه بنفسه، وخبره بشخصه من أسرار الماســونية مــا نصــه حرفيا "ولما كان غرضنا من هذا البيان، أسمى من أن يكون لمجرد فضح أسرار الماسونية التي هي فــي نظرنا ليست بشيء يذكر أمام التعاليم التي تبثها في الأذهان، منسوبة إلى صلب التاريخ والوقائع، بــل ان غرضنا في الحقيقة، إنما هو التدليل التاريخي والعلمي، على أن الماسونية إنما هي جمعية يسيرها بــالفعل في العالم أبناء إسرائيل الصهيونيون، لأغراض يهودية خالصة"[8].

---

(١) سنقرط. *القوى*، ص٩ ؛ ذياب. *المخططات*، ص١٠.

(٢) اتلخان. *أسرار*، ص٥٥-٥٦.

(٣) نيازملا. *السلطان*، ص٦٦.

(٤) عبد الله التل. *جذور البلاء* (ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٨)، ق١، ص ١٢٧.

(٥) عبد الله التل. *خطر اليهودية على الإسلام و المسيحية*(ط٣، بيروت:المكتب الإسلامي، ١٩٧٩)، ص١٤٩.

(٦) اتلخان. *أسرار*، ص ٥٦.

(٧) التل. *خطر*، ص ١٤٨-١٤٩.

(٨) الحاج. *هيكل*، ص ٢٣-٣٣.

أما الحاخام 'إسحق وايز' (Iassac wise) (١٨١٩-١٩٠٠) فقد قال في مجلة 'الإسرائيلي الإنجليزي' بتاريخ ١٩٦٥/٤/٣٠:" إن الماسونية مؤسسة يهودية، كل ما فيها من ألفها إلى يائها يهودي، تاريخها، فرائضها، حياتها، مراسمها، كلمات المرور، وكلمات السر فيها، وفي توضيحاتها، إنها يهودية من البداية للنهاية"(١). ويتضح ذلك الأمر في الفرقة الثانية من الماسونية، وهي الماسونية الملوكية،حيث يقسموا أيمانا مغلظة على أن يعملوا مع العاملين على تحقيق الأغراض السامية المقدسة، التي ترمى إلى إعادة دولة إسرائيل المشتتة، وإعادة بناء هيكل سليمان، رمز اليهودية الصهيونية (٢).

لذلك فقد جاء في كتاب 'العقد الملوكي'،ص٢٣:" إن درجة العقد الملوكي، قد تهذبت إلى درجة تجعلها تستحق هذا الحب، فهي تشعر أعضاءها بانهم يجمعون فيها بين المحافظة على واجباتهم الوطنية، وبين مسايرة إسرائيل الأصلية، التي تعمل على إعادة دولتها، وإعادة بناء هيكل سليمان المقدس"(٣).

ويوضح 'أحمد غلوش' أنه لم يسمع في المحافل الماسونية آية واحدة مما ورد في الإنجيل أو القرآن، بل كل ما كان يقال وتتناقله الألسنة تحت سقوفها، هو ما جاء في التوراة، ولا سيما مزامير داود الحالية وهي التي تتباكى على ملك بني إسرائيل الضائع ، والحض على الجهاد لإعادة هذا الملك لا بالنسبة إلى أورشليم وحدها، بل للاستيلاء على أرض الله كلها(٤).

أما مجلة 'ذي جويش تربيون'١٩٢١ فقد قالت :" إن الماسونية قائمة على اليهودية، فإذا ما إستأصلت اليهودية من شعائر الماسونية ومصطلحاتها فما الذي يبقى بعد ذلك"(٥).

ويؤكد هذا الأمر-أي يهودية الماسونية – الرسالة التي بعثها الماسونيان الأمريكيان 'غرايدي تيرى' (Grady Terry) و'أودي مورفي' (Aude Murphi) العضوان في محفل 'قدماء الماسونية الأحرار المقبولين' إلى السيد 'روحي الخطيب' أمين القدس في ٣٠ أيار ١٩٦٨ لشراء الأرض التي يقوم عليها المسجد الأقصى لبناء هيكل سليمان باعتباره المحفل الماسوني الأول(٦).

---

(١) حلاق. *موقف*، ص٢٩٢ ؛ السامرائي. *الماسونية*،ص٣٢.

(٢) غلوش. *الجمعية*، ص١٥ ؛ الحاج. *هيكل*، ص٣٣.

(٣) غلوش. *الجمعية*، ص١٥-١٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٠.

(٥) السامرائي. *الماسونية*،ص٥٣.

(٦) حسين عمر حمادة. *شهادات ماسونية*، (ط١، دمشق: دار قتيبة للنشر، ١٩٨٠)ص٤٢-٤٧. – أنظر صورة عن الوثيقة وترجمتها في الملحق رقم ٣.

٢- علاقة جمعية الاتحاد والترقي بالماسونية.

نشطت الماسونية داخل الدولة العثمانية مثلما نشطت في دول شتى ، ولقد اختلف في نشأتها داخل الدولة العثمانية ، حيث يذكر 'جرجي زيدان' ان الماسونية الرمزية ظهرت في الدولة العثمانية سنة ١٧٣٨ في منطقة 'كورفو' ، تحت رعاية المحفل الأعظم الإنجليزي[١] ، في حين يذكر 'لويس شيخو' ان الماسونية كانت لها محافلها سنة ١٧٤٨ ، حيث أمر الباب العالي أن تحاصر الشرطة في 'استانبول' محفل ماسوني من اجل طرد أصحابه وتخريب محفلهم ، إلا أن ذويه التجأوا إلى سفير 'إنجلترا' ، فأوقف عن العمل على شرط ان لا تؤازر الدول الأجنبية الجمعيات السرية وعلى الأخص الماسونية[٢] .

وقد طمست هذه المحافل مدة تقارب المائة عام حتى تأسس في جزيرة 'كورفو' محفلا ماسونيا آخر سنة ١٨٣٧ عرف باسم محفل 'فيثاغورث' وهذا هو المحفل الذي تم التعويل عليه[٣] ، ثم تأسست فيما بعد محافل في العاصمة 'استانبول' وفي 'ازمير' وغيرهما ، وكان بعضها تابع للشرق الأعظم الإنجليزي ، وبعضها للفرنسي او الإيطالي[٤] .

وظل الأمر متأرجحا حتى انشا الأمير 'حليم باشا' حاكم مصر أول محفل ماسوني فعلي سنة ١٨١٩ تحت اسم 'شوراى عالي عثمانلي' غير ان هذا المحفل – وبسبب الخلاف بين الدولة العثمانية وحكام مصر – قد اغلق بعد وقت قصير[٥] ، إلا أن هذا لم يمنع من وجود محافل ماسونية فرعية في استانبول وهي :

١- المحفل الشرقي نمرة ٦٨٧ والذي تأسس سنة ١٨٥٦ .

٢- محفل البلور نمرة ٨٩١ والذي تأسس سنة ١٨٦١ .

٣- محفل الفضيلة نمرة ١٠٤١ والذي تأسس سنة ١٨٦٤[٦] .

وفيما بعد تم تأسيس ٩ محافل في 'استانبول' ، ثلاثة منها تابعة للمحفل الأعظم الإنجليزي المتحد ، وثلاثة أخرى تابعة للشرق الأعظم الفرنسي ، واثنان تابعان للشرق الإيطالي الأعظم ، وواحد تابع لمحفل ايزلندا الأعظم[٧].

أما 'ازمير' فقد وجد فيها ستة محافل تابعة للمحفل الأعظم الإنجليزي ، وفي جزيرة 'زانطة' ، وهي من جزر 'اليونان' ، وجد محفل واحد تابع للمحفل الأعظم الإنجليزي المتحد ، ويدعى 'كوكب

---

(١) زيدان . *تاريخ* ، ص ١٤٤ .

(٢) شيخو . *السر* ، ك ٤ ، ص ٣٦ .

(٣) زيدان . *تاريخ* ، ص ١٤٤ ؛ انظر – شيخو . *السر* ، ك ٦ ، ص ٣٢ .

(٤) شيخو . *السر* ، ك ٦ ، ص ٣٢ .

(٥) زهر الدين. *اليهود* ، ص ٣٥ ، انظر – شيخو . *السر* ، ك ٦ ، ص ٣٢ .

(٦) زيدان . *تاريخ* ، ص ١٤٥ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٤٥-١٤٦ .

الشرق' نمرة ٨٢٠ الذي تأسس سنة ١٨٦١ ، أما منطقة 'افسس' فقد وجد محفل واحد إنجليزي يقـــال لــه محفل 'الوسينيان' نمرة ٩٧٨ الذي تأسس سنة ١٨٦٣[١] .

ويمكن الإجمال ان هذه المحافل كانت تشهد اضطرابا في عملها ، حيث تفتح ثم تغلق ، ولم تكــن بأي شكل من الأشكال منتظمة العمل ، وقد خضع هذا الأمر لموقف الدولة العام منها ، إضافة إلى تنــافس المحافل فيما بينها ، والصعوبات الذاتية التي كانت تواجهها .

ونلاحظ ان نشاة المحافل الحقيقية في الدولة العثمانية كان في الفترة مـــن ١٨٦٠-١٨٦٩ وهـــي الفترة التي كان فيها السلطان 'عبد العزيز'سلطانا على الدولة[٢] ؛الأمر الذي يؤكد مدى التوسع الذي حققتــه هذه المحافل في عهد هذا السلطان .

بعد خلع السلطان 'عبد العزيز' وتولية 'مراد الخامس' استمرت الماسونية في نشاطها ، ومحاولاتــها ضم ذوي النفوذ من الامراء وقادة الجيش والمثقفين ، ويذكر التاريخ حادثة مشاركة 'مراد الخـــامس' قبـل توليه السلطة مع أخيه السلطان 'عبد الحميد' في رحلة الى إنجلترا مع عمهما السلطان 'عبد العزيز' ، حيـث كانت تصرفات وسلوك السلطان 'عبد الحميد' تتسم بالهدوء والوقار ، في حين كانت تصرفات ولي العـــهد السلطان 'مراد' عكس ذلك تماما ، حيث كان 'مراد' يتناول ويجرب كل أنواع المســكرات فــي الحفــلات الخاصة التي كانت تقام لهم[٣] ، وفي نفس هذه الرحلة حظي 'مراد' باهتمام خاص من قبـــل ولـــي عــهد 'إنجلترا' آنذاك 'الأمير إدوارد ' (Prince Edward) ، حيث نشأت صداقة حميمة بينهما بسرعة كبــيرة، واستطاع 'الأمير إدوارد' فيما بعد ضم مراد إلى المحفل الماسوني الاسكتلندي بعد إلحاحــه عليــه ، لكــن المؤرخ 'نظام الدين نظيف' يرى أن 'مرادا' كان ماسونيا حتى قبل زيارته هذه إلى 'إنجلترا' [٤].

أما بعد تولي السلطان 'عبد الحميد' مقاليد الأمور فقد اتخذ موقفا حاسما جدا من الماســونية حيـث أبدى معارضة شديدة لها، لانه كان يرى فيها جمعية سرية سياسية وخطرة في آن واحد[٥] .لكن 'جرجــي زيدان' له رأي آخر حيث يقول :" واما من قبل الدولة ، فلم نصادف مقاومة رسمية مطلقا ، وان تكن مـــن الجهة الثانية لم تصادف تنشيطا كبيرا ، على أن مولانا أمير المؤمنين [السلطان عبد الحميد] كـــان فـــي ريبة من أمرها ، لكنه علم مؤخرا صحة مبادئنا ، واخلاصها لجلالته ، ولسائر الأمة والوطن"[٦] .وبذلـــك اتجه 'جرجي زيدان' اتجاها لم يوافقه عليه أحد ، حيث أن معارضة الســلطان 'عبــد الحميــد' الصريحــة للماسونية كانت واضحة ، وإلا فكيف نفسر تشجيع الماسونية للأحزاب الثورية داخل الدولة ، واثارة دعايــة

---

[١] زيدان . *تاريخ* ، ص ١٤٦-١٤٧ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٤٥-١٤٨ .

[٣] محمد علي . *السلطان* ، ص ٧٠-٧١ .

[4] Nizamettin Nazif Tepedelenlioğlu. *Sultan Ikinci Abdülhamid ve Osmanli Imparatorluğunda Komiteciler* , (İstanbul: Toker Yayinlari, 1972), p 378-380.

[5] Kedourie. *Arabic* ,P.249.

[٦] شيخو . *السر* .ك ٦ ، ص ٣١.

عالمية ضد الطبقة الحاكمة المتمثلة بشخصه ، متخذة من الافتراءات والأكاذيب سلاحا ، بحيث لا يمكن للإنسان الوقوف أمام تيارها الجارف ، وكانت تتضمن شعارات مثل 'لا حرية في الدولة العثمانية' 'الاستبداد المخيم عليها' 'السلطان يفتك بالعناصر المثقفة' 'السلطان الأحمر' (Kizil Sultan)، وما إلى ذلك من هذه الشعارات ، التي وجدت لها آذانا صاغية فيما بعد[١] .

ويذكر 'نظام الدين نظيف' المؤرخ التركي أن السلطان 'عبد الحميد' كان عدوا للماسونية ، ولم تترك أبواق الماسونية عيبا من عيوب الحكم إلا ألصقته بحكمه ، حتى أصبح رمزا للظلم والاستبداد والقسوة[٢] .

لقد أوضحنا في وقت سابق أن 'مدحت باشا' كان ماسونيا، ولا نستغرب إصرار الجمعيات الثورية العثمانية على التغني بمدحت باشا ، فإلى جانب كونه صاحب القانون الأساسي (الدستور) الذي ألزم السلطان عبد الحميد بإعلانه قبيل توليه الحكم؛ كانت الاخوة الماسونية تدفعهم إلى احترامه وتقديره .

ولقد نشطت الماسونية في بداية عهد السلطان 'عبد الحميد' رغم موقفه الواضح منها ، ولقد استطاع السلطان 'مراد' المخلوع تهريب رسالة من سجن 'مالطا' (Malta) إلى أحد أصدقائه وهو يوناني يقيم في 'استانبول' يدعى 'كلينث سكاليري' (Cleanthe Scalieri) ، وهو احد قادة المحافل الماسونية ، وعلى هذا كانت الصداقة والمعرفة بينهما ، وكانت الرسالة تحتوي على طلب من 'مراد' إلى صديقه يطلب منه العمل على إطلاق سراحه ، واستطاع 'سكاليري' من خلال منصبه الماسوني إيجاد صلات مع كبار الماسون الأوروبيين في 'استانبول' ، حيث عمل فور تلقيه هذه الرسالة على التحرك وكتب خطابا الى السلطان 'عبد الحميد' ، وارسل الى صحيفة إنجليزية تصدر في العاصمة 'استانبول' اسمها 'عبر الشرق' (Eastern Express) وأرفقه بطلب لنشره في الصحيفة ، ولما نشر هذا الخطاب كان له وقع سيئ على السلطان 'عبد الحميد' وامر بنقل السلطان المخلوع مراد إلى قصر 'جراغان'[٣] .

لم يكتف 'سكاليري' بذلك بل قام وأصدقاؤه الماسون بتكوين لجنة عرفت باسم لجنة 'سكاليري – عزيز بك' – وكان 'عزيز بك' (Aziz Bey) أحد الموظفين الكبار في 'الأوقاف' (Avkâf) –وضمت اللجنة العديد من خصوم السلطان ، وهدفت الى تدبير انقلاب ضد السلطان ومن ثم خلعه ، لكن السلطان 'عبد الحميد' وأجهزته الأمنية استطاعوا الوقوف على هذه المؤامرة ، حيث قامت الأجهزة الأمنية بمداهمة مقر اللجنة في منزل 'عزيز بك' والقت القبض على أعضائها الموجودين ، وتمكن 'سكاليري' من الفرار ، وقد حكم على من ضبط بالسجن لفترات مختلفة او النفي[٤].

---

[١] اتلخان . *أسرار* ، ص ٦١-٦٢ .

[٢] التل . *الأفعى* ، ص ٧٨ ؛ ذياب . *المخططات* ، ص ٨٦ .

[٣] الشناوي . *الدولة* ، ج ٢ ، ص ١٠١٠ ، Lewis . *The Emergence*, P. 172.

[4] Lewis . *The Emergence*, P.173

وكان من نشاطات الماسونية ضد السلطان 'عبد الحميد' محاولة اغتياله ، وذلك عن طريق المنظمات الثورية الأرمنية السرية ، حيث قام 'كارل إدوارد'(Karl Edward) ملك إنجلترا والمنتسب للمحفل الماسوني والصديق الحميم لليهود بتقديم مبلغ١٣ ألف ليرة ذهبية لهذه المنظمات للقيام بعمليات ضد الدولة ، وكان أول عمل هو الهجوم على الباب العالي، في حين هاجمت مجموعة أخرى 'البنك العثماني' ، إلا ان الصدر الأعظم 'سعيد بك' ، أمر بمحاصرة البنك ، واستطاعت قواته إجبار المهاجمين الأرمن على الاستسلام ، بعد ان قتل منهم من قتل ، واما من بقي منهم حيا فقد طالبت بهم روسيا بحجة انهم يحملون الجنسيات الروسية ، وتم لهم ما أرادوا تحت وطأة نظام الامتيازات[١] .

ظلت الماسونية والأرمن على إصرارهم في قتل السلطان ، لكن هذه المرة في مؤامرة اشد أحكاما وأقوى تدبيرا ، وقد ساهم فيها اليهود في سويسرا ، حيث كلف بأمر هذه العملية رجل يدعى 'إدوارد جورس' ، وهو يهودي مجري ، فرنسي الجنسية ، تدرب في روسيا على عمليات الاغتيال ، ولقد قام بالتعاون مع المنظمة الثورية الأرمنية 'الداشناك'، بحيث يتم إدخال عربة حصان مفككة ، يتم تجميعها في الداخل ، وقاموا بوضع قنبلة موقوتة عرفت باسم 'قنبلة الجحيم' وضعت تحت كرسي القيادة في القسم الخشبي منه ، لتنفجر في الوقت الذي يقوم فيه السلطان بتأدية صلاة الجمعة ، بحيث تترك العربة في المكان الذي يمر فيه السلطان ، وقد عرف السلطان بدقة مواعيده ، وعلى هذا الأساس بنيت الخطة[٢] .

ولقد وصل السلطان في يوم الجمعة ٢١ تموز ١٩٠٥ ، وبعد انتهاء الصلاة أراد أن يجامل شيخ الإسلام 'جمال الدين أفندي' ، فامضى معه بضع دقائق في الوقت الذي كانت الشوارع والساحات المجاورة مليئة بالحرس وقادة الجيش والشرطة السرية ، واثناء ذلك دوى انفجار هائل ، حيث طارت قطع من الخيول والعربة والأشلاء البشرية الممزقة ، وتحطم زجاج نوافذ المسجد ، وقد ذهل من بقي حيا من هول الانفجار ونتائجه ، فهربوا ثم عاد قسم منهم ليهنئ السلطان على سلامته[٣] .

وتذكر 'عائشة عثمان أوغلي' في مذكراتها تلك الحادثة فتقول :" وفي تلك اللحظة رأيت والدي وهو يقف على الدرجة الثالثة من السلم تقريبا ، ومضى يقول بصوته الجهوري باسطا ذراعيه ، لا تخافوا، لا تخافوا ، ثم بدأ ينزل بخطوات وئيدة وهو يصيح ، فليبق كل واحد في مكانه ، ورآه آنذاك كل من تفرق هنا وهناك من بلوك المعية ، 'أي الحرس الخاص' والضباط والجنود ، وراحوا يأخذون أماكنهم على الفور ، وجاء الوالد الى مقدمة العربة ، وشرع في ركوبها ، وهو يقول : لا تنزعجوا حتى لا يتأذى أحد من الزحام ، وهرع أخي برهان الدين أفندي هو الآخر الى العربة فدخلها ، وتناول والدي اللجام وشرع يصعد الطريق ببطيء اكثر من أي وقت مضى"[٤] .

---

[١] طوران . *أسرار* ، ص ١٨-١٩.

[٢] المصدر نفسه ،ص ١٩-٢٠ .

[٣] المصدر نفسه ،ص ٢١ .

[٤] عثمان أوغلي . *والدي* ، ص ١٢٤ .

كان عدد القتلى في هذه الحادثة كبير ، ولم يتم التعرف على القتلى بسبب ما أصابهم من تشويه خلال الانفجار ، ولقد شكلت لجنة تحقيق خاصة برئاسة 'نجيب ملحم' حيث أحاطت هذه اللجنة بعد فترة قصيرة بأبعاد العملية ، وتوصلت لمعرفة الفاعلين ، وألقت القبض على العديد من المشتركين ومنهم 'كريستوفر ميكائيليان' وابنته 'روبينا' و 'قسطنطين فيولنيان' وهو يهودي روسي انتحر في السجن بقطع شرايين يديه بإبريق المرحاض المعدني ، كما قامت المخابرات العثمانية بالقيام بإجراء تحريات استطاعت خلالها الحصول على نشرة لها أهمية بالغة كانت تحوي على ٢٢ مادة[١] ، وهذه المواد هي في الغالب 'بروتوكولات حكماء صهيون' ، وربما كان للحركة الصهيونية يد في هذه العملية .

اما عن العلاقة بين الماسونية وجمعية الاتحاد والترقي ، فهي علاقة وطيدة وعميقة ، فمنذ البداية انضم لها الأحرار العثمانيون الذين سموا أنفسهم 'بتركيا الفتاة' او 'جمعية الاتحاد والترقي' ، وتشير كل الاحتمالات الى ان المؤسس الحقيقي لجمعية الاتحاد والترقي ،قد تأثر بمنظمة الكاربوناري الإيطالية ، فيما قام به ، حيث قام 'إبراهيم تيمو' بزيارة مسقط رأسه 'ستروغا' قبل تأسيس جمعيته لقضاء عطلته الصيفية فيها ، ثم سافر الى إيطاليا وقضى عدة أيام في 'برنديزي' و 'نابولي' ، وزار خلالها محفلاً ماسونياً ، ومن خلال هذا المحفل تعرف 'تيمو' على 'الكاربوناري' في أيار ١٨٨٨م ، وقرر وقتها ان يؤسس جمعيته السرية على نمطها[٢].

ولقد بدأ اثر 'الكاربوناري' واضحاً في استخدام الارقام السرية التي تستخدمها الماسونية ايضا حيث أعطيت هذه الأرقام الى كل عضو في الجمعية ، وكان 'تيمو' الماسوني أصلا يحمل رقم ١/١ أي العضو رقم واحد في الخلية الأولى ، وهكذا[٣] ، وعندما تم انتخاب الهيئة الإدارية للجمعية لم ينتخب 'تيمو' لأي منصب وهو المؤسس لكنه احتفظ برقمه ١/١ في الجمعية[٤] .

ولقد نشطت الجمعية الماسونية فيما بعد داخل الدولة العثمانية ، ولا سيما في 'سلانيك' ولكن يبقى السؤال دائما لماذا 'سلانيك' ؟.

يمكن القول في ذلك ان 'سلانيك' كانت عاصمة 'مكدونية' ، وهي ميناء ضخم مفتوح على اوروبا، وتوجد فيها برجوازية تجارية ثرية[٥] ، في الوقت الذي كانت تشكل فيه نقطة تجمع قومي وعرقي، وان قربها وخطورتها وأهميتها لأوروبا جعل الأخيرة تفرض عليها الرقابة وتتدخل كليا في شؤونها التي هي من شؤون الدولة العثمانية الصرفة[٦] .

---

[١] طوران . *اسرار* ، ص ٢٢ .

[٢] كلشي . *الوجه* ، ص ٢٢ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ٢٢-٢٣ .

[٤] ار رامزور . *تركية*، ص١١٩.

[٥] روبير مانتران (محرر). *تاريخ الدولة العثمانية*، ترجمة:بشير السباعي(القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩٣) ،ج٢، ص ٢٣٦ .

[٦] رامزور . *تركية* ، ص ١١٩ .

أما من الناحية الدينية والمذهبية ، فقد كانت 'سلانيك' ملجأ لليهود الذين وجدوا من التسامح الديني في الدولة العثمانية مالم يجدوه من الأديان الأخرى ، حيث هيمن العنصر اليهودي على 'سلانيك'[1] ، بل ان هناك من يعتبر 'سلانيك' بالأساس مدينة يهودية ، فيهود 'السفارديم' (Sephardic Jew) يمثلون ٨٠,٠٠٠ وهم من اصل أسباني ، كما كان هناك ٢٠,٠٠٠ يهودي 'دونمة' ، وبذلك كان عدد اليهود الإجمالي فيها ١٠٠,٠٠٠ يهودي من اصل ١٤٠,٠٠٠ هم عدد سكان 'سلانيك' ، وبذلك فقد كانوا يمثلون ما نسبته ٧١,٤% من سكانها[2] ، في الوقت الذي وجدت فيها طبقة كبيرة من المتعلميـن والموظفين[3] كانوا على اتصال دائم بالعالم الخارجي بسبب قربها من أوروبا ، الى جانب ضعف الرقابة والحضور الأمني للدولة العثمانية فيها[4] ، وهكذا يصبح السبب الذي جعل الماسونية تنشط في 'سلانيك' هو نفسه السبب الذي دفع جمعية الاتحاد والترقي لاختيار 'سلانيك' مركزا لها. وقد كان هناك الكثير في 'سلانيك' ممن جذبتهم الماسونية الى محافلها ، وكان من الطبيعي جدا ان تضم هذه المحافل أعدادا كبيرة من اليهود[5] ، حيث كان اليهود اكثر الناس انتفاعا من الانقلابات التي بعثت لها الماسونية في كل مكان[6] .

ولقد كانت هذه المحافل داخل الدولة وخصوصا في 'سلانيك' تعقد في بيوت الأجانب حيث كان هؤلاء يتمتعون بالحصانة الممنوحة لهم ضد التفتيش والملاحقة[7] ، في الوقت الذي قامت جمعية الاتحاد والترقي باستخدام وسائل وأساليب ماسونية في العمل ، ويوضح 'شارلز بوكستون' (Buxton) الذي دون تاريخ هذه الجمعية ذلك ، حيث قال في مقدمة كتابه ان الجمعية المذكورة شديدة التحفظ في صيانة أسرارها ، ولا يمكن لأحد أن يقف على حقيقتها ،لأن ذلك هو مبدأها الأساسي الذي بنيت عليه من قبل وضع الغاية التي تنشدها الجمعية[8] ، ويؤكد 'فيش'(Fesch) الذي أرخ لهذه الجمعية أيضا ، ان كل عضو كان لا يعرف إلا الشخص الذي رشحه والشخص الذي كان يأتيه بالتعليمات من الجمعية[9] .

كانت عملية قبول أعضاء الجمعية تتم عن طريق وكيل ، توكل إليه مهمة مكاشفة المرغوب في ضمه أو من يبدي رغبة في الانضمام الى الجمعية على شرط ان يقسم اليمين بعدم إباحة ما يلقى إليه ،

---

(1) مانتران . *تاريخ* ، ص ٢٣٦ .

(2) Kedourie . *Arabic*,249.

(3) الاتحاد العثماني . بيروت ، العدد ٨٧ ، السنة ١ ، ٧ كانون ثاني ١٩٠٩ ، ص ٢ .

(4) أحمد نوري النعيمي .*اليهود والدولة العثمانية، دراسة في الأصول والعقائد والمواقف* (ط٢، دمشق: العربي للإعلان والنشر، ١٩٧٣) ، ص ١٨٩ .

(5) رامزور . تركية ، ص ١٢٥ .

(6) شيخو . *السر* ، ك ٦ ، ص ٤٥ .

(7) Ibid.,249-250.

(8) الهدى . نيويورك ، العدد ٧٠ ، السنة ١٢ ، الجمعة ١٤ ايار ١٩٠٩ ، ص١.

(9) Fesch. *Constantinople*, P.330.

إلا بموافقة الجمعية ، فإذا هو رضي بذلك ، وحلف اليمين ، وتبين للكفيل أهلية الشخص طالب الانضمام، يتم شرح أفكار الجمعية له [١]. اما الخطوة الثانية :فهي أهم من الأولى بكثير ، وهي متعلقة بالمكاشفة الرهيبة والرعب الذي يستولي على العضو الجديد ، حيث يساق هذا العضو مغمض العينين الى المقام السري للجمعية ، وهناك تفتح عيناه فيرى نفسه أمام ثلاثة رجال بوجوه سوداء مستعارة ، وهناك يتلى عليه القسم، حيث يقسم على السيف والقرآن أن يوقف حياته كلها وقواه جميعها لخلاص أوطانه ؟ وافتدائها بدمه في كل طريقة أو سبيل تشير عليه بهما الجمعية ، وانه لن يبوح بأي سر من أسرارها ، وان يقتل أي شخص كان إذا حكمت عليه جمعية الاتحاد والترقي بالموت ، ومن ثم بعد انتهاء هذه المراسيم تغمض عيناه ثانية ويسار به من حيث أتى[٢] ، وبذلك يصبح هذا الطالب الجديد عضوا في الجمعية ، ويكون كما ذكرنا على معرفة باثنين فقط ، هما ، العضو الذي ادخله والثاني الذي يبقى على اتصال به ، ثم يعطى رقما سريا يعرف به من سجلات الجمعية ، ويدعى لحضور الاجتماعات السرية التي تعقدها الجمعية فيما بعد [٣].

ولقد أسس 'عمانوئيل قره صو' اليهودي محفلا ماسونيا سمي بمحفل 'ماكدونية ريزورتا' (Macedonia Risorta) وذلك بالتعاون مع الماسونية الإيطالية ، وكان هدفه من ذلك هو فرض النفوذ اليهودي غير المستساغ على الأوضاع الجديدة داخل الدولة ، وان كان يتظاهر بأنه إنما يريد مساعدة رجال الاتحاد والترقي في تضليل السلطان 'عبد الحميد'[٤] .

ويذكر 'جواد رفعت اتلخان ' انه ورد في القرار رقم ٧٠ للجمعية الماسونية الفرنسية ان جمعية سرية أسست باسم 'تركيا الفتاة' باشرت نشاطها في سلانيك التي يوجد بها اليهود الأكثر نفوذا، وكانت هذه المحافل تقوم بقبول واستقطاب العديد من الثائرين مستغلة حماية الدول الأجنبية لها عن طريق الامتيازات ، ويمكن القول ان 'جمعية الاتحاد والترقي' قد ولدت فعلا في محفل 'مكدونية ريزورتا' الذي أسسه 'عمانوئيل قره صو'[٥] .

ويذكر الماسون الذين اصدروا كتابا في تركيا باسم 'الماسونية في تركيا والعالم' ، (Dünyada ve Türkiyde Masonluk) ان المحفل التركي الأعظم المرتبط بالمحفل الإيطالي الكبير المسمى بمحفل 'مكدونية ريزورتا' ، ومحفل 'لابوريت لوكس' (Laboret Lux) لعبت دورا هاما في جمعية الاتحاد والترقي ، وقد حاول السلطان 'عبد الحميد' الحد من نشاط هذه المحافل ، لكنه لم يوفق في مسعاه ، وقد قامت هذه المحافل بدور كبير في تأسيس وتوسيع جمعية الاتحاد والترقي[٦] .

---

(١) الهدى . نيويورك ، العدد ٧٠ ، السنة ١٢ ، الجمعة ١٤ ايار ١٩٠٩ ، ص١.

(٢) المصدر والصفحة نفسهما ؛ انظر – رامزور . *تركية* ، ص ١٢١-١٢٣ ؛ Sonyel. *Minorities*, P.246

(٣) أصاف . *تاريخ* ، ص ١٤٧-١٤٨ .

(4) Kedourie . *Arabic*, 250.

(٥) حلاق . *موقف* ، ص ٢٩٢-٢٩٣ .

(٦) محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٨٧ .

ويعترف أحد قادة الاتحاد والترقي بخدمات الماسونية لجمعيته في مقابلة له مع مراسل صحيفة باريسية حيث قال :" حقاً إننا وجدنا سنداً من الماسونية ، وخاصة الماسونية الإيطالية ، فالمحفلان الإيطاليان مكدونية ريزورتا ولابوريت لوكس قدّما لنا خدمة حقيقية ، ووفّرا لنا الملاجئ ، فكنا نجتمع فيها كماسونيين ، لأن كثيراً منا كانوا ماسونيين ، غير أننا في الحقيقة كنا نجتمع لتنظيم أنفسنا ، كما أننا اخترنا معظم رفقائنا من هذين المحفلين ، اللذين ساعدا لجنتنا كغربال ، نظرا لما كانا يبديانه من دقة في الاستفسار عن الأفراد ، فكان العمل السري الذي يجري في 'سلانيك' قلما يثير الشكوك في القسطنطينية، كما ان عملاء الشرطة حاولوا عبثاً دخوله ، يضاف الى ذلك ان هذه المحافل التمست من الشرق الأعظم في إيطاليا ان تتدخل السفارة الإيطالية عند الحاجة ، وقد وعد الشرق الأعظم بدوره بضمان ذلك"[1] .وبذلك قامت المحافل الماسونية بجمع كلمة الاتحاديين ، وكان كثير من الماسونيين واغلبهم من اليهود الاثرياء يمدونهم بالاموال[2] .

اما عن الحديث الذي يدور في هذه المحافل فقد أورده 'ارمسترونج' حيث يقول :" لقد أدخل 'مصطفى كمال'-مصطفى كمال أتاتورك فيما بعد- أخا في 'محفل فيداتا' (Vedata Lodge) ، فوجد نفسه في محيط لم يحبه ، لأن المحفل كان جزءا من منظمة فوضوية عالمية ، وكان مليئاً برجال لا قومية لهم يتكلمون عن شرور روسية ، حيث كان اليهود مضطهدين ، وعن مباهج 'فينا' ، حيث سمح لهم بالحصول على المال ، لقد كانوا أناساً مرضى ولصوصاً مفعمين بالأسرار والكلام الغامض ، ... "[3].

وتتوالى اعترافات أعضاء الجمعية بدور الماسونية ، حيث يقول أحدهم :" ونحن العثمانيون مدينون للماسونية اكبر دين لأنها هي التي ثبتت في نفوس أعضاء جمعية الاتحاد والترقي روح الحرية ، وبها اقتدوا في إنشاء جمعيتهم"[4].

والى جانب ذلك كانت شهادات المؤرخين حيث يقول 'بيرس' (Pears) :" ان زعماء جمعية الاتحاد والترقي التحقوا بالمحافل الماسونية للإبقاء على خططهم سرية"[5] ، واما 'اللورد كنروس' (Lord Kinross) فيقول: " إن جمعية الاتحاد والترقي قد استفادت من أساليب وفنون الماسون"[6] .

أما عن سبب تأسيس المحافل الماسونية من قبل إيطاليا في عهد السلطان 'عبد الحميد' فيرجع إلى رفض الدولة العثمانية القيام بتنازلات بخصوص ليبيا التي كانت إيطاليا ترغب في احتلالها إلى جانب أسباب أخرى تندرج تحت إطار المسألة الشرقية، حيث قامت السياسة الإيطالية بإفراز المحافل الماسونية

---

(1) رامزور . تركية ، ص ١٢٦-١٢٧ ; انظر - Pears. *Life*, P. 285.

(2) نيازملا . *السلطان* ، ص ٦٥ .

(3) H.C. Armstrong. *Grey Wolf, Mustafa Kemal, An Intimate Study of Adictatar*, (London: Arthur Barker L.T.D, 1933), P. 37.

(4) المقتطف . *الماسون في البلاد العثمانية* "، القاهرة ، ج ٢ ، م ٣٦ ، فبراير ١٩١٠ ، ص ١٥٨-١٥٩ .

(5) Pears. *Life*, P. 285.

(6) Lord Kinross. *Atatürk, The Rebirth of Nation*, (London : Weidenfeld and Nicolosn, 1971), P.28.

في الولايات العثمانية ولا سيما في 'سلانيك'، من اجل إنهاك الدولة العثمانية ، ومن ثم القضاء على حكم السلطان 'عبد الحميد' ، وكان من المتوقع قيام نزاع بينه وبين السفير الإيطالي 'مرشيز امبريالي' (Ambassador Marches Imperiali) بخصوص هذا الأمر[1] ، لذا فقد تم دفع 'قره صو' لإنشاء محفله ، حيث حصل على إذن لعقد اجتماعات جمعية الاتحاد والترقي في محفله ، وبهذا اصبح أعضاء هذه الجمعية من المنتسبين للمحفل الماسوني ، في الوقت الذي كان فيه 'قره صو' منهمكا في تكوين اللجان الداخلية للجمعية [٢] .

بذلك يصبح جليا أن اليهود كان لهم في هذه المحافل دورا أهم في جمعية الاتحاد والترقي ، حيث يعترف أحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بقوله : وكان هناك نوعان من الأعضاء ، أحدهما مرتبط بالمحفل الماسوني ، وهذا كنا نطلق عليه اسم الأخ من الأب والام وآخر غير مرتبط بالمحفل الماسوني، فكنا نطلق عليه الأخ من الأب فقط ، ويعلق الكاتب التركي المعروف 'نجيب فاضل' على هذا بقوله :" كان الضباط الاتحاديون في الجيش الثالث تحت امرة الدولة يا ترى أم تحت امرة وخدمة اليهودية"[٣] ، وهذا يدلل على تركيز الماسونية على الجيش حيث ازداد عدد المشتركين في المحافل الماسونية ، نظرا لاتصال الضباط الشبان في الجيش الثالث بهذه المحافل المنتشرة في 'سلانيك' وغيرها من المدن[٤] .

وبالنسبة لقياديي جمعية الاتحاد والترقي المنتسبين للماسونية غير 'قره صو' السالف الذكر الذي سيطر على فرع الجمعية في 'البلقان'[٥] ،كان 'طلعت بك' من المنتسبين لهذه المحافل التي اعتقدت انه سيكون له مستقبل كبير في الدولة ، حيث اتصلوا به ورقي خلال فترة قصيرة الى عدة درجات هامة في المحفل الماسوني ، وكان 'قره صو' هو الذي ضم "طلعت واستطاع احتضانه واحتوائه اكثر واكثر[٦] . بالإضافة إلى هؤلاء كان 'جاويد بك 'حيث مثل هؤلاء قمة الماسونية في الدولة العثمانية[٧]' كذلك 'احمد نيازي الرسنة لي' ، و'اسحق سكوتي' والدكتور 'بهاء الدين شاكر' والدكتور 'ناظم' و'عبد الله جودت' كانوا

---

[1] Joan Haslip. *The Sultan, The Life of Abdul Hamid II* (London: History Book Club, 1958), P. 256.

[2] Ibid., P.283-284.

[٣] محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٨٦-٢٨٧ .

[4] Ibid., P.256.

انظر – محمود ثابت الشاذلي . *المسألة الشرقية ، دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩ – ١٩٢٣م* ، (ط ١ ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٩) ص ١٧٢-١٧٣ .

[5] Kedourie . *Arabic*, 250

[٦] طوران . *أسرار* ، ص ٤٩-٥٠ ؛ انظر – حسون . *العثمانيون* ، ص ١٩٢ .

[7] Pears. *Life*, P.298.

من المنتسبين لهذه المحافل[1]، إلى جانب العديد من القياديين الآخرين، ويمكن القول أن اثنين فقط من هؤلاء لم يكونا ماسونيين وهما 'احمد رضا'[2] والدكتور 'ناظم سلانيكي'[3] .

يذكر 'س. ناجي': أن الماسونية كانت تعمل على إجبار الطلاب على الانضمام لمحافلها بطريق الرشوة ، ومن كان يعزف عن المال والرشوة كان الماسون يلفقون له تهمة الانتماء الى الجمعيات السرية المناهضة ، ليوقعوا به حتى يكون عبرة لسواه من الطلاب الذين يرفضون الانضمام إليهم[4] .

ولقد بلغ من شدة تأثير الماسونية على الاتحاد والترقي ان كان علمهم الأحمر والأبيض هو نفس ألوان علم الماسونية الإيطالية[5] ، كما أن شعارات الاتحاد والترقي 'اخوة' 'عدالة' 'مساواة' 'حرية' هي نفسها شعارات الماسونية[6] .

ولم يغب امر الماسون ودورهم عن السلطان 'عبد الحميد' حيث قال :" للماسون عندنا تصرفات مزعجة ، يحاولون بحماس زائد نشر افكار تجدديه لا يفهمها الناس ، اذ ان الاغلبية عندنا لا تأبه بالافكار التحررية ، والذين يميلون الى التعاون مع هؤلاء حفنة من الناس بقيت خارج البلاد ردحا من الزمن ، فانقطعت عن جذورها ، وتثقفت ثقافة اوروبية سطحية براقة ، وهذا الصنف من الناس عندما يعود الى بلده يجهل ما ينتظره منه شعبه ، فيعمل على نشر الافكار الغربية في سبيل جعل تركيا 'دولة حضارية' انهم عمي في بصائرهم ، ان الشيء الوحيد الذي استطاعوا تحقيقه هو بذر الشقاق والعصيان في البلاد وصفوف الجيش ، دون ان يدروا انهم يعملون لصالح 'إنجلترا' ، التي تذرعت بنشر الأفكار التحررية في إمبراطوريتنا بغية إضعاف قدراتنا ، واشد ما يؤلمني ان يقوم هؤلاء المضللون من الأتراك بالتعاون مع اليونانيين والبلغاريين في سبيل إزاحة 'المستبد' عن الحكم ، ربٌ انهم مساكين ضعاف العقول لا يفقهون"[7] .

ثم يقوم السلطان 'عبد الحميد' بإعادة الكرة فيقول :" لا بد للتاريخ ان يفصح عن ماهية الذين سموا أنفسهم تركية الفتاة ، وعن ماسونيتهم ، استطعت ان اعرف من تحقيقاتي ان كلهم تقريبا من الماسون وانهم ينتسبون الى المحفل الماسوني الإنجليزي [والإيطالي والفرنسي] ، وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل ، ولا بد للتاريخ ان يفصح عن هذه المعونات ، هل هي معونات إنسانية ام سياسية"[8] . ثم يقول :" رأيت خطاباً تسلمه 'أحمد جلال الدين باشا' من 'علي كمال بك' في 'مصر' ، فيه أسماء ومصادر

---

[1] Bozdag. *Abdülhamid*, P. 63.

[2] يذكر مصطفى طوران ان احمد رضا كان من المنتسبين الى المحافل الماسونية ، انظر ص ٦٦ .

[3] رامزور . *تركية* ، ص ١٢٧ .

[4] ناجي . *المفسدون* ، ص ٣١٤ .

[5] Kedourie . *Arabic*, 250

[6] Cevat Rifat Atilhan, *Islâmi Saran Tahlike ve Siyonizm ve Protokolar* (Istanbul: Gün Matbaasi, 1955) P. 154.; *Revue Du Monde Musulman*, Publiee La Mission scientifique Du Maroc, Tome Cinquieme (Paris: Ernest Leroux Editeur, 1908), P. 721.

[7] Abdülhamit. *Siyasi.* P. 81-82. عبد الحميد الثاني. *مذكراتي*، ص ٧٣-٧٤.

[8] Bozdag. *Abdülhamid*, P. 48.

التمويل اسما اسما ، وفي هذا الخطاب أيضا يذكر ان الدكتور 'عبد الله جودت' ، والدكتور 'اسحق سكوتي' ، والدكتور 'بهاء الدين شاكر' ، والدكتور 'ناظم' ، و'إبراهيم تيمو' ، ينتسبون الى المحافل الفرنسية والإيطالية ، وان هذه المحافل تسلم عائلاتهم الموجودة داخل البلاد النقود يدا بيد"[١] .

والماسونية لم تكن ضالعة فقط في جذب واستقطاب العناصر المثقفة والثوريين من قياديي وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، حيث استطاعت ضم جماعات دينية في محافلها ، وكان من هذه الجماعات 'البكتاشية'[٢] ؛ وهي أوسع الطرق الصوفية العثمانية انتشارا ، واقواها اثرا ، حيث استطاعت جمعية الاتحاد والترقي استقطاب العديد من أعضائها في حين ان الكثير من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي كانوا يتبعون الطريقة البكتاشية[٣]

ولقد روي العديد من الكتاب وجود علاقة ما بين الماسونية والبكتاشية ، حيث يروي 'ريتشارد ديفي' في سنة ١٨٩٧ ، انه سمع بأن هذه الطريقة مرتبطة ببعض المحافل الماسونية في حين ذكر 'براون' ان بعض أصدقائه من المسلمين انضموا الى الماسونية ، ويقول :" ولعل من الغريب ان يعتبر دراويش البكتاشية أنفسهم كالماسونيين تماما ، وانهم مستعدين للتآخي معهم ، ويطلق على الماسوني باللغة التركية فرماسون ،وهي كلمة تثير النفور ، فهي تدل على الإلحاد في ألعن صفاته ، ويمكن أن يقال هذا عن البكتاشية الذين لا يتمتعون بسمعة حسنة عند بقية المسلمين، حتى عند أصحاب الطرق الأخرى ، وان كانت أسباب ذلك غير واضحة لي"[٤] .

ويقول آخر في نفس الموضوع :" وخلال القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر قاموا – البكتاشية- بالاشتراك مع الانكشارية [التي يشكلون جزءا منها] ، في حركة الإصلاح العثماني بنفس الدور الذي قامت به الماسونية في حركة الإصلاح الأوروبي، وبعد القضاء على الانكشارية استمرت البكتاشية التي كانت مرتبطة بالماسونية، وقد أعاد 'فاضل بك' تشكيل الطريقة بحيث ظلت مثلا لحركة تركية الفتاة لمدة تزيد عن القرن"[٥] .

---

(1) Bozdağ. *Abdülhamid*, P. 63 .

(٢) البكتاشية : هي جماعة دينية تعود جذورها الى الحركة القرمطية ، وتنسب الى الحاج بكتاش الولي الذي يقال انه ولد في نيسابور ، وجاء الأناضول في زمن السلطان اورخان ، حيث أسس طريقته ، لكن كثيرا من المؤرخين المتخصصين يرتابوا في وجود الحاج بكتاش هذا ، ومهما يكن فان البكتاشية قامت بتفسير العبادات والتكاليف الشرعية على طريقتها الخاصة ، و خرجت بذلك البكتاشية عن الشريعة الاسلامية الصحيحة ، كما ان البكتاشية أقامت لنفسها طرقا و مؤسسات خاصة ، انظر- محمد موفاكو . *البكتاشية انتسبوا للإسلام واعفوا أنفسهم من كل التكاليف والعبادات*" مجلة العربي ، عدد ٢٢٠ ، (مارس ١٩٧٧) ص ٦٤-٦٦ ؛ انظر كذلك - لوثر ستودارد . *حاضر العالم الإسلامي* ، ترجمة ، عجاج نويهض ، (ط ٤ ، القاهرة : دار الفكر للطباعة ، ١٩٧٣) ج ٣ ، م ٢ ، ص ٣٤٩ .

(٣) رامزور . تركية ، ص ١٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٩.

(٥) المصدر والصفحة نفسهما.

ويعتقد أن البكتاشية تتعاطف سراً مع الشيعة ، وان تحالفهم مع الماسونية وجمعية الاتحاد والترقي إنما كان بسبب تجديد الخلافة ، واعادة القوة والهيبة لها ، في حين يرى آخرون عكس ذلك ، فيذكرون ان البكتاشية هدفت الى السيادة الدينية التامة في البلاد التي تصلها دعايتهم ، حيث كانوا يأملون بتحالفهم هذا تأسيس دولة بكتاشية في 'البانيا' ويرون ان السلطان 'عبد الحميد' ارتاب من البكتاشيين ، إبان الحركة الألبانية سنة ١٨٨٠ ، حيث لاحظ مدى تعاطف البكتاشية مع الأماني الألبانية ، حينما لاح في الأفق إمكانية تنازل الدولة عن جزء من جنوب ألبانيا[١] ، وهذا يوضح المدلول السياسي للبكتاشية الى جانب المدلول الديني والثقافي .

ومن قادة جمعية الاتحاد والترقي الذين انتسبوا للبكتاشية والماسونية في آن واحد الفيلسوف والشاعر التركي 'رضا توفيق' ، وشيخ الإسلام 'موسى كاظم أفندي' ، و'كاظم نامي' ، حيث استفاد هؤلاء من مساعدات وتسهيلات قدمتها لهم البكتاشية[٢] ، مثل إضفاء الصفة الدينية على جمعية الاتحاد والترقي ، ويرى 'موفاكو' ان 'احمد رضا 'نفسه كان ممن انتسب الى الطريقة البكتاشية[٣] لكن هذا الأمر من المشكوك فيه إذا ما علمنا ان 'أحمد رضا' كان من أنصار ومعجبي الفكر المادي 'لأوغست كونت' ، وهذا الأمر يجعلنا نستبعد كونه بكتاشياً .

ولقد وجدت الى جانب الطريقة البكتاشية، طريقة دينية قديمة داخل الدولة العثمانية تدعى 'المولوية'[٤] (mevlevi)، وهي طريقة دينية لها أسرارها كالبكتاشية والماسونية تماما ، وكان 'محمد طاهر بك البورصة لي'- أحد مؤسسي جمعية 'وطن وحرية' (جمعيت وطن وحريت) في 'سلانيك' مع 'مصطفى كمال'- ينتسب الى هذه الطريقة [٥] وبسبب الاحترام والتقدير الذي يكنه أصحاب الطريقة 'المولوية' لشخص 'محمد طاهر بك' انضم العديد من أصحاب هذه الطريقة الى جمعيته ، ويعتقد ان 'المولوية' كالبكتاشية تعتنق بعض الأفكار الماسونية ،كالسرية في التعامل[٦] ، كما انضم في وقت سابق كل من الشيخ 'نائلي افندي' و'شادي أفندي' و'حاجي احمد بك' وغيرهم الى هذه الطريقة ، وبذلك عملت الماسونية بدور المنسق بين نشاطاتها ونشاط جمعية الاتحاد والترقي والطرق الدينية مثل 'البكتاشية' و'المولوية'.

---

(١) رامزور . *تركية* ، ص ١٣٠ .

(٢) طوران . *أسرار* ، ص ٣٠-٣١ ؛ مانتران . *تاريخ* ، ص ٢٣٧ ؛ رامزور . *تركية* ، ص ١٣١ ..

(٣) موفاكو . *البكتاشية* ، ص ٦٨ .

(٤) المولوية: طريقة صوفية منسوبة إلى مولانا جلال الدين الرومي، وللدخول في هذه الطريقة طقوس غاية في التعقيد، تتم تحت إشراف معلمين موكول لهم هذه المهمة. وللأزياء في هذه الطريقة أهمية خاصة فلكل مرتبة زيها الخاص، وأهم ما يميز هذه الطريقة هو جلسات الذكر الموسيقية، حيث تستعمل الآلات الموسيقية على نطاق واسع. ولقد اجتهدت المولوية في إعطاء معان خاصة لكل ما يتصل بها من فكر وعمل. لذلك فقد كان التنافس بينها وبين البكتاشية كبيرا. وقد أصدر كمال أتاتورك عام ١٩٢٥ قرارا بمنع كافة الطرق الصوفية ومن ضمنها المولوية. أنظر:
The Encyclopaedia of Islam, A Dictionary of the Geography,Ethnography and Biography of the Muhammadan Peoples, (Leiden: E.J.Brill - London: Luzac & Co, 1936), Vol. II I. P418 -419.

(٥) طوران . *أسرار* ، ص ٣٠-٣١ ؛ انظر – رامزور . *تركية* ، ص ١٣١ .

(٦) رامزور . *تركية* ، ص ١٣١ .

ج- الصهيونية والدولة العثمانية.

١- ماهية الصهيونية .

كان اليهود يعيشون حياة غاية في السوء في الأقطار الأوروبية، وذلك بسبب معاداتهم وعدم التسامح الديني معهم، لذلك فقد عاش يهود أوروبا حتى عهد قريب في ظل قانون خاص عرف ' بقانون الأجانب' مما جعلهم معزولين ثقافيا وجغرافيا واقتصاديا في المجتمعات الأوروبية المحيطة بهم، يمارسون في الأحياء اليهودية المعروفة' بالجيتو' (Ghetto) حياة خاصة، وكأنهم وحدة اجتماعية مستقلة[١]. وقد تركزت الأقليات اليهودية بصفة خاصة في 'روسيا'، و'بولندا' وغيرهما من أقاليم شرق اوروبا كذلك في الأقاليم الغربية من 'اوروبا'، مثل 'إيطاليا' و'ألمانيا'، حيث لم تكن في كلا القطرين حكومة مركزية تبسط سلطاتها بسبب تأخر عرى الوحدة فيهما عن بقية أقطار اوروبا[٢].

كان نتيجة هذا التشتت أن ظهرت هناك حركات فكرية يهودية على المستوى الفردي تنادي بعودة اليهود إلى فلسطين، خلاصا لهم مما يلاقونه من ظلم في ارض ' الشتات' ،وكان من بين هؤلاء الأوائل 'موسى مندلسون' (Moses Mendelson) (١٧٢٩-١٧٧٦) [٣]حيث سميت حركة مندلسون بحركة 'التنوير'، وكانت تستهدف إيقاظ يهود الشرق وحثهم على العودة لأرض المعياد مع الأخذ بثقافات ولغات الدول التي يعيشون فيها، ولو بصفة مؤقتة، حتى يصبحوا مواطنين صالحين [٤].

وكان 'موسى حاييم مونتفيورى' (Moses Montefiore)، أول من فكر بشكل فعلي وعملي بتنفيذ العودة إلى الأرض الموعودة ' فلسطين' لذلك فقد عمل بحماس كبير في مجال توطين اليهود في 'فلسطين' ، لذلك فقد كانت النية لديه أن يؤسس شركة لهذا الغرض ولذلك كاتب 'محمد على باشا' الذي يسيطر على فلسطين آنذاك لكن رجوعه الى 'مصر' بدد أحلامه بشكل كلي وبالتالي الى فشله[٥]. اما الحاخام 'زيفي هيرش كاليشر' (Rabbi Zvi Hirsch Kalischer) – الذي وضع كتابه ' السعي لصهيون' (Drishat Zion) عام ١٨٦٢– فقد كان متأثرا بالقومية الأوروبية لذلك فقد طالب اليهود بأن يقتدوا بالإيطاليين والبولنديين والمجريين وغيرهم من القوميات في بحثهم عن قوميتهم كما آمن 'كاليشر'

---

(1) The Ency Americana, Vol.16, P.78.

(٢) حسن صبري الخولي، *سياسة الاستعمار الصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين*، (القاهرة : دائرة المعارف ،١٩٧٣) ج١، ص١٠.

(٣) ل. فراى، *القوى الخفية في السياسة العالمية*، ترجمة . محمد كمال ثابت (بيروت: دار الكاتب العربي، د، تا)،ص٢٧.

(٤) محمد عبد الرؤوف سليم، *تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧-١٩١٨* (جامعة الدول العربية: معهد البحوث والدراسات العربية،١٩٧٤)،ق١، ص١٦.

(5) Albert.M. Hyamson, *Palestine Under the Mandate 1920-1948* (Regency: Greem Wood Press Publishers,1976) p.14.

ج.م.ن جفريز، *فلسطين إليكم الحقيقة*، ترجمة احمد خليل الحاج،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للتأليف،١٩٧١)،ج١ ،ص٨٠

بأن العمل في الأرض المقدسة ' فلسطين' هو عمل وجهد تقدسه الديانة اليهودية ، لذلك فقد حث اليهود على استيطان فلسطين مؤكدا بأنه بغير هذا الامر لن يتحقق أمر تجمعهم في هذه الأرض[١].

أما 'موسى هس' (Moses Hess) المفكر اليهودي (١٨١٢-١٨٧٥) فقد تأثر بأفكار الحاخام 'كاليشر' حيث قام بالاستشهاد بكثير من آرائه ومواقفه في كتابه 'روما والقدس' (Rome and Jerusalem) الذي صدر عام ١٨٦٢، في حين أن كثيرا من المؤرخين يعتبر 'موسى هس 'هو أب القومية اليهودية والدعوة الصهيونية الحديثة ويهاجم 'هس' الذين يشككون في مساعدة 'فرنسا' في تأسيس المستعمرات اليهودية في 'فلسطين' ، حيث كان يأمل منهم الدعم المالي والمعنوي[٢] ،وذلك على رقعة ارضية تمتد من 'السويس' إلى 'القدس' ومن ضفاف نهر الأردن إلى البحر المتوسط[٣].

أما 'ليوبنسكر' (Leon Pinesker) (١٨٢١-١٨٩١) فقد أخذ بنظرية تدعو إلى أن يقوم اليهود بأخذ زمام المبادرة بأيديهم في تحرير انفسهم وأكد في كتابه 'التحرير الذاتي' (Auto-Emanicipation) ان اليهود ليسوا امة حية، بل هم غرباء في كل مكان ،وأن التحرير المدني والسياسي لليهود غير كافيين لرفعهم في نظر الشعوب، والحل الوحيد للمشكلة اليهودية يكمن في تدويلها، وخلق قومية يهودية لشعب يعيش على أرض خاصة له[٤]. واما 'بيرس سمولنسكن'(Peretz Smoloniskin) والذي كان من ثمرة جهوده جمعية 'عم عولام' أو 'الشعب الأبدي' (The Eternal People) فقد انحصرت أفكاره السياسية في مفاهيم القومية اليهودية ، وكان الغرض من دعوة جمعيته هو إعداد اليهود للعمل الزراعي من اجل إعادة البعث القومي اليهودي[٥].

كما قامت 'جمعية الاستعمار اليهودية بفلسطين جكا'[٦](The Jewish Colonization Association)بجهود لغرض تملك اليهود للأراضي واستيطانهم فيها[٧]. وفي هذه الأثناء تعرض اليهود في 'روسيا' للمذابح عقب اغتيال القيصر الروسي 'الكسندر الثاني' عام ١٨٨٢، حيث بدأت موجة الأعمال الانتقامية الموجهة والعفوية، والتي سميت باللاسامية، وهذا الأمر أدى إلى فرض المزيد من القيود على يهود 'روسيا' الذين عاشوا في نوع خاص من الحارات اليهودية عرف باسم'رقعة الاستيطان' The Place of

---

(1) Isaiah Friedman. *Germany Turkey and Zionism 1897-1918* (Oxford: at the Clarendon Press 1977) p.13

أسعد عبد الرحمن. *المنظمة الصهيونية العالمية، البدايات، المؤسسات، النشاط، الصراعات ١٨٨٢-١٩٨٢* ، (ط١، عمان: دار الفارس للنشر، ١٩٩٠)، ص٢٧.

(٢) مؤسسة الدراسات الفلسطينية – وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني. *القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني*، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٣)، ص٥٤ .

(٣) سليم. *تاريخ*، ص١٨.

(٤) المرجع نفسه. ص١٨-١٩.

(٥) المرجع نفسه، ص٢١-٢٢.

(٦) شركة أسسها البارون هيرش Hersch عام ١٨٩١ لتهجير اليهود واسكانهم في مستعمرات زراعية في أمريكا الجنوبية وفلسطين، وبعد وفاة هيرش أوكل إلى دي روتشيلد مهمة الإشراف عليها إلى جانب العديد من المستعمرات التي أسسها هو في فلسطين . وصل رأسمالها إلي ٧ملايين جنيه في مطلع القرن العشرين. صايغ. يوميات، ص٥١٥.

(٧) سليم. *تاريخ*، ص٢٤.

(Settlement)[1]. وعلى الأثر تأسست جمعية 'أحباء صهيون' (Choveve Zion)[2] على يد أبـــو الصهيونية الروسية 'ليوبنسكر' (Leon Pinsker) (١٨٢١-١٨٩١)[3] وكان هدفهم خلق جماعة متميزة عما حولها باللغة و الثقافة وأسلوب الحياة، وأخذت تشجع على الهجرة ونجحت فعلياً في ذلـــك[4]،وكـــان أغلب نشاط هذه الجمعية يتركز في المناطق الشرقية من أوروبا. أما في أوروبا الغربية فلم يعمل أحبـــاء صهيون على أهداف سياسة،لأنهم كانوا يخشون أن توضع وطنيتهم موضع الشك، وهذا ما جعل نشـــاطهم إلى حد بعيد قليل الأهمية ومنحصراً في الأعمال الخيرية[5]. ولقد انضم إلى هذه الجمعية 'آحـــاد هاعـــام' باعتبارها نافذة يطل منها على الحياة اليهودية ، لكنه سرعان ما هاجمها لعدم تركيزهـــا علـــى الإحيـــاء الروحي والثقافي اليهودي في فلسطين، كما كان يرى أنه لن يكون هناك ملجأ لكل اليهود البـــاحثين عـــن الخبز والسلام، ولكن يكفي أن يكون هناك ملجأ لعُشر اليهود، أما الباقي فبإمكانهم العيش فـــي المنفـــى، معتقداً أن أحوالهم ستتحسن يوماً ما[6].

ظلت الجهود اليهودية بخصوص عودة اليهود إلى فلسطين، وأفكارهم هي مجرد جـــهود مبعـــثرة يعوزها التنظيم والدعم والتأييد حتى ظهور 'ثيودور هرتزل' (Theodor Herzl)[7] مؤســـس الحركـــة الصهيونية[8] ،الذي أبدى اهتماما وهو في الثانية والعشرين من عمره بالطبقة اليهودية المتوســـطة التـــي كانت متحررة نوعاً ما ورغم ذلك فقد ظل الناس ينظرون إلى اليهود على أنهم مختلفون عنـــهم ، وكـــان

---

(1) Ency Americana. Vol. 16,P.81.

(2) Esco Foundation for Palestine. *Palestine, A study of Jewish, Arab and British policies* (New Haven: Yale University Press,1947) Vol. I, p25; Friedman. *Germany*, p.47 ; Hyamson. *Palestine*, p15.

(3) Esco. *Palestine* Vol, P14-15.

(٤) خيرية قاسمية. *المقاومة العربية للصهيونية*، بحث ضمن كتاب" الولايات العربية ومصادر وثائقـــها فـــي العـــهد العثمـــاني، تحرير،عبد الجليل التميمي، (تونس: مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية في العهد العثماني،١٩٨٤)، ص٣٧٤.

(5) Getzel Kressel " *Hibbat Zion* " Ency Judaica, Vol.8, p. 463.

(6) Hilewitz "*Ahad – Ha-am*" Ency Judaica Vol. 2, p. 447.

(٧) ثيودور هرتزل. ولد في ٢ مايو ١٨٦٠ في بودابست بالمجر، نشأ في عصر كان اليهود يتمتعون بحقوقهم المدنية والسياســـية ويشيرون بفخر إلى الدماء المجرية التي تجري في عروقهم وكانت بيئة هرتزل علمانية، حيث لا تغلب عليها العناصر اليهوديـــة، وتلقى هرتزل تعليمه الابتدائي في إحدى المدارس الفنية ، ثم تلقى تعليمه الثانوي في بودابست وانتقلت أسرته إلـــى فيينـــا بعـــد بلوغه سن الثامنة عشر، فدخل كلية الحقوق (١٨٧٨-١٨٨٤) حيث درس القانون الروماني وفلسفة القانون، وقام هرتزل بـــالعديد من السياحات في كل ألمانيا، وسويسرا وفرنسا وإيطاليا، كما بدأ بممارسة الكتابة الأدبية (مسرحيات وقصص) حتى تولى تحريـــر احدى المجلات النمساوية انظر- عبد الوهاب المسيري. *اليهودية الصهيونية وإسرائيل دراسات في انتشار وانحســـار الرؤيـــة الصهيونية للواقع* (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥)، ص١٢٥.

(٨) الصهيونية نسبة إلى جبل صهيون في القدس، وكان اليهودي ناثان بيرونباوم (Nathan Birnbaum) ١٨٦٤-١٩٣٧ هـــو أول من استعمل هذه الكلمة بالمعنى السياسي. وبيرونباوم كاتب يهودي ألماني، كان قد أسس عام ١٨٨٣ جمعية كاديماه(إلى الأمـــام) للطلبة اليهود، كما ترأس تحرير العديد من الصحف اليهودية الصهيونية . تبع هرتزل فترة، ثم انحاز إلـــى الأحـــزاب اليمينيـــة الأرثوذكسية في الحركة الصهيونية- Getzel Kressal. "*Zionism*", Ency Judaica, Vol, 16. P1032

صايغ. يوميات، ص٥١١.

هرتزل متضايقاً من بقاء الغيتو رغم إلغائه قانونياً، وكان يلوم المسيحيين المتعلميــن لأنــهم لا يزالــون محتفظين بالتفرقة القديمة، وكان الحل الوحيد عنده هو الاندماج والزواج المختلط[1]،واكتسابهم جنسية الــدول التي تدير امور الحياة في هذه المجتمعات، والتمتع بكل الحقوق والواجبات التي يتمتع بــها المواطنــون جميعاً من غير تفرقة في الجنس أو الدين [٢].

وكانت سنة ١٨٩١ المرحلة الحاسمة في حياة 'ثيودور هرتزل' وذلك عندما عمل مراسلاً لصحفية 'نيو فراي برس' (Neue Freie Presse) الجنيفية في باريس[٣] وذلك من خلال متابعته لقضية الضــابط الفرنسي اليهودي 'الفرد درايفوس' (Alfred Dreyfus) الذي اتهم بالخيانة العظمى لصــالح المانيــا[٤] حيث ظهرت في محاكمته بتاريخ ٥ كانون ثاني ١٨٩٥ شعارات العداء لليهود وتعالت الهتافات ' المــوت لليهود'(Death to the Jews) [٥].من هنا بدأت الأفكار الصهيونية تعصف في ذهن 'هرتزل' وسيطرت على مجمل تفكيره وبدأ بالتحرك الفعال، حيث كتب الى البارون 'دي هــيرش' (Baron, de Hirsch) أحد أصحاب رؤوس الأموال والنفوذ في 'ألمانيا' يطلب منه ترتيب لقاء معه لمناقشة المشــكلة اليهوديــة، وعقد هذا الاجتماع في ٢ حزيران ١٨٩٥، وكان هذا أول نشاط يقوم به 'هرتزل' في سبيل تحقيق حلمــه الصهيوني، إلا أن هذا اللقاء لم يسفرعن النتائج التي كان يطمح إليها، ليس لأن 'هرتزل' فشل في التــأثير عليه ، بل لأن 'هيرش' نفسه لم يعطيه الفرصة لشرح موقفه وأفكاره، وربما كان السبب هو عدم اكتمــال الخطة في ذهن 'هرتزل' إلى درجة تمكنه من شرحها للآخرين بوضوح؛ ثم قام 'هرتزل'على الأثر بإرسال رسالة إلى'هيرش' في اليوم التالي حظيت بذات النتيجة السلبية[٦].

كانت أفكار 'هرتزل' حتى ذلك الوقت بسيطة، ويوضح ذلك بقوله :" إن اليهود هم الذين صنعــهم الغيتو فإما أنه كان يعتقد بأن الغيتو قد فرض على اليهود أو أن الغيتو أنما هو مؤسسة يهوديــة بحتــة، والواقع أن القيادة اليهودية كافحت وأرست الغيتو،وقاومت إلغائه"[٧] .

ومن هذه النقطة وعقب فشله مع 'دى هيرش' بدأت أفكار 'هرتزل' تتطور يوماً بعد يــوم، وبــدأ يكتب على الورق كل ما يجول بخاطره، كما لو كانت هناك قوى كبرى تدفعه إلى ذلك العمل، وقد كتــب

---

(١) تهاني هلسة. *أوراق في القضية الفلسطينية* (جامعه الدول العربية : معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٧)، ص٢٤.

(٢) محمد احمد خلف الله. *'بين هرتزل والسلطان عبد الحميد* 'مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٢٣ (يونيو ١٩٧٩)، ص١٣٤.

(3) Hyamson. *Palestine*. p.15.

(4) Mitchell Cohen. *Zion and State Nation Class and the Shaping of Modern Israel* (Oxford: Basil Black well, 1987) p ,66.

(5) Binyamin Zeev. "*Theodor Herzl*". Ency Judaica, Vol.8. p.408

(7) Loc. cit.

(٧) جاك تنى. *الأخوة الزائفة، القصة المذهلة للمكانة الدبلوماسية الحثيثة لإخضاع البشرية والسيطرة عليها*، ترجمة أحمد البازوري، (ط١، بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩)، ص٤٦-٤٧.

في مذكراته :" هل أنا الذي يبني الفكرة؟ لا إنها تبرز ذاتيا، ومن خلال أنها فكرة رشيدة وعقلانية من البداية حتى النهاية. وهذا هو ما يسمى بالإلهام" [١].وكانت تلك الأوراق في الحقيقة هي التي كونت كتابه 'الدولة اليهودية' (The Jewish State) أو (Der Judenstaat) الذي بذل فيه جهدا ملأ كل وقته، وأصيب بسبب ذلك بالإرهاق، ويوضح ذلك بقوله :" كنت اكتب ماشيا، واقفا، مستلقيا، وفي الشارع، وفي اثناء وجبات الطعام، في الليل حتى يهرب مني النوم" [٢].

ويظهر 'هرتزل' في كتابه هذا الهدف الحقيقي ومجمل أفكاره بقوله :" إن الفكرة التي أشرحها في هذا الكتاب فكرة قديمة وهي إحياء الدولة اليهودية" [٣] وهو بذلك لا يطالب بقطر معين لإقامة هذه الدولة ثم يوضح: " ان الفكرة خيالية، وكل شيء يتوقف على قوتنا الدافعة" [٤].

ويوضح 'هرتزل' سبب معاداة اليهود في اوروبا بقوله :" إن لب المشكلة هي باللاسامية التي هي مشكلة قومية أكثر مما هي دينية"[٥]، ثم يقول :" إن البلاد الرئيسية التي تنتشر فيها اللاسامية تنشر فيها نتيجة تحرير اليهود"[٦]، ولا نعلم في الحقيقة مدى صحة قول 'هرتزل' هذا، حيث ان الحقائق تثبت عكس ذلك تماما، كذلك قوله:" فمتى أصبح اليهود برجوازيين اشتدت بينهم المنافسة وبين البرجوازية المسيحية، وتعرضوا إلى ضغط متعصب مزدوج ، أولا كيهود وثانيا كبرجوازيين فاستحالت طرق النجاة"[٧]،وهذا إن دل فإنه يدل على أن اللاسامية لم تظهر كنتيجة لتحرير اليهود. وكان كل ما يطلبه هو قطعة من الأرض لإقامة الدولة المقترحة حيث يقول: " أعطونا قطعة من الأرض في أي جزء من العالم تتسع لإيواء أمة، لنفرض سيادتنا عليها، ثم اتركونا ندير شؤوننا بأنفسنا، وإنشاء دولة جديدة ليس مستحيلا، ولا مثيرا للسخرية ... وحكومات البلاد التي تكتسحها اللاسامية لها مصلحة في مساعدتنا لنيل استقلالنا والفكرة بسيطة التخطيط، لكنها معقدة التنفيذ ويستطاع تحقيقها بواسطة شيئين هما: جمعية يهودية، وشركة يهودية فبينما تتعهد الجمعية بالعمل في الحقل العلمي والسياسي، تقوم الشركة بالتنفيذ وعليها ان تتعهد سير الاعمال لصالح اليهود المهاجرين ،وتعنى بتنظيم التجارة والعلاقات المالية في البلد الجديد"[٨].

وتظهر براعة 'هرتزل' السياسية بتصميمه على نيل الاعتراف الدولي بالجمعية اليهودية، باعتبارها الممثل للشعب اليهودي والمتحدث بإسمه ولها سلطة التفاوض مع الحكومات حيث قال :" يجب

(1) Zeev. *Herzl.* Vol.8. p409.

(2) Theodor Herzl. *The Jewish State, an Attempt at Amodern Solution of the Jewish Question*, Translated by, Sylvie Davigdor, (London : H .pordes, 1967), p.3.

(3) Ibid., p. 7.

(4) Ibid., p.8.

(5) Ibid, P.15.

(6) Ibid, p.25.

(7) Ibid, p.25-26.

(8) Ibid, p.28.

كسب اعتراف الدول بالجمعية، إنها هيئة رسمية هدفها إنشاء حكومة، وعندما يتم الاعتراف تولد الدولة"[1]. ثم يأتي بعد ذلك دور المكان المقرر لإقامة الدولة، وهو الاختيار الصعب " أنختار فلسطين أم الأرجنتين؟ سنأخذ ما يعطي إلينا، والمكان الذي يوافق عليه الرأي العام اليهودي ،على أن تنظر الجمعية اليهودية في المكانيين، وتصمم على الأنسب"[2].

ويشدد 'هرتزل' على أن دولته اليهودية ستكون معقلا حضاريا أوروبيا ضد آسيا البربرية " فنحن هنا نؤلف جزءا من الاستحكام الأوروبي ضد آسيا وسنكون قاعدة أمامية للحضارة (الأوروبية) لمقاومة الهمجية"[3] لكن 'هرتزل' لم يكن ميالا للديمقراطية حيث " أن الجماهير ميالة أكثر إلى أن تقاد بالهرطقات والبدع من البرلمانات ،أو أن تقع تحت سيطرة الألفاظ الرنانة المتبجحة"[4].

ظن 'هرتزل' أنه بعد كتابة مؤلفه سينتهي عملة بالنسبة للصهيونية ولكن النقد الذي أثاره كتابه من جهة ،والحماسة التي حركت الجماعات اليهودية، جعلته يستمر في الحركة، وقد كان يصله آلاف من الرسائل من يهود الإمبراطورية 'النمساوية' و'أوروبا الشرقية'، وبها يعتقدون أن 'هرتزل' هو 'موسى الجديد' الذي سيخلصهم من عذابهم ويقودهم إلى أرض الميعاد[5]. في نفس الوقت الذي هاجمه العديد من الحاخاميين ومنهم رئيس الأشكناز في بريطانيا 'هرمان آدلر' (Herman Adler)كذلك الدكتور 'مورتز جودمان' (Dr. Moritz Gudeman) رئيس حاخامي فينا، وقام 'هرتزل' بدوره بمهاجمتهم ووصفهم بـ'الحاخامين المحتجين'[6](Protest Rabbis).وعلى الأثر عمل 'هرتزل' على عقد المؤتمر الصهيوني في 'بازل'(Basel) [7]بسويسرا،ورغم فشله في استقطاب عدد كبير من اليهود لمثل هذه الدعوة الا أن عددا آخر استجاب له. وكانت الخطوات التمهيدية المباشرة لعقد هذا المؤتمر أن عقد قبله بيومين اجتماع تمهيدي اتخذت فيه القرارات التي تضمن نجاح أعمال المؤتمر ، كما تم تشكيل لجنة كانت مهمتها صياغة قرارات البرنامج الصهيوني[8]. وفي يوم ٢٩ آب ١٨٩٧ افتتح المؤتمر وبعد تلاوة صلاة خاصة ألقى 'ثيودور هرتزل' خطاب الافتتاح مؤكدا ان الهدف الحقيقي لعقد مثل هذا المؤتمر هو وضع حجر الأساس للوطن القومي للشعب اليهودي[9].

(1) Herzl. *The Jewish* ,P.29.

(2) Ibid.30.

(3) Loc. cit.

(4) Ibid., P.79-80.

(٥) هلسه. *أوراق*، ص٣٠-٣١.

(6) Esco. *Palestine*, p39.

(٧) بازل : وتسمى أيضا بال وهي تقع على نهر الراين على مسافة ٦٩كم شمال بيرن ويبلغ تعداد سكانها ١٧٤,٦٠٦. انظر – الموسوعة العربية العالمية (ط١، الرياض: مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر، ١٩٩٦)، ج٤، ص٩٠.

(٨) صابر عبد الرحمن طعيمة. *اليهود بين الدين والتاريخ*، (ط١، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٢) ،ص٦٤٤.

(9) Esco . *Palestine*, P.40 .

وتوالت الكلمات في هذا المؤتمر حتى انتهى .ويمكن تلخيص نتائج المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة 'بازل' بما يلي:

١- خلاص الشعب اليهودي المشتت من الاضطهاد وعداء اللاسامية.
٢- جمع الشعب اليهودي المشتت وتوحيده.
٣- تعزيز وتغذية شعور ووعى اليهود بقوميتهم.
٤- استخدام جميع الوسائل لإنشاء الوطن القومي اليهودي.
٥- تنظيم الهجرة والعمل على تفعيلها.
٦- الحفاظ على الخصائص القومية للشعب اليهودي[1].

ونلاحظ هنا موافقة المؤتمر على الوطن القومي دون الإشارة صراحة إلى 'فلسطين'، وذلك حتى لا يثير الأمر مخاوف الدولة العثمانية أوغضب اليهود المتشددين، إلا أن 'هرتزل' علق على ذلك بقوله: "لا داعي للاهتمام في تفسير النص لأن الناس حتما ستقرأه الدولة اليهودية"[2]. كما قال : " لو طلب مني تلخيص مؤتمر بازل في كلمه لكانت هي ،في بازل اسست الدولة اليهودية"[3].ويمكن إجمال قرارات المؤتمر الصهيوني بأنه سجل أن هدف الصهيونية هو إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وبذلك أصبح ثيودور هرتزل بلا منازع أبو الصهيونية بعد أن أوجد المنظمة الصهيونية العالمية[4].

ولقد أنتخب 'هرتزل' في هذا المؤتمر رئيسا للحركة الصهيونية ،وأنتخب 'ماكس نوردو' (Max Nordou) نائبا للرئيس، وقام 'دافيد وولفسن' (David Wolffsohn) بتصميم العلم الذي حاز على قبول المؤتمر كعلم وطني لليهود، ويتكون من اللون الأبيض وخطين من اللون الأزرق، ترمزان الى شال الصلاة اليهودية (Tallish) ،وفي وسطه النجمة المعروفة بدرع داود، ثم اختار المؤتمر النشيد الوطني للحركة الصهيونية، وهي قصيدة من مؤلفات الشاعر اليهودي' نفتالى هيرز إمبر' (Nephtali Herz Imber) وهي بعنوان 'الأمل' (Hatikvah (The Hope' [5].

وبعد المؤتمر الصهيوني الأول، تم الاتفاق على عقد المؤتمر الصهيوني الثاني الذي عقد فعلا في 'بازل' ١٨٩٨ في ظل الشعار الذي أطلقه 'هرتزل' عن ضرورة اكتساب الجماعات اليهودية في العالم وكسب ولائها للحركة الصهيونية (Conquest of the Jewish Communities) ، ولقد قرر هذا

---

[1] Esco. *Palestine*, p.40-41.

ابراهيم الشريقي. *أورشليم وأرض كنعان، حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل*، (لندن : مؤسسة الدراسات الدولية ١٩٨٥)، ص٢١٥ ؛ اسحق جرينفيم. *الحركة الصهيونية*، ترجمة، جودت السعد، (ط١، إربد: دار الجاحظ، ١٩٨٤)، ج٢، ص٩.

[2] Ibid., p41.

[3] أنيس صايغ(اعداد). *يوميات هرتزل* ، ترجمة، هيلدا شعبان صايغ (بيروت:منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الأبحاث، ١٩٦٨) ، ص٨٩ ؛ محمد علي إسليم. *تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين*، (د.ط، د.ب: د.تا)، ص١٠٤.

[4] Zeev. *Theoder*, p.407.

[5] Esco. *Palestine*, p.42.

المؤتمر السماح لكل ٤٠٠ يهودي من دافعي الضريبة الصهيونية 'الشيكل' بإرسال مندوب عنهم إلى جلساته وجمعيته العامة، كما انتخبت لجنة خاصة لتشرف على تأسيس 'المصرف اليهودي الاستعماري' (Jewish Colonial Bank)، كما أعرب 'هرتزل' في هذا المؤتمر عن رفضه للنشاط الاستعماري القائم على التسلل خلسة إلى 'فلسطين' (Infiltrate Colonization) بدلا من الذهاب إليها بصورة منظمة[١].

أما المؤتمر الصهيوني الثالث الذي عقد في 'بازل' في الفترة من (١٥-١٨ اب ١٨٩٩) فقد تم تأسيس صندوق يهودي استعماري تحت اسم 'صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار' (Jewish Colonial Trust) من أجل تمويل النشاطات الاستيطانية في فلسطين والبلاد المحيطة، وتامين الخدمات المالية التي تحتاجها الحركة الصهيونية، وقد عقد هذا المؤتمر في ظل غياب الذين عارضوا صهيونية هرتزل السياسة لاعتبارات عقائدية[٢].

وفي المؤتمر الصهيوني الرابع المنعقد في 'لندن' في الفترة من (١٣-١٦ اغسطس ١٩٠٠) بحضور ما يزيد عن ٤٠٠ مندوب فقد شغلته المسائل التالية[٣]:

١- اشتداد حدة النزاع حول المسألة الثقافية بين اليهود الأرثوذكس المتدينين، وبين دعاة الاتجاه العلماني مما حدا 'هرتزل' إلى مناشدة الجميع طرح الخلافات جانبا والتركيز على الأهداف المشتركة. وكان اشرجنزبرج (Asher Ginsberg) الملقب 'أحاد هاعام' قد شن حربه الصحفية على مؤتمرات الحركة الصهيونية السابقة واتهم 'هرتزل' و'نوردو' بإهمال الجانب الثقافي الذي كان يرى في إحيائه الضمان الوحيد ضد الاندماج ،وقد أبدى خشيته من أن تؤدي الحملة الدبلوماسية إلى إجهاض العمل والحركة الصهيونية قبل الأوان[٤].

٢- قضية بث الدعاية الصهيونية في مختلف الأوساط.

٣- الآمال التي يعلقها 'هرتزل' والحركة الصهيونية على بريطانيا.

٤- إعداد مسودة لمشروع إنشاء 'الصندوق القومي اليهودي' (Jewish National Fund- Keren Kayemeth)[٥].

وفي المؤتمر الصهيوني الخامس المنعقد في 'بازل' (٢٠ كانون أول ١٩٠١) تأسس 'الصندوق القومي اليهودي'، وتخلل هذا المؤتمر نقاش حول المسألة الثقافية وبحث إمكانية إنشاء جامعة عبرية، وظهرت المعارضة داخل الحركة على شكل الجناح الديمقراطي الذي تزعمه 'حاييم وايزمن' (Chaim

---

[1] The Jewish Ency. Vol.12, p.676.

[2] Ibid ., p. 676-677.

[3] Ibid. , p.677.

[4] Hilewitz, *"Ahad Ha-am"*, p.447 ; Cohen, *Zion*, p.68.

[5] The Jewish Ency Vol, p.678-682.

(Weizmann و'مارتن بوبر' (Martin Bubeer) وغيرهما، وتقرر في هذا المؤتمر عقد المؤتمر الصهيوني كل عامين، في حين استأثر الخلاف بين المتدينين و العلمانيين بنصيب وافر من الاهتمام، وتعالت الأصوات مطالبة بإقامة التعاون مع جميع الجمعيات الاستعمار اليهودية اللاصهيونية، للمباشرة بشراء الأراضي في 'فلسطين' على أوسع نطاق؛ على أن تستخدم الأموال المتوفرة في الصندوق القومي لهذه الغاية [١] .

وفي المؤتمر الصهيوني السادس في 'بازل' (٢٣-٢٨ آب ١٩٠٣) جرى البحث في العرض المقدم من الحكومة البريطانية باستعمار 'أوغندة'، واتسعت شقة الخلافات بين الذين أطلقوا على أنفسهم 'صهيوني صهيون' (Ziyyone – Zion) ورفضوا القبول بأي بديل عن 'فلسطين'، وخرج المعترضون من المؤتمر، وألفت لجنة 'فلسطين' وتقرر إنشاء 'شركة أنجلو فلسطين' (Anglo – Palestine Company) في 'يافا' لتعمل كفرع من فروع صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار [٢] .

وحين عقد المؤتمر الصهيوني السابع في ٢٧ تموز ١٩٠٥ في 'بازل' كان 'هرتزل' قد توفي ودب الخلاف في الحركة الصهيونية على مشروع 'أوغندة' [٣]. وكان من المتوقع في المؤتمر السابع ان يرث 'ماكس نوردو' الوارث الطبيعي لهرتزل زعامة الحركة الصهيونية، لكنه ابعد نفسه عن ذلك الأمر وجرى انتخاب 'دافيد وولفسون' (David Walfson) لرئاسة المنظمة الصهيونية [٤] .

أما المؤتمر الصهيوني الثامن المنعقد في آب ١٩٠٧ في 'لاهاي' فقد اشتد فيه الخلاف بين الصهيونية العملية والصهيونية السياسية، حيث نوقش هذا الأمر واستحوذ على كافة المواضيع الأخرى، وتولى 'حاييم وايزمن' مناقشة الأسس الفكرية لكلا الطرفين، وتم الإتفاق على ضرورة ازدواج العمل في كلا الجانبين، وبذلك ابتكر 'وايزمن' لفظ 'الصهيونية التركيبية' (Synthetic Zionsm) [٥] .

و يمكن القول ان نتائج مؤتمرات الحركة الصهيونية تمحورت حول اتخاذ كافة السبل و الوسائط من اجل انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

٢- السلطان عبد الحميد والصهيونية.

كانت الحركة الصهيونية قد وضعت نصب عينيها القيام باتصالات لكسب تأييد الدول الكبرى ذات التأثير على المستوى الدولي من أجل تحقيق أهدافها، ولقد ولّى 'هرتزل' وجهته أولاً نحو ألمانيا، وذلك بسبب ما احرزته من نفوذ عظيم في الشؤون الدولية، وبسبب العلاقة الوطيدة التي كانت بين القيصر

---

(1) The Jewish Ency.P. 678-682.

(2) Ibid ., 678.

(3) Ency Judaica , Vol. 16,P.1073.

(4) Loc. cit.

(5) Chaim Weizmann. *Trial and Error*, (West port- Connecticut: Green Wood Press, Publishers, 1972) p.122 – 123; Esco .*Palestine*, p.48.

الألماني 'وليام الثاني'(German Kaiser William II) مع السلطان 'عبد الحميد الثاني'، إلى جانب ميـول 'هرتزل' الألمانية، لذلك فقد قام 'هرتزل' بإرسال أكثر من برقية إلى 'دوق بادن الأكبر' (Grand Duke of Baden) يطلب منه فيها التوسط لدى القيصر الألماني' وليام الثاني'، ولقد رد 'دوق بادن' إيجابياً بترحيبه بالأفكار الصهيونية، ووعد ببذل جهوده في سبيل ذلك (١).

وكان 'هرتزل' قد تلقى من 'دوق بادن' تطمينات أثناء زيارة هرتزل له في ٩ تشرين أول ١٨٩٨ إذ أبلغه أن القيصر الألماني متحمس للمشروع الصهيوني، لذلك فقد قررت اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية إرسال وفد إلى 'استانبول' لمقابلة القيصر الألماني، وكان الوفد برئاسة 'هرتزل' وعضوية التاجر 'دافيد ولفسون' (David Wolfsohn) وأستاذ القانون 'ماكس بودنهايمر' (Max Boden heimer) والمهندس 'جوزيف زايدنر' (Joseph Seidener) والطبيب 'موسى شينرر' (Moses Schnirer) وسافر الوفد في ١٤ تشرين أول إلى العاصمة العثمانية (٢). وفي ١٨ تشرين أول ١٨٩٨ استطاع الوفد الصهيوني أن يقابل القيصر الألماني في استانبول ،وقال القيصر المزهو بنفسه 'لهرتزل':" ... فقط أخبرني بكلمة، ماذا تريد أن أطلبه من السلطان. شركة قانونية تحت الحماية الألمانية" (٣)

ورغم أن 'فون بولو' (Von Bülow) -وزير خارجية ألمانيا الذي كان يعرف بعدائه لليهود-، حاول الضغط على القيصر الألماني، بأن يجعله متحفظاً مع 'هرتزل' محاولاً إقناعه أن الصهيونية تعتبر تهديداً لسيادة الدولة العثمانية وأن تأييد ألمانيا لخطة 'هرتزل' لا يتفق مع سياستها التقليدية في المحافظة على وحدة الإمبراطورية العثمانية، إلا أن الإمبراطور آثر السير في مسعاه هذا بخصوص عرض أفكار 'هرتزل' الداعية إلى إنشاء شركة ذات امتياز تحت الحماية الألمانية(٤).

وكان 'هرتزل' قد أبلغ عن رغبة القيصر في مقابلته في الأراضي المقدسة، وذلك عن طريق 'فيليب إيلنبرج' (Philp Eulenburg) السفير الألماني في النمسا بتاريخ ٢٧ أيلول ١٨٩٨(٥). وتم ذلك الأمر في 'القدس' في ٢ تشرين ثاني ١٨٩٨، حيث كان القيصر الألماني يمتطي جواده بزهو وأمامه 'هرتزل' وأعضاء الوفد يقفون في ذلة وخشوع ، وقال القيصر ما يلي : "أشكركم على هذا الاتصال بي الذي أثار اهتمامي كثيراً . والمسألة على كل حال تحتاج إلى دراسة تامة مطولة. إن المستعمرات التي رأيتها الألمانية منها وتلك التي قام بها شعبكم ، تبين تماماً ما يمكن عمله بخصوص الأرض. والبلاد تتسع للكل. فقط عليكم أن تؤمنوا

---

(١) Zeev. *Theodor* , p.412 ; Friedman. *Germany*, p. 56-61.

(٢) علي محافظة. *العلاقات الألمانية الفلسطينية من انشاء مطرانية القدس البروتستانية حتى الحرب العالمية الثانية ١٨٤١-١٩٤٥* (ط١، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨١)، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) صايغ. يوميات، ص ١١٥ ؛ أنظر أيضا: روجيه جارودي. *فلسطين أرض الرسالات السماوية*، ترجمة، قصي أتاسي - ميشيل واكيم، (ط١، دمشق : طلاس للدراسات الترجمة، ١٩٨٨) ، ص١٩٥.

(٤) أوكه. *السلطان*، ص٧١ ؛ هلسة . *أوراق* ، ص٣٨.

(٥) Zeev. *Theador* , p.414.

الماء والأشجار. وعمل المستعمرين هو حافز ومثل لأهل البلاد. إن حركتكم هذه التي أعرف عنها الكثير فيها رأي صائب"[1].

ولقد علق 'هرتزل' على نتائج هذه المقابلة بقوله :" لم يقل نعم ،ولا قال لا، يبدو أن أمورا كثيرة تحدث خلف الستار "[2] وربما يرجع موقف القيصر الألماني من الحركة الصهيونية إلى ما يلي :

١- أن ألمانيا لم تأخذ مشروع هرتزل والحركة الصهيونية مأخذ الجدّ ، وإلى رغبتها في عدم إغضاب السلطان العثماني الذي فتح أبواب الدولة العثمانية للنفوذ الاقتصادي والعسكري الألماني.

٢- كان لموقف أغنياء اليهود السلبي من الحركة الصهيونية أثره في موقف ألمانيا من الحركة الصهيونية.

٣- الضغوط التي تعرض لها القيصر الألماني من مستشاريه، ومنهم وزير الخارجية الذين أوضحوا أن هذا الأمر من شأنه إثارة المشاكل مع 'فرنسا' و'انجلترا'، و'روسيا'، حيث سيفسرون الحماية الألمانية للشركة ذات الامتياز على أنه محاولة للتدخل والسيطرة على الأراضي العثمانية[3].

ورغم صعوبة موقف 'تيودور هرتزل'، إلا أنه لاقى ما يثلج قلبه ،ذلك انه لاقى استقبالاً حاراً من جانب المستوطنين اليهود في المستعمرات اليهودية مثل 'مكفيه اسرائيل' (Mikveh Israel) و'ريشون لتيسيون' (Rishon Lezion)'ونيس زيونا' (Nes Ziyyonah) و'رحوفوت' (Rohovot)[4] .

ومهما يكن من أمر فقد عمل 'هرتزل' على متابعة اتصالاته لمفاوضة أصحاب الشأن والحكام الفعليين على 'فلسطين'؛ وهي الدولة العثمانية ممثلة بسلطانها 'عبد الحميد الثاني'، لذلك فقد بدأ فعلياً بالقيام باتصالات جديدة، ولهذا الهدف زار'هرتزل' 'استانبول' من ١٨٩٦-١٩٠٢ خمس مرات نجح في إحداهما أن يقابل السلطان بعد أكثر من خمس سنوات على الاتصال [5] .

كان هرتزل قد اتصل بصديقه اليهودي 'نيولنسكي' (Newlinski) [6] الذي كان أيضاً صديقاً للسلطان 'عبد الحميد'، وكان رد السلطان كما سجل 'هرتزل' في يومياته على لسان صديقة 'نيولنسكي'بتاريخ ١٩ حزيران١٨٩٦م: " بأن لا يسير أبداً في هذا الأمر، لا اقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي بل لشعبي، ولقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم وقد غذوها فيما بعد بدمائهم،وسوف نغطيها بدمائنا، قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا، لقد حاربت كتيبتان من جيشنا

---

(١) صايغ. يوميات، ص١٢١.

(٢) المصدر نفسه ، ص١٢٣ ؛ أنظر Zeev, *Theodor* , p.414.

(٣) محافظة . العلاقات، ص١٥٢ ، ١٥٤ .

(4) The Jewish Ency, Vol. 12, p.677.

(٥) عبد العزيز محمد عوض . *مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ١٨٣١-١٩١٤* ، (ط١، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٣)، ص٢٨.

(٦) فيليب مايكل دي نيولنسكي (١٨٤١-١٨٩٩) صحافي و عميل سياسي. نمساوي من أصل بولندي، عمل مسؤولا عن الإدارة السياسية في السفارة النمساوية في القسطنطينية و أصبح صديقاً للسلطان عبد الحميد. ترك العمل الدبلوماسي ١٨٧٩، وأقام في باريس كصحافي. في ١٨٧٧أسس وكالة أنباء في فينا،وأصدر صحيفة"بريد الشرق" اليومية -أنظر . سمير أيوب . *وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني*، (بيروت : دار الحداثة للطباعة ، ١٩٨٤) ج١، ص ١٢٨.

في سورية، وفي فلسطين، وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر في بلفنه لأن أحداً منهم لـم يـرض بالتسليم، وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال. الإمبراطورية [العثمانية] ليست لي، وإنما للشعب [العثماني]. لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً أي جزء منها، ليحتفظ اليهود ببلايينهم فإذا قسمت الإمبراطورية، فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل، إنما لن تقسم إلا جثتنا ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان" [١] .

ومع أن هذا الرد كان كافياً لهرتزل' ليتراجع عن آماله التي تحذوه تجاه السلطان 'عبد الحميد'، إلا أنه لم يفقد الأمل في تحقيق حلمه، وحلم الحركة الصهيونية إذ أراد أن يغرى السلطان 'عبد الحميد' مجدداً في عروضه فأضاف اقتراح إعادة جزيرة 'قبرص' من 'انجلترا' إلى السيادة العثمانية، إضافة إلى بذل الجهود لحل قضية الأرمن، بحيث يحشد جهود الصحافة اليهودية في أوروبا، لتوجيه المشاعر عن الموقف الأوروبي تجاه قضية الأرمن ، كما عرض التوسط لإقامة هدنة بين الدولة العثمانية واللجان الثورية الأرمنية، لهذا فقد اجتمع 'هرتزل' فعلياً مع 'نزاريك' – أحد قادة هذه الجمعية – في 'لندن'، وحاول أن يقنعه بتسوية نزاعهم مع الباب العالي بالطرق السلمية، لكن زعيم 'الهنشاك' (Hintchak) كان يرتاب في دوافع هرتزل، فظنوا أن العثمانيين والحركة الصهيونية قد أقنعوا الدول العظمى، بتأجيل الإصلاحات في أرمينيا، مقابل إقامة دولة يهودية ذات حكم ذاتي في 'فلسطين'، بل وصل الأمر بالمنظمات الأرمنية الثورية أن هاجمت اليهود لمغازلتهم السلطان 'عبد الحميد' [٢] .

وفيما بعد نجح 'هرتزل' في تحديد موعد بواسطة صديقه المستشرق المجرى 'أرمينيوس فامبرى' (Armenius Vambery) الذي كان صديقاً شخصياً للسلطان، لذلك فقد شد 'هرتزل' الرحال إلى استانبول، وكانت تلك زيارته الثالثة لها، وقد نبهه صديقه 'فامبرى' إلى أن السلطان سيستقبله؛ ولكن كصحفي متنفذ يعمل في صحيفة 'نيو فراى برس'، و ليس كزعيم للمنظمة الصهيونية العالمية [٣] .

وبهذا فقد قُرر اللقاء الفعلي بين 'هرتزل' والسلطان 'عبد الحميد' في١٨ أيار ١٩٠١م، حيث قابل 'هرتزل' السلطان لمدة ساعتين واقترح خلالها تقديم مقترحات لتحسين الوضع المالي للدولة [٤] وكان المبلغ الذي عرضه هرتزل هو ١,٥٠٠,٠٠٠ جنية استرليني يتلقاها السلطان 'عبد الحميد' حال موافقته على إقامة وطن قوي لليهود في 'فلسطين'، وتسهيل الهجرة إليها[٥]

ويذكر 'مصطفى طوران' بعضاً من الحوار الذي دار بين السلطان'عبد الحميد' و'هرتزل'، حيث بادر 'هرتزل' بالقول: "مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان،

---

[١] صايغ. *يوميات* ،ص ٣٥ ؛ انظر– مندل . *مواقف* ،ص٢٥.

– انظر النص الإنجليزي في Friedman .*Germany* p.93.

[٢] صايغ. يوميات ،ص٣١-٣٣،٤٠ ؛ انظر– أوكه . *السلطان* ، ص٥٢.

[٣] Esco. *Palestine*, p.42 ; Friedman. *Germany*, p.96-99، صايغ. *يوميات* ،ص١٧٢

– أحمد نوري النعيمي. *اليهود والدولة العثمانية* (ط١، دمشق: مؤسسة الرسالة للنشر، ١٩٩٧) ،ص١٣٩.

[٤] Zeev. *Theodor* , p.414.

[٥] Arthur Soul Super. *The Story of Theodor Herzl* (London : Vallentine, Mitchall , 1960) p. 134

لقد وكلنا عبيدكم اليهود بتقديم أسمى آيات التبجيل والرجاء، وعبيدكم المخلصون اليهود، يقبلون التراب الذي تدوسونه، ويستعطفونكم للهجرة إلى فلسطين المقدسة، ولقاء أوامركم العالية الجليلة نرجو التفضل بقبول هديتهم خمسة ملايين ليرة ذهبية" [١] .وحيث أن السلطان عبد الحميد كان مطلعا بشكل جيد على قرارات المؤتمرات الصهيونية فقد رفض بشدة العرض الصهيوني وقام بطرد وفدهم، في الوقت الذي كان فيه 'هرتزل' يعي جيدا أنه لا وزن له ولا لليهود عند السلطان 'عبد الحميد' [٢] .

أما المؤرخ 'يلماز أوزتونا' فيذكر هذه الحادثة بقوله : " عرض هرتزل طلب قبول المهاجرين اليهود إلى فلسطين، مفيدا أن الدولة العثمانية قبلت في القرن الخامس عشر اليهود المطرودين من أسبانيا والبرتغال، وأن رئيس الحاخامين في استانبول قد ابلغه بأن القطر الوحيد الذي لم يضغط فيه على اليهود على وجه الأرض هو الدولة العثمانية . وأضاف إلى ذلك أن المهاجرين اليهود الذين سيستوطنون في الأراضي الخالية سيكونون من رعاياها الجيدين، وأنه يتكلم نيابة عن يهود العالم أجمع، وأن مساندة يهود العالم ستكون بجانب الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد، وسوف يقدم للسلطان في الحال عدة ملايين من الليرات الذهبية كضريبة ودين عرفان. استمع السلطان عبد الحميد لهذا الصحفي الذي تجاسر على تغليف تقديم الرشوة له بمهارة. كان يعلم من هم الذين وراءه، ومن بينهم أصحاب البنك الملي(الوطني) الإنجليزي روتشيلد. أدرك في الحال أن قصد اليهود هو تأسيس وطن لهم في فلسطين وليس السكن، وفور تحقيق أكثرية سكانية سيطلبون الاستقلال الذاتي، ويحتمل الاستقلال التام، مستندين على الدول الأوروبية ... لذلك أخرج هرتزل من حضرته بشكل عنيف، تاركا طبعه المعتاد في اللطف، لا لطلبه، بل لعرضه المغلف للرشوة "[٣].

ولقد أكد السلطان 'عبد الحميد' في مذكراته الخطر التي قد تشكله الحركة الصهيونية فقال: " لليهود قوة في أوروبا أكثر من قوتهم في الشرق، لهذا فإن أكثر الدول الأوروبية تحبذ هجرة اليهود إلى فلسطين لتتخلص من العرق السامي الذي زاد كثيرا، لكن لدينا عدد كاف من اليهود، فإذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربي متفوقا؛ علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في 'فلسطين'... " لن يستطيع رئيس الصهاينة هرتزل أن يقنعني بأفكاره ... إنه يسعى لتأمين أرض لإخوانه اليهود الصهاينة بممارسة الزراعة في فلسطين" [٤].

ولقد كتب 'حسام الدين أرتورك' عن صديقة ملازم أول خياله ' زنون دبره لي ' (Zinun Dubrali) -الذي كان يقوم على حراسة السلطان أثناء خلعه في قصر بكلربكي- أن السلطان عبد الحميد حدثه بقوله :" جاءني في أحد الأيام ثيودور هرتزل مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية مع رئيس

---

(١) طوران . *أسرار* ، ص١٦-١٧.

(٢) خلف الله. *بين هرتزل*، ص٣٦.

(٣) أوزتونا. *تاريخ*، ج٢، ص١٥٧-١٥٨.

(٤) عبد الحميد الثاني . *مذكراتي* ، ص٣٤-٣٥.

الحاخامين ، وذلك من أجل غاية صهيونية، وقبلت الزيارة للاستماع إليهم لمعرفة مقاصدهم، فكان طلبهم هو وطن لليهود وكانوا يقترحون القدس لذلك، حتى أن ثيودور هرتزل قال بلا خجل احب أن أعرض لجلالتكم بأننا مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها مناسبة من الذهب حالا من اجل القدس، وشعرت بأن الدم يطفر إلى رأسي ... تأمل لقد وصلت الجرأة بهذين اليهوديين إلى عرض الرشوة في مقام سلطنتنا وصرخت بهما، أخرجا من هنا حالا، ان الوطن لا يباع بمال، وعندما دخل رجال القصر أمرتهم بإخراجهما، ومنذ ذلك الوقت ناصبني اليهود العداء" [1].

لقد ظهرت المشكلة اليهودية في معظم أقطار أوروبا، بسبب ما تعرض إليه اليهود من اضطهاد ومذابح فيها، لذلك فقد أصبحت هذه المشكلة مشكلة أوروبية بحتة، ثم أرادوا إلقاء هذه المشكلة على عاتق الدولة العثمانية ... دولة المشاكل[2].

ظل 'هرتزل' يحاول الاتصال من جديد مع السلطان 'عبد الحميد' بواسطة السفراء وموظفي الدولة العثمانية، حيث دعى 'هرتزل' فيما بعد في شباط ١٩٠٢، وهذه المرة ضيفا على السلطان مع انه لم يلتقيه، وقد عرض عليه السلطان عبر مستشاريه، استيطان اليهود في بلاد ما بين النهرين (العراق) مقابل تعزيز الموقف المالي للدولة، وقد تم استثناء فلسطين بشكل خاص من العرض [3]، وبشرط أن لا يقيم اليهود معا، بحيث يتفرقوا في أماكن مناسبة تحددها لهم الحكومة العثمانية، التي ستقوم بمنحهم سلطات التصرف، وحيث أن هذا العرض لا يحقق آمال 'هرتزل' فقد تم رفضه[4].

كانت الزيارة الأخيرة لهرتزل في ١٩٠٢/٧/٢٥ ،حيث قرر السلطان أن يلعب بورقة 'هرتزل' المالية لأنه كان على وشك الدخول في مفاوضات مالية مع 'فرنسا'، وفيها عرض 'هرتزل' استيطان 'العراق' مضافا إليها 'حيفا' وضواحيها، ثم عرض 'هرتزل' مبلغا كبيرا من المال،و هذا المبلغ بشكل طبيعي لن يكون اقل مما عرضه 'هرتزل' اول مرة [5].

ورغم ذلك لم يقطع السلطان وعدا بأي شئ غير ما أشار إليه وأكد عليه في المرة السابقة، حيث تم إحالة 'هرتزل' إلى حاشيته التي أجابته بمثل ما أجابه السلطان، بأنه يمكن للإسرائيليين أن يستقروا في الدولة العثمانية، شرط أن يكونوا متفرقين في أماكن تعينها الحكومة،و بشرط تحديد عددهم مسبقا ويعطون الجنسية العثمانية، ويسألون عن جميع الضرائب المدنية، بما فيها الخدمة العسكرية، كما أنهم سيكونون خاضعين لجميع القوانين كما بقية مواطني الدولة العثمانية تماما" [6]. ولقد رفض 'هرتزل' عرض السلطان 'عبد الحميد' ، لكن السلطان 'عبد الحميد' انعم على هرتزل 'بالنيشان المجيدى' ، وذلك بناء على التماس

---

[1] محمد علي . *السلطان*، ص٢٨٨ ؛ حرب . *السلطان* ، ص٨٧-٨٨.

[2] أوزتونا. *تاريخ* ،ج٢ ، ص١٥٨.

[3] Zeev. *Theodor*, p.414. انظر صايغ. *يوميات* ،ص ٢٠٩-٢١٠

[4] أوكه . *السلطان* ، ص٥١-٥٢

[5] محمد علي . *السلطان* ، ص٢٥٤-٢٥٥.

[6] المرجع نفسه. ص٢٥٥-٢٥٦.

من هرتزل ليمنحه ذلك النيشان الذي يعتبر من مرتبة رفيعة، وذلك ليخدع المتصلين به فقال :" إذا رفض السلطان أن يستقبلني فليعطني على الأقل دليلا مرئيا على انه بعد ان استمع إلى مقترحاتي ورفضه، فإنه لا يزال يريد ان يبقي على نوع من العلاقة بيننا مثلا وساما من رتبة عالية ليبرهن على هذا ... انني لم أهتم يوما بالأوسمة، ولا أهتم بها الآن ولكني أريد شاهدا امام من أتعامل معهم في لندن، على أنني حزت قبولا لدى السلطان ..."[1].

ويمكن إجمال ما دار بين 'هرتزل' والسلطان 'عبد الحميد' " بأنه جاءت شخصية صهيونية يهودية كبيرة نمساوية إلى استانبول وطلبت اقامة وطن يهودي في سنجق القدس، وقالت هذه الشخصية أنها تتحدث في هذا باسم الصهيونية، وان 'روتشيلد' المصرفي المشهور وراء هذا الأمر ... ورأى السلطان مجموعة موانع في هذا، ففلسطين بمقاماتها المباركة تشكل ارضا للمطامع والطموحات السياسية، وعاد الصهيوني النمسوي إلى بلاده صفر اليدين"[2].

* الهجرة اليهودية إلى فلسطين

كان اليهود منذ بداية هجراتهم الأولى يزعمون أن مهاجريهم لا يبغون من سكنهم في هذه الأراضي المقدسة إلا ممارسة طقوسهم الدينية ،وإحياء تقاليدهم الروحية، وذكرياتهم التاريخية لذلك فقد قوبلوا من قبل السلطات العثمانية ومن سكان 'فلسطين' بروح التسامح والود والعطف وعدم الاكتراث بأي خطر قد ينشأ عن هؤلاء المهاجرين[3].

استمرت الهجرة غير المنظمة في وقت سابق على شكل جماعات لم تكن لتأخذ شكلا سياسيا منتظما، بل امتازت بالعفوية، لكنها كانت فيما بعد اللبنات الاولى في سبيل هجرة منتظمة ودائمة، حيث قلم هؤلاء اليهود باستملاك الأراضي؛ لأن قانون الأرض العثماني الصادر عام ١٨٥٧ كان متحررا لدرجة لا تكفي لمنع اليهود من اكتساب الممتلكات في 'فلسطين'، وكان نص القانون يؤكد على ان رعايا الحكومات الأجنبية يسمح لهم بميزة تملك الممتلكات في داخل وخارج المدن في كل جزء من الدولة العثمانية باستثناء ارض الحجاز، ويكون لهم هذا الحق بدرجة متساوية مع الرعايا العثمانيين [4].

وقد استغل المهاجرون اليهود هذا الأمر بشكل فعلي حيث أن معظم هؤلاء الذين وصلوا 'فلسطين' قاموا بطلب الحماية الأجنبية، وكانت 'انجلترا' هي اول من وضع اليهود تحت جناح حمايتها، وتقريرا للواقع فإن دعاوى انجلترا في حماية المهاجرين اليهود ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر حينما أعلن

---

(١) ليلى عبد اللطيف احمد. *موقف الدولة العثمانية من مطامع اليهود في فلسطين* (ط١، القاهرة : دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٧) ، ص ٣٨.

(٢) حرب. *العثمانيون*، ص٣٧-٣٨.

(٣) تلحوق. *الصليبية*، ص٩٣.

(٤) أوكه. *السلطان*، ص٧٥.

'بالمرستون' [1]في عام ١٨٤٧ أنه حيثما يوجد نمساوي أو روسي أو فرنسي، أو أي يهودي آخر يعاني من الاضطهاد أو الظلم،وتبرأت منه بلده ورفض قنصله أن يعطيه الحماية؛ فإن القنصل البريطاني في 'فلسطين' مخول بأن يتدخل لصالح اليهود بصفة عامة[2].

وفيما بعد فقد منع الباب العالي في ١٩ حزيران ١٨٦٩ تجنس الرعايا العثمانيين بجنسية أجنبية تحت حماية حكومات أجنبية ،ومعنى هذا أن الرعايا العثمانيين الذين يحصلون على الجنسية من أي مكان لن يمنحوا حقوق الامتيازات الأجنبية إذا أرادوا أن يعيشوا في الدولة العثمانية، لذلك فقد ناقشت السلطات الحكومية أنه بما ان المهاجرين الجدد بقدر ما يدعون انهم تجنسوا بجنسيات اخرى أوروبية وأمريكية، فإنهم بذلك قرروا العيش والاستقرار في الدولة وبهذا يكونوا خاضعين لقوانين البلد في ظل النظام الملي[3].

ولقد هيأ كبار رجالات اليهود الظروف فيما بعد لجعل الهجرة وشراء الاراضي اكثر تنظيما، لذلك فقد انشئوا أجهزة ومؤسسات تنظم الهجرة وشراء الأراضي وكان من بين تلك الاجهزة التي تسللت الى فلسطين 'منظمة الاستعمار اليهودي' في 'فلسطين'، وقد أنشأها المليونير الفرنسي 'ادموند دي روتشيلد' سنة ١٨٨٢، وكانت تعمل على تقديم الاموال لليهود الراغبين في الهجرة إلى 'فلسطين' وشراء الأراضي وإنشاء المستعمرات عليها[4].

ولقد حدثت موجات من الهجرة المنظمة، كانت الأولى عام ١٨٨٢ واستمرت حتى عام ١٩٠٤ وذلك عقب المذابح التي تعرض لها اليهود بسبب مشاركتهم في اغتيال القيصر الروسي'الاسكندر الثاني'[5]. ورغم ان جميعه 'أحباء صهيون' قد حصرت شؤون عملها في الهجرة، الإ ان الأرقام تثبت ضآلة عملها وذلك بأن معظم العشرين ألف يهودي الذين كانوا قد تركوا 'روسيا' بسبب تلك المذابح قد توجهوا الى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، اما نسبة الذين توجهوا الى 'فلسطين' فلم يتجاوز ٢%[6].

وكانت حركة 'أحباء صهيون' قد طلبت في نيسان ١٨٨٢ من القنصل العثماني العام في 'اودسا' في 'روسيا' منح الزائرين اليهود تأشيرات دخول إلى الدولة بغرض الاستيطان في فلسطين لكن العدد الهائل من المهاجرين أثار انتباه القنصل العثماني فأبرق إلى الباب العالي يطلب أن يزوده بالتعليمات

---

[1] بالمرستون: سياسي انجليزي شهير ولد سنة ١٧٧٤. اتم دراسته في مدرسة كامبردج العليا وانتخب في مجلس العموم سنة ١٨٠٦ وانضم إلى حزب العمال ،وفي ١٨٣٧ تحول عنهم وانخرط في صفوف المحافظين وأصبح وزيرا للخارجية من سنة ١٨٣٠-١٨٤١- ومن ١٨٤٦-١٨٥١ واخيرا من ١٨٥٩ حتى وفاته سنة ١٨٦٣ واشتهر بمقاومته لتوسع محمد علي باشا – انظر المحامي. *تاريخ*، ص ٤٥٩.

[2] أوكه. *السلطان*، ص٥٧.

[3] المرجع والصفحة نفسهما.

[4] الحوت. *فلسطين*، ص٢٣٥.

[5] المرجع والصفحة نفسهما.

[6] المرجع والصفحة نفسهما.

اللازمة، فردت عليه الحكومة العثمانية في ٢٨ نيسان ١٨٨٢ بعدم السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين[١]. لذلك فقد منعت السلطات العثمانية المهاجرين من دخول 'فلسطين' باستثناء الحجاج الذين جاءوا لزيارة الأماكن المقدسة، ولم يمض وقت طويل حتى وجد اليهود طرق عديدة للتحايل على القوانين العثمانية، حيث دخلوا 'فلسطين' كحجاج ثم يطيلوا فترة الزيارة ويطلبوا الحماية الأجنبية [٢].

وفي ٥ آذار ١٨٨٣ صدر قانون آخر في محاولة لوضع حد لحصول المهاجرين اليهود الذين حصلوا على جنسيات الدول الأخرى من استملاك الأراضي في 'فلسطين'؛ وينص القانون على أن الأشخاص الذين غيروا جنسياتهم والذين ألغيت جنسيتهم العثمانية؛ يحرمون من حقوق امتلاك الأراضي في الدولة العثمانية [٣].

كان متصرف القدس 'رؤوف باشا' ١٨٧٦-١٨٨٨ وهو رجل مستقيم لم تؤثر عليه الرشوة 'البقشيش' عندما علم أن القوانين العثمانية يتم التحايل عليها، وأن هذا لا يتفق مع الغرض الحقيقي للدولة، أرسل إلى 'استانبول' يطلب المشورة ولقد جاءه الرد عام ١٨٨٤، حيث تقرر أن اليهود الحجاج يمكنهم دخول 'فلسطين' فقط إذا كان بحوزتهم جوازاتهم مؤشراً عليها من السفارات العثمانية من الخارج، وعند دخولهم يدفعون تأميناً لضمان رحيلهم بعد ثلاثين يوماً[٤]. وفي سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م صدرت ثلاث فرمانات سلطانية أصدرها السلطان 'عبد الحميد' كان الأول في ٢١ ذي القعدة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م ويقضي برد المهاجرين وطردهم إلى أمريكا لأنه من شأن ذلك إعادة إنشاء حكومة يهودية في القدس مستقبلاً [٥]. وأما الفرمان الثاني فقد صدر في ٢٨ من ذي القعدة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م وهو يطلب عدم قبول اليهود لأن إسكانهم في 'فلسطين' أمر ضار[٦].

أما الفرمان الثالث فقد صدر في ٢٩ من ذي القعدة ١٣٠٨هـ ويؤكد على ما ورد في الفرمانيين السابقين؛ مؤكداً على ان اليهود ينوون بهجرتهم التدريجية والعمل بالزراعة إقامة دولة يهودية والإضرار بمصالح السكان الفلسطينيين[٧]. وفي تشرين ثاني١٨٩٢ صدرت الأوامر لمتصرف'القدس' ابراهيم حاجي باشا' من إدارة تسجيل الأراضي أن يوقف بيع 'الأراضي الميري' (Arazi-i Miri) - وهي أراضي الدولة التي يتطلب نقل ملكيتها الحصول على تصريح رسمي - إلى اليهود حتى لو كانوا رعايا عثمانيين.

---

(١) عوض. *مقدمة*، ص٤٨-٤٩ ؛ حسن صبحي. *التآمر الصهيوني ضد الأمة العربية ١٨٨٢-١٩٦٧* (بيروت : دار النهضة العربية، ١٩٦٨)، ص ٣٨.

(٢) أوكه. *السلطان*، ص ٧٢-٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٧٥.

(٤) Friedman. *Germany*, p.41 ; أنظر- أوكه. *السلطان*، ص ٧٢-٧٣

(٥) حلاق. *موقف*، ص٣٥٦.

(٦) المرجع والصفحة نفسهما.

(٧) المرجع نفسه، ص ٣٥٧.

وفيما يختص بالأراضي الخاصة التي يملكها الأفراد كان من الصعب إن لم يكن من المستحيل وضع ضرائب على نقل الملكية، حيث أخبر مدير لجنة نقل ملكية الأراضي 'كمال الدين' السلطان 'عبدالحميد'، ان اليهود يدفعون للعرب ثلاثة أضعاف الثمن الحقيقي ليحصلوا على هذه الأراضي للاستيطان ،ولكي يوقف السلطان 'عبد الحميد' هذا ؛ بدأ بشراء الأراضي المهددة بالبيع في فلسطين من جيبه الخاص[1].

وفي ٢١ تشرين ثاني ١٩٠٠ لم تعد الدولة تأخذ تأمينا نقديا كضمان لرحيل الزوار اليهود، وبدلا من ذلك كان على كل اليهود بمن فيهم الرعايا العثمانيين ان يسلموا أوراقهم عند دخول 'فلسطين' ، وفي المقابل يتسلمون تصريح للإقامة فيها لمدة ثلاث شهور؛ وبسبب لون هذا التصريح أصبح اسمه ' التذكرة الحمراء' حيث يسلم الزوار الحجاج هذا التصريح عند الرحيل، وهكذا يمكن مراقبة المهاجرين الذين يزورون 'فلسطين' ،وعليه تقوم السلطات العثمانية بتجميع البيانات مفصلة عن كل شئ لتتمكن من طرد الحجاج الذين انهوا مدة إقامتهم، وكان الموظفون الذين يفشلون في تطبيق القرارات بهذا الشأن يعاقبون بشدة[2].

ولقد عبر السلطان 'عبد الحميد' في مذكراته عن رفضه الهجرة اليهودية بقوله: " لكي نعمل على إسكان الأراضي الخالية من إمبراطوريتنا يتوجب تنظيم الهجرة بشكل مناسب، لكن لايمكن القول بأن الهجرة اليهودية شكل مناسب، لقد مضى عهد دخول اتباع الأديان الأجنبية إلى مجتمعنا كما تدخل الشوكة في أجسادنا، ليس لنا أن نقبل في أراضينا إلا من كان من أمتنا، ومن شاركنا في معتقداتنا[3].

على كل لقد سارت الأمور بثلاث اتجاهات هي:

١- استمرار الهجرات اليهودية والإقامة غير الشرعية، وتجاهل القوانين العثمانية، وذلك عن طريق التغاضي عن تسجيل المهاجرين في كشوف القادمين من قبل القائمين على منع الهجرة.

٢- استمرار السلطان عبد الحميد بإصدار القوانين، مما يؤكد مقاومته العنيفة لحركة الهجرة،وان كانت الأمور تخرج من بين يديه بسبب فساد الكثير من رجاله في 'فلسطين'.

٣- قيام الأجانب بدور هام في الهجرة ونقل ملكية الأراضي، بسبب ما مارسوه من فرض للحماية على المهاجرين، مستغلين بذلك نظام الامتيازات الذي يتمتعون به.

وفي 'القدس' اعلن 'احمد رشيد بك' متصرف القدس (١٩٠٤-١٩٠٦) تأييده الهجرة اليهودية بشكل علني غير عابئ بالقوانين العثمانية واستنكار السكان المحليين لهذه السياسة، حيث تم استبداله عام ١٩٠٦

---

(١) أوكه. *السلطان*، ص٧٥.

(٢) المرجع نفسه ، ص٧٣.

(٣) عبد الحميد الثاني. *مذكراتي*، ص٢٩

تحت الضغط الشعبي الفلسطيني بمتصرف آخر هو 'أكرم بك' ،حيث أقدم هذا المتصرف على تطبيق القوانين العثمانية بخصوص الهجرة لكنه لم يبق في منصبه طويلاً حيث نقل إلى 'بيروت' فيما بعد[١].

وظل الموقف الرسمي العثماني هو الترحيب باليهود المهاجرين لكن ليس إلى 'فلسطين' التي يحظر الاستيطان فيها، كذلك التنازل عن جنسياتهم والتحول إلى رعايا عثمانيين وان يحجموا على السعي وراء امتيازات خاصة ،مثل فرض الحماية الأجنبية عليهم، وأن يبقوا خاضعين للقوانين السارية. فلقد كان السلطان 'عبد الحميد' لا يرغب مطلقاً بإضافة المسألة اليهودية إلى قائمة مشكلات الدولة من حيث التنافس والمشاكل العرقية والدينية والمذهبية التي توجد داخل الدولة أو إلى مزيد من القوميات الأجنبية الساعية وراء الامتيازات[٢].

موقف السلطان عبد الحميد الثاني من مشروع إنشاء جامعة عبرية في فلسطين.

كانت كل جهود اليهود والحركة الصهيونية عند السلطان 'عبد الحميد' مخيبة لأدنى توقعاتهم، فكل محاولاتهم العلنية وغير العلنية باءت بالفشل تقريباً على صخرة صمود السلطان 'عبد الحميد'، أما الأمور التي وعد بها 'هرتزل' السلطان من حيث سداد ديون الدولة العثمانية فلم يحرك فيه ساكناً، لذلك فقد تطلب الأمر ان يلج 'هرتزل' من مكان لم يدخله من قبل، وهو إضفاء الطابع الثقافي والعلمي على مطامع الحركة الصهيونية، لذلك فقد قام هرتزل في ٣ أيار ١٩٠٢ بالإتصال من جديد بالدولة العثمانية، وقدم إلى السلطان 'عبد الحميد' اقتراحاً في ٣ أيار ١٩٠٢طلب فيه أن يؤذن له في إنشاء جامعة عبرية في 'القدس' تفتح أبوابها للطلبة العثمانيين؛ بدلاً من إرسالهم في بعثات علمية إلى جامعات اوروبا، كما صور الأمر للسلطان بدافع شريف يهدف إليه مشروعه؛ حيث لا يتعرض طلبة الدولة العثمانية في اوروبا لأخطار اعتناق أفكار ثورية ونظريات متطورة عن الحكم ،كما أن الطلاب لن يغادروا دولتهم في سبيل العلم حيث توفر لهم الجامعة العبرية المقترحة البقاء داخل حدود الدولة[٣].

وكان الهدف الآخر الذي سعى إليه 'هرتزل'؛ هو أن الطلبة العثمانيين إذا ما بعثوا إلى الجامعات الأوروبية فإنهم يبتعدون عن التقاليد الإسلامية؛ كون المناهج في اوروبا تفتنهم وهذا بدوره يؤدي إلى الانحراف وبالتالي الإساءة إلى الهوية الإسلامية للدولة[٤].

ولما كان السلطان 'عبد الحميد' يعي جيداً هدف 'هرتزل' الحقيقي في كون اقتراحه هذا إنما هو لخدمة اليهود وخطوة أولى من أجل تحقيق ما فشل في تحقيقه سابقاً؛ فهو يريد جامعة للشبان اليهود يزرع فيهم حب الهجرة والاستيطان والتوسع وإقامة بناء الوطن القومي اليهودي المنشود، إلى جانب

---

(١) عادل حامد الجادر -عزيز عبد المهدي ردام. *فلسطين والغزو الصهيوني* (جامعة بغداد : مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٤)، ص٨١.

(٢) قاسمية. *المقاومة*، ص ٣٧٤.

(٣) صايغ. *يوميات* ،ص٢١٢-٢١٣ ؛ انظر Friedman. *Germany*, p. 101.

(٤) احمد. *موقف*، ص٤٠ ؛ الشناوي. *الدولة*، ج٢ ص ٩٤٤.

إعطاء هذه الجامعة ونشاطها الذي هو نشاط صهيوني بالدرجة الأولى صفة شرعية، لذلك فقد رفض السلطان عبد الحميد بقوة هذه الفكرة.

***جهود هرتزل تجاه انجلترا.**

كانت هناك في الحقيقة نوايا غير يهودية لتوطين اليهود في 'فلسطين'، وإعادتهم اليها قبل أن تظهر الحركة الصهيونية وتسعى لتحقيق أفكارها كإمكانيات عملية سياسية(١).

يقول 'هرتزل' انه من أول يوم امسك فيه بزمام الحركة الصهيونية اتجه بأنظاره نحو 'إنجلترا' بسبب ما أحرزته من مركز قوى وما يتمتع به اليهود، وما يحيط بهم من أسباب السعادة والمستوى الثقافي الرفيع وتمسكهم بالانتماء إلى الجنس اليهودي، كل ذلك جعل اليهود الإنجليز يهوداً مثاليين يدركون جيداً أهداف ومرامي الحركة الصهيونية(٢).ولا نعرف مدى صحة قوله هذا لأن 'هرتزل' كانت وجهته الأولى نحو 'المانيا' فالدولة العثمانية. واما 'إنجلترا' فكانت محطته الثالثة.

ومهما يكن من أمر فإن الإشارات في كتابات 'هرتزل' العلنية كانت تشير إلى أنه كان يعي ضرورة أن تكون الحركة الصهيونية وأفكارها تحت نشأة ورعاية الدول الكبرى، وفي إطار القانون، وهو بذلك لن يعمل على الحصول على الأرض لإقامة الوطن القومي؛ إلا بعد أن تُظهر القوى الدولية الرغبة في ذلك(٣).

ان 'هرتزل' لم يتردد في عرض خدمات الحركة الصهيونية لمن يناصر سياستها ويتبنى موقفها، وهو في ذلك لا يتردد أبداً وبلا حياء أن يعلن أن الحركة الصهيونية ستحول يهود العالم العشرة ملايين إلى عملاء لألمانيا، واعاد هرتزل عرضه هذا على انجلترا ؛إذا ما وافقت على الحلم الصهيوني(٤).

ولقد وجد 'هرتزل' تجاوباً كبيراً من 'إنجلترا'، حيث وجد كل منهما ضالته في الآخر من أجل تحقيق كل طرف منهما أماله وتصوراته، ومن المسلم به أن حكام 'إنجلترا' وأعوانهم قد ارتضوا مناصرة الصهيونية من أجل اتجاهات سياسية وقومية تخدم الصالح الانجليزي العالم أو المصالح الشخصية(٥) 'وبعد فشل 'هرتزل' مع 'المانيا' ومع السلطان 'عبد الحميد الثاني' راح في المؤتمر

---

(1) Ben Halpern. *The Idea of Jewish State* (Harvard: Harvard University Press, 1969), p.251.

(2) Leonard Stein. *The Balfour Declaration*, (London: Valentine, Michelle, 1961), p.18-19.Hyamson. *Palestine*, p. 16

(٣) المسيرى .*اليهودية*،ص١٢٣.

(٤) النتشة .*السلطان* ، ص١٧٧

(٥) لوسيان كافرو دومارس. *العار الصهيوني في مصادر الصهيونية وأعمالها التخريبية في العالم، ترجمة، أحمد رضا* (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩)،ص٢٦.

الصهيوني الرابع في 'لندن' سنة ١٩٠٠ يقول بلهجة حماسية: " إن 'إنجلترا' العظيمة ،'إنجلترا' الحرة التي تهيمن على البحار السبعة ستفهمنا وتفهم أهدافنا ... ومن هنا ستنطلق الفكرة الصهيونية لتحلق بعيدا في الأعالي، نحن واثقون من ذلك"(١).

وبدأ العمل الصهيوني لدى 'إنجلترا'، حين اضطرت الحكومة البريطانية عام ١٩٠٢ إلى تشكيل لجنة ملكية للتحقيق في الهجرة اليهودية إلى 'انجلترا'، أثر إزدياد هجرة يهود 'روسيا' و'بولندا' إلى الأحياء الشرقية من 'لندن'، والتخوف من أن يؤدي هذا لازدياد المعارضة ومن ثم ظهور موجة من اللاسامية داخل انجلترا. وقد ادلى 'هرتزل' بشهادته في هذه اللجنة، حيث أعلن ان اليهود يحملون اللاسامية معهم أينما ذهبوا، وان الحل الوحيد لهذه المشكلة هي الحركة الصهيونية التي تسعى لإقامة وطن قومي لليهود خارج أوروبا (٢).

من هنا قام 'هرتزل' فيما بعد بالإتصال 'بجوزيف شمبرلين' (Joseph Chamberlain) (١٨٣٦-١٩١٤) وزير المستعمرات البريطانية المعروف بمشاعره المعادية للسامية وصاحب النفوذ الواسع في الحكومة البريطانية وذلك في ٢٢ تشرين ثاني ١٩٠٢، حيث أبلغ هرتزل أحد الوسطاء انه جدي في كسب تأييد المستر 'شمبرلين' ،لإقامة وطن قومي يهودي على نطاق كبير داخل الممتلكات البريطانية، ومن المفضل أن يكون ذلك في 'قبرص' أو 'شبه جزيرة سيناء' أو 'العريش'(٣). فأجابه 'شمبرلين' أنه لا يستطيع التحدث اليه إلا عن 'قبرص' كمستعمرة، فالمناطق الأخرى هي من إختصاص وزارة الخارجية(٤).

وفيما بعد قام وزير الخارجية البريطاني 'لانسدون' بتحويل مقترحات 'هرتزل' هذه إلى اللورد 'كرومر' (Lord Cromer) المعتمد البريطاني في 'مصر'، وتكونت لجنة لدراسة موضوع استيطان اليهود في شبة جزيرة سيناء وغادرت اللجنة المختصة لفحص الأمر الى 'القاهرة' في أوائل سنة ١٩٠٣ لدراسة الأوضاع، وتوصلت الى ان 'العريش' هي المنقطة المثالية لبداية المشروع على ان تجلب المياه من نهر النيل(٥).

لكن الأمر اختلف شيئا ما حين جاء جواب اللورد 'كرومر' برفض المشروع الصهيوني لاستيطان 'سيناء'، معللا ذلك برفض الحكومة المصرية، واعتراض الدولة العثمانية، ولصعوبة نقل مياه النيل إلى العريش، كما أن ذلك من شأنه زيادة الصعوبات التي قد تواجهها الحكومة المصرية(٦).

---

(١) جارودي. *فلسطين*، ص١٩٦-١٩٧.

(٢) الجادر- ردام. *فلسطين*، ص ٧٠-٧١.

(٣) عمر .*القضية*، ص٦٠٢، Zeev .*Theodor*, P.41.

(4) Stein. *The Balfour*, p.18-19 ; Hyamson. *Palestine*, p. 16

(5) The Jewish Ency,Vol,12.P 678 ,٦٠٢ عمر. *القضية*، ص

(6) Friedman. *Germany* ,P.104; Sokolow .*History* ,Vol,1. P.296; Stein .*The Balfour* ,P 26.

قام 'شمبرلين' بعرض منطقة أخرى يمكن استعمارها؛ واقترح لذلك 'أوغندة' في نيسان ١٩٠٣ [(١)]. فكان جواب 'هرتزل' أن القاعدة هي استيطان 'فلسطين' مع إمكانية استيطان 'أوغندة' في المستقبل، إلا أنه لم يستبعد هذا الخيار، حيث كان الفكر اليهودي الصهيوني قبل ذلك الوقت وحينها مقصورا على وجود متسع من الأرض في العالم القديم أو الحديث يستطيع فيه بنو إسرائيل ان يجددوا فيه الوسائط لنهضتهم سواء في 'أوغندة' أو'الكونغو' أو 'العراق' أو بلاد 'المكسيك' أو 'استراليا'[(٢)] ثم بعد ذلك الى 'فلسطين'.

ولما تأكد 'هرتزل' من تعاطف الإنجليز سعى لطرح نياته بخصوص الوطن القومي إلى حيز الوجود، إذ كانت نيته سياسية أكثر منها دينية[(٣)]، لذلك فقد أيد 'هرتزل' قبول اقتراح 'أوغندة' على الأقل كاجراء مؤقت، وعرض ذلك على المؤتمر الصهيوني السادس المنعقد في 'بازل' من ٢٣-٢٨ آب ١٩٠٣م [(٤)]؛ حيث أنزلت خارطة فلسطين من خلف المنصة الرئيسية، وألصقت خارطة 'أوغندة '[(٥)]. وبرزت المعارضة الشديدة من قبل زعيم الصهيونية الروسية 'مناحيم مندل يسيشكن'[(٦)] (Menahem Mendel Ussishkin) حيث طالب هو أنصاره من اليهود الروس بأن لا يعرض 'هرتزل' منطقة غير فلسطين[(٧)]، وشعرت المعارضة إجمالا أن الفكرة الصهيونية قد طعنت وخدعت.لكن المؤتمر الصهيوني السابع بعد موت 'هرتزل' اتخذ قراره بالإجماع برفض مشروع أوغندة، وظلت الحركة الصهيونية على الدوام على علاقة وطيدة مع إنجلترا التي تبنت أفكارها وعملت على تحقيقها .

---

(١) محمود عزيز شكري . "*الاهمية الاستراتيجية لفلسطين والاطماع الاستعمارية فيها*" الموسوعة الفلسطينية (ط١، بيروت:١٩٠٩) م٦، ص٩.

(٢) لويس شيخواليسوعي. *الصهيونية ماضيها حاضرها ومستقبلها* " المشرق ، بيروت: العدد١٠،سنة١٨ (تشرين اول ١٩٢٠) م١٨ ،ص٧٧٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص٧٧٣.

(٤) آلان تايلور . *مدخل الى إسرائيل، الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧-١٩٤٧* ، تعريب، شكري محمود نديم (بيروت: منشورات دار المكتبة الحياة ، ١٩٦٩) ص٢٦.

(5) Weizmann. *Trail*,P83.

(٦) مناحيم مندل يسيشكن : ١٨٦٣-١٩٤١ مهندس روسي يهودي، تزعم فترة حركة أحباء صهيون، ومن أول أتباع هرتزل. رئيس البعثة الصهيونية الى فلسطين ١٩١٦. عضو اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية ١٩٢٠-١٩٢٣ . رئيس الصندوق القومي اليهودي ١٩٢٢-١٩٤١ . انظر - صايغ . يوميات، ص٥٠٦.

(7) Wallter Laqueur. *History of Zionism* (New York : Schochen Books, 1976) ,P137; Esco. *Palestine* ,P49.

مؤتمر كامبل بانرمان ١٩٠٧ (Campbell Panerman).

تبلورت سياسة الاستعمار إزاء الشرق العربي من تقرير عرف باسم تقرير 'كامبل بانرمان' رئيس وزراء بريطانيا. وذلك حين قام بدعوة دول الاستعمار القديم وفي مقدمتها 'إنجلترا' و'فرنسا' و'هولندا' و'بلجيكيا' و'أسبانيا' و'إيطاليا' و 'البرتغال'، إلى عقد مؤتمر دولي، وذلك لمناقشة ما قد تعترض الدول الاستعمارية من مشاكل، ولقد شاركت كل دولة بكبار أساتذة الجامعات في شتى المجالات؛ مثل الاقتصاد والبترول والتاريخ والزراعة وشؤون الاستعمار وكانت جلسات هذا المؤتمر تعقد في اكثر من مدينة وعاصمة أوروبية؛ ولقد افتتح 'بانرمان' اجتماعات هذه اللجنة في لندن بكلمة وجهها إلى مندوبي هذه الدول، حدد فيها المهمة التي من أجلها تم عقد المؤتمر فقال: " إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر إلى حد ما، ثم تنحل رويداً رويداً، ثم تزول، والتاريخ مليء بمثل هذه التطورات، وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة، ولكل أمة، فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين، وقبلها بابل وآشور والفراعنة، وغيرها، فهل لديكم أسباب أو وسائل تحول دون سقوط الاستعمار الأوروبي وانهياره، أو تؤخر مصيره، وقد بلغ الآن الذروة، وأصبحت اوروبا قديمة، استنفذت مواردها، شاخت معالمها، بينما لا يزال العالم الآخر في صرح شبابه؟ ... هذه هي مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا"[١] وبعد فترة من النقاش والدراسة خرج المؤتمر بالتقرير الذي قُدم لوزارة الخارجية البريطانية التي أحالته إلى وزارة المستعمرات[٢]. وجاء في التقرير:

" إن الخطر ضد الاستعمار يكمن في البحر المتوسط، فعلى الشواطئ الشرقية والجنوبية لهذا البحر يعيش شعب واحد، تتوفر له وحدة التاريخ والدين واللغة، وكل مقومات التجمع والترابط، هذا فضلاً عن ثرواته الطبيعية،ونزعته للتحرر، فلو أخذت هذه المنطقة بالوسائل الحديثة، وإمكانيات الصناعة الأوروبية، وانتشر التعليم فستحل الضربة القاضية بالاستعمار الغربي، فيجب إذن على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المناطق وإبقاء شعبها على ما هو عليه من التفكك والتأخر؛ وهذا يستلزم فصل الجزء الإفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي، وتقترح اللجنة كذلك إقامة حاجز بشري قوي وغريب يحتل الجسر البري الذي يربط آسيا بافريقيا، بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار عدوة لسكان المنطقة..."[٣].

ومن مؤتمر 'كامبل بانرمان' نشأت مجدداً الفكرة القديمة الحديثة لسلخ 'فلسطين' عن الجسد العربي والإسلامي ولخلق واقع استعماري اكثر قوة تعمل اوروبا من خلاله. ولهذا كان لا بد من قومية

---

(١)يذكر أنه لا توجد وثائق بريطانية تؤكد ما جاء في هذا المؤتمر. وقد نقله أيوب عن أنطون سليم كنعان في مؤلفه فلسطين والقانون. ولقد نشره المؤتمر الثالث لاتحاد المحامين العرب الذي عقد في دمشق ٢١-٢٥ سبتمبر ١٩٥٧ في كتاب أصدرته مطابع فتى العرب. أيوب . *وثائق*، ج١، ص٢٥٠-٢٥١.

(٢) المرجع نفسه،ص٢٥١.

(٣) عمر. *القضية*، ص٦٠٦-٦٠٧.

تتوفر فيها الصفات التي حددها المؤتمر، وكانت الضالة تنطبق كلياً على اليهود، وبذلك تلاقت أهداف الدول الاستعمارية وخصوصاً 'بريطانيا' مع الحركة الصهيونية في الشيء الكثير وبالأحرى في كل شيء.

٣- جمعية الاتحاد والترقي والصهيونية.

امتازت العلاقة بين جمعية الاتحاد والترقي والصهيونية بنوع من الحذر والتعتيم ، وربما لم تتوفر المعلومات بالشكل الكافي لحساسية الموضوع وخطورته .

رأينا نشاط الحركة الصهيونية لدى السلطان 'عبد الحميد' ، وما قاموا به من جهود ومحاولات عديدة من اجل الموافقة على إقامة وطن قومي لليهود في 'فلسطين' .ولقد كانت لدى السلطان عبد الحميد اعتبارات سياسية ودينية وقومية؛ تجعله يرفض بشكل قطعي المقترحات الصهيونية ، حيث كان يخشى بروز قومية جديدة الى جانب القوميات الأخرى داخل نطاق دولته؛ بحيث تثير المتاعب الداخلية له واما الأمر الثاني : فكان في عدم رغبة السلطان في زيادة النفوذ الأجنبي داخل دولته ، والتي كثيراً ما كانت تتخذ من الأقليات وسيلة لذلك[١] ، واما السبب الثالث فكان عدم رغبة السلطان في التفريط بأرض إسلامية بذلت في سبيلها الكثير من الدماء على مدار الزمن .

لكن هذا الفشل الكبير لم يبعث في نفس 'هرتزل' زعيم الصهيونية اليأس ، حيث قام بتحريك الصحافة العالمية التي يملك اليهود منها الشيء الكثير ، ثم اخذوا في توحيد وجمع كل القوى المعادية للسلطان 'عبد الحميد' داخل المجتمع العثماني[٢] ، كما صدرت الاوامر من الحركة الصهيونية الى المحافل الماسونية داخل الدولة العثمانية ويهود الدونمة الذين كانوا أعضاء في المحافل الماسونية للعمل ضد السلطان 'عبد الحميد' جراء رفضه لمطالب الحركة الصهيونية[٣] .ولقد نشطت الحركة الصهيونية في 'ألمانيا' كثيراً في محفل 'بروسيا' الماسوني 'أوروبا الفتاة' الذي اسس فيما بعد فروع للماسونية في 'سلانيك' حيث لعبت هذه المحافل دوراً بارزاً في نشاط جمعية الاتحاد والترقي[٤] .

أدركت الصهيونية والماسونية معاً ان نشاط بضع أشخاص من الهاربين خارج الدولة العثمانية لن يكون مجديا ، لذلك فقد حثت قياديي الاتحاد والترقي على ضم العديد من قادة الجيش[٥] واثناء وجود بعض قياديي جمعية الاتحاد و الترقي في باريس، تعرف العديد من قادتها على الحركة الصهيونية ، ليس فقط من قبل الإعلام الاوروبي العام ، بل عن طريق منظمات فرنسية ، حيث التقى العديد من زعمائها مع

---

(١) أوكه . *السلطان* ، ص ٧٩ .

(٢) محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٨٢ .

(٣) الزين . نثب ، ص ٤٠-٤١ .

(٤) ديمارس . *العار* ، ص ٢٩ .

(٥) محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٨١ .

العديد من زعماء الحركة الصهيونية ، فالتقى 'عبد الله جودت بك' ، وهو من قدامى مؤسسي وقيادي جمعية الاتحاد والترقي بـ 'ثيوردور هرتزل' ، وذلك اثناء عمله في وظيفته كطبيب في السفارة العثمانية في فينا[١] .كما قابل 'احمد رضا' زعيم جمعية الاتحاد والترقي في باريس' ثيودور هرتزل' و ' ماكس نوردو' (Max Mordau) وهو احد اقرب معاوني هرتزل ، وتحدثت صحيفة 'مشورت' عن اليهود كما لو كانوا مضطهدين من الارمن، الذين كانت جمعية الاتحاد والترقي تتعاطف مع قضيتهم بسبب ما لحق بهم جراء عدائهم للدولة العثمانية والسلطان 'عبد الحميد'[٢] .

وكان 'هرتزل' في زيارته الثانية 'لاستانبول' في ١٨ حزيران ١٨٩٦م من اجل مقابلة السلطان 'عبد الحميد' قد التقى 'ابراهيم جاويد بك'[٣] الذي طلب من 'هرتزل' ان لا يطلب من السلطان 'القدس' باعتبارها مدينة مقدسة، كما طلب منه عدم المطالبة بإقامة نظام حكم جمهوري في 'فلسطين' ،لانه ما من شك ان ذلك سيؤدي الى غضب السلطان[٤] ، وكان الحديث بين 'هرتزل' و'إبراهيم جاويد بك' وعناصر أخرى مثل ناظر الحربية وبعض السفراء يدور حول مقدار الأراضي التي ستقتطع من فلسطين، ونظام الدولة الجديدة التي ستقام عليها ، وعلاقتها بالدولة العثمانية ، وكان اغلب هذه المحادثات تتم مع 'ابراهيم جاويد بك' حيث قال له 'هرتزل' :" ترغب جماعتنا في عرض قرض متدرج من عشرين مليون جنية إسترليني ، يقوم على الضريبة التي يدفعها اليهود المستعمرين لفلسطين لجلالته ، وتبلغ هذه الضريبة التي تدفعها جماعتنا مائة ألف جنية إسترليني في السنة الواحدة ، وتزداد الى مليون جنيه إسترليني سنويا ، ويتوقف هذا النمو التدريجي على الضريبة على هجرة اليهود التدريجية"[٥] ، وفيما بعد عبر 'احمد رضا' سنة ١٩٠٦ عن قبوله استقرار اليهود في الدولة العثمانية طالما كانوا مواطنين صالحين[٦] ، ولا يُستبعد ذلك اذا ما علمنا ان 'احمد رضا' أقام اتصالات مع 'الجمعية الإسرائيلية في 'مصر' (Misir Cemiyeti Israiliyesi)التي أسست من قبل اليهود الأتراك وكانت تساعد فرع جمعية الاتحاد و الترقي في 'مصر' ، وقام 'احمد رضا' بالاتصال بها خلال زيارته مصر سنة١٩٠٧ وكان نتيجة ذلك ان صوت ممثلو هذه الجمعية لصالحه في اثناء انعقاد مؤتمر جمعية الاتحاد والترقي في باريس سنة ١٩٠٧، مما ادى الى ترجيح كفته في الانتخابات ، وفوزه برئاسة الجمعية[٧].

---

(1) Neville J. Mandle . *The Arab and Zionism Before World War I* (California: University of California Press, 1976), P. 59 .

(2) Mandle . *The Arab*, p.59.

(٣) ابراهيم جاويد بك:١٨٦٦-١٨٩٩،ابن الصدر الاعظم خليل رفعت، عين سنة ١٨٩٥ عضواً في مجلس الدولة، وكان صاحب نفوذ. وتم اغتياله على يد رجل ألباني عام١٨٩٩. صايغ . *يوميات*، ص٥١٤.

(٤) صايغ . *يوميات*، ص ٣٣ ؛ خلف الله . *بين هرتزل* ،ص٣٧ ؛ انظر كذلك -ايوب .*وثائق* ،ج١ ،ص ١٢٧.

(٥) حسون . *العثمانيون* ، ص ١٨٧ .

(6) Loc.cit.,

(7) Atilhan . *Islami*, P. 155 .

وبعد فشل 'هرتزل' قام 'عمانوئيل قره صو' بمهمة الإنابة عنه في اتصالاته مع الدولـــة العثمانيـــة خصوصا مع المعارضة، حيث كان اتصال 'هرتزل' مع الدولة يسبب لها استفزازا بعد ان عرفـــت حقيقـــة نواياه ، وبذلك تم تفويضه للقيام بالمهمة التي فشل 'هرتزل' في تحقيقها[١] ؛ حيث استطاع من خلال تمتعـــه بالجنسيتين العثمانية والايطالية من تأسيس المحافل الماسونية ومن خلالها استطاع ان يصبـــح احـــد قـــادة جمعية الاتحاد والترقي الى جانب كونه من كبار قادة الماسونية[٢] .

---

(١) طوران . *أسرار* ، ص ٢٤-٢٥ .

(٢) حسون . *العثمانيون*، ص ١٩٠ .

الفصل الرابع

الفصل الرابع

ثورة ١٩٠٨

١- مجريات ثورة ١٩٠٨.

رأينا ما وصلت إليه جمعية الإتحاد والترقي، والأطوار المختلفة التي مرت بها، والصعوبات الجمة التي اعترضت طريقها، واتضح بحق قدرة الجمعية على التجدد في عدة مناطق مختلفة داخل الدولة العثمانية وفي اوروبا، وربما يكون أي تجديد في نشاط أي فرع مستقلاً في بدايته، إلا أنه سرعان ما توجد الوسيلة للاتصال بالجمعية الأم في 'باريس'، وهذا ما لمسناه من خلال اندماج أو احتواء جمعية 'وطن وحرية' التي أسسها 'مصطفى كمال'، و'جمعية الأحرار العثمانيين' التي أسست قبل الانقلاب بوقت قصير.

ويمكن القول أن الجمعية بزعامة 'أحمد رضا' المقيم في 'باريس' استطاعت أن تحظى بثقة الحكومات الأوروبية[١]. أما داخل الدولة فقد كانت منطقة 'مكدونية' التي شهدت نشاطا مكثفا للجمعية إزدهارا، خصوصا على مستوى الصحف، فمنذ سنة ١٨٩٥ كانت في المنطقة صحيفتان أو ثلاث بالفرنسية، وخمس أو ست صحف يهودية تنطق بالأسبانية، وثلاث أو أربع صحف باليونانية، وثلاث أو أربع بالتركية وعلى الأقل صحيفتان باللغة البلغارية، وواحدة بالرومانية، وكانت صحيفة 'العصر' (A sir) هي الصحيفة الأوسع إنتشارا من بين الصحف التركية حتى سنة ١٩٠٨[٢]. ويتضح جليا هنا أن تعداد وقوة الصحافة اليهودية في المنطقة زادت إجمالا عن صحف أي من الأقليات داخل الدولة، رغم أن يهود الدولة العثمانية يشكلون اقلية أصغر بكثير من الاقليات البلغارية أو الأرمنية أو الصربية أو الرومانية، وغيرها، بل ونرى أن الصحف اليهودية قد زادت عن الصحف الرسمية للدولة العثمانية.

أما عن تحالف جمعية الاتحاد والترقي مع المنظمات الأرمنية، فيوضحه السلطان 'عبد الحميد' بقوله:" لا يدهشني حب الأرمن للاستقلال، وخاصة بعد معرفة إثارة الدول الكبرى لهم بلا توقف، لكني أدهش لأن بعض الأفراد من تركيا الفتاة الذين هربوا إلى أوروبا، أصدروا هناك صحفا ضدي، وكانوا يتعاونون مع اعضاء المنظمات والجمعيات الأرمنية، كما أدهش لأنهم كانوا يأخذون منهم أموالا طائلة أيضا"[٣] ولما عقد اجتماع جمعية الاتحاد والترقي بين ٢٧-٢٩ كانون أول ١٩٠٧، قام 'أحمد رضا' بمقابلة 'شاريد جونتلي' (Chaired Jointly)، كما اجتمع الأمير 'صباح الدين' مع 'مالومين' (Malumin) اللذين يمثلان الجمعية الثورية الأرمنية[٤] التي ظهرت في بداية التسعينات من القرن

---

(١) الهدى . نيويورك، عدد ٤٦، السنة ١٢، الجمعية ١٦ نيسان ١٩٠٩، ص١٠.

(2) Tunçay – Zürcher . *Socialism*, p51.

(3) Bozdağ. *Abüdlhamid* ,p.59.

(4) Shaw – Shaw . *History* ,p. 265.

التاسع عشر، وانتهجت سياسة عزل أرمينيا قوميا بتسعير النعرات القومية ، والعداوة بين القوميات [١] ولقد طلب الاتحاديون مساعدات عدة منهم [٢] ؛ الأمر الذي بدأ بشكل متزايد تتأكد فيه فكرة الانقلاب العسكري [٣] ولاسيما بعد جذب العديد من قادة الجيش إلى جانب الجمعية ، خصوصا في مكدونية [٤] التي تعتبر الأكثر تأصيلا لأن تكون مأوى لأي ثورة [٥] ويمكن القول ان الظروف آنذاك كانت مواتية للثورة اكثر من أي وقت مضى، لذا فقد بدأت الحركة الانقلابية خصوصا بعد المشاغبات التي قامت بها بعض فرق الجيش احتجاجا على تأخير رواتبهم حيث يقول 'بوكستون' (Buxton) : " لقد كان دفع الرواتب يتأخر عن موعده باستمرار، وهذا يفسر؛ وان لم يكن يبرر النهب الفظيع للقرى مما رأيت آثاره في مكدونية" [٦] وأخذت الأمور بذلك تتطور بشكل كبير.

كان السلطان 'عبد الحميد' يعلم جيدا بأن أمورا غير تلك التي كانت في السابق تدور داخل صفوف الجيش، وربما يكون ' عاكف بك' وهو ملازم أول في إحدى فرق الجيش في 'استانبول' هو الذي أخبر السلطان بنية الجمعية القيام بثورتها، حيث كان 'عاكف بك' قد طرد من صفوف الجيش ، وانضم إلى صفوف الاتحاديين، حيث تلقى المساعدة اللازمة، وفي يوم التقى 'عاكف بك' في أحد شوارع 'باريس' مع 'ثريا بك' فأطلعه 'عاكف بك' على دسيسة عظيمة ، قال أن جمعية الاتحاد والترقي تدبرها ضد السلطان، ليس فقط في 'باريس'، بل وفي 'لندن' و'جنيف' و'بروكسل' و'صوفيا' عاصمة 'بلغاريا'، وقال 'عاكف بك': بأنه اكتشف هذه الأسرار عن شخص ثقة، واقترح على 'ثريا بك' إبلاغ السلطان 'عبد الحميد' بذلك، فيحضيا بمكانة خاصة، وقام 'ثريا بك' بإرسال برقية إلى السلطان 'عبد الحميد' يخبره بما تدبره الجمعية في أوساط الجند، فجاء الجواب الفوري بضرورة إرسال 'عاكف بك' ومعه 'ثريا بك' لمقابلة السلطان 'عبد الحميد'، حيث قصدا ميناء مرسيليا الفرنسي ليسافرا منها إلى 'إستانبول'، غير أن 'ثريا بك' غير رأيه قبل ركوبه الباخرة، وعاد عن عزمه، وأما 'عاكف بك' فحمل أوراقه الثمينة حتى وصل العاصمة [٧] ، وما أن تفحصها السلطان 'عبد الحميد' حتى وجد أن كثيرا من الضباط والقادة في جيشه منضمين إلى هذه المؤامرة[٨] .

ويعتقد أن جمعية الاتحاد والترقي كانت تنوى القيام بثورتها في ٣١ اب ١٩٠٨، وهو تاريخ يصادف يوم الذكرى السنوية لجلوس السلطان 'عبد الحميد'، ولكن الظروف اضطرتها للمبادرة بالعمل قبل

---

(١) ب . ن . بونوماريوف. *القاموس السياسي*، ترجمة، عبد الرزاق الصافي، (ط٣، بغداد: د.نا، ١٩٧٨ ، ص١٧٧.

(2) Loc.cit.,

(٣) مانتران . *تاريخ*،ص٢٣٧.

(٤) أحمد شلبي. *موسوعة التاريخ الإسلامي*، (ط١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢)ج٥،ص٧٥٩.

(٥) لبيب . *تاريخ*، ص،٩٣-٩٤

(6) Buxton . *Turkey*, p.30.

(٧) الهدى . نيويورك ، العدد ١٤٠، السنة ١١، ٦ آب ١٩٠٨، ص١.

(٨) المصدر والصفحة نفسهما.

التاريخ المذكور[١] وكان من أسباب تعجيل ثورة ١٩٠٨ انعقاد مؤتمر 'ريفال' (Reval) [٢] في ميناء 'استونيا' الروسي على بحر البلطيق بين٩-١٠حزيران ١٩٠٨، حيث اجتمع كل من الملك البريطاني 'إدوارد السابع' (Edward VII) وقيصر روسيا 'نقولا الثاني' (Nicholas II) [٣] واستهدف اللقاء تقسيم الدولة العثمانية، وإجبارها على إدخال إصلاحات [٤]. وقد ساد الاعتقاد في إمكانية استعداد 'انجلترا' للتنازل عن معارضتها التقليدية لأطماع 'روسيا' في الشرق الأوسط، خصوصا وصولها إلى المياه الدافئة، وهذا يعني نهاية الحكم العثماني في 'مكدونية'، وزاد من المخاوف أن الأسطول الروسي قام بمناورات بحرية على سواحل البحر الأسود بعد أيام قليلة من المؤتمر [٥]، في حين يذكر'أوزتونا' ان الموضوع الذي تناوله الاجتماع كان اتفاقا روسيا انجليزيا ضد 'المانيا' ، ولغرض اخفاء هذا الموضوع عن 'المانيا' ، اشاعوا ان هذا الاجتماع تناول الاصلاحات في 'مكدونية' ؛ واشاعت الجمعية ان كلا الحاكمين قد اتفقا حول اقتسام 'مكدونية'[٦] ، في الوقت نفسه الذي استطاعت فيه جمعية الإتحاد والترقي أن تكتسب تعاطف الألبان وتعاونهم [٧] ، حيث أقنعهم قادة الجمعية بعدم فائدة التعدي على النمسويين الذين يريدون جمع الإعانات، وعمل احتفالات لمدرستهم في 'اسكوب' [٨] .

وفي وقت متأخر من ربيع سنة ١٩٠٨ كانت التقارير التي تصل إلى السلطان 'عبد الحميد' تؤكد خطورة الوضع، بعد ملاحظة تغيرات كثيرة في الجيش، لذلك فقد عمل على إرسال لجنة لفحص الأمور لا سيما في 'سلانيك' بقيادة 'ناظم بك' الذي عين قائدا عسكريا عليها، لكن الأمور كانت قد وصلت إلى نقطة اللاعودة، لذلك فقد أصدرت الجمعية في 'سلانيك' امرا بإعدام 'ناظم بك' [٩].حيث أطلقت عليه النار فتم جرحه في حزيران ١٩٠٨ [١٠] ولم تتمكن الأجهزة الأمنية العثمانية من إلقاء القبض على مرتكب هذه العملية [١١] .

---

(١) لبيب . *تاريخ* ، ص ٩٥.

(٢) مجهول. *تلخيص التاريخ العثماني المصور، تعريب. شاكر أفندي الحنبلي*، (ط١، الشام : مطبعة الترقي، د . تا)، ص١٤٨ ؛

Miller . *The Ottoman*, p447.

(3) Feroz Ahmed . *The Young Turks, The Committee of Union and Progress in Turkish Politics 1908-1914* (Oxford: At the clarendon press, 1969) p.2.; Kansu. *The Revolution*, p86 ; Timothy . W. Childs . *Italo- Turkish Diplomacy and the Wor Over Libya 1911-1912* (Leiden : E. J. Brill , 1990)p.18.; Lewis , *The Emergence*, p. 202 ; Swallow. *The Sick Man* p.89.

(٤) طوران. *أسرار* ،ص١٤.

(٥) رامزور. *تركية* ، ص١٤٧.

(٦) اوزتونا. *تاريخ* ، ص١٧٤ .

(7) Miller. *The Ottoman* p.447.

(٨) لبيب . *تاريخ* ، ص٩٥.

(٩) نيازي . *خواطر*، ص٣٦.

(١٠) رامزور . *تركية* ،ص١٤٧.

(١١) نيازي . *خواطر*، ص٣٧.

وقام السلطان 'عبد الحميد' بعد ذلك بإرسال من هو أشد شكيمة، وأقوى عزيمة من 'ناظم بك' وهو الفريق العسكري 'إسماعيل ماهر باشا' لصد المتمردين، وتحت رئاسته هيئة مؤلفة من العديد من الضباط الكبار، وهذا ما اقلق جمعية الإتحاد والترقي[1].

وقد تكون هذه الأمور من أهم الأسباب التي عجلت بالثورة، كون الأمور قد كشفت، واتضح أمرها، وكان أي تأخير قد يعني جدياً قيام السلطان عبد الحميد بالقضاء على خلايا الجمعية، ومعاقبة أعضائها، مثلما حدث في أوقات سابقة في أحداث قريبة الشبه منها.

وفي حزيران قرر 'أحمد نيازي الرسنة لي' – أحد أعضاء جمعية الاتحاد و الترقي العسكريين – الصعود إلى الجبال وإعلان التمرد، حيث كاشف العديد من زملائه في الجمعية، واتفقوا على الاجتماع في 'بيت العاجز'، وهو أحد الأشخاص المتعاطفين مع الجمعية، حيث أقتنع 'نيازي' بضرورة إعلان الثورة مؤكداً أنه يستطيع جذب عساكر وقرويين يتكون عددهم من ١٥٠-٢٠٠ رجل، وقام بإعداد كل ما يحتاجه من أموال ودراهم وسلاح وأحذية وفروات[2] حيث قام بسرقتها من وحداته العسكرية عند هرويه [3]

وفي الاجتماع الثاني في بيت 'الحاج آغا ' أحد أنصار الجمعية، خطب 'نيازي' في أربعين أو خمسين رجلا بحماسة حيث دعا إلى :

١- الثورة .
٢- المطالبة بأن تبدأ الثورة من بلدته ' رسنة ' لأن البلغار في وقت سابق انطلقوا منها .
٣- التأكيد على أن العدة والعتاد جاهزة كلياً .
٤- إعلان الحرية والأخوة والمساواة [4]

ولقد قام 'نيازي' على الأثر بإسرار ما ينوي فعله إلى بعض الضباط الآخرين في ' رسنة' والذين وافقوه ووعدوه بكل مساعدة، ثم قام بترتيب شيفرة [5] لإحكام المراسلة فيما بينهم [6].

ولقد قام 'نيازي' بإرسال رسالة فيما بعد إلى 'رفيق بك' قومندان الفرقة الثالثة من الجيش ، يعتذر فيها عن أخذ السلاح والأموال التي بلغت أربعة وخمسين ألفاً وستين قرشاً من قاعدته [7].

واستمر مسير 'نيازي' فاستطاع دخول قرية 'لاحجة' حيث استقبل بحفاوة، واستطاع 'نيازي' السيطرة على المناطق الجبلية الوعرة وعلى عدد من القرى – وهناك قام بتحريض المسيحيين على الثورة

---

[1] المصدر نفسه ، ، ص٣٨ انظر Ahmed . *The Young Turk*, p.4 .

[2] المصدر نفسه ، ص٦٣-٦٥ ؛ Irfan Orga . *Phoenix Ascendand, The Rise of ModernTurkey* (London : Robert Hale lmited, 1958) P 28-29 ; Buxton. *Turkey* , P 57

[3] رامزور. *تركية* ، ص١٤٨؛

[4] نيازي . *خواطر* ص٦٦.

[5] انظر صورة عن استخدام الشيفرة في المراسلات بين قادة جمعية الاتحاد والترقي في الملحق رقم٤.
- Yusuf Hikmet Bayur .*Türk lnkilâpl Tarihi* (Ankara : Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1991) Cilt 1 ,Kisim, l p.475 .

[6] نيازي . *خواطر*، ص٦٩-٧٠.

[7] نيازي .*خواطر*، ص٨٨-٨٩.

(١) – وأثناء ذلك وفي ٢٤ حزيران عاد احد الضباط الاتحاديين ويدعى ' بختيار آغا' من مناستير ودفع الى 'نيازي' امرا من الهيئة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي في 'مناستير'، مؤرخ بـ ٢٣ حزيران ١٩٠٨، فقام 'نيازى' بقراءته على أعضاء جمعيته، وجاء فيه.

١- أنه سيتم إمدادهم بطبيب مع كل ما يحتاجونه من أدوية.
٢- أنه سينشر في الصحف الأوروبية ما يقع عليه اختيار الهيئة المركزية 'بمناستير' من الأوراق.
٣- التنبيه على أن العصابات في المدن والقرى وعلى الأطراف مستعدة للإيقاع بالحكومة.
٤- يأمرهم فيه باستخدام الشيفرة، خصوصا في الرسائل المهمة.
٥- يوضح الأمر إمكانية ظهور وانضمام 'أنور بك'– انور باشا فيما بعد –في وقت قريب(٢).

ولقد عمت الفرحة أعضاء الجمعية الذين يقودهم 'نيازي' خصوصا لإمكانية انضمام 'أنور بك' معهم، وبالفعل فقد قام 'أنور بك'،وهو ضابط صغير عضو في الجمعية بـالتمرد، وقرر اللجوء إلى الجبال (٣).

بهذا بدأت مرحلة جديدة من التنسيق والتنظيم بقيادة 'نيازى' و'أنور بك' اللذين قادا قوات التمرد ضد السلطان 'عبد الحميد'، في الوقت نفسه الذي إنضم فيه العديد من قادة 'البلغار' وعلى رأسهم ' جرجيس راغب ' إلى الجمعية، حيث وعد بمساعدتهم، حتى أن 'نيازي' قضى ليلته فرحا وطربا بسبب التوفيق الذي انهال عليه(٤).

وإلى جانب هؤلاء كانت العصابات البلغارية التي انضمت إلى عصبة 'نيازي'، حيث يقول :" لقد لحق بالعصابة البالغ عددها مائتي رجل الآن عصابات 'البلغار' وقد تابوا التوبة النصوح ...ممن كانوا إلى اليوم يطوفون الجبال كالحيوانات المفترسة ويعتدون على أهل الشرف" (٥).

واثناء هذا التقدم الذي كان يحرزه 'نيازي' من حيث انضمام الجيش والعصابات المختلفة إليه، قام السلطان بإرسال الفريق أول 'شمسي باشا' (Şemsi Paşa) ،حيث عهد إليه إخماد العصيان الذي يقوم به 'نيازي' و'أنور' في 'مكدونية'، لا سيما في 'مناستير ' و'رسنة' (٦) وجاء في كتاب التكليف :" من يلدز إلى حضرة شمسي باشا الفريق الأول، رسالة تعلمه أن نيازي وأتباعه قد كسروا مخزن الطابور، وأخذوا من بنادق 'ماوزر' الألمانية الموجودة وهي نحو مائة، وأنهم اغتنموا النقود التي كانت بالصندوق، فاصتين

---

(١) المصدر نفسه ، ص٩٠-١١١.

(٢) انظر نص الأمر كاملا في المصدر نفسه، ص١١٧-١١٩.

(٣) رامزور . *تركية*، ص١٤٨ ; Volkan – Itzkowitz .*The Immortal* ,p.60

(٤) نيازي . *خواطر* ١٢١.

(٥) المصدر نفسه، ص١٢١-١٢٢.

(6) Halide Edib . *Memoirs of Halide Edib* (New York – Arno Press: Anew York Times Company , 1972) p.255 ;Bayur . *Türk* , P 455 ; Ahmed. *The Young Turk*, p. 8 ; Swallow. *The Sick Man* P.89 ; Lewis . *The Emergence* ,p.204.

بنادق 'ماوزر' الألمانية الموجودة وهي نحو مائة، وأنهم اغتنموا النقود التي كانت بالصندوق، قاصدين إلى 'أستنية' ويطلب من شمسي تأديب هذه الفرق وتطهيرها"

رئيس كتاب الحضرة السلطانية

تحسين

٢٠حزيران ٣٢٤ (١)

وقام 'شمسي باشا' بالمسير من 'استانبول' صوب 'مناستير' في ١٩ تموزعلى رأس فرقتين عسكريتين من ٨٠٠ جندي لمهاجمة 'نيازي'، لكن الجنود تمردوا، ورفضوا إطلاق النار على زملائهم (٢) بل أن 'شمسي باشا' نفسه قد قتل على يد 'مفيد بك' أحد رجال 'نيازي' بجرأة بالغة، وذلك عندما كان 'شمسي باشا' يستعد لمهاجمتهم في جبال 'رسنة' (٣) ولقد كان لهذا الحدث أهميته بحيث أدى الى رفع معنويات المتمردين في حين رأى فيها السلطان 'عبد الحميد' تدهورا للأحوال الأمنية داخل دولته .

وبعد ذلك قام 'أنور بك' بارسال برقية إلى صحيفة 'نيوفراى برس' (Neue Freie Presse) الصهيونية الفرنسية، جاء بها :" أن هذا هو اليوم الأول للحرية، الشعب بأكمله أتراك وبلغار وصرب، الخ احتفل بهذا العيد، إذا كان السلطان لا يهتم بمطالبنا، سنقوم بالزحف إلى القسطنطينية" (٤) .

ولقد قام السلطان 'عبد الحميد' أثر ذلك باستدعاء الصدر الأعظم 'فريد باشا' (Ferid Paşa) وطلب منه القيام بعمل وزير الحربية لإخماد الثورة، والسيطرة على العصيان، لكن 'فريد باشا' الذي امتاز بحذره وقدرته رفض التدخل فيما يقوم به المتمردون(٥)،في الوقت الذي استطاعوا فيه استقطاب وتعاطف الكثير من قادة الجيش حتى أن الفرقة الثانية في 'أدرنة' (Edirne) والفرقة الثالثة في 'مكدونية' العسكريتين ، أصبحتا تحت إمرة 'نيازي' و'أنور' (٦) كما قام 'نيازي' بتشكيل لجان لإعداد الأهالي إلى جانب الجيش (٧) ذلك الجيش الذي لم يكن في الواقع من أعضاء الجمعية بل قام الضباط بإعدادهم للثورة (٨).

ولقد ازدادت المناطق التي وقعت تحت سيطرة ونفوذ 'نيازي' و'أنور' ومن هذه المناطق ' رسنة' و ' اسكوب' و'مناستير' و 'سلانيك' وبعض المناطق والقرى الأخرى (٩) حيث وصل نفوذهم لدرجة التحكم

---

(١) نيازي . *خواطر*، ص١٣٥-١٣٧.

(2) Pears . *Life* , p 288.

(3) Ahmed . *The Young Turk* ,p.8 ; Bayur. *Türk*, p.456 ; Volkan – Itzkowitz . *The Inmortal* p.60.

(4) *Revue du Monde Musulman* T,5, 1908, p. 718 انظر نص هذه الرسالة في الملحق رقم ٦.

(5) Pears . *life,* p.288 ; Swallow . *The Sick Man* p.89 .الاتحاد العثماني. بيروت،العدد ٨٧ ، ٧ كانون ثاني،١٩٠٩ ص٢.

(٦) أصاف . *تاريخ*، ص١٣٦ ; Edib . *Memoirs*, P. 256 .

(٧) أصاف . *تاريخ*، ص١٣٦.

(٨) رامزور . تركية، ص١٣٦.

(9) Edib . *Memoirs*, P.255 –256 ; Bayur. *Türk* ,P.459-466 ; Peter Mansfield .*The Ottoman Empire and its Successors* (London: The Macmillan Press L.t.d, 1973) P.24.

فيها والسيطرة عليها سيطرة شاملة، وتذكر رسالة واردة إلى صحيفة 'لندن' من مراسلها ما بلغه هؤلاء من سيطرة ، وذلك انه قبيل إعلان الدستور بيومين كان ضباط من الجيش العثماني في شوارع 'سلانيك' يقومون بلصق البيانات الثورية على الجدران، وفي مرة حاول أحد رجال الشرطة اعتراض الضابط الذي يقوم بهذا العمل، فأطلق عليه الرصاص وتم قتله، وفي حادثة أخرى جاء أحد الضباط واعترض الاعتراض نفسه، فقال له الضابط الاتحادي الثوري لا تقاطعني في عملي، فأنا أعطيك بخشيشا، ومد يده إلى جيبه واستخرج رصاصة ووضعها في كف المعترض، ففهم هذا ما يعنيه الأمر ، وهذا حدث في أهم شوارع 'سلانيك' المأهولة[١].

كان الأمر يوحي بأن جيش الجمعية سيزحف إلى العاصمة بشكل حتمي، إذا لم يقم السلطان بالعمل على صد المتمردين، وكانت قد طرحت العديد من التساؤلات في عدم إرسال السلطان 'عبد الحميد' قوات عسكرية قوية كبيرة لمواجهة المتمردين، ويعتقد أنه لما أراد أن يرسل بقواته إلى الأناضول ليصد الثوار في الشمال أخذ الرأي العام ينظر إلى ذلك بمنظور أن جيشا مسلما يزحف ضد مسلمين ، الأمر غير المقبول، وقد جمع السلطان 'عبد الحميد' علماء المسلمين لاستصدار فتوى تحل له ذلك فما كان من المجلس الذي يعتبر اعلى مجلس شورى في المسائل الدينية ، إلا أن اصدر فتوى تحرم على المسلم ان يشهر السلاح في وجه أخيه المسلم [٢] وإلى جانب ذلك كان السلطان 'عبد الحميد' نفسه غير مقتنع بالعنف وسيلة للتصدى للمتمردين، وهذا ما ابتعد عنه منذ بداية توليه مقاليد الدولة سنة ١٨٧٦.

ويوضح السلطان 'عبد الحميد' موقفه من ذلك الأمر فيقول :"سيقولون لي : انك تعلم كل هذا، ومع ذلك لم تتصد له، ولم تمنعه، لماذا أغمضت عينيك عن خراب الدولة وانهيارها؟ حاشا ليست المسألة مسألة إغماض عين، لقد كنت يقظا في كل لحظة، لكن لم أكن أستطيع منع هذا، كنت بمفردي وكان معهم كل أعداء العالم ، لم تكن طبيعتي ولا ظروفي تساعدني إلا بهذا القدر. ويدينني أصدقائي بأنني متساهل، أما أعدائي فيقولون أني ظالم غدار، والجانبان مخطئان، فلا أنا كنت السلطان سليم الأول ولا بلاد السلطان سليم الأول كانت تحت إمرتي... [لقد] أديت واجبي وسعيت وراء المصالح، وحرصت ألا أوذي الأهالي، عارضت سفك الدماء في كل مكان، ولكن عبثا ما فعلته، وليس ما قدمته لأعضاء تركيا الفتاة شفقة" [٣].

وبهذا يتضح أن السلطان 'عبد الحميد' كان يرغب حقا في حل جميع المشكلات التي طرأت من أجل أن يستتب الأمن داخل الدولة، فلا شيء يمنع القوات الاتحادية من التقدم في ظل موقف السلطان 'عبد الحميد' هذا، وبذلك كان ملزما بما تطالب به جمعية الإتحاد والترقي ظاهريا وهو إعلان الدستور.

---

(١) الهدى. نيويورك. العدد ١٤١، السنة ١١، الجمعية ٧ آب ١٩٠٨،ص١ .

(٢) النبراوي – مهنا. *قضايا*، ص١٤٥؛ لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع أنظر – سعيد بن محمد الشرقي. *ليلة خلع السلطان عبد الحميد الثاني الأخيرة، رواية شاهد عيان*، دراسة وتحقيق، محمد عيسى صالحية(دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨).

(3) Bozdağ . *Abdülhamid* , p.64-65.

وفي الصباح الباكر من يوم الخميس ٩ تموز ١٣٢٤ رومي/١٩٠٨/١٠ جمادى الآخرة ١٣٢٦هـ اجتمع الباب العالي 'مجلس الوزراء' حتى الساعة الثامنة ليلا، وجرت فيه مناقشات حامية اشترك فيها 'رضا باشا' قائد الجيش ودافع عن الاتحاديين في موقفهم بخصوص اعلان الدستور ، أما 'اسماعيل باشا' فقد طالب بالتنكيل بالمتمردين والقضاء عليهم [١]. في الوقت الذي حاول فيه بعض الوزراء حمل السلطان على المماطلة والتمهل، غير أن السلطان قال في آخر الاجتماع بلهجة المقرر للرأي : "أنا الذي منحت الدستور في الأصل ، وقد كنت أنشره كل سنة في التقرير الرسمي ، لذلك سوف آمر بإجراء الانتخابات حالا بموجب الدستور الأصلي كما هو قائم" [٢].

وفي يوم الجمعة ١٠ تموز ١٩٠٨ تأخرت الصحف عن الصدور، فبدأت التساؤلات عن سبب تأخرها في حين كانت 'الحرية' قد أعلنتها الجمعية في 'مناستير' و'سلانيك'، وأصوات المدافع تلعلع في كل مكان ، وكان السهم قد خرج من قوسه، وبعد هذه الساعات من التأخير، صدرت الصحف معلنة أن الحكم سيكون مقيدا في كافة الأقطار العثمانية، وان إرادة سنية ستصدر بهذا الشأن، وفيما بعد سمعت أصوات المدافع حول 'استانبول'، وتعانق القساوسة بالمشايخ واليهود والنصارى بالمسلمين وأعلنت الحرية بشعارات جمعية الإتحاد والترقي 'الحرية والعدالة والمساواة' [٣] وأعلن الدستور في يوم الجمعة ٢٥ جمادى الآخرة١٣٢٦ هـ [٤] ٢٤ تموز ١٩٠٨ [٥]. وتذكر صحيفة 'الهدى' أن الصدر الأعظم 'فريد باشا' وناظر الحربية 'رضا باشا'، وشيخ الإسلام 'جمال الدين أفندي' هم الذين نصحوا السلطان بإعلان الدستور دون تأخير [٦].

كان السواد الأعظم من الأمة العثمانية يجهل الدستور ومزاياه وكانوا غير مستعدين الإستعداد الكافي لتفهمه، كما أن الرجال الدستوريين الأكفاء كانوا قلائل في الدولة [٧]. ومما يدلل على ذلك، وحتى على جهل كثير من الاتحاديين بالدستور، أن جمعية الاتحاد والترقي في 'استانبول' قامت بالاستعانة بأربعمائة من علماء الدين أرسلتهم إلى الولايات الآسيوية لإلقاء الخطب، وإفهام الناس معاني الدستور [٨] ،ويعتبر أن المعارضين للدستور من طبقة الخواص، كانوا أكثر من المؤيدين [٩].

---

[١] طوران . *أسرار*، ص٥٣ .

[٢] الهدى . نيويورك . العدد ١٤١، السنة ١١، الجمعة ٧ آب ١٩٠٨، ص١.

[٣] طوران. *أسرار* ،ص٥٣-٥٤.

[٤] علي . *خطط* . ج٣،ص٣١٦.

[٥] مجهول . تلخيص، ص١٤٨.

[٦] الهدى . نيويورك . العدد ١٤٠، السنة ١١، الخميس ٦ آب ١٩٠٨،ص١.

[٧] المقتطف . ج٥، م٣٥، ١ نوفمبر ١٩٠٩،ص١٠٥٩.

[٨] البشير . بيروت. العدد ١٨٧٧، ٢٨ أيلول ١٩٠٨ ،ص٢.

[٩] حرب. *السلطان*، ص٨١.

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت السلطة الفعلية في يد جمعية الاتحاد والترقي بعد دخولهم 'استانبول' ، وقام السلطان بإسناد مناصب الوزارة الى الوزراء الذين أشارت عليهم الجمعية [١] ،مثل تعيين 'حسين حلمي باشا' صدرا أعظما [٢].

بعد هذه الأحداث شهدت الدولة العثمانية موجة كبيرة من عودة قادة الجمعية المتواجدين في المنفى مثل 'رحمي بك'، و'حسين جاهد'، و'جاويد بك'، وهم من يهود الدونمة[٣]. كذلك زعيم جمعية الإتحاد والترقي في 'فرنسا' 'احمد رضا' و'بهاء الدين شاكر' [٤] و'ناظم حكمت' وآخرين حيث تم استقبالهم بحفاوة بالغة، وأقامت الجمعية لهما حفلين لتكريمهم، وقد بقيت القوة السياسة والعسكرية داخل الجمعية في يد رجال 'سلانيك' [٥] حيث وصلت سلانيك آنذاك إلى قمة ازدهارها حيث أقيمت المسارح ودور السينما، و العديد من النوادي، وقاعات الاجتماعات والعديد من المحافل الماسونية، وحوالي عشر مطاعم.. الخ، حتى "أن مدينة سلانيك وصلت إلى ذروة ازدهارها بعد أحداث ثورة ١٩٠٨ "[٦].

وبمجرد أن سيطرت جمعية الإتحاد والترقي على زمام الأمور، حتى تحول رجالها إلى مجموعة من المتعطشين للسلطة، وكانوا على استعداد لفعل أي شي من أجل احتفاظهم بمراكزهم التي حصلوا عليها [٧] لذلك فقد قاموا بإعدامات عاجلة لكبار رجال الشرطة السرية، وأقالوا وزارة 'فريد باشا'، وصدر العفو العام وفتحت أبواب السجون [٨] ، ذلك أن الجمعية قدمت عريضة للسلطان 'عبد الحميد' يطالبونه فيها بالتوقيع عليها، وهي بخصوص إصدار العفو العام ، ولما سألهم السلطان 'عبد الحميد'، أليس في هذا الشمول خطر، ولما أجابوا بأنه لا يوجد أى خطر، قام بالتوقيع عليها [٩] ، وهذا الأمر أدى إلى انتشار الجرائم، حيث يذكر 'مصطفى طوران' أنه شاهد بعينيه حادثة اجرامية كانت جراء القرار الذي اتخذته الجمعية فيقول :" لقد شهدت بأم عيني حادثة تقشعر منها الأبدان، ما زلت أتخيلها، إذ كان من بين المساجين وحش في صورة بشر اسمه ' أحمد الجزار' حكم عليه بالإعدام بسبب قتله عددا من الأشخاص، ثم خفض الحكم الى المؤبد، ولما أطلق سراحه مع بقية المحكومين، نزل إلى الشارع، وأخرج سكينه من جيبه، وبدأ يطعن كل من يصادفه في الطريق. فقتل تسعة أشخاص، ثم توارى عن الأنظار، ونشرت الصحف الحادث بالتفصيل، وتمكن القاتل من الفرار إلى اليونان" [١٠].

---

(١) المقتطف . مصر ، ج١٠، م٣٣، ١ أكتوبر ١٩٠٨،ص٨١٣.

(2) Childs . *Italo*, p. 21 ; Bozdağ . *Abdülhamid* . P.109.

(٣) مانتران . *تاريخ* ، ص٢٤٧ ؛ المؤيد . مصر، عدد ٥٧٤٨، الأحد ٢٥ أبريل ١٩٠٩، ص١.

(٤) مانتران . *تاريخ*، ص٢٤٧.

(5) Zürcher . *Turkey* , p.98.

(6) Tunçay - Zürcher . *Socialism*, p. 51.

(٧) صويص . *أتاتورك*. ص٥٣.

(٨) شاكر . التاريخ ، ص٢٠٥.

(٩) طوران . *أسرار*، ص٥٦.

(١٠) المصدر والصفحة نفسهما.

ولقد قامت جمعية الإتحاد والترقي بإرسال برقياتها إلى قناصل الدول الأجنبية، تخبرهم فيها انـــها لن تمسهم، وأن جميع حقوقهم محفوظة مكفولة [١]، في حين كان الحدث الهام أن السلطان 'عبد الحميـد' أمر باتخاذ الترتيبات اللازمة لعقد البرلمان العثماني لأول مرة منذ أكثر من ثلاثين سنة [٢] أي منذ افتتاحـه لأول مرة في آذار ١٨٧٧ [٣]،حيث جرت الانتخابات له في ظل هذا الجـو مـن التوتـر،ولقـد اختلـف المؤرخون في عدد الأعضاء حيث يذكر 'زين نور الدين زين' : أن عدد الاعضاء كان ٢٦٠ منـهم ١١٩ نائبا تركيا و ٧٢ نائبا عربيا ، أما بالنسبة لعدد المسلمين فكانوا ٢١٤ والمسيحيين ٤٢ واليهود ٤ [٤].

أما 'ساطع الحصري' فيذكر ان عدد الأعضاء كان٢٧٥ نائبا، ١٤٢ أتراك و٦٠ من العـرب و٢٥ من الألبـان و٢٥ مـن الاروام، و٢٤ مـن الأرمـن و٥ مـن اليـهود، و٤ مـن البلغـار، و ١ مـن الفلاخ(الرومان)[٥]، في الوقت نفسه الذي يذكر فيه، 'جورج أنطونيوس' أن عـدد الأعضـاء كـان ٢٤٥ عضوا، من بينهم ١٥٠ من الأتراك و ٦٠ من العرب[٦].

ولقد مثل 'القدس' في هذه الانتخابات ثلاث مسلمين هم: 'روحي بك الخالدي المقدسي' ، و'سعيد بـك الحسيني' ،و'حافظ بك السعيد'، كما انتخب اثنان من 'فلسطين' هما الشيخ 'أحمد أفندي الخماسي' عن لـواء 'نابلس'، و'أسعد الشقيري' عن لواء 'عكا' [٧]،وخلال هذه الانتخابات حـاولت الحركـة الصهيونيـة فـي فلسطين العمل على تثبيت قدميها على المستوى السياسي والقانوني؛ فدعت اليهود للانتساب لفرع جمعيـة الإتحاد والترقي في 'القدس'، بل وقامت بترشيح أحد أعضاء الحركة الصهيونيـة فـي الانتخابـات وهـو مدير بنك' أنجلو فلسطين' (Anglo – Palestine) عن القدس ، لكنه فشل في مسعاه هذا بسبب معارضـة الفلسطينيين لهذا الترشيح ، كما أن الناخبين اليهود يشكلون نسبة ضئيلة لا تكفي لإنجاح مرشحيهم [٨] .

---

(1) Zürcher . *Turkey*, p.97.

(2) Mandle . *The Arab*, p.58.

(3) Lord Kinross . *The Ottoman Centuries, the rise and fall of the Turkish Empire* (New York : Morrow quill Paper Back, 1977) p.529.

(٤) زين . *الصراع* ، ص٥٥ ، زين . نشوء ، ص ٧٩.

(٥) الحصري . *البلاد*، ص١١٠ ؛ قارن مع – أوزتونا .تاريخ ،ج٢ ، ص١٧٩ ؛ Ahmed . *The Young Turk* p.28

(٦) أنطونيوس . *يقظة*، ص١٧٩.

- والحقيقة ان عدد أعضاء مجلس المبعوثان كان مثار خلاف شأنه في ذلك شأن تمثيل الأقليات فيه، حيث يذكـر Peter Mansfield أن عدد مجلس المبعوثان كان ٢٤٥ منهم ١٥٠ من الاتراك ٦٠ من العرب انظـر . Mansfield . *The*= = *Ottoman* ,P25 في حين يذكر 'بوكستون' Buxton أن عدد الأرمن كـان ١٢ والبلغـار ٤ والصـرب ٢ والفـلاخ (Vlachs) ١ واليهود ٣– أنظر . Buxton . *Turkey* ,p.208. في حين يذكر 'برنارد لويس' ان العدد الإجمالي لمجلس المبعوثان كان ٢٨٨ منهم ١٤٧ من الاتراك و٦٠ من العرب و٢٧ من البانيا و٢٦ مـن اليونـان و١٤ ارمنـي و١٠ سلاف (ويشمل البلغار والصرب والمكدونيين ....الخ) و٤ يهود.

– Bernard Lewis. *The Jews Of Islam* (London : Routledge & Kegan Paul, 1984) P.179.

(٧) حلاق . موقف ، ص٣٠٦.

(8) Elie Kedourie – Sylvia . G. Haim (ed) . *Palestine and Israel in The 19 Th and 20 Th Centuries* (London : Frank; Cass 1982) p24- 25.

ورغم هذا فقد استطاع خمسة ممثلين عن الصهيونية واليهودية من الوصول إلى مواقعهم في مجلس المبعوثان كان على رأسهم 'عمانوئيل قرة صو'، الذي خرج ممثلا عن مدينة 'سلانيك' وهو زعيم من زعماء الماسونية، واحد أصحاب الكلمة المتنفذة في جمعية الإتحاد والترقي[1].

وفي ١٠ كانون أول ١٩٠٨ افتتح مجلس المبعوثان [2] وذلك بحضور السلطان 'عبد الحميد'، وسائر الأمراء العثمانيين، حيث هاجم بشدة 'بلغاريا' التي أعلنت في ٥ تشرين أول١٩٠٨ استقلالها ونادت باميرها قيصرا على البلغاريين، كما هاجم 'النمسا' التي ضمست في ٧ تشرين أول ١٩٠٨ 'البوسنة والهرسك' نهائيا إليها [3] ثم قال :" وأصدرت إرادتي بإجراء الانتخابات وعقد مجلس النواب طبقا لأحكام الدستور، وعلى تحول شكل الإدارة وجه مسند الصدارة إلى عهدة 'كامل باشا' فتألفت الوزارة تحت رئاسته وأخذت تبحث في التشكيلات والتنظيمات اللازمة ، موجها نحو الإدارة الداخلية" [4].

أما عن موقف جمعية الإتحاد والترقي تجاه 'بلغاريا' و'النمسا' فقد دل على عجز واضح وهم الذين يمسكون فعليا بزمام الأمور، حيث اقتصرت أفعالهم على مقاطعة البضائع النمساوية دون أن تستطيع الظهور بمظهر القوة والدفاع عن حقوقها بالسلاح[5]. وبذلك اقتطعت أجزاء هامة من الدولة.

أما عن موقف أوروبا من ثورة ١٩٠٨ فقد صفقت طربا و اعجابا بها دون دهاء تذكر ، وحرصت 'انجلترا' بلسان وزير خارجيتها السير 'ادوارد غراي' (Edward Gray) التأكيد بأن المسألة المكدونية وما شاكلها من المسائل قد اختفت نهائيا بظهور الدستور ، ورحب 'حزب الأحرار البريطاني' بالنظام العثماني الجديد ، ولقد بلغت من ثقة أوروبا بالاتحاديين أن ألغت رقابتها الأجنبية عن 'مكدونية' حيث تركت سائر امور الدولة لحكمة جمعية الإتحاد والترقي وفطنتها [6].

واما العصابات الارمنية والبلغارية والصربية واليونانية المسلحة التي كانت لا تنقطع عن تربص الفرص لمهاجمة المخافر، وإحراق القرى، فقد قامت بالخروج من معاقلها ونزلت إلى مراكز الإدارة، تعلن تأييدها للعهد الجديد، عهد الحرية والعدالة والمساواة، حسب الشعار الذي اشتهرت به الجمعية بين

---

(1) Miller . *The Ottoman* ,p.479.

(2) Buxton . *Turkey*, p . 127; Mansfield. *The Ottoman* ,P25-26 ; Swallow. *The Sick Man*, p.89-90 ; Ahmed. *The Young Turk*, p.31

- يذكر Kinross وأوزتونا : أن مجلس المبعوثان افتتح أبوابه في ١٧ ديسمبر ١٩٠٨ – Kinross . *The Ottoman* ,p57
أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢ ، ص١٧٧ .

(3) Buxton . *Turkey*, p.209 ; Kinross . *The Ottoman* ,p.576.; Child . *Italo* , P .21 - انظر
لبيب . *تاريخ*، ص٩٧ .

(4) انظر نص الخطاب كاملا في مجلس المبعوثان في العمران . دمشق . عدد ٣٩٢، ج١٥، م٢، السنة ١٣ ، ٢٦ ديسمبر ١٩٠٨، ص٢٥٥-٢٥٦.

(5) لبيب . *تاريخ*، ص٩٨-٩٩؛ أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢ ، ص١٧٨ .

(6) لبيب . *تاريخ*، ص٩٧ انظر Ahmed . *The Young Turk*, p.36-37

الناس [١] ، حيث صدر عفو عمومي عنهم ، وبذلك عادت كل هذه العناصر الضاربة الهاربة الى تكوين وتنظيم نفسها من جديد ، بعد ان فتحت كل الابواب لها ، واصبح تأمين السلاح من الاقطار الخارجية الى هؤلاء أمرا أكثر سهولة. وفتحت منظمتا 'الهنشاك' و'الداشناك' شعبا لها بصورة رسمية ، وعلقت لوحاتها في شوارع 'استانبول' [٢].

ولقد شهدت أجنحة جمعية الإتحاد والترقي تنافساً شديداً ، فقد ظهر للملأ انتصار جماعة 'أحمد رضا بك' القائلة بسياسة دمج وصهر عناصر الدولة، وبالحكم المركزي على جماعة السبرنس 'صباح الدين' الذي لم يفقد مكانته الشعبية رغم دعاية الاتحاديين التابعيين 'لأحمد رضا' ضده [٣]، ومن اجل ذلك عملت الجمعية على ان يقوم اليهود والمسيحيون بالخدمة العسكرية، حيث صرح الدكتور 'ناظم بك' (Nazim Bey) –أحد قادة جمعية الاتحاد والترقي-: "...يجب النظر في تنظيم الخدمة العسكرية، لأن المساواة في الحقوق يوجب عن غيرهم المساواة في الواجبات، وقد كان المسيحيون والإسرائيليون حتى الآن يعفون من الجندية وهم اليوم يطالبون بالقيام بها على نحو ما يخدم المسلمين" [٤].

اما بالنسبة للعرب، فقد حملت الثورة معها الكثير من الوعود بالتغيير، وقد احتاج هؤلاء إلى بعض الوقت على أية حال لاكتشاف تلك التغيرات[٥]،لكن العرب فيما بعد فوجئوا بتجاهل الجمعية لهم كلياً فقد استبد هؤلاء بالحكم حتى ان صحيفة 'الكون' هاجمت التفريق بين التركي والعربي فقالت:" ولكن حال السيادة لا يزال كما كان، ولا يزال الأتراك هم القابضون على أعنة الحكم، وبيدهم زمام الأمور، فإذا كانت هذه الحركة الجديدة باسم الأمة كلها، فمن الواجب ان تشترك بمنافعها كل الأمة، وإذا كان الأتراك لا يفرقون بين العثماني والعثماني من حيث الجنس والمذاهب، فهذه احسن الفرص يستطيعون فيها ان يأتونا بالبرهان، نحن لا نتمنى أحسن من ان نعد كلنا أبناء وطن واحد، ولا جامعة لنا إلا العثمانية، وكل العناصر العثمانية"[٦].

يمكن القول أن العلاقة بين جمعية الاتحاد والترقي والعرب كانت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، ولا سيما وأن ظهور القومية التركية تزامن مع ظهور القومية العربية، الأمر الذي جعل محاولات التوفيق فيما بينهما عملية صعبة، وادرك العرب حقاً ما كانوا عليه من الاحترام والتقدير الذي كان يكنه السلطان 'عبد الحميد' لهم.

وربما يعود سبب العلاقة السيئة هذه إلى عدم دراية جمعية الاتحاد والترقي بشؤون السياسة كما صرح 'جاويد بك' –أحد كبار قادة جمعية الإتحاد والترقي الذي أصبح فيما بعد وزيراً للمالية – حيث

---

(١) الحصري . *البلاد*، ص ١٠٩.

(٢) أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢ ، ص١٧٩-١٨٠ .

(٣) برو . *العرب*، ص٦٩.

(٤) المقتبس . دمشق، العدد ١٣، السنة ١، الأربعاء ٣٠ كانون الأول ١٩٠٨،ص١.

(5) Mandle. *The Arab*, P.58.

(٦) الكون . نيويورك السنة ٣، الخميس ٨ تشرين الاول ١٩٠٨، ص١ .

أوضح للسكرتير الأول بالسفارة البريطانية بأن جمعية الاتحاد والترقي تضم الشبان الذين تنقصهم الخبرة في الاعمال الإدارية بالرغم من تحصيلهم العلمي، كما أنهم كانوا يفتقرون إلى الاحترام والتقدير أيضا [١]. وهذا فتح امام العرب آفاق جديدة، ذلك أن جمعية الإتحاد والترقي كانت ثورة على المفهوم المألوف للإسلام وعلى المرامي الإسلامية العالمية الجامعة عند السلطان 'عبد الحميد' الذي كان يسعى لأن يكون الزعيم الديني والدنيوي للمسلمين جميعا[٢] .

ورغم هذه الأحداث الهامة والمتلاحقة يبرز السؤال الأهم، وهو لماذا بقي السلطان 'عبد الحميد' سلطانا على سدة الحكم بعد ثورة ١٩٠٨؟.

يمكن القول في ذلك أن خلع السلطان 'عبد الحميد' كان على سلم أولويات جمعية الإتحاد والترقي، وهي لم تفكر يوما في إبقائه على عرش الدولة، كون ذلك يشكل غاية الخطورة على طموحاتها وتصوراتها والسنوات التي ناضلوا من أجلها، ويعتقد أن السبب في ابقائه ، أن الجمعية لم تشعر بالقوة الكافية لفعل ذلك فعلى الرغم من الثورة وما ألصق بالسلطان 'عبد الحميد' من تهم، إلا أنه كان لا يزال يحظى بالاحترام والتقدير الذي طالما حصل عليه سلاطين بني عثمان باعتباره ضرورة دينية ودنيوية لا غنى للعثمانيين عنه، وكانت الشعوب العثمانية ترى المحاولات التي قام بها خليفة المسلمين لحماية دولته من الأطماع الأوروبية، وهو الأمر الذي جعل الجماهير تثق بقدرته وذكائه وسياسته التي ربما لا تتوفر في أي شخص أخر قد يكون خلفا له ، في الوقت نفسه الذي خشيت فيه الجمعية رد فعل الجماهير التي كانت رغم الثورة تهتف بحياة السلطان ، لذلك كان الأمر يوجب عليهم التريث.

أما الجيش فقد لعب دورا هاما في ابقاء السلطان 'عبد الحميد' في مركزه، وقد ذكرنا أن الجنود العثمانيين لم يكونوا بالضرورة أو حتى على الإطلاق ينتمون إلى جمعية الإتحاد الترقي، فقد كانوا مجرد جنود عاديين يتكونون من مختلف فئات المجتمع العثماني، ولم تتجرأ الجمعية على نشر دعايتها بين جميع الجنود ضد السلطان نفسه، لأن هؤلاء كانوا يجلون السلطان، لا لمكانته كرئيس للدولة الدينية (الثيوقراطية) فحسب، بل للدور التقليدي الذي كان يقوم به السلاطين من حيث قيادتهم للجيش في مثل تلك الدولة العسكرية ايضا [٣].

ولقد تجمع العديد من الجنود إلى جانب عشرات الألوف من الجماهير الذين تجمعوا حول القصر السلطاني يهتفون 'عاش مولانا السلطان' (بادشاهم جوق ياشا – Padişahim Çok Yaşa) [٤]. وتكرر ذلك الأمر في الجيش الثالث فقام أحد الضباط خطيبا بالجماهير والجيش فقال : "إن الدستور لم يمنحه

---

(١) حلاق . *موقف*، ص٣٣٩

(٢) ت. أ . لورانس . *أعمدة الحكمة السبعة* (ط٣، بيروت : دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩) ص١٥.

(٣) رامزور . *تركية*، ص١٥٠.

(٤) الهدى . نيويورك ، العدد ١٣٣ ، الأربعاء ٢٩ تموز ١٩٠٨، ص٢.

السلطان من تلقاء نفسه بل انتزع بجهود الجمعية، ثم قام الضابط بنزع الشعارات المؤيدة للسلطان وأيده في ذلك الجنود أنفسهم، لكن أعضاء الجمعية لم يكونوا يثقون بما قد يفعله هؤلاء الجنود فيما بعد [1].

ان هذا الموقف بعث الأمل في نفوس الضباط الاتحاديين ، إلا أن هذا الأمل سرعان ما خاب سريعاً، حيث حدث رد فعل عنيف من قبل الجنود ضد ضباطهم ، حيث أعلنوا انهم يعتقدون ان هدف الضباط كان قتل السلطان 'عبد الحميد' أو عزله ،وأصر الجنود على إرسال وفد منهم مكون من ٣٠٥ جنود إلى العاصمة ليؤكدوا للسلطان ولاءهم، وليتأكدوا أن السلطان في أمان [2].

لذلك فإن هذا الأمر ألزم الجمعية بعدم التشدد في قضية خلع السلطان أو نفيه، لأن من شأن ذلك المغامرة الحقيقة بكل منجزات الجمعية، لذلك فقد استكفت الجمعية بإبقاء السلطة الحقيقة في يدها مع الأخذ بعين الاعتبار تحييد السلطان والعمل على إيجاد الفرصة الملائمة لخلعه .

---

(١) رامزور . تركية ، ص١٥٠-١٥١.

(٢) المصدر والصفحة نفسهما.

٢- أحداث مارس وخلع السلطان عبد الحميد الثاني ١٩٠٩.

رأينا أن جمعية الإتحاد الترقي سيطرت على زمام الأمور بالكامل، وكان مركزها في 'سلانيك' هو المسيطر على الجمعية وقراراتها، وكانت "حالة الولايات لا تستوجب الاطمئنان، ففي أوروبا نجد 'ألبانيا' و'مكدونية' منعزلتين عن مركز السياسة الرسمي، ولو لم تكن منافسة الدول لكانت انفصلت عن الدولة منذ زمن طويل، وها هي 'سلانيك' الآن قد قامت في وجه 'الأستانة'، وتريد أن تكون عاصمة جديدة اكثر حرية وألصق بأوروبا من الأستانة العثمانية الآسيوية، والظاهر الآن أن سلانيك أصبحت لها الغلبة على الأستانة" [١].

ولقد عٌين كثير من اليهود الدونمة والماسون في مناصب كبيرة، منهم 'جاويد بك' الذي عين وزيراً للمالية،وهو يهودي الأصل وماسوني بارع الذكاء موهوب، فيما عين 'طلعت بك' وزيرا للداخلية وهو الآخر ينتسب للمحافل الماسونية، كما قدم 'حلمي باشا' الصدر الأعظم، طلباً للالتحاق بالمحفل الماسوني لكنه لم يلاحق طلبه [٢].

أما بالنسبة للقوانين، فقد أعلنت الأحكام العرفية ولمدة سنتين ، وكان معظم الضباط في المحاكم العرفية العسكرية من الماسون، وأمر مجلس النواب أن يصدر قانوناً صارماً للمطبوعات، وكان مدير المطبوعات يتمتع بسلطات واسعة حيث يستطيع إيقاف أي صحيفة عن الصدور، إذا وجهت إلى 'العهد الجديد' أي انتقاد ، كما أنشأت وكالة أخبار تلغرافية شبه رسمية تقدم رأى جمعية الاتحاد والترقي في الأحداث الداخلية، ووضعت تحت إدارة يهودي من 'بغداد'، وكادت المساعي أن تؤتي ثمارها في تعيين يهودي صهيوني من 'سلانيك' مستشاراً لوزارة العدلية [٣].

كل تلك الأحداث وعدم تحقيق الجمعية للشعارات التي رفعتها وازدياد الانقسام في المجتمع العثماني جعلت 'ابراهيم تيمو' المؤسس الحقيقي يشعر بخيبة أمل، حيث سمع 'جمال بك ' - الوزير جمال باشا فيما بعد - يقول له:" إن هذه الجمعية ليست تلك التي أسستها والتي قمت بالدعاية لها في الخارج، إن هذه الجمعية نتاج مناستير وسلانيك"، ولقد أصيب 'إبراهيم تيمو' بخيبة أمل أخرى عندما قام فرع جمعية الإتحاد والترقي بسحب ترشيحه لانتخابات البرلمان العثماني الجديد [٤]. الى جانب حالة الفوضى والصراع على السلطة واضطراب الوضع وغموض المستقبل والتضييق على حرية الكلام والصحافة والميل إلى الإستبداد، أي كل ما يتناقض مع ما كافح في سبيله [٥]. وبذلك ضعف دور 'ابراهيم تيمو' الذي ناضل طويلاً من أجل أهداف جنى آخرون ثمارها، حيث قرر مع مجموعة من أصدقائه القدامى ومن

---

[١] المؤيد . مصر، عدد ٥٧٥٤، ٢ مايو ١٩٠٩، ص١.

[2] Kedourie . *Arabic*, p.251.

[3] Loc . cit.

[٤] كلشي .*الوجه*، ص٣٧-٣٨.

[٥] المصدر نفسه، ص٣٨.

أبرزهم الدكتور 'عبد الله جودت' و'درويش هيما' أن يؤسس حزباً خارج نطاق جمعية الإتحاد الترقي التي كان قد أبعد عنها رسمياً ، وفي ٦ شباط ١٩٠٩ تأسس 'الحزب العثماني الحر الديمقراطي' وهو أول حزب ديمقراطي داخل الدولة برئاسة 'ابراهيم تيمو' في الوقت الذي اختير فيه 'عبد الله جودت' نائباً للرئيس[١]. إلا أن هذا الحزب لم يكن على المستوى الكافي لإحداث تغيرات سياسية داخل الدولة. كما قام الليبراليون في وقت سابق بفصل أنفسهم رسميا وأسسوا ' حزب الأحرار العثماني' (Osmanli Ahrar Firkasi) بزعامة البرنس 'صباح الدين' في ١٤ أيلول ١٩٠٨ ، حيث كانت خلافاته مع الجمعية أو بالأحرى مع 'احمد رضا' قد اشتدت لا سيما بعد سيطرة جناحه على الجمعية بأسرها[٢].

وفي ٣ نيسان ١٩٠٩ كونت مجموعة من المشايخ والعلماء جمعية 'الإتحاد المحمدي' (اتحادي محمدي Ittihadi Muhamiedi) وقاموا بإصدار صحيفة ' ولكان' (Volkan) وكانت هذه الجمعية ضد السياسة التي تتبعها جمعية الاتحاد الترقي وهي تدعو للتمسك بالشريعة الاسلامية (Şeriat)[٣].

والحقيقة أنه بعد ثورة ١٩٠٨ شهدت الساحة العثمانية نشاطاً كبيراً في تكوين الأحزاب التي اتخذت تجاه بعضها مواقف سياسية وذلك بعد أن تحولت برامج جمعية الاتحاد والترقي إلى مزيد من المركزية الدكتاتورية والاضطهاد القومي للأقليات داخل الدولة [٤].

أما الصحافة فقد أطلق لها العنان، حيث قامت بتطبيق خطة الجمعية في مدحها ، والنيل من السلطان 'عبد الحميد' ومركز الخلافة، إلا أنه وجدت إلى جانب ذلك صحف أخرى معارضة لجمعية الاتحاد والترقي.

ولقد قامت جمعية الإتحاد والترقي بطرد من وصمتهم ' بالظلم والاستبداد ' من أنصار السلطان 'عبد الحميد' دون أية تعويضات، وكان الجيش آنذاك ينقسم إلى قسمين من الضابط، الأول: دخل الكليات العسكرية فتخرج ثم ترقى في مناصبه، والثاني: ترقى بفضل خدماته وتحمله المشاق في شتى أنحاء الدولة وقد قامت جمعية الاتحاد الترقي بتسريح القسم الثاني بجرة قلم دون أية تعويضات تذكر أو رواتب ، فساءت أحوالهم وأصبحوا من المعادين للجمعية [٥]. وإلى جانب الجيش كان هناك طلاب المدارس الشرعية الذين فرضت عليهم الجمعية التجنيد الإجباري بعد أن كانوا معفيين منه، وقام هؤلاء بمناصبة الجمعية العداء كذلك [٦].

---

(١) كلشي .*الوجه*، ص٣٨-٣٩.

(2) Feroz Ahmed. *The Making of Modern Turkey* (London – New York : Routledge 1993) p. 34; Ahmed. *The Young Turk* ,p.28.

(3) Kinross. *The Ottoman*, P.576 ; Zürcher. *Turkey*, p.34 ; Ahmed .*The Young Turk*, P.40..

(٤) بيرى أندرسون . *دولة الشرق الاستبدادية*، ترجمة، بديع عمر نظمي (ط١، بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٣) ص٤٠.

(٥) طوران . *أسرار*، ص٦١.

(٦) المصدر نفسه، ص٦١-٦٢.

وأما من حيث جمعية الاتحاد والترقي نفسها، فقد ظفر نفر منها بالمناصب الهامة، مثل القائم مقام أركان حرب 'جمال بك' والبكباشي أركان حرب 'أنور بك' ،والبكباشي اركان حرب 'فتحي أوقيار' الذين أصبحوا ملحقين عسكريين، وقسم عز عليه ان تكون الأسلاب والمناصب حكراً على فئة دون الأخرى ، فلجاؤوا إلى المعارضة [1].

ويمكن ايجاز أعمال جمعية الاتحاد والترقي بعد سيطرتهم على سياسة الدولة بما يلي :

١- التدخل في شؤون الحكم مباشرة.
٢- منح الوظائف العامة لأعضائها ، وطغيان المطامع الشخصية.
٣- ابتلاء رؤسائها بحب الظهور والرياسة.
٤- كانت أعمالها بوحي هواها، لا بما تحتمه القوانين العامة.
٥- استخدام الجيش وقوى الحكومة كرأس حربة لتنفيذ سياستها بدلاً من القانون والمنطق.
٦- عدم البحث عن الكفاءة والأهلية في شغل الوظائف العامة خصوصا فيما يتعلق بالوزراء وقادة الجيش .
٧- الاستمرار في استخدام طرق الجمعيات السرية لتحقيق سياستها [2].

أما العرب فقد اعتقدوا أن إعلان الدستور من جديد كان بمثابة حياة جديدة ترتقي بالدولة وبجميع شعوبها الى مصاف الدول الحية الراقية، فوجهوا كل عنايتهم الى هذه الغاية وتناسوا كل شيء في تحقيق ذلك [3]،إلا أن جمعية الإتحاد والترقي سرعان ما أساءت الظن بالعرب، حيث عملوا عند السلطان 'عبد الحميد' على إخافته من قيام العرب على إقامة خلافة عربية [4]؛لكن هذه المسألة أرقت الاتحاديين فيما بعد أكثر مما أرقت السلطان نفسه.

أما في العاصمة 'استانبول' ، فقد قامت صحيفة 'إقدام' (Íkdam)- التي كان 'حسين جاهد بك ' يقوم بتحريرها مع صحيفة 'صباح' (Sabah) [5]. بانتقاد خطة جمعية الإتحاد والترقي فقالت : " ان الدستور لا يبيح عقد جمعيات سرية، لذلك يتوجب على الجمعية أن تحل نفسها طبقاً للدستور، ورأت الصحيفة أن الجمعية قد أنهت وظيفتها ويتوجب عليها عدم التدخل في الأمور السياسية [6].

---

(١) طوران . أسرار،ص٦١.

(٢) حمادة . *الأدبيات*، ص٣٥٠.

(٣) مجهول . *ثورة* ، ص٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٨.

(٥) إلى جانب صحفية 'صباح' و'إقدام' قام 'حسين جاهد' مع 'توفيق فكرت' Tewfik Fikret بتأسيس وتحرير صحيفة 'طنين' Tanine في ٢٠ يوليه ١٩٠٨ انظر - Edib. *Memoirs* ,P.257.

(٦) البشير . بيروت، العدد ١٨٩٢، ٤ كانون ثاني ١٩٠٩،ص٣.

ولقد طالب 'الآلاي صادق بك'[١] بأن يكون الجيش بعيداً عن الماسونية حيث قال: " ومن هذه الوجهة لا يجوز أبداً أن يكون للجيش العثماني صلة بالتحاق الماسونية او غيرها. قد تكون الماسونية نافعة للإنسانية، ولكن ذلك لا يمنع وجوب بقائها في دائرتها، وليست مقاومتي للماسونية أكثر من اجتهاد في منعها من الانتشار في صفوف الجند، وأنا احترم كل عامل من العوامل الدافعة للإنسانية، ولكن يجب الا تكون لهذه العوامل علاقة بالسياسة"[٢].

ويبدو أن 'صادق بك' قد راعى قوة الماسونية، لذلك فقد عبر عن عدم صلاح الماسونية ، بغض النظر عن أهدافها للجيش، والتي يبدو أن 'صادق بك' نعتها بأن لها أهداف إنسانية بحكم رغبته في عدم خسران حياته، لكنه كان يرى أن تترك الجمعية للحكومة الحرية في عملها، وتكتفي بالمراقبة عليها، فلا تتعرض لشيء الا إذا رأت الدستور مهدداً بالزوال، لذلك فقد عوّل 'صادق بك' على تقديم استقالته، لأنه كان يرى اشتغال الضباط والجيش بالسياسة من أعظم الأخطار التي تهدد الدولة [٣].

وإلى جانب ذلك فقد اشتهر عن قادة جمعية الإتحاد والترقي البعد التام عن الدين، بل ان عددا منهم قد جاهر بعداوته للإسلام واعلن الحادة، وهذا الأمر أثار عداوة رجال الدين وأصحاب المدارس والطرق الدينية [٤]. ويمكن إجمال القول أن البلاد العثمانية أصبحت ضحية لغفلة هؤلاء وإنها لغفلة لا يمكن الصفح عنها [٥].

أحداث ٣١ مارت 31 Mart Hadisesi [٦]

اتضح مما سبق ان جمعية الإتحاد الترقي لم تلتزم قط بما كانت تدعو إليه من حرية التعبير والحكم الدستوري والحريات الفردية واحترام الأديان والأقليات، والقضاء على 'الإستبداد' بل أن استبدادها فاق كل ما شاع عن بعض السلاطين وكانت الأمور تنذر حقاً بحدوث تغير، فلقد تكونت هناك طبقة كبيرة من المعارضين من مختلف الاتجاهات الدينية والعسكرية والسياسية.

---

(١) المير آلاى صادق بك. مير: امير وآلاى: تركية تعنى اللواء أو الفرقة الكبيرة والكلمة تعنى إجمالا قائد الفرقة، وهي ما يعرف باللواء. وصادق بك هذا هو الذي وقف بوجه الاتحاديين والماسونية اليهودية فألف حزب " الحرية والائتلاف" وانضم إليه "كامل باشا" و"حسين حلمي باشا" و"محمود مختار باشا" وهم من الذين شغلوا منصب الصدر الأعظم في أوقات سابقة. إبراهيم صالح شكر. *قلم وزير، تاريخ ما أهمله التاريخ من حوادث المسألة العربية، الحجاز وسوريه والعراق*، تحقيق، خالد محسن إسماعيل، (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٧٠) ص٦٤.

(٢) الآلاي صادق بك. *"بيان الأمير الآلاي صادق بك في الدستور والجيش والسياسة العثمانية"* (الماسونية والاتحاد العثماني) المنار، ج٥م١٤، ص٣٧٧ ؛ حمادة. *الأدبيات*، ص٣٤٦

(٣) شيخو. *السر*، ك٦ ،ص٣٤.

(٤) محمد علي. *السلطان*، ص ٣٢٥.

(5) Bozdağ. *Abdülhamid*, p. 64-65.

(٦) ٣١ مارت حسب التقويم الرومي لسنة ١٣٢٥ ويصادف ٢٢ ربيع الاول ١٣٢٧هـ ،الموافق ١٣ أبريل ١٩٠٩م .

لقد قامت الجمعية بزعزعة كيان الدين الذي كان العامة يرون فيه سبب عزتهم وكرامتهم، وفي أحيان كثيرة قام الاتحاديون بالبطش برجال الدين، وأدخلوا العديد منهم السجون، وكان ذلك البداية لإشعال الفتنة ، في الوقت الذي لم يتلق هؤلاء العلماء ورجال الدين أي نوع من التحقير والضربات أثناء تعاملهم مع ' المدافع عن العقيدة' السلطان 'عبد الحميد' [1]. لذلك كله بدأت الصحف المعارضة لسياسة جمعية الاتحاد والترقي تقوم بمهاجمة الجمعية ومن هذه الصحف، كانت 'سربستي' (Serbesti) التي هي لسان حال 'حزب الأحرار' الذي يقوده الأمير 'صباح الدين' ، حيث أخذت تطعن في الجمعية وتنشر شيئا من أسرارها وافعالها[2]، ولما كانت سياسة الجمعية تكميم أفواه الصحف المعارضة فقد بدأت بـ 'حسن فهمي بك' رئيس تحرير صحيفة 'سربستي' حيث تم اغتياله ليلة ٧ نيسان ١٩٠٩ على جسر 'غلاطة' (Galata) [3]، وقام القاتل الذي كان يلبس بدلة ضابط من تلك التي كان يلبسها ضباط جمعية الإتحاد والترقي[4]، بإلقاء نفسه في البحر حيث كان زورق صغير ينتظره فلاذ بالفرار، قبل ان تتمكن الشرطة من إلقاء القبض عليه، وعلى الرغم من إلقاء القبض على عدد من الأشخاص فيما بعد، إلا أن القتلة الحقيقيين كانوا من كبار رجال الجمعية، ولم تصل لهم التحقيقات [5] ، ونشرت الجمعية الجملة المعهودة "رغم التحريات لم يعثر على القتلة " [6] .

ولقد قامت جمعية الاتحاد والترقي بإصدار منشور للصحف تبرأت فيه مما تتهمهم به هذه الصحف من قتل 'حسن فهمي بك' ، ونفوا أنهم قتلوا أو حرضوا على قتله ، وأن الجمعية بعيدة كل البعد عن ذلك[7].

وفيما بعد أسفرت التحقيقات عن تغيب بوليس نقطة الجسر من جهة 'غلاطة 'عن مكان وظيفته، كذلك تغيب شخصين من البوليس مكلفان بالوقوف بجانب الجسر، فألقي القبض عليهما [8] وهذا التغيب لأفراد البوليس اعتبر متعمدا، وعزز الاعتقاد بأن الجمعية هي التي تقف وراء ذلك الحادث، ولقد حاولت جمعية الاتحاد والترقي قتل 'إبراهيم تيمو' بنفس الطريقة [9] ، وكان لذلك الحادث أثره في النفوس في ظل وجود ظروف غاية في التوتر والآراء المسبقة التي تكونت لدى عامة الشعب عن جمعية الاتحاد والترقي ، وإلى جانب ذلك كانت هناك حادثة أخرى تمثلت في تحول جنازة 'حسن فهمي' إلى مظاهرة عارمة

---

(1) Mardin, *The Genesis*, p.408.

(٢) المؤيد . مصر، الثلاثاء ٢٠ أبريل ١٩٠٩، ص٤.

Ahmed, *The Young Turk*, p.38-39.

(٣) طوران. *أسرار*، ص٦٣ ؛ Kuran. *Inkilâp Harketleri* , p461 , Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, p276 .

(٤) آلما وتلن. عبد الحميد *ظل الله على الارض*، ترجمة راسم رشدي، (القاهرة: د.نا، ١٩٥٠)، ص ١٩٢.

(٥) طوران. *أسرار*، ص ٦٣.

(٦) أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢، ص١٨٠ .

(٧) العمران. دمشق، العدد ٤٠٦ السنة ١٣، ج٢٩م٢، ١٧ أبريل ١٩٠٩، ص٥١٠.

(٨) المصدر والصفحة نفسه .

(9) Kuran. *Inkilâp Harketleri* , p.461, Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, p276 .

اشترك فيها الآلاف [1]. ورغم ذلك لم تتوقف الصحف المعارضة عن العمل، فقد كانت هناك صحف تضايق وتعارض الجمعية في سياساتها مثل صحيفة 'نيري حقيقت' (Neyyiri Hakikat) وصحيفة 'سنجو' (Süngü) وصحيفة ' بومبا' (Bomba) التي كانت تصدر في 'سلانيك' [2].

ومهما يكن من أمر، فقد حدث هناك أمر آخر كان بمثابة الشرارة الثانية في أحداث ٣١ مارت وكان ذلك هذه المرة في ثكنة ' طاش قشلة' [3](Taşkişla) ويذكر 'مصطفى طوران' أحد شهود العيان لهذه الحادثة بقوله: "وفي الجمعة الثانية عشر من عام ١٣٢٥ رومية، وبعد أن حضرنا الاستعراض في يلدز عدنا إلى ثكنتنا طاش قشلة،فوجدنا في كل مهجع شيخا ذا لحية وعمامة، رأيناهم يلقون دروس الوعظ بين الجنود الذين لم يشتركوا في الاستعراض، وعلمنا فيما بعد أن قيادة القوات الخاصة هي التي طلبت منهم هذه الدروس الدينية، وكان عدد المهاجع في هذه الثكنة يتجاوز الثلاثمائة، وسألنا بعض هؤلاء المشايخ عما إذا تقاضوا أجرا لقاء هذا العمل، فقالوا: بأن موظفين حكوميين قدموا إلى مدارسهم، فأعطى لكل واحد منهم سلفة مقدارها ليرة ونصف، وأنهم سيقومون بإلقاء هذه الدروس بالتناوب في ثكنتي 'طاش قشلة' و'به أوغلي' (beyoĝlu) "[4]. وهي أكبر الثكنات العسكرية في الدولة، ثم يتساءل 'مصطفى طوران' ألم يعلم القادة في هذه الثكنة بهذا الأمر، وهل يعقل أن كل هؤلاء المشايخ يدخلون ويخرجون دون علم من قادة هذه الثكنة [5].

أما الشق الثاني في الحادث، فكان يوم ٣١ مارت حيث دعي إلى اجتماع عام في الثكنة ، وكان النداء يتضمن اسم كل فرقة مع ذكر أرقام كتائبها وطوابيرها، ولما اجتمعت الفرق جميعها في ساحة الثكنة، دقت موسيقى الاستعداد والتحية لجنرال باشا لم يره أحد في الثكنة من قبل، وكان معه عدد من الضباط، وبعد أداء المراسم، قال الجنرال بأنه سيتلو إرادة سلطانية فقال:" لقد تراءى في أجواء بلاد الروم سحب سود تهدد مقدرات البلاد، هذه السحب ليست دلائل خير، انكم يا أبنائي الجنود حراس هذا الوطن. من سواكم يدفع الكيد عن الإمبراطورية التي بناها أجدادنا قبل ستمائة عام، وروتها الأجيال بدمائها، ولكي تكون رؤيتكم للعدو واضحة، أطلب منكم أن تلبسوا قبعة جديدة لقد أصدر شيخ الإسلام فتوى بجواز لبس هذه القبعة، فمن الواجب عليكم إطاعة أولي الأمر ..."[6]. ثم أخرج الجنرال من صندوق كان محمولا قبعة وقام بلبسها[7]، ولم يدر في خلد أحد أن هذا الجنرال الباشا والضباط الذين معه لبسوا زيفا لبس الضباط،

---

(١) وتلن. عبد الحميد، ص١٩٢-١٩٣; Kuran. *Inkilâp Harketleri* , p.461, Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, p276

(2) Loc. cit.

(٣) طاش قشلة. تقع هذه الثكنة في وسط أستانبول، وهي الآن كلية الهندسة في إستانبول.

(٤) طوران . *أسرار* ،ص٧٥.- به أوغلي : حي من أقدم أحياء إستانبول .

(٥) المصدر نفسه،ص٧٦.

(٦) المصدر نفسه ،ص٧٦-٧٧.

(٧) المصدر نفسه، ص٧٧ ؛ انظر – وتلن . *عبد الحميد*، ص١٩٢.

ليحبكوا الفتنة، حيث أن ارتداء قبعة لرجل مسلم في الدولة يعني إلقاء شعلة في برميل من البارود، وقامت الهيئة المزيفة تلك بفعل الأمر نفسه في ثكنة المدفعية في 'به أوغلي' (1).

وما إن اختفت هذه الهيئة من هذه الثكنات، حتى كان هناك جواسيس لبسوا لباس ضباط صف (رقباء وعرفاء) دب فيهم النشاط، فقام شخص يدعى ' عمر ناجي' وصعد عربة عسكرية، يخطب بالجنود قائلا :" أيها الأخوة الجنود اقتربوا مني، لي بعض كلمات أقولها، ألسنا مسلمين؟ ألم يرسلنا آباؤنا وأمهاتنا لخدمة هذا الدين المبين؟ أتدرون ما معنى لبس هذه القبعة في الإسلام؟ معناه ان نخلع عهد الاسلام من رقابنا، ونصير كفارا، فماذا تنتظرون، لقد ضحى آباؤنا وأجدادنا بأرواحهم في هذا السبيل، إن الإسلام ينتزع منكم، ثم خاطب كتيبة الرماة قائلا: أقول لكم أيها الأبطال : أجئتم بالحرية كي نصبح كفارا؟ ألم تكن مهماتكم حماية الحرية وحماية الإسلام الذي هو ديننا"(2).

وكان جواسيس جمعية الإتحاد والترقي المنتشرين بين الجنود يطالبون بتنظيم مسيرة إلى مجلس المبعوثان، حيث علا الصراخ والضجيج، ودقت الموسيقى لحمل السلاح، ولما أراد بعض العقلاء منعهم اعتقلوا جميعا، كذلك حدث في ثكنة 'به أوغلي ' (3) وبذلك تجمعت الأحداث لتخرج على شكل ثورة 31 مارت (4).

بذلك ثار الجنود ومشوا صفوفا وكلهم جذوة نار تتقد (5)، وإلى جانبهم انضمت كتيبتا الرماة الثالثة والرابعة، وكتيبتا القوات الخاصة السابعة والثامنة، حيث قام بعض المحرضين بإطلاق النار من مسدساتهم، فأتبعهم الجنود بإطلاق نيران رشاشاتهم، وفي الطريق انضم إليهم جنود آخرين إلى جانب العديد من المدنيين، وسار هذا الموكب الضخم نحو 'جسر غلاطة'، حيث قتل ' حسن فهمي بك' (6).وهناك كان الجيش القادم من ثكنة 'به أوغلى' قد لحق بالثائرين، وعند وصولهم إلى 'المسجد الجديد' (يني جامع)، استقبلهم جمع كبير من طلاب المعاهد الدينية المميزين بعمائمهم البيضاء،وهم يصرخون على أولئك الذين يريدون أن يلبسوا الجنود القبعات الأوروبية (7).

وكان الجيش أكثر الناس مشاركة في الأحداث حيث ارتفعت أصوات أسلحتهم في الشوارع وهم يهتفون: 'عاش مولانا السلطان 'بادشاهم جوق ياشا' (Padişahim Çok Yaşa)(8). في حين كان طلاب

---

(1) طوران . *أسرار*، ص78 ؛ انظر – وتلن .عبد *الحميد*، ص192.

(2) طوران . *أسرار*، ص78-79.

(3) المصدر والصفحة نفسهما؛ انظر –Atilhan.. *Islâmi* ,P.186

(4) المؤيد . مصر ، الثلاثاء 20 أبريل 1909، ص4.

(5) الهدى . نيويورك، عدد 44 سنة 12،الاربعاء 14 نيسان 1909ص2 .

(6) طوران. *أسرار*، ص80 ؛ مانتران. *تاريخ*، ص251.

(7) طوران. *أسرار*، ص80.

(8) Kuran. *Inkilâp Tarihimiz* ,p.277 ; Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, p461.

الشريعة والمعاهد الدينية يهتفون: ' فلتعش الشريعة المحمدية (ياشا سون شـريعة محمديـة- Yaşasin Şeriati Muhammadiye)[١].'نريد تحكيم الشريعة'[٢].

ولقد اجتمع هؤلاء الدراويش والأئمة وعلماء الدين وفرق الجيش وطلبة المعاهد الدينيـة[٣]حتـى أصبحوا في موكب ضخم على شكل سيل جارف من البشر. ثم توجهوا إلى ساحة مسـجد 'آيـا صوفيـا' وهناك كان الناس قد ملؤوا الساحة حتى تسلقوا أشجار الكستناء الباسقة كأنهم جراد منتشـر، ثـم قـاموا بمحاصرة مجلس المبعوثان، وسط صيحات المطالبين بتطبيق الشريعة وأصـوات الآذان المنطلقـة مـن العربات التي تجرها الخيول [٤]

وهناك في هذه الساحة طالب جميع المحتشدين بتطبيق الشريعة، ومع أن السلطان 'عبـد الحميـد' أرسل رئيس كتابه 'علي جواد بك' حال سماعه نبأ هؤلاء، يخبرهم فيها أن الشـريعة بخـير وانـه ليس بمقدور أحد مهما كان المس بها، إلا أن هؤلاء كانت لهم مطالب أخرى سياسية أكثر منها دينية وهي:

١- عزل الصدر الأعظم 'حلمي باشا' وناظر الحربية 'رضا بك' و ناظر البحرية.
٢- طرد 'أحمد رضا' رئيس مجلس المبعوثان، و'حسين جاهد بك'، و'جاويد بك'، و'رحمـي بك'، و'طلعت بك'، وهم من يهود الدونمة. إلى جانب العديد من قياديي الجمعيـة أمثـال القائد العسكري 'إسماعيل حقي بك'.
٣- العفو عنهم، وضمان عدم تقديمهم للمحاكمة.
٤- عزل 'محمود مختار باشا' قائد الجيش الأول ، كونه لم يشترك معهم في مطالبهم [٥]

ولقد ابتدأت الأحداث في 'إستانبول' وامتدت إلى ولاية 'أرضروم' كما امتـدت إلـى 'ديـار بكـر' وغيرها من المناطق[٦]،وأثناء ذلك الهياج قام المتظاهرون الذين يهتفون بحياة السلطان بهدم' قوس النصـر' التذكاري الذي أقامته جمعية الإتحاد والترقي ابتهاجا بإعلان الدستور فـي 'أضنـه'[٧] ونـادى الضبـاط 'الآلايات' بتسريح ضباط الجيش خريجي الكليات والمعاهد العسكرية [٨].

ويجمل 'ارمسترونج' ذلك الأمر بقوله: "يهود وماسون وليسوا أتراكا ولا مسلمين، وكل ما يهدفون إليه هو القضاء على الإسلام والخلافة ... لقد تمرد جنود القسـطنطينية، وقتلـوا ضباطـهم وسـجنوهم

---

(١) الحصري. *البلاد*، ص١١١.

(٢) طوران. *أسرار*، ص ٨٠ ؛ الشناوي. *الدولة*، ج٢، ص١٠٠٦.

(٣) الشناوي. *الدولة*، ج٢، ص١٠٠٦، انظر Zürcher. *Turkey*, p. 100-101.

(٤) طوران. *أسرار*، ص٨٠ ؛ وتلن. *عبد الحميد* ، ص١٩٤ ؛ Ahmed. *The Young Turk*, p.26-27.

(٥) المحامي. *تاريخ*، ص٧٠٧، Ahmed. The Young Turk ,p. 40-41 ؛ انظر – العمران. دمشق، عدد٤٠٦، سنة ١٣، ج٢٩، م٢، ١٧ أبريل ١٩٠٩، ص٥١١.

(٦) رفيق العظم *الانقلاب الميمون* "المنار، مصر، ج٥، م١٢، ص٣٤٢.

(7) Miller. *The Ottoman*, p. 480.

(8) Lewis. *The Emergence*, p.216.

...وأعلنوا ولاءهم للسلطان خليفة الرسول الأعظم، ثم استولوا على القسطنطينية وطردوا أعضاء جمعية الإتحاد والترقي منها"[١]. ولقد اتسمت هذه الأحداث بالعنف، كونهم اعتبروا الدستور الذي يحكم البلاد مسؤولا عن النكبات التي حلت بالدولة، ومنافيا للإسلام [٢]، وأما هؤلاء المتجمعين امام مجلس المبعوثان، فقد سمعوا أصوات طلقات نارية، وانتشر خبر يقول: ان أحد الذين يريدون جعل المسلمين كفارا قد قتل ،ثم تبين بعد ذلك مقتل 'محمد شكيب أرسلان بك 'نائب 'اللاذقية' ، وأرادوا سحبه في الشوارع وتمزيقه ظنا منهم انه'حسين جاهد بك' [٣] وما قتل إلا لمشابهته به [٤].

ولما رأى 'ناظم باشا' ناظر العدلية (Adliye Naziri) فداحة ما حصل تملكته الشجاعة، فظهر من إحدى النوافذ، وخاطب المتجمهرين قائلا : "يا أبنائي الجنود، إنكم لمخدوعون، مخطئون في ظنكم، الشريعة قائمة لم يمسها أحد بسوء، وما أن أتم كلامه، حتى صرخ أحد المتجمهرين، اقتلوه إنه عدو الشريعة الأول، وقام 'حمدي جاويش' وهو أحد ضباط الصف بإطلاق النار عليه ظنا منه أنه 'أحمد رضا'، رئيس مجلس المبعوثان [٥].

إلى جانب ذلك فقد أصيب ' رضا باشا' ناظر الحربية في فخده، واستمر هؤلاء في البحث عن 'أحمد رضا' و'حسين جاهد' بعد أن تأكدوا من نجاتهما، ثم قاموا بهدم نادى جمعية الإتحاد والترقي، وإدارتي صحيفتي ' طنين' (Tanin) و'شوراى أمت' (Şurayi Ümmet) ونهبوا ما فيهما، ثم هجموا على المدرسة الحربية ليقتلوا من فيها، فقتل العديد منهم [٦] على يد الضباط والجنود الذين حصلوا على رتبهم نظير خدماتهم في الجيش.

وكان قد أرسل منشور بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٠٩ إلى جميع الحكام العثمانيين يطلب منهم المحافظة على مبادئ الشريعة الاسلامية ، ويبدو أن المتعصبين في 'أضنة' فسروا هذا المنشور بذبح بعض الأرمن [٧] وكل ذلك كان على مستوى الجنود والضباط ورجال الدين، حيث قامت فتنة اخرى في جهاز البحرية العثماني وتمثل ذلك في اعتقال 'على قبولي' (Ali Kubuli) ، قائد البارجة الحربية ' آثار التوفيق' (Asar-i Teufik) على يد جنود البحرية حيث اتهم بمحاولة تدمير قصر 'يلدز' بهدف قتل السلطان 'عبد الحميد' [٨] ويذكر 'كوران' (Kuran) أن 'علي قبولي' كان مشتركا في اجتماع حضره 'أنور بك'

---

[١] Armstrong. *Grey Wolf*, p.41.

[٢] مانتران. *تاريخ*، ج٢، ص٢٥٠.

[٣] طوران. *أسرار*، ص٨١ ؛ النبراس. بيروت، ج٥. م١، ص١٨٤. انظر Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P462. Kuran. *Inkilâp. Tarihimiz*, p 267.

[٤] العمران. دمشق، عدد ٤٠٧، سنة ١٣، ج٣، م٢، ٢٤ ابريل ١٩٠٩، ص ٥٣٣.

[٥] طوران. *أسرار*، ص ٨١.

[٦] النبراس . بيروت ، ج٥، م١، ص١٨٤.

[٧] مانتران. *تاريخ*، ج٢، ص٢٥٢، Lewis. *The Emergence*, p.216.

[٨] طوران , *أسرار*, ص٨٣-٨٤ Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, p.280

(Enver Bey) ، تم خلاله التهديد بقصف قصر 'يلدز' وأن خلافا حدث داخل البارجة فقام رجال البحرية في بارجته باعتقاله، والذهاب به الى قصر'يلدز' [١] .أما 'طوران' فينفي ذلك عن 'علي قبولي' وأنه اتهم زورا بذلك [٢] ،ومهما يكن فقد وضع 'علي قبولي' في قفص وساروا به وهم يهتفون الأناشيد الوطنية وما أن وصلوا إلى القصر السلطاني حتى علت هتافاتهم بالولاء للسلطان عبد الحميد، مما اضطر السلطان إلى الظهور من نافذة دائرة الارتباط وسألهم عن مطالبهم، فقالوا أنهم يطالبون بالشريعة بحق 'علي قبولي' ولما طلب السلطان عبد الحميد رؤية 'علي قبولي'، جيء به خائر القوى مرتعش ، وبعد ان أدى التحية العسكرية قال :" عبدكم البكباشي 'علي قبولي' قائد البارجة 'آثار التوفيق'، أمد الله في عمر جلالة سلطاننا، إن شكوى هؤلاء الجنود نابع من جهلهم، وعن تحريض مقصود" [٣].

وهنا أمر السلطان باستجوابه في مقر البحرية، لكن المحتشدين الذين التفوا حول القصر علت اصواتهم بضرورة معاقبته في المكان، حيث قام أحدهم بضربه بيديه ورجليه صارخا، إنه خائن الشريعة، خائن الدين، خائن الوطن، ولما رأى رجال القصر ذلك حاولوا إنقاذه بكل الوسائل، إلا أن التجمهر حال دون ذلك ، وقام أحد هؤلاء ويدعى 'سلمان الكرزي'، بطعن 'علي قبولي' بحربة بندقيته في بطنه وصدره وجوانبه، فصدرت عنه صرخة ألم مدوية[٤] وبذلك قتل 'علي قبولي' أمام عيني السلطان [٥].

وتذكر 'عائشة أوغلي' هذه الحادثة، فقالت: "جاء المتمردون بمن يسمى 'علي قبولي'، أمام المابين الهمايوني، وصاح فيهم أبي قائلا: اتركوه يا أولاد، استحلفكم بالله، أن تعفو عنه لأجلي، وقد سمعت هذا منه شخصيا، ومع هذا طعنوه بالسكنى"[٦].

كانت هذه الأحداث ذلك اليوم من السوء بحيث أيقن السلطان 'عبد الحميد' أن هذا الأمر سوف يسفر عن خلعه عن العرش، لذلك قام بإخبار الصدر الأعظم عن رغبته في الاستعفاء من منصب السلطان،والتنازل لأخيه 'محمد رشاد أفندي' حيث قال : "إنني واثق أنهم لا يريدونني، إنني مستعد للانسحاب غير أنه يجب ان يظهر اولا أنه لا دخل لي في هذا الأمر" [٧] حيث أرجعت جمعية الإتحاد والترقي وأوروبا أحداث ٣١ مارت إلى رغبة السلطان في التخلص من سيطرة الاتحاديين على شؤون الحكم، والقضاء عليهم ، وإعادة الجاه والسلطان الذي كان يتمتع به، لذلك فقد قال السلطان : " إن ما قرئ في ثكنة 'طاش قشله' لم يصدر عني مطلقا، لقد دبره بعض الأعداء وتبين من التحقيق أنه تدبير سياسي

---

[1] Kuran. *Inkilâp Tarihimiz.*, p.279 , Kuran. *Inkilâp Hareketleri,* p463-464.

[٢] طوران. *اسرار* ، ص٨٢.

[٣] المصدر نفسه ، ص٨٣-٨٤.

[٤] المصدر نفسه، ص٨٤-٨٥.

[5] Kuran. *Inkilâp Tarihimiz,* P.280, Kuran. *Inkilâp Hareketleri* ,p464.

[٦] عثمان أوغلي. *والدي* ،ص٢٣٢.

[٧] المصدر والصفحة نفسها.

مقصود، لم أصدر مثل هذا الأمر تجاه أمتي أبدا، لقد حرص الأعداء بهذه الأعمال على تحقيق أهدافهم الخبيثة، فأطلب منهم ألا يصدقوا مثل هذا التحريض، وليبقوا في ثكناتهم"[١].

ثم يؤكد السلطان عبدالحميد مرة أخرى عدم علاقته بهذه الأحداث فقال: "لم أتدخل قطعيا في حادثة ٣١ مارت، ولم أقم بنفسي لأفيد من هذه الفرصة، التي جاءت من تلقاء نفسها، ولو كان لي فيها يد، ولو كنت أريد الاستفادة منها ما كنت اليوم في قصر بكلربكي ، وانما في السلطة في قصر يلدز"[٢].

ويمكن القول انه لا صحة للاتهامات التي وجهت للسلطان 'عبد الحميد' ، فلو كانت من عمله، لكان هناك ضباط من اتباعه على رأسها، يقودون حركتها بشكل اكثر تنظيما، ولإزداد الضرر الذي لحق بالاتحاديين[٣]. في حين تعتقد صحيفة 'العمران ' أن أحداث ٣١ مارت تعود لاسباب غامضة[٤]؛حيث لم تفسر هذه الحوادث تفسيرا مرضيا [٥] إلا إن جملة من المؤرخين يذهبون إلى أن جمعية الإتحاد والترقي هي التي كانت تقف خلف هذه الأحداث [٦] في حين يتهم آخرون اليهودي 'عمانوئيل قره صو' وزميله الدونمة 'جاويد بك' بالمسؤولية عن ذلك، حيث أن 'عمانوئيل قره صو' أعطى أربعمائة ألف ليرة ذهبية إلى 'نجيب دراغا'، وكان 'قره صو' قد قبضها من البنك الإيطالي، ثم قام 'دراغا' بإعطائها إلى أحد أعضاء الجمعية ويدعى ' أيوب صبري' الذي تولى صرفها طبقا للأوامر، حيث صرفت على أحداث ٣١ مارت[٧] ويعتقد أيضا أن هذه الأحداث هي تمثيلية دموية لخلع السلطان 'عبد الحميد'، قامت بها الجمعية، وعلى رأس هؤلاء كان شيخ الإسلام' جمال الدين افندي' ، ثم فيما بعد أكد 'طلعت بك' أحد قادة الجمعية ذلك [٨].

وتوضح رسالة 'لوثر' (Lowther)السفير البريطاني في 'إستانبول' إلى'هاردينغ' (Hardinge) وزير خارجية إنجلترا، بعضا من أسرار هذه الأحداث حيث يقول :"ولا يخفى عليك ان المسلم المستقيم العقيدة يكره الماسونية كراهية شديدة، ويراها أسوأ من اللادينية والإلحاد، وقد برز هذا الشعور العدائي للماسونية بوضوح في الحركة المناهضة لجمعية الإتحاد والترقي، والتي بلغت ذروتها في التمرد الذي وقع يوم ١٣ نيسان سنة ١٩٠٩، ولم تفسر هذه الحوادث لحد الآن تفسيرا مرضيا، لكن لم يغب عن المراقب في ذلك أن يلاحظ بأن الأفواج الأربعة التي أرسلت خصيصا من 'سلانيك' إلى العاصمة، التي كان 'كامل باشا' يود إعادتها إلى الجيش الثالث، هي التي بدأت التمرد أو ما يسمى بالحركة الرجعية،

---

(١) طوران. *أسرار*، ص٨٧؛ انظر . وتلن. عبد *الحميد*، ص١٩٧.

(2) Bozdağ. *Abdülhamid*, p. 185.

(٣) محمد علي. *السلطان*، ص٣٢٦ ؛ انظر Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, P.278

(٤) العمران. دمشق، عدد ٤٠٦، سنة ١٣، ج٢٩، م٢، ١٧ ابريل ١٩٠٩، ص٥١١.

(5) Kedourie. *Arabic*, p. 250.

(٦) ضابط تركي. *الرجل الصنم*، ص٧٠.

(٧) طوران، *أسرار*، ص٢٩-٣٠.

(٨) حرب. *السلطان*، ص٤٧.

وكانت [هذه الفرق] تحت إمرة اليهودي المتظاهر بالإسلام والماسوني من 'سلانيك' العقيد 'رمزي بك' الذي بدلا من أن يحاكم أمام المحكمة العرفية العسكرية بسبب تصرف العساكر الذين كانوا تحت إمرته، عين رئيسا لأركان حرب 'السلطان محمد الخامس'[١] وهذا الأمر يتطابق مع ما ذهب إليه 'طوران' من أن جمعية الاتحاد والترقي لها يد خفية في هذه الأحداث.

وإلى جانب ذلك فقد وجدت أقلام تتهم حزب 'الأحرار' الذي يتزعمه الأمير 'صباح الدين' بالوقوف خلف هذه الأحداث مستغلة مقتل أحد رؤساء تحرير صحيفتها ' سربستى' ذريعة للوقوف في وجه جمعية الإتحاد والترقي[٢]، على الرغم من ان 'البرنس صباح الدين' أصدر منشورا يدعو فيه العلماء لنصيحة العساكر بالطاعة لأوامر الرؤساء، حيث أثر هذا تأثيرا حسنا ، فتألفت اللجان من العلماء، وتفرقت في الثكنات العسكرية ، والمراكب الحربية تنصحهم بالهدوء والسكوت[٣].

ويمكن اجمال أحداث ٣١ مارت بأن العامة، وأنصار الشريعة يتهمون رجال الإتحاد والترقي بأنهم يهود وماسون، وليسوا أتراكا أو مسلمين، وأن كل ما يهدفون إليه هو القضاء على الإسلام والخلافة[٤] حيث استغلت الجمعية هذه الأحداث أسوأ استغلال، مدفوعة من اليهود، وهذا ما أكده 'جواد رفعت اتلخان' معللا ذلك بسبب رغبة اليهود داخل الدولة وخارجها في خلع السلطان ، مؤكدا أن معظم الوثائق المتعلقة بهذا الحادث ومضابط المحاكم الخاصة محفوظة لدى ' مدحت شكري' (Midhat Şükrü) أحد رؤساء الإتحاد والترقي[٥].

ومهما يكن فقد ألزم السلطان 'عبد الحميد' بمطالب القائمين بأحداث ٣١ مارت، وتم تشكيل حكومة جديدة تتكون من:

١- توفيق باشا صدرا أعظما.
٢- أدهم باشا ناظرا للحربية.
٣- نورى بك ناظرا للمالية.
٤- حسن فهمي ناظرا للعدلية.
٥- ذهنى باشا رئيسا لمجلس الوكلاء.
٦- حاجى أمين باشا ناظرا للبحرية .
٧- عادل بك ناظرا للداخلية.

وظل الوزراء الذين لم يطالب باستقالتهم في مناصبهم[٦]

---

(1) Kedourie. *Arabic*, p250.

(٢) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٣، سنة ١١، الثلاثاء ١٢ نيسان ١٩٠٩،ص٢.

(٣) المؤيد. مصر، عدد٥٧٤٨، الاحد٢٥ أبريل١٩٠٩،ص١.

(٤) حلمي مراد. *مصطفى كمال أتاتورك*، (القاهرة: دار المعارف بمصر،د.تا)، ص٤٠ .

(5) Atilhan. *Islâmi*, p. 186.

(٦) العمران . دمشق، عدد ٤٠٦، سنة ١٣، ج٢٩، م٢، ١٧ أبريل ١٩٠٩، ص٥١١؛ الهدى . نيويورك، عدد ٤٥، سنة

وفي ظل هذه الظروف العصيبة، قام العديد من قياديي 'جمعية الإتحاد والترقي' وأعضائها بالاختفاء في ملاجئ خاصة، ريثما تتوفر الفرصة لمعرفة ما يحدث، ولقد التجأ العديد منهم في سفارات روسيا وفرنسا [١]كما فر قسم آخر خارج البلاد، ليكونوا في مأمن مما قد تسفر عنه هذه الأحداث، ولقد جرى الاتفاق فيما بينهم على الالتقاء في 'فينا' عاصمة 'النمسا' لمناقشة الأوضاع [٢]. في الوقت الذي زحف العديد من الضباط إلى 'سلانيك' مثل 'رضا باشا' ناظر الحربية السابق، و'محمود مختار باشا' مشير الفيلق الخاص، وغيرهم من الضباط الآخرين عبر باخرة أقلتهم من على ظهر باخرة فرنسية إلى 'سلانيك'، وهناك عقدت 'جمعية الإتحاد والترقي' جلسة هادئة قررت خلالها الزحف إلى العاصمة 'إستانبول' بالفيلق الثالث الذي تهيأ منه عشرون طابورا [٣]. كما وأصدرت الجمعية أوامرها إلى القطارات الحديدية أن تعد كل عرباتها لنقل الجيوش إلى 'إستانبول' [٤].

ومن 'سلانيك' انطلق أحد قادة الجمعية العرب، ويدعى 'محمود شوكت' [٥] بجيشه نحو العاصمة [٦] حيث أعلن نفسه تلغرافيا إلى الصدر الأعظم كأمير الجنود، وقائد الأسطول العثماني قائلا : "لقد ضعفت قوة الحكومة في الأستانة لما حدث من التمرد والاضطرابات بين جنود الحرس الشاهاني، وقد أنيطت بي قيادة الفيلقين الثاني والثالث القادمين إلى الأستانة، لتهدئة الاضطراب فيها، وإعادة الأمن إليها وأنيطت بي كذلك قيادة البحار وإننا لنعفو عن المسيئين النادمين، وأما الذين لا يزالون مصرين على عنادهم فيستوجبون الحكم"[٧].

وبذلك تم التأكيد على رسم الخطط المسبقة اللازمة لإخماد ثورة ٣١ مارت،و قامت الجمعية بإرسال بلاغ الى العثمانيين أعربت فيه عن أهداف الجيش[٨] وتمثلت مطالبها في:

اولا: ان يكون الدستور في أمان.

ثانيا: قصاص أولئك الذين قاموا بهذه المظاهرات الثورية من سياسيين ومتديلين وعلماء وجنود.

١٢، ١٥ نيسان ١٩٠٩،ص٢.

(١) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٦، سنة ١٢، الجمعة ١٦ نيسان ١٩٠٩ ص٢.

(٢) الإتحاد العثماني. بيروت . عدد ١٨٨ السنة ١، ٥ الأربعاء أيار ١٩٠٩، ص٢.

(٣) المصدر والصفحة نفسهما.

(٤) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٦، سنة ١٢، الجمعة، ١٦ نيسان ، ١٩٠٩ ص٢.

(٥) محمود شوكت باشا (١٨٥٦-١٩١٣) ولد في بغداد، قائد ورجل دولة عربي الأصل ، دخل المدارس الأولى في بغداد، ثم دخل المدرسة الحربية في أستانبول، وعين سنة ١٩٠٥ واليا على ولاية كوسوفو، وبعد إعلان الدستور ١٩٠٨ عين قائدا للجيش الثالث ، ثم أصبح وزيرا للحربية ، وسنة ١٩١٣ عين صدرا أعظما مع توليه وزارة الحربية. اغتيل في ١٩١٣/٦/١١ على يد ثمانية أشخاص أنظر - حرب . *مذكرات*، ص٢٨٢-٢٨٣.

(6) Kinross. *The Ottoman*, p.277 ; Kuran. *Inkilâp Hareketleri* P 466 ; Ahmed . *The Young Turk*, p. 44-46; Kuran *Inkilâp Tarihimiz*, p.281; Orga . *Phoenix*, p 37-38; Edib . *Conflict* , p.81-82.

(٧) الهدى . نيويورك ، عدد ٥٤، سنة ١٢، السبت ٢٤ نيسان ١٩٠٩ ص٢.

(٨) نامق كمال. عهد *الفتح* ، ص٣٣.

ثالثاً: الأمن والهدوء في العاصمة وحماية أعضاء مجلس المبعوثان المنتمين الى جمعية الإتحاد والترقي الهاربين من 'إستانبول'، وتأمينهم على حياتهم[١].

استمرت قوات 'محمود شوكت' في السير وقد انضمت إليه جماعات من اليهود والبلغار والصرب والأرمن والأروام[٢]، وقد استطاع السيطرة على العديد من المناطق في طريقه، ثم قامت الجمعية بإرسال بلاغ سياسي إلى سفراء الدول الأجنبية توضح فيه سبب تحركهم [٣]وما أن وصل ما اصطلح على تسميته 'جيش الحركة' (Hareket Ordusu)[٤] الى 'خادم كوي' حتى قام 'حسين حسني باشاHüseyin' 'Hüsnü Paşa' قائد الطليعة في جيش الحركة بإرسال تلغراف عمومي إلى السفارات الأجنبية في يوم الجمعة ١٦ نيسان ١٩٠٩ يقول فيها :

" أتشرف أن أعلمكم أن غاية الجيش المعسكر هنا للزحف على الأستانة ، إنما هي تأييد الدستور الذي يقدسه العثمانيون الحقيقيون وقصاص أولئك الذي عبثوا بالأمن والنظام قصاصاً شرعياً جزاء ما كانت الأنانية ولا تزال تتأذى منه، وهو الفوضى القهقري، ولتكن عطوفاتكم متأكدين جيداً ان حياة الأجانب وأملاكهم وكل ما يتعلق بهم شبه ضيوف وأمانات في أوطاننا يجب حمايتها والمحافظة عليهما فهي في أمان، وأن السكينة مضمونة ومكفولة للأهلين كافة"[٥].

وفيما استمر مسير جيش الحركة بقيادة 'محمود شوكت' – وتحت إمرته كل من 'حسين حسنى باشا' و'أنور بك' و'مصطفى كمال' واسماعيل حقي بك'–[٦] ، مثُل قادة الجيش أمام يدي السلطان 'عبد الحميد' ، وطلبوا منه أمرا بمنع دخول جيش الحركة الى 'إستانبول' ، وهنا امر السلطان بشكل قاطع بعدم التحرش بهم ، وقد نوقش الأمر طويلا في محاولة للحصول على هذا الأمر ، إلاّ أن السلطان قرر أنه لا يستطيع بعد هذا العمر ان يقتل المسلمين بالمسلمين ، وبلغ الامر الى حد استحصاله على قسم من قائد الجيش الاول 'ناظم باشا' والضباط الذين يرافقونه بعدم استعمال السلاح ضد جيش الحركة [٧].

قام السلطان 'عبد الحميد' بتوضيح هذه المسألة ، لذلك فقد قال :" أقدم جيش الحركة ... في الوقت الذي كان جنود العاصمة على اكمل وجه من الإستعداد ، وكانوا منتخبين مخلصين لمقام الخلافة، ولشخصي، وقد أوصاني مجموعة من رجال الدولة وفي مقدمتهم 'ناظم باشا'، بإيقاف جيش الحركة في

---

(١) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٨، سنة ١٢ الأحد ١٨ نيسان ١٩٠٩، ص٢.

(٢) وتلن. عبد *الحميد*، ص١٩٦.

(٣) نامق كمال. عهد *الفتح*، ص٣٣.

(4) Ahmed . *The Young Turk* ,P.44 ; Kuran . *Inkilâp Hareketleri*, p.466.

(٥) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٨، سنة ١٢ الأحد،١٨ نيسان، ١٩٠٩، ص٢ .

انظر كذلك . - Kuran. *Inkilâp Hareketleri* ,p.467

(6) Ibid., p.466 ,Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, p.281.

(٧) أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢ ، ص١٨٣ .

الطريق قبل وصوله ولكنني رفضت وأخبروني بأن قطاعاً من الجيش المعسكر في 'أدرنه' انضـم إلـى جيش الحركة.... طلبت ونبهت بشدة ألا يخرج الجيش الموجود في 'إستانبول' من ثكناته أثناء تحرك جيش الحركة من 'آيا استيفانوس' إلى 'إستانبول' وألا يشتبك معه . ألم يكن في إمكان جنود 'إستانبول' في حالة خروجهم من ثكناتهم وانتشارهم على أعالي 'كاغدخانة' أن ينتصروا على ذلك الجند القادم من 'سـلانيك' وهم في حالة يعوزها النظام"[١].

بهذا سجل السلطان 'عبد الحميد' موقفه التاريخي، وفيما بعد سجلت جمعية الإتحاد الترقي مواقفـها الخاصة بها في ثكنة 'طاش قشلة' كما يرويها 'مصطفـى طـوران' المتواجـد فيـها ، حيـث يقـول : "في ليلة العاشر من نيسان أحس الرماة بوجود شيء ما يحوم حولهم، فعمدوا إلى حراسة المخزن الذي تم كسر اقفاله، ونقلوا العتاد كله إلى مهاجعهم وعلم القائد بالخبر ... وفي هذه الأثناء جاء ضبـاط الصـف المناوبون بخبر جديد مفاده : ان عناصر أجنبية يلبسون قبعات بيضاء ، ويرتدون أزياء غريبة يحفـرون مرابض لهم تجاه الثكنة من جهة مستودع المحروقات ، فلما علم القائد بالنبأ أمر بالتريث حتـى يصبـح الصباح فيظهر الوضع جلياً ، ولم تمض ساعة على هذا الوضع حتى لعلعت أصوات المدافـع الرشاشـة قرب الباب الرئيسي[٢] ، حيث أغار جيش الحركة على الثكنة ، ففتح الرماة نيران اسـلحتهم لصـد هـذا الهجوم ، فلما سمعوا أصوات الرصاص ، هرعوا الى خارج الثكنة دون أن يعلموا بما جـرى ، فقابلـهم جيش الحركة بالرشاشات المتمركزة في مقبرة الأرمن فأبادوهم عن بكرة أبيهم[٣].

وخلال هذه الاشتباكات دمرت المدفعية الباب الرئيسي للثكنة وجزءاً من الطابق الثاني ، ثم تهدمت المهاجع على رؤوس الجنود فماتوا تحت الأنقاض ، وبعد رفع راية الاستسلام من قبل المتبقين على قيـد الحياة ، ومن الباب النظامي المتهدم ظهر البكباشي 'أنور بك' وبيده مسدس ومعه عشرة من رفاقه ومـن ورائهم جنود ذوو ألبسة غريبة تبين فيما بعد أنهم من عصابات البلغار، وكان مع 'أنور ' رجـل طويـل القامة ذو لحية صفراء اسمه 'ساندانيسكى' (Sandaneski) قائد الثورة المكدونية ، وأول عمل قاموا بـه هو تجريد من بقي من كتائب الرماة من سلاحهم وقتلهم جميعاً بحراب اسلحتهم[٤] . اما القائد 'اسـماعيل حقي' فتقدم من البكباشي 'أنور' قائلاً : "أي بني بارك الله بكم. لم أستطيع أن أثني الرماة عما فعلوا، لقـد أقسموا بالأمس لكنهم نقضوا أيمانهم فكسروا باب مخزن الأسلحة وسببوا هذه الحادثة فقـام 'أنـور بـك' بإشباعه ركلاً وضرباً، ثم نتف لحيته البيضاء، وهنا انفجر القائد غاضباً وصرخ والدماء تكاد تنفجر مـن عينيه : أيها الوقح لقد أثبت بعملك هذا سوء أدبك وخلقك، وبصق في وجهه ثم أردف: إنك لم تقم للشرف

---

[١] حرب . *مذكرات*، ص١٩٤؛ انظر – عثمان أوغلي . *والدي*، ص٢٣٤.

[٢] طوران . *أسرار* . ص٨٩-٩٠.

[٣] المصدر والصفحة نفسهما.

[٤] المصدر والصفحة نفسهما.

العسكري وزنا، أسفي عليك وأنت تحمل رتبة ضابط تركي ، لم أعرف أنك أحط من أي جندي عادي، إن فعلك هذا لا يفعله حتى العدو الذي لا يمس من استسلم بسوء ، انني أشك في عقيدتك والدماء التي تجري في عروقك ، لو لم تكن دنيئا لما أهنت من هو من قومك أمام هؤلاء وأشار إلى البلغار ، ثم وقع مغشيا عليه، ولما رأى 'أنور بك' هذا الجواب الذي استحقه من القائد التركي امر عصابات البلغار أن يقيدوا هذا الضابط الشهم، فقيدوه ، فأطلق هو وثلاثة من رفاقه النار عليه فقتلوه ، ثم دار بوجهة إلى 'ساندانيسكي' وتمتم: "أما كان مستحقا لهذا الجزاء"[1].

وعلى الأثر قام 'أنور بك' بالطلب من الذين تبقوا حفر قبر جماعي لهؤلاء القتلى ودفنوا جميعا فيه[2]. واما محمود شوكت، فقد استطاعت قواته محاصرة 'استانبول' بدون مقاومة تقريبا، حيث أبرق'حسين حسني باشا' إلى مركز جمعية الإتحاد والترقي في 'سلانيك' ، بأنه لم يعد حاجة لإرسال المدد لأنهم سيدخلون 'استانبول' دون كفاح ولا مقاومة [3] . ومن كل الجوانب كان عدد هذه القوات الإتحادية– 'جيش الحركة' –٣٠ ألف جندي أحاطوا بالقسم الغربي من العاصمة 'إستانبول' ،وهم ينتشرون من 'سان استيفانوس' إلى البحر الأسود ، وقامت هذه القوات بدخول 'إستانبول' في ٢٥ نيسان ١٩٠٩ ومحاصرة قصر 'يلدز' من كل جوانبه، وهو وحده بغية الجيوش ومقر فريستها[4].ولقد قام سفراء كل من 'المانيا' و'فرنسا' و'إنجلترا' بزيارة قصر 'يلدز' ومقابلة السلطان ، حيث عرض كل واحد منهم استعداد حكومته تأمين سلامته، وأنهم ينتظرون منه الموافقة على ذلك فشكرهم وأعلمهم عدم وجود أدنى نية لديه في اللجوء إلى الدول الأجنبية ، وكان يقول :" أنني أعلم أن هذه الترتيبات كلها ليست الا مؤامرة لقتلي ، إن هذا شيء واضح، الظاهر أن عاقبتي ستكون مثل عاقبة عمي السلطان عبد العزيز، ومع ذلك فلو علمت أنهم سيقطعون لحمي قطعة قطعة فلن ألجأ إلى الدول الأجنبية، لأنه من العار على أن أهرب من وطني، وأنا أعد ذلك خاصة بالنسبة لسلطان مثلي حكم ثلاثا وثلاثين سنة دناءة وسفالة لا مثيل لهما وأنا راض بحكم الله ..."[5].

واثناء قصف ثكنة 'طاش قشلة' قدم سفير 'روسيا' إلى المابين الهمايوني، حيث حمل خبرا مفاده انه ينقل تحيات قيصر روسيا، وأن القيصر قد سمع بمرض السلطان ، وأن السفير جاء ليعرف رغبات السلطان حتى يحققها كلها، دون ان يتعرض احد لشعرة من جسده وأنه ينتظر الامر، ولما عرض 'جواد بك' أحد أعوان السلطان ذلك عليه فزع السلطان 'عبد الحميد' واجابه بقوله: "أترى عرض القيصر يا 'جواد بك' لا قدر الله لي أن أفعل شيئا من مثل ذلك إنني راض، بكل مصيبة تأتي على رأسي ولسوف يكون قبرى حيثما وجد قبر أجدادي ، إنني أفضل الموت على هذه الإهانة ... بلغ السفير شكري على

---

[1] طوران .*أسرار*، ص٩١-٩٢.

[2] المصدر نفسه، ص ٩٢.

[3] الهدى . نيويورك . عدد ٥١، سنة ١٢، الأربعاء ٢١ نيسان ١٩٠٩، ص٢.

[4] الهدى. نيويورك . عدد ٤٨، سنة ١٢، الأحد ١٨ نيسان ١٩٠٩ ، ص٢؛ أوزتونا .*تاريخ* ، ج٢ ، ص١٨٤ .

[5] محمد علي .*السلطان*، ص٣٢٩-٣٣٠.

تحيات جلالة القيصر وإنني لست مريضا كما سمع هو، وبلغه أيضا أنني أشكره على المودة التي أبان عنها"[١].

ومرة أخرى أبدى السلطان 'عبد الحميد' رغبة في التنازل عن عرش السلطنة لأخيه 'محمد رشاد' رغبة منه في عدم إراقة دماء الجنود [٢]، حيث اقترح ذلك على 'توفيق باشا' قائلا :" مادمتم لا تريدونني، فإنني مستعد للتنازل عن العرش لأخي، لكن يجب تأليف لجنة تقوم بالتحقيق عما إذا كانت لي أدنى علاقة بحادثة ٣١ مارت ، وقام الصدر الأعظم 'توفيق' بنقل هذا الاقتراح إلى 'كوجوك سعيد باشا' رئيس مجلس الأعيان ؛ فذعر هذا وقال : ماذا ستكون حالنا إن ظهرت براءته ، وهكذا رفض هذا الإقتراح [٣].

كانت الجمعية قد رفضت الادعاءات التي قالت بأن في نيتها خلع السلطان 'عبد الحميد' ، وقال في ذلك 'حسين حسنى باشا': "قد أشاع بعض المتمردين على الدستور أن في نية الجند المحاصر خلع السلطان فأنا أنفى صحة ذلك على الإطلاق"[٤]. كما أكد 'محمود شوكت' عند وصوله العاصمة 'استانبول' في رسالة إلى الصدر الأعظم ذكر فيها : أن بعض الفسدة أشاع أن جيش الحركة جاء لخلع السلطان ، لذا فإنه يفند ويكذب هذه الإشاعة ، وأكد أن ما جاء به هو لمساعدة الحكومة على استتباب الأمن والقضاء على الفوضى ومعاقبة المشاغبين [٥] لذلك فقد أرسل جيش الحركة ، قائمة بأسماء الذين يطلبون معاقبتهم وبينهم رجال من أعضاء مجلس المبعوثان وصحافيون وعلماء وموظفو القصر ورجال دين مسلمين [٦].

وعن مراسل صحيفة ' الهيرالد' (Herald) أن الجنود أقروا بالطاعة للسلطان، وكذبوا ما شاع بأنهم عازمون على خلع السلطان[٧]. إلا أن الأمر كان عكس ذلك تماما حيث كان في نية الجمعية خلع السلطان منذ ثورة ١٩٠٨ لكن الظروف المحيطة التي أوضحناها في وقت سابق لم تساعدهم على فعل ذلك رغم إصرارهم ، حيث كان 'أنور بك' قد قال ' لأحمد رضا' في ٢١ أيلول ١٩٠٨ : "إن السلطان لا بد أن يخلع لأن بقاءه على العرش يعد بمثابة موت للبلاد وأنه يمكن أن يعتمد علينا لنؤمنه على حياته ولكنه لا يستطيع أن يطلب شيئا آخر خلاف ذلك"[٨]، في الوقت الذي قال فيه الأمير 'صباح الدين' بهذا الخصوص أن الاتحاديين يرون على أثر ثورة ١٩٠٨ ضرورة خلع السلطان 'عبد الحميد' وأنهم يرون 'محمد رشاد' شقيق السلطان هو أصلح من يرونه اهلا لتبوؤ العرش[٩].اما

---

(١) عثمان أوغلي .*والدي* ،ص٣٣٤-٣٣٥.

(٢) حرب. مذكر*ات*، ص١٩٤.

(٣) محمد علي .*السلطان* ، ص٣٣٠.

(٤) الهدى . نيويورك ، عدد ٥٤، سنة ١٢، السبت ٢٤ نيسان ١٩٠٩ ص٢.

(٥) محمد علي .*السلطان*، ص٣٢٧.

(٦) العمران . دمشق، ج٣، م٢، سنة ١٣، ٢٤ أبريل ١٩٠٩ ص٥٣٥.

(٧) الهدى . نيويورك ، عدد ٥٤، سنة ١٢، السبت ٢٤ نيسان ١٩٠٩ ص٢.

(٨) المؤيد . مصر ، العدد ٥٧٥٢، ٢٩ أبريل ١٩٠٩، ص٥.

(٩) الهدى . نيويورك ، عدد ١٤٠، سنة ١١، الخميس٦ آب١٩٠٨ ص١.

الجيش وضباطه الصغار فقد كانوا يجهلون تماما المطالب النهائية، وهذا ما صرح بــه مراســل صحيفــة 'المؤيد ' حيث قال :" سألت أحد النواب الذين أرسلوا إلى 'خادم كوي' للمفاوضة مع الجيش الزاحف عــن مطالبه ومقاصده فأجابني: أن الضباط الذين استقبلوهم، قالوا أن المطالب النهائية لا يعلمــها إلا الرؤســاء الذين لم يصلوا بعد"[١].

ولقد لقي ' أنور بك ' حين وصوله إلى العاصمة أبهى ما يلاقى به الرجال من قبــل الاتحــاديين ، كما لو كان قيصرا أو ملكا ، حيث اغلظوا الأيمان على خلع السلطان [٢]. اما 'محمود شوكت' فقــد أقــام المحكمة العسكرية العرفية، التي بدأت بتطبيق أحكامها على المتهمين ، فنصبت المشانق ، وأعدم العديــد من الرجال التابعين للسلطان ، متهمة اياهم بالوقوف خلف أحداث ٣١ مارت [٣] ، كمــا ضربــت أعنــاق بعض المشايخ ، وتم نفي ١٥٠٠ رجل آخر من رجال القصر وحاشية السلطان إلى 'الحجاز' و'اليمــن' [٤] . أما في القصر السلطاني ' يلدز' فقد كانت توجد حامية أكثر من أربعة آلاف مجهزين تجهيزا حسنا، ويذكــر المؤرخ التركي 'اسماعيل حامي دانشماند' ذلك بقوله : "إن بعض القادة وضباط الحرس جثوا على ركبــهم أمام السلطان 'عبد الحميد' طالبين منه السماح لهم بتشتيت جيش الحركة ، فلم يقبل السلطان ذلك قائلا لــهم أيها الباشوات انني خليفة المسلمين ، لذا لن أدع المسلمين يتقاتلون" [٥] .

لذلك فقد قام السلطان 'عبد الحميد' بإخراج الجنود وصرف الخدم من القصر، وأصبح السلطان هــو وأسرته وحيدين في ظل الحصار الشديد ، في الوقت الذي وصل فيه العديد من قياديي الجمعية الـــهاربين على أثر أحداث ٣١ مارت إلى 'خادم كوى' ومنهم 'رحمي بك' و'حسين جاهد بك' و'جاويد بــك' و'طلعــت بك'، و'قره صو افندي' [٦] وهؤلاء جميعا من اليهود ، ويعتقد انهم دعوا بهذه السرعة البالغة للمشاركة فــي الجلسة السرية التي عقدتها الجمعية لخلــع الســلطان [٧] ، حيــث أرســلت البرقيــة بتــاريخ ٥ نيســان ١٣٢٥رومية، وجاء فيها " الرجاء إبلاغ البكوات حسين جاهد ورحمي وقره صــو افنــدي الــذي علمنــا وجودهم لديكم والنواب الآخرين بضرورة القدوم إلى خادم كوي في اول قطار"[٨] ، ولأجل خلع الســلطان 'عبد الحميد' كان لا بد من فتوى (Fetva) رسمية من شيخ الإسلام كما جرت عليه العادة في الحــالات السابقة ، لذلك فقد استصدروا هذه الفتوى [٩] التي جاء فيها:

---

(١) المؤيد . مصر ، عدد ٥٧٤٨، الأحد، ٢٥ أبريل ١٩٠٩ ص١.

(٢) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٨، سنة ١٢، الأحد ١٨ نيسان ١٩٠٩ ص٢.

(٣) محمد علي .*السلطان*، ص٣٢٧-٣٢٨ ؛ وتلن .*عبد الحميد* ،ص١٩٩.

(٤) كرد علي .*خطط* ،ج٣، ص١١٩.

(٥) محمد علي .*السلطان*، ص ٣٢٩ ؛ انظر- Kuran. *Inkilâp Hareketleri* , p.467.

(٦) المؤيد . مصر ، عدد ٥٧٤٨ الأحد ٢٥ أبريل ١٩٠٩ ص١.

(٧) محمد علي .*السلطان* ،ص٢١٦.

(٨) حلاق . *موقف* ،ص ٣٢٢. انظر نص البرقية التي تطالب هؤلاء بالقدوم الى خادم كوى في الملحق رقم ٦.

(9) Kinross. *The Ottoman*, P.578; Ahmed. *The Young Turk*, p.45; Miller . *The Ottoman*, P.481

" إذا كان زيد إمام المسلمين طوى وأخرج من الكتب الشرعية بعض المسائل الدينية المهمة ، ومنع الكتب المذكورة ومزّق حرمتها وأحرقها وتصرف في بيت المال بالتبذير والإسراف بغير مسوغ شرعي ، وقتل وحبس وغرّب الرعية بلا سبب شرعي، وتعود على جميع المظالم، ثم حلف اليمين على الرجوع إلى الإصلاح ، وعاهد على ذلك ثم حنث في يمينه ، وأصر على إحداث فتنة عظيمة ، وإيقاع مقاتلة يجعل بها امور المسلمين مختلة اختلالا كلياً، ثم وردت أخبار متوالية من جهات متعددة من بلاد المسلمين يقولون بها: أن زيداً المذكور فيه خطر محقق وفي زواله صلاح ، فهل يجب على أرباب الحل والعقد تكليف زيد المذكور ان يتنازل عن الإمامة والسلطنة أو يخلع ، وهل لهم ترجيح إحدى الصورتين؟؟

الجواب نعم .

كتبة الفقير السيد

محمد ضياء الدين عفي عنه [1]

ويذكر أن شيخ الإسلام الذي أصدر الفتوى كان ماسونياً[2]، وبذلك كانت الفتوى ، وكان لا بد من انعقاد مجلس الأمة العمومي بصفته مجلس الملية (الأمة) ليأخذ الخلع شرعيته ، وتم الاجتماع بالموافقة على الشق الثاني من الفتوى الشرعية التي أصدرها شيخ الإسلام وهو الخلع، وجاء في القرار الذي أصدره الباب العالي:

"إلى عموم الولايات.

في الساعة السادسة والنصف من نهار الثلاثاء سابع ربيع الثاني سنة ١٣٢٧هـ الموافق الرابع عشر من شهر نيسان سنة ١٣٢٥ (رومية)، اجتمع مجلس الأمة العمومي المؤلف من مجلس الأعيان والمبعوثان ، وقرأت الفتوى الصادرة من شيخ الإسلام محمد ضياء الدين افندي ، والمذيلة بإمضائه، وهي تحتوي على شقين، فرجح منها الخلع بالاتفاق، وبالأدلة الراجحة، فأسقط السلطان عبد الحميد عن عرش الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية، ونُودي بحضرة ولي العهد المشروع محمد رشاد أفندي سلطاناً على مقام الخلافة بإسم السلطان محمد الخامس فينبغي ان تعلنوا هذا الجلوس السلطاني بإطلاق مائة مدفع ومدفع من المواقع المعتادة ولذلك اقتضى تبليغكم.

في ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧

١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ رومية

١٤نيسان ١٩٠٩م

الصدر الأعظم

---

(١) الإتحاد العثماني . بيروت عدد ١٨٨، سنة ١، الأربعاء ٥ أيار ١٩٠٩ ص١؛ طوران . *اسرار*، ص٩٨ ؛ النبراس . بيروت ،ج٥، م١، ص١٨٨-١٨٩، العمران . دمشق، عدد ٤٠١، سنة ١٣، ج٣٢، م٢، ٨ مايو ١٩٠٩ ص٥٦٨-٥٦٩ ؛ المؤيد . مصر، عدد ٥٧٧٢، ٢٩ أبريل ١٩٠٩ ص٥ - انظر نص الفتوى باللغة التركية في .. Atilhan . *Islâmi*, p.191.

(2) Ibid.,p.206.

توفيق [1]"

وكان هذا القرار في الحقيقة هو ذاته النص الذي صدر عن 'المجلس العمومي' وقام 'أحمد رضا' رئيس جمعية الاتحاد والترقي ورئيس مجلس المبعوثان ، بالإحتفاظ بالقلم الذي وقع به شيخ الإسلام 'محمد ضياء الدين' فتوى خلع السلطان 'عبد الحميد' وذلك ابتهاجا بالحدث وقال: "انه سيحتفظ بالقلم احتفاظه على أثمن ذخيرة"[2] . ثم قامت الجمعية على الأثر بتشكيل لجنة ، لكي تقوم بإبلاغ السلطان 'عبدالحميد' قرار خلعه ، وفي يوم الثلاثاء المصادف ٦ من ربيع الأول ١٣٢٧هـ /٢٧ نيسان ١٩٠٩ وصلت برقية إلى الضباط الاتحاديين المسؤولين عن حماية قصر 'يلدز' تبلغهم أن وفدا من مجلس المبعوثان والأعيان سيصل عما قريب ، وأن عليهم استقبالهم وتأمين الحماية لهم[3].

اما الوفد الذي تم تأليفه فقد كان تحقيرا لمقام السلطنة العثمانية وللسلطان 'عبدالحميد'، ولكل مسلمي العالم، لقد كان وفدا يندى لذكره الجبين [4]،حيث كان يتكون من أربعة أفراد. اثنين منهم من مجلس المبعوثان، واثنين من مجلس الأعيان [5]. وهم:

١- الفريق البحري. 'عارف حكمت باشا' ، وكان عضوا في مجلس الأعيان ومساعدا سابقا للسلطان.

٢- 'آرام أفندي' وهو أرمني عضو في مجلس المبعوثان.

٣- اللواء 'أسعد طوبطاني باشا الأرناؤوطي' وكان نائبا في مجلس المبعوثان.

٤- 'عمانوئيل قره صو' وهو يهودي أسباني الأصل وكان ماسونيا كبيرا ونائبا عن 'سلانيك'[6].

وما إن دخل هذا الوفد القصر، حتى وقفوا أمام السلطان 'عبدالحميد'، وقام كل منهم بتحية السلطان الذي رد التحية، ثم بادر 'أسعد طوبطاني باشا' الذي يقف في مقدمة الوفد بالحديث وقال للسلطان: "لقد عزلتك[7] الأمة"، ورد عليه السلطان بصوته الجهوري: أعتقد أنكم تريدون القول : انها خلعتني، حسن ما هو السبب الذي تستندون إليه؟ وراح في تلك اللحظة 'عارف حكمت باشا' يقرأ صورة فتوى شيخ الإسلام وما إن وصل الرجل إلى 'أحرق الكتب الشرعية ' حتى قال بصوت مرتفع: "أي كتب شرعية أحرقت ؟ حسبنا الله" ، ثم راح ينصت للفتوى حتى نهايتها ، فلما انتهى 'عارف حكمت' سأله السلطان :"من أي

---

(١) النبراس . بيروت، ج٥، م١، ص١٨٨؛ انظر – يوسف الحكيم . *سوريا والعهد العثماني* (ط٤ ، بيروت : دار النهار ، ١٩٩١) ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٢) البشير . بيروت، عدد ١٩١١، سنة ٤٠، الاثنين ١٠ أيار ١٩٠٩ ص٤.

(٣) محمد علي. *السلطان* ، ص٣٣١.

(٤) طوران . *أسرار*، ص٩٩.

(٥) الشناوي . *الدولة*، ج٢، ص١٢٠٦ ؛ Lewis. *The Emergence* ,p.217.

(٦) محمد علي . *السلطان*، ص٣٣٣ ؛ طوران . *أسرار*، ص٩٩-١٠٠ ؛ عثمان أوغلي . *والدي*، ص٢٤٠-٢٤١.

(٧) تستعمل كلمة عزل حينها، في إعفاء صغار الموظفين من مناصبهم واستخدام هذه الكلمة كان يعني تحقيرا وتصغيرا للسلطان عبد الحميد وربما كان الوفد يقصد ذلك الأمر عن عمد.

منصب صدر هذا القرار" فأجابه: من المجلس الوطني، ثم سأله السلطان: بتعجب هكذا؛ ومن يترأس هـذا المجلس؟ ولما سمع منه أن رئيس المجلس هو رئيس مجلس الأعيان 'سعيد باشا' صاح بدهشة : "سعيد باشا، أهكذا ؟! "[١] ، ثم قال 'عارف حكمت' للسلطان : "إن أرواحكم وأملاككم وأولادكم تحت سيطرتنا، فقال السلطان : "ذلك تقدير العزيز العليم ، لقد خدمت الأمة الإسلامية ثلاثة وثلاثين عاما دون انقطاع ودون التفريط بأراضيها، وأعتقد أنه يجب عليكم أن تحافظوا على الدولة أكثر مني ، وأن تتحملوا مسؤولياتكم تجاه ذلك "، ثم أدار وجهه إلى 'عمانوئيل قره صو'، وقال بشكل جهوري وعصبي: "لكن ماذا يفعل هذا اليهودي في مقام الخلافة؟" (Bu yahudi nin Hilafet Makaminda işi ne?) ، و"بأي مقصد تضعون هذا الرجل أمامي" (Bu adami Karşima ne Maksatta Çikardiniz)، وعلى الاثر تعجب الوفد وتوتر أعضاؤه ولم يجدوا المقدرة على الرد[٢] ، ثم قام السلطان بالدعوة عليهم فقال: "رب عاقب هؤلاء المسؤولين على هذه المصيبة"[٣] (My God Punish Those Responsible for this Calamity) في حين كانت حاشية قصر يلدز من النساء والخدم وغيرهم يبكون على ما أصابهم [٤] ، وبذلك أبلغ 'خليفة المسلمين' الخلع بواسطة اثنان غير مسلمين ، مسيحي واحد ويهودي واحد ، وباسم المجلس الوطني[٥] .

ولقد عبر السلطان 'عبد الحميد' عن أسفه بسبب تبليغه الخلع عن طريق هذا الوفد فقال: "إن جزاء ثلاثة وثلاثين عاما من الخدمة، هو أن يبلغني هؤلاء الرجال باسم الأمة قرار خلعي ، وهم الذين لا أشك لحظة في عدائهم للدولة والأمة، ولابأس، إن أمتي بريئة والذين نظموا هؤلاء هم أعدائي الشخصيون ، لكن الله حكم عدل، ولا بد أن تظهر الحقيقة يوما، والمكتوب لا فرار منه"[٦]. ولقد آلم ذلك الأمر السلطان كثيرا ، حيث يقول أورخان محمد علي نقلا عن 'حسام أرتورك' وهو أحد رؤساء الأمن القومي السابقين في 'تركيا' في كتابه، 'ما وراء الأستار في عهدين' (iki devrin perde arkasi) ما يلي: "قال لي مرة صديقي ملازم أول خياله 'زنون دبره لي' أن السلطان 'عبد الحميد' قال له : إن اشد ما آلمني هو تبليغي قرار الخلع من قبل ذلك اليهودي الماسوني، فأنا لا أستطيع نسيان 'عمانوئيل قره صو' من بين وفد المبعوثين الذين جاءوا إلى 'يلدز'، لقد كان هذا إهانة لمقام الخلافة، ونحن جميعا نعلم مدى الحقد الذي يكنه اليهود منذ زمن الرسول ولمقام الخلافة" [٧] ثم كرر السلطان 'عبد الحميد' أسفه مرة أخرى فيما بعد 'لأنور بك' قائلا:" إن ما آلمني كثيرا، وحز في نفسي قيامكم بإرسال شخص كنت قد طردته من حضرتي

---

(١) عثمان أوغلي . *والدي*، ص٢٤٠-٢٤١.

(٢) طوران . *أسرار* ، ص١٠٠. Atilhan. *Islâmi* , p.193-194.

(3) Haslip . *The Sultan* ,p.285; وتلن . عبد *الحميد*، ص٢٠٢

(4) Atilhan. *Islâmi* ,p.191.

(٥) أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢ ،ص١٨٥.

(٦) عثمان أوغلي . *والدي*، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٧) محمد علي .*السلطان* ، ص٢٨٨.

ضمن الوفد الذي أبلغني قرار خلعي من السلطنة، هذا الشخص هو 'عمانوئيل قره صو'، فلماذا واجهتموني بذلك اليهودي، لقد كان إرسال ذلك اليهودي الأجنبي تحقيرا منكم لمقام الخلافة والسلطنة. إن ركنا من أركان الخلافة العثمانية التي انتقلت من عهد الرسول الكريم بكل إحترام ومهابة قد تضعضع بقيام مثل هذا اليهودي بمثل هذا التبليغ"[1] أما كلمة عزل فيقول عنها: "تأثرت جدا على الطريقة التي أبلغوني فيها قرار خلعي أكثر من الخلع نفسه، فلقد انتخبوا وفدا من الأعيان والمبعوثان وجاءوا بضجة وضجيج، أحدهم كان في غاية السفالة عندما واجهني بكلمة العزل ، في الوقت الذي كان لا بد أن يضعوا بدلا منها كلمة الخلع، مسكينة هذه الأمة؟ آه لو كانت تعلم النتيجة المرة التي تنتظرها"[2].

وقد يكون احتجاج السلطان ليس فقط بسبب وجود اليهودي الماسوني 'عمانوئيل قره صو' في الوفد، بل كان على الوفد ككل، حيث لم يكن هؤلاء أتراكا أصليين، بل مواطنين عثمانيين من نسل أرمني ويوناني ويهودي[3].

ومهما يكن من امر، فقد انتشرت قوات جيش الحركة لحفظ النظام، وقد أنيط 'بأنور بك' مهمة حماية السفارات الأجنبية، حيث أقام على كل سفارة فرقة عسكرية[4].

أما عن ردود الأفعال على خلع السلطان 'عبد الحميد'، فقد أوردت صحيفة ' يقظة العرب' – التي تصدر في باريس– "أن الهياج على أشده في ألبانيا حيث يتساءلون عن الأسباب الشرعية التي خولت جمعية الإتحاد والترقي خلع السلطان 'عبد الحميد'، كما أعربوا عن عدم رضاهم على عمل 'محمود شوكت'، والجيش المكدوني ويخشون أن يكون ذلك تمهيدا لنكبة جديدة في الإسلام، إذ أن كثيرا من هؤلاء الذين قادوا الجمعية لم يكونوا مسلمين [5] . أما في 'اللاذقية' 'بسوريا' فقد كانت هناك ردود فعل،ومنها أن أحد المدرسين قام بنقل خبر خلع السلطان مشفوعا بإهانته وتعظيم شأن جمعية الاتحاد والترقي، فقام الطلاب بنقل الخبر لأبائهم، الذين تجمعوا وساروا إلى منزل هذا المدرس، يريدون إلقاء القبض عليه، ففر من منزله إلى منزل رجل فرنسي ، فلحقوا به إلى هناك، مطالبين بإلحاح شديد تسليمه اليهم، لكنه تمكن من الفرار، حيث أقله قارب إلى باخرة فرنسية [6]. أما في فلسطين فإن أنباء خلع السلطان 'عبد الحميد' لم تقابل بحماس من قبل الشعب [7]. ظل السلطان 'عبد الحميد' حبيس قصره تحيط به القوات الاتحادية انتظارا للمكان الذي سيقضي فيه بقية حياته، ولقد عبر السلطان 'عبد الحميد' عن رغبته في الإقامة في قصر ' جراغان ' فقال: " لقد

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٤٣-٣٤٤.

(2) Bozdag. *Abdülhamid* , p.121.

(٣) وتلن . عبد *الحميد*، ص٢٠١.

(٤) الهدى .نيويورك. عدد ٥٤، سنة ١٢، السبت ٢٤نيسان ١٩٠٩، ص الملحق

- Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, p. 281, Kuran *Inikilâp Hardketleri*, p,467.

(٥) حلاق. موقف، ص٣٢٦.

(٦) المرجع والصفحة نفسهما.

(٧) المرجع والصفحة نفسهما.

عملت ثلاثة وثلاثين عاما من أجل الأمة والدولة، ومن أجل سلامة البلاد وخدمت قدر طاقتي، إني حـــاكم يحاكمني الله ورسوله، إنني أسلمكم البلاد بمثل ما وجدتها عليه، ولم أفرط أبدا في شبر من أراضيها لأحـد، وأترك للمولى عز وجل تقدير خدماتي ، وما حيلتي إن شاء الله ان يدع لأعدائي فرصة إسدال ستار اسـود على كل خدماتي، والعجيب أنهم وفقوا أيضا في ذلك .... ولي رجاء منكم أن تخبروا المسـؤولين وأخـي رغبتي في أن يخصص إلى قصر 'جراغان ' إذ من اليسير الانتقال من هنا إلى هناك، أمضى أواخر أيامي مع العبادة، وليس لي رغبة أخرى"[١]، ولقد أجابه الوفد بأن المجلس أتخذ قراره بجعل إقامته فـــي مدينــة 'سلانيك' ، فقال لهم السلطان: "إنني تعب، كما أن تقدم سني لا يسمح لي بالسفر الطويل، وأنا أقســم بـــالله بأنني لا أرغب في السلطنة، لذا أرجو أن أقيم مع عائلتي في قصر 'جراغان' ،ولقد أجابه الوفد بأن طلبــه هذا خارج إطار صلاحياتهم ، لذا فإنهم سيعرضون طلبه هذا على قيادة جمعية الاتحاد والترقي، ولم تمض أكثر من ثلاث ساعات من مغادرة الوفد، حتى جاء الجواب من المجلس، وهو التهيؤ فـــورا للسـفر إلـى 'سلانيك' [٢].

ثم جاء بعد ذلك 'جواد بك' وقال : "لقد وصل الإذن ، وسمحوا بالخروج على الفور، ولمـا أرادوا أخذ بعض الملابس وغيرها ،بادر 'جواد بك' إلى منع ذلك متعللا بضيـــق الوقـت، وأن المكـان الـذي سيذهبون إليه فيه كل شيء" [٣] . ولقد وصل السلطان 'عبد الحميد' نحو منتصف الليل إلى محطة القطـــار ومعه ولداه الأصغران ، وإحدى عشرة امرأة من نسائه وبناته، وأربعة عشـــر خادمـا وخادمـــة، وكـان السلطان في رزانة وطمأنينة بال، وكان يرتدي طيلة هذه الأحداث كلها قبا (أفركـــوت) أغـبر اللـون ، وزوج قفاز أبيض، ولقد ساعد السلطان 'عبد الحميد' السيدات بنفسه على الصعود إلى القطار، وقــام بعـد ذلك بتفحص القطار بدقة، حيث كان يتكون من ٦ مركبات، أربعة منها من الدرجة الأولى ، واثنتان مـــن الدرجة الثانية [٤] . وكان في المركبات الأخيرة مائة جندي لحراسته بقيادة الكولونيـل ' غـالب' قومنـدان الجاندرمة في 'سلانيك'، كما كان القائد 'حسني باشا' أحد اركان الحرب في جيش الحركة حاضرا حينـــها، فقام بأداء التحية العسكرية للسلطان ، ولما أنجز السلطان 'عبد الحميد' كـل مهامـــه، دنـا منــه 'حسـني باشا'،وسأله بحشمة وتأدب إذا كان يستطيع أمر القطار بالمسير فشكره 'عبد الحميد' بلطف ، وأمر القطـــار الذي سار فيه يقله إلى 'سلانيك' [٥] حيث عينت إقامته في ' فيلا آلاتيني' على شـاطئ البحـر [٦] وكـانت أبواب القطار قد أغلقت بالأقفال، وكان السلطان 'عبد الحميد' يقف على قدميه وسط الصالون [٧] .

---

[١] عثمان أوغلي . *والدي*، ٢٤١.

[٢] محمد علي .*السلطان*، ص٣٣٤.

[٣] عثمان أوغلي .*والدي*، ص٢٤٦..

[٤] الهدى . نيويورك، عدد ٥٧، سنة ١٢، الثلاثاء ٢٧ نيسان ١٩٠٩، ص٢.

[٥] الهدى . نيويورك، عدد ٥٧، سنة ١٢، الثلاثاء ٢٧ نيسان ١٩٠٩، ص٢.

[٦] Kinross. *The Ottoman*, p.578; Barber. *The Sultan*,.p216; المؤيد .مصر، عدد ٥٧٥٢، ٢٩ أبريل، ١٩٠٩،ص٥

[٧] عثمان أوغلي .*والدي*، ص٢٤٨.

ولقد مر القطار عبر منطقة 'دده قاتش' (Dedeagatch) واستمرت الرحلة المرهقة ٢٠ ساعة،وقد وصل القطار إلى المحطة النهائية الساعة التاسعة مساء يوم ٢٨ نيسان ١٩٠٩ ، حيث وصل الى 'فيلا آلاتيني' التي تملكها عائلة يهودية معروفة جداً[١] . وكان القصر الذي أنشئ قبل عشرين عاماً من خلع السلطان تبلغ مساحته ٩٢٧م٢[٢].ولقد استقبل السلطان من قبل كبار رجال 'سلانيك' وعلى رأسهم واليها [٣] حيث أقام السلطان وأسرته وحاشيته في الدور الثاني من القصر، واما الدور الأول ؛ فكان يشغله جماعة من الضباط ورجال الجيش المكلفين بحراسة السلطان، وكانت تحت قيادة ' فتحي بك'، وأما الدور الأخير، وهو الدور الثالث، فكان خال لا يسكنه أحد [٤] ويمكن إجمال من كان على حراسة السلطان بانهم من غير المسلمين[٥] حيث عّين 'فتحي بك' شقيق 'رمزى بك' مشرفاً على ذلك[٦] وهو من يهود الدونمة[٧].

ولقد نقلت صحيفة 'المؤيد ' بتاريخ ١٦ أيار عن صحيفة ' صباح' بتاريخ ١١ أيار ١٩٠٩ ، أنه تم تعيين معاش للسلطان 'عبد الحميد' قدرة ألف جنيه عثماني شهرياً، ولكل من أولاده المقيمين معه ستمائة جنيه [٨]. وهذا الأمر كان إجحافاً بحق السلطان 'عبد الحميد' حيث قال: "إن أسلافي لم يقبلوا بمثل ذلك قط"[٩].

اما جمعية الإتحاد والترقي فقد قامت فوراً بالاستيلاء على أوراق ومراسلات السلطان وفي كثير منها أسرار خطيرة متعلقة بسياسته الداخلية والخارجية[١٠]، كما قامت الجمعية بإلقاء القبض على المصاحب الأول – أمين السّر – للسلطان 'جوهر آغا' واستعملوا معه صنوف العذاب ليدلهم على خزينة السلطان ، فصاح في وجههم بأنه لن يخون ولي نعمه أبداً، فتم شنقه، وبادروا بعده إلى المصاحب الثاني 'نادر آغا' ، حيث عُذب فقام بدلهم على الخزينة، وأنقذ نفسه من الإعدام [١١] ، ثم وضعت الأموال في صناديق ، وتمّ سرقتها فيما بعد ، ولم يتحمل أحد المسؤولية تجاه ذلك[١٢].

---

(1) Pears . *Life*, P.323.

(٢) الاتحاد العثماني . بيروت، عدد ٢٠٢، ٢ أيار ١٩٠٩، ص٢.

(٣) المؤيد، مصر ، عدد ٥٧٥٨، ٦ مايو ١٩٠٩، ص٦.

(٤) المصدر والصفحة نفسهما.

(٥) المصدر والصفحة نفسهما.

(6) Kedourie . *Arabic*, p.251.

(7) Loc. cit

(٨) المؤيد . مصر، عدد ٥٧٦٦، ١٦ مايو ١٩٠٩، ص٤.

(٩) المقتبس . دمشق، عدد ١٩٩، الأحد ٢ أيار ١٩٠٩، ص٣.

(١٠) المؤيد . مصر ، عدد ٥٧٥٦، ٤ مايو ١٩٠٩، ص٣

(١١) طوران . *أسرار*، ص٩٤ ؛ Kuran. *Inkilâp Hareketleri* ,p.468

(12) أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢، ص١٨٦ ؛ Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*. P.468

وفيما بعد قام السلطان 'عبد الحميد' بمعاتبة 'أنور بك' بقوله :" نعم يا ' أنور' ... لقد سرت في جيش الحركة إلى 'إستانبول' ظافرا، واستوليتم على المدينة، وحتى على القصر،وتمكنتم من خلعي، حسنا لكن لا تنسوا أنني أنا الذي منعت قواتي من إطلاق النار عليكم حقنا للدماء، ولو جابهتكم بالمقاومة لكلفتكم تلك ثمنا باهضا، ولكني نجحت في عدم إلحاق أي أذى بأي فرد، لكن رفقاءكم لم يقدروا ذلك، كما لم تعجبهم تدابيري، فرموني كحزمة بالية إلى الشارع، واتهموني كذلك بتدبير حادثة ٣١ مارت، بينما لم تكن لي أية علاقة بها، ولا يخلو عهد من أعداء للدولة ، ولكن لا يقبل أي ضمير ولا أي وجدان إلصاق التهم والافتراءات جزافا دون تحقيق، ودون سند"[١].

بذلك اصبح السلطان مخلوعا لا يملك من الأمر شيئا، ويقول ' جواد رفعت اتلخان': "في الواقع أن جمعية الإتحاد والترقي التي خلعت السلطان 'عبد الحميد' ، هي التي أقامت الاستبداد بعد ذلك، وشهدت البلاد من المآسي ما لم تشهده خلال ثلاثة وثلاثين سنة من حكم السلطان"[٢] ، وكما ذكرنا فان جمعية الإتحاد والترقي قامت بتعيين أخيه 'محمد رشاد' خلفا له وقد اقترح الجنرال 'سامي باشا' أحد الأعيان و ناظر الضابطة سابقا "ان السلطان 'محمد الفاتح' فتح القسطنطينية، واليوم قد افتتحت المدينة ثانية وعليه أرى أن يسمى السلطان الجديد 'محمد الخامس' ، فقبل هذا الرأي" [٣] حيث كان 'محمد الخامس' من الناحية العملية مجرد من أي سلطة حقيقة أو نفوذ إلا بقدر ما تسمح به جمعية الإتحاد والترقي ، التي كانت خاضعة للجمعية الماسونية، وهكذا سيطر اليهود على مقدرات البلاد من وراء الستار [٤] ، حتى أن بعض المؤرخين قد أطلق على السلطان 'محمد الخامس' لقب 'السلطان الأبله' [٥]. وقامت جمعية الاتحاد والترقي بصك نقود جديدة تحمل شعارات الماسونية 'حرية ، عدالة ، أخوة ، مساواة' [٦]. بالإضافة إلى نياشين وأوسمة تحمل الشعار ذاته [٧]. أما السلطان المخلوع 'عبد الحميد' فقد تعرض في عزله لمحاولة اغتيال من قبل ضابط في سلاح المدفعية هو 'يوز باشي سالم' (Yüzbaşi Salim) ، حيث أطلق رصاصة على السلطان فأخطأه وارتطمت بالحائط فوق رأسه تماما [٨].

---

(١) محمد علي .*السلطان*، ص٣٤٣.

(٢) اتلخان .*أسرار*، ص٦٢.

(٣) البشير . بيروت، عدد ١٩١٠، سنة ٤٠، الاثنين ١٠ أيار ١٩٠٩، ص١.

(٤) ناجي . *المفسدون*، ص٣١٧.

(٥) الشناوي . *الدولة* ، ج٢، ص١٠٠٧.

(6) Atilhan. *Islâmi*, p. 205.

(٧) انظر صوره عن هذه النقود والنياشين والأوسمة في الملحق رقم ٧ .

(8) Bozdağ . *Abdülhamid*, p.130.

٣- النتائج المباشرة لثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ .

لم تقف الأمور عند سيطرة جمعية الاتحاد والترقي على مقاليد الأمور، فقد كان هؤلاء يفتقرون إلى قيادة حقيقية تستطيع قيادة البلاد، حيث صرح 'محمود شوكت' لمراسل صحيفة ' بيونير' (Pioneer) الإنجليزية " بأنه لا يوجد عنده الرجال الأكفاء ذوو سطوة واقتدار، حتى يقدروا على حفظ السلطنة من التورط في الهلاك والخراب" [١] ، وكانت الجمعية تعتقد أن الشعب بأكمله ممتن لها ، وأن كل شخص لا يقدر خدماتها وتضحياتها ، لا يعتبر ناكرا للجميل فحسب ؛ بل خائنا للوطن ، لذلك بدأ هناك تحزب شديد قامت به الجمعية ، هدفت من خلاله إبعاد موظفي الدولة غير الاتحاديين ، لكن الجمعية لم توفق في ذلك بشكل كامل ، اذ انها تفتقر الى الكوادر اللازمة لملء هذا الفراغ ، لذلك فانهم اضطروا إلى إبقاء وزراء السلطان 'عبد الحميد' في كثير من المناصب الوزارية [٢]، واتضح بعد عام ١٩٠٨ أن الجمعية التي وضعت مصطلح 'قحط الرجال' لم يكونوا حتى على مستوى رجال السلطان 'عبد الحميد' علماً وتجربة[٣].

كانت الأخطاء الكبيرة التي ارتكبتها الجمعية قد أدت بالدكتور 'رضا توفيق' المعروف بالفيلسوف إلى القول سنة ١٩١٠ لمحرر صحيفة 'بروجرة دى سلانيك': "أنا على اتفاق تام مع الجمعية على ان البلاد في حاجة إلى حكومة قوية، ولكني أخالفها في استخدام القوة، إذا كان وجودي في المجلس قضى عليَّ بأن أحمل على 'طلعت بك' الممثل الأكبر للجمعية في الوزارة، وصديقي ورفيقي منذ الساعة الأولى في جمعية الإتحاد والترقي، فذلك لاعتقادي بأن الواجب على أن أفعل ما فعلت، ولو سكتُ كغيري لكان ذلك خيانة لا يغتفرها الوطن لي، إن الدستور لا يكون إلا كلمة لا معنى لها إذا لم تحترم الحرية السياسية والحقوق الأساسية، وحرية القول والكتابة والخطابة، وإذا لم تعامل العناصر كلها معاملة واحدة بمقتضى أحكام الدستور"[٤] .

إن كلمات 'رضا توفيق' هذه توضح الشيء الكثير من سلبيات سياسة جمعية الإتحاد والترقي التي اتبعوها ،إلى جانب اشتهار كثير من قياديي هذه الجمعية بالبعد عن الدين، بل ومجاهرة بعضهم بعداوته للإسلام وإعلان إلحاده[٥] حتى ان 'احمد رضا' رفض ان يقسم بالله في مجلس المبعوثان ، في حين نرى بعض الضباط قبل ٣ أيام من أحداث ٣١ مارت يقولون لجنودهم :" لا يجوز لكم أبداً الاتصال بالعلماء ورجال الدين[٦] ... الجندية شيء ومسائل الدين شيء آخر ، عدا الله لا نعترف بأحد، إن السلطان والشعب بيد جمعية الإتحاد والترقي"[٧].

---

(١) محمد إنشاء الله . محرر صحيفة 'وطن' في الهند، المنار، مصر، ج١، م١٢، ص٧٠١.

(٢) أوزتونا . *تاريخ* ، ج٢ ، ص١٨١.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .

(٤) مجهول . *ثورة* ، ص٥٠-٥١.

(٥) محمد علي . *السلطان*، ص٣٢٥.

(6) Atilhan. *Islâmi*, p. 204.

(٧) المرجع والصفحة نفسهما.

كل تلك العوامل أدت إلى فقدان ثقة العامة من شعوب الدولة العثمانية بجمعية الإتحاد والترقي، وفي مقدمتهم كان العرب ، الذين تمتعوا في وقت سابق بحرية تامة في بلادهم، وكانت لغتهم العربية، هي اللغة الرسمية، وكان منهم الوزراء والحكام، وكان لهم مجالس ألوية، ومجالس بلديات ، ومجالس إدارة وكان القادة الأتراك يكرمون ساداتهم وعلمائهم، وكان العرب على أتم وئام مع الأتراك ، حتى أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ [١] ؛حيث شعر العرب وشعوب الجامعة العثمانية بتغير مسلك الجمعية تغيرا غير منتظر من جمعية كانت تعد نفسها حامية الحرية وسلطة القانون، وهادمة اركان الاستبداد ، فأخذ سوء الظن يعود إلى النفوس ،والثقة المتبادلة بدأت تضعف وتزول [٢] .

وفي أواخر سنة ١٩٠٩ أي بعد خلع السلطان 'عبد الحميد' ، دعا بعض الضباط العرب أصحاب الرأي من أعضاء جمعية الإتحاد والترقي إلى اجتماع طويل في العاصمة 'إستانبول' لأجل بحث التدابير التي يجب اتخاذها لحسم مسائل الخلاف التي نشأت بين العرب وقادة الجمعية حسما نهائيا، وكاد هذا الاجتماع أن يسفر عن نتيجة مرضية لولا دخول وتدخل غلاة الاتراك، 'كأحمد أغايف'، و'يوسف اقشوره بك' وغيرهما، ومن ثم تفوههم بما يمس العرب ويزيد نفورهم منهم، ويقضي على آمالهم فيهم[٣].

هذا عن موقف العرب، أما عن أمر خلع السلطان فقد علمنا أمر خلعه من جمعية التحاد والترقي، وقد وصلوا إلى ما وصلوا إليه بكيد دونمة سلانيك ... لذلك نرى أكبر همهم جمع المال، فلا هم على دين هذه الدولة فيغارون عليه، بل هم يقاومونه ويهدمونه، ولا هم من أصل راسخ فيها، فيكونون احرص على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها. وإذا نظرنا الى اعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم، نرى انهم قد فعلوا في الدولة من الافساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها منذ أصيبت بالضعف إلى أن أصيبت بهم[٤].

ولقد اتضح كيف أن الماسونية نمت وترعرت في احضان يهود الدونمة الذين احتلوا مراكز خطرة في الدولة، حيث قام هؤلاء بتوجيه سياسة الدولة نحو خدمة أهداف اليهودية العالمية الساعية لتحقيق أهداف الصهيونية تحت ستار الحركات التحررية في الدولة العثمانية [٥]. لذلك فليس من المدهش أبدا أن نرى السفراء يظهرون تشككهم بصورة طبيعية وهم العارفون بأن يد المحافل الماسونية هي التي كانت وراء هؤلاء الأشخاص تحركهم كما يحركون الدمى[٦].في الوقت الذي كانت فيه الدول الأجنبية بمثابة الممول ، لأنه كان لها مصالح مشتركة سواء مع الباب العالي في العاصمة ، أو مع جمعية الاتحاد

---

[١] حسن صدقي الدجاني . *تفصيل ظلامة فلسطين- حقائق أرقام تقارير وثائق هامة*(ط١، القدس : المطبعة التجارية، ١٩٣٦) ص١١.

[٢] مجهول . *ثورة* ، ص٥٠.

[٣] المصدر نفسه ، ص٥٤.

[٤] المصدر نفسه، ص٢٢٧.

[٥] عثمان . *اليهود*، ص٧٣.

[٦] النتشة . *السلطان*، ص١٢٦.

والترقي[1] وكانت المحافل الماسونية أكثر من كونها مجرد غطاء ثانوي او عرضي لاجتماعات الضباط الشبان، حيث انه في تشرين ثاني ١٩١١ حدث أن 'جاويد بك' الذي عبر في مناسبات عديدة عن اهتمامه وعلاقته بالحركة الصهيونية ، قد ربط للمرة الأولى المحافل الماسونية بالأهداف اليهودية[2].

ويقول ' عمر مفتي زاده' في مؤلفة 'جهاد ناطق' : "إن هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من أعضائها، كما ينشرونها بين ضباط الجيش، وقد يكون هذا تمهيداً للفصل بين السياسة والدين ، وتجريد السلطان من صفة الخلافة الإسلامية ، وإن من لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضي إلى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد به إعادة ملك إسرائيل، وإلى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لخيرات البلاد" [3].

ولقد جاء في كتاب ' الماسونية في البلاد العثمانية' "نحن العثمانيين مدينون للماسونية أكبر دين لأنها هي التي ثبتت في نفوس أعضاء جمعية الإتحاد والترقي روح الحرية، وبها اقتدوا في إنشاء جمعيتهم التي فكت قيود الإستبداد، وقد اهتم جماعة من الماسون المصريين في إنشاء تذكار لذلك، فأنشاؤا محفلاً جديداً في القاهرة سموه محفل نيازي"[4] لقد أثنى' برتو بك' (Pertev Bey) – أحد قادة الجمعية – على الحكومة الإتحادية والأمة الإنجليزية لأنها ساعدت الاتحاديين على هذا الانقلاب المبارك الذي قوض أساس الاستبداد، ووطّد أركان الحرية في الممالك العثمانية وقال صريحاً: "إن الماسونية كانت المحرك الأول والمرشد الأكبر لجمعية الإتحاد الترقي"[5].

ولقد جاء في كتاب ' الخطوط العريضة لتاريخ الماسونية في تركيا': " لابد من القول أن الماسونية قد أدت خدمات جليلة لجمعية الإتحاد والترقي ، وبقدر هذه الخدمات بقدر ما كانت خدمات جمعية الإتحاد والترقي في تنظيم الماسونية التركية وتطورها، وذلك عقب إعلان المشروطية "[6].

لقد كانت الماسونية اليهودية دوماً تعترف وتفتخر بدورها الفعال في خلع السلطان عبد الحميد الذي كان عدوها اللدود .وقد تنفس الزمان للماسون بعد الانقلاب، حيث الأصابع الماسونية معروفة فأسّسوا

---

(1) Mardin. *The Genesis*, P.116-117..

(2) Lewis. *The Emergence*, P.208..

(3) التل . *الأفعى* ، ص٨٧ ؛ شيخو. *السر*، ك٦، ص٣٥.

(4) أنور الجندي . *الفكر العربي في مواجهة الاستعمار* (القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧١) ص١٣٠ ؛ انظر– Kedourie. *Arabic* ,p.252.

(5) المرجع والصفحة نفسهما.

(6) بني المرجة .صحوة، ص٢٣١-٢٣٢.

المحافل التي تزعمها قادة جمعية الإتحاد والترقي التي كان أغلب قادتها من يهود الدونمة [١]. كما قـــاموا بتأسيس محفلا ماسونيا سمي 'بالشرق العثماني' أستاذه الأعظم 'طلعت بك' ناظر الداخلية [٢] .وقد لوحظ أن اليهود المحليين والأجانب على إختلاف انتماءاتهم كانوا مؤيدين متحمسين للعهد الجديد، ولقد أصبــح كــل يهودي جاسوساً بالقوة للجمعية، وبدأ الناس يقولون :" أن الجمعية انما هي حركة يهودية أكثر ممـــا هـــي ثورة تركية"[٣]. والظاهر أن رجال الدولة من الاتحاديين كانوا يثقون بصدق وإخلاص وولاء يهود الدولــة العثمانية للدستور، وأنه سيكون لهؤلاء في عهد الدستور غير الشأن الذي كـــان لـــهم فـــي أيـــام 'الظلـــم والاستبداد' ، الأمر الذي قد يؤدي إلى زيادة هجرة اخوانهم اليهود الغرباء إلى مناطق مختلفة مـــن الدولـــة العثمانية" [٤].

ولقد كان "نفوذ اليهود في جمعية الإتحاد والترقي عظيم ، حيث كان ناظر الماليـــة 'جـاويد بـــك' إسرائيلي النسب وأنه جعل كاتباً له وكثيراً من موظفي نظارته من اليهود فعلمنا أنه سيكون لليهود شــأن ، وأي شأن في هذه وآمالهم في القدس وفلسطين معروفة"[٥] .ولقد أمل اليـــهود خـــيراً بعـــد ثـــورة ١٩٠٨ واستبشروا بالفوز القريب وأخذوا يسعون لدى أعضاء جمعية الإتحاد والترقي وكان علـــى رأس هـــؤلاء 'عمانوئيل قره صو' (Emanuel Karasu)[٦]ويمكن القول أن ثورة ١٩٠٨ أدت إلـــى تقويـــة الروابـــط العاطفية بين اليهود وجمعية الاتحاد والترقي في 'مكدونية'[٧].

ولقد أكدت صحيفة 'المقتطف' على دور اليهود في الثورة، حيث قالت :" بقيَّ علينا ذكـــر عنصـــر آخر من العناصر العثمانية يبلغ نحو نصف مليون نفس في تركيا وأوروبا وآسيا، لكن اليهود في الأســـتانة فاقوا سواهم يوم الاحتفال بعيد الدستور ، [حيث] كان بين المتطوعين من أهل مكدونية عدد غير قليل مـــن الإسرائيليين ، فقاتلوا هم وإخوانهم من المسيحيين قتال الأبطال في الدفاع عن الدستور كما شهد لـــهم بـــه إخوانهم المتطوعون المسلمون، وقد كان بين المندوبين لابلاغ 'عبد الحميد' خـــبر خلعـــه إســـرائيلي مـــن اعضاء مجلس المبعوثان.....إن للإسرائيليين كلمة في جمعية الاتحاد والترقي في 'سلانيك' ، وان جماعـــة إسرائيليي الأصل يسمون بالدونمة بيدهم أهم تجارة 'سلانيك' ، وأنه قام من هؤلاء الدونمة أشهر المـــاليين العثمانيين في عهد الدستور" [٨].

---

(١) شيخو . *السر* ، ك٥، ص٤٢.

(٢) المصدر الصفحة نفسهما.

(3) Kedourie. *Arabic*, p.25.

(٤) المنار . مصر، ج٤، م١٤ سنة ١٩١١، ص٢٦٩-٢٧٣.

(٥) المصدر نفسه ، ج٤٢ م١٤، ص١٥٩.

(٦) شيخو. *الصهيونية* ، ص٧٧٣.

(7) *Revue du Monde Musulman*, T,5 1908, p. 176.

(٨) المقتطف. مصر، ج٤، م٣٥، ١١ أكتوبر، ١٩٠٩، ص٩٥٧.

ولقد فاق اليهود غيرهم في التعبير عن فرحتهم بثورة ١٩٠٨ ، حيث قامت الصحافة الصهيونيـــة المنتشرة في أوروبا بمتابعة أخبار الثورة بشكل دائم، لاسيما صحيفة 'نيو فراى بـرس' (Neue Freie Presse)التي قامت بنشر أخبار الثورة وتأييدها، كما نشرت العديد من التصريحات لقادة جمعية الاتحـــاد والترقي مثل تصريحات 'فهمي باشا'، حيث ذكر مساوئ حكم السلطان 'عبد الحميـد'، ومسـاوئ الرقابـة الشديدة على التقارير المختلفة، وكانت صحيفة 'إقدام' (Íkdam) قد ترجمت هذا المقال في حينـــه فـي 'مصر'.[١]

وبعد الثورة قام المتظاهرون الأتراك وغيرهم بالتوجه إلى مركز هذه الصحيفـة فـي 'إسـتانبول' هاتفين: 'عاشت الصحافة' (Vive la Presse) و'عاشت الحرية' (Vive la Liberte)[٢]. "ويظهر ممـا تقدم، وكما يتبين من أية ملاحظة دقيقة لجمعية الاتحاد والترقي في تلك المراحل ؛أن هذه الحركة هي فـي جوهرها واساسها حركة يهودية تركية ، تعارض العناصر الأخرى كـــ'العـرب' و'اليونـان' و'البلغـار' و'الأرمن' الخ"[٣].

و"لما كانت الدولة العثمانية تضم الأماكن المقدسة عند [إسرائيل]، فمن الطبيعي ان يسعى اليهودي جاهداً ليحتل مركز نفوذ يتفرد به وحده ، ويستخدمه لتحقيق مثله العليا ، ألا وهي اقامة دولة مسـتقلة فـي 'فلسطين' أو في بلاد بابل [العراق] كما أوضح ذلك 'إسرائيل زانغويل' (Israel Zangwill) [٤] في مقالـه المنشور في عدد شهر نيسان ١٩١٠م في مجلة ' الأسبوعان' فـورت نـايتلي ريفيـو' Fortnightly Review) "بانه سيصيد عصفورين بحجر واحد، إذا استطاع أن يحصل من الأتراك على السماح بهجرة غير مقيدة إلى تركيا، وهذا هدف ما فتئ يسعى لتحقيقه من سنوات عديدة... وفي مقـابل الـهجرة غـير المحدودة لليهود الأجانب، عرض على جمعية الاتحاد والترقي أن يستبدل لغته الوطنية باللغة التركية، بـل أنه على استعداد لتحمل جميع ديون الدولة التركية" [٥] .

ولقد كان 'زانغويل' نفسه يعبر تماماً عما عبر عنه هرتزل في وقت سابق ، "ومما لا شك فيــه أن حكومة تركيا الحالية وهي تتحمل نفقات عسكرية ثقيلة بحاجة إلى قروض مالية ، مما سيمكن المقرضيـن اليهود من استخدام ضغوط جديدة عليها، وكان السلطان 'عبد الحميد' قد رفض عندما كان يعـاني أزمـة مالية شديدة مثل هذه العروض التي تقدم بها هرتزل الزعيم الصهيوني" . ويبدو أن 'زانغويل' كـان يعـبر

---

(1) *Revue du Monde Musulman*, T.5 , 1908, p.730.

(2) Ibid ., p.723.

(3) Kedourie. *Arabic* ,p.256.

(٤) إسرائيل زانغويل (١٨٦٤ -١٩٢٦) كاتب يهودي بريطاني . وضع عدة مؤلفات مشهورة ، تصور الحياة في الأحياء اليهودية في أوروبا ، واشترك في المؤتمر الصهيوني الأول. واختلف مع الحركة الصهيونية بعد وفاة هرتزل، ثم عاد إلـى الحركة بعد عام ١٩١٧ . لمزيد من التفاصيل انظر : Ency Judaica , Vol. 16 , p. 930 – 932

(5) Kedourie. *Arabic* ,p.256

عن الفكرة نفسها عندما كتب :" فإذا لم يكن حظ جمعية الاتحاد والترقي من الادراك السليم أقل من النقـود في خزائنهم فإنهم سيدركون ولا شك أية فائدة عظيمة ستحصل عليها دولتهم بسماحهم بالتغلغل السلمي في بلادهم لسكان من الجنس الأبيض ، ذوي كفاءة صناعية ومثابرة في العمل ،وغير عسكريين" [١]،ثم يقـول 'زانغويل' عن النواب الأربعة من اليهود الذين نجحوا في دخول مجلس المبعوثان "بإنهم خصـوم الـداء للصهيونية(Violently anti- Zionist) وأنه قد يتظاهر هؤلاء النواب الأربعة بعدائهم للصهيونية فيما يختص بالصهيونية الداعية إلى هجرة اليهود إلى 'فلسطين' "[٢].

ولا يقتصر الأمر على 'فلسطين' حيث أن جريدة ' الشفق ' (Aurore) وهي صحيفة صهيونيـة أنشأت في 'إستانبول' ، قامت دائماً بتذكير قرائها مراراً دون كلل أو ملل بأن السيطرة على 'مصـر' أرض الفراعنة هي جزء من ميراث 'إسرائيل' في المستقبل، حيث كان العديد من المثاليين اليهود يعتنقـون هـذه الفكرة ويدعون لها، ويبشرون بها، على ان 'فلسطين' و'العراق' هما هدف اليهود النهائي البعيد[٣].

اما الهدف المباشر القريب الذي كان يسعى اليهود اليه ،فهو السيطرة الاقتصادية التامة على الدولـة العثمانية ، وإقامة المشاريع الجديدة فيها، وقد تبين أن اليهود قد تمكنوا من إحتلال جميع النقاط الرئيسـية في الحكومة العثمانية التي كانت بعد خلع السلطان 'عبد الحميد'[٤] .

وكان من الواضح أن اليهودي الذي كان يهتم أعظم الاهتمام بالإحتفاظ بنفوذه المطلق في مجلـس الوزراء الجديد، كان يهتم أيضاً وبشكل كبير بإبقاء شعلة الفرقـة والخصـام بيـن الاتـراك والخصـوم المحتملين لليهود داخل الدولة مثل 'اليونان' و'الأرمن' وغيرهم ، في الوقت الذي كان اليهود لا يرون مانعـاً بأن يزودوا العهد الجديد بالأموال المقترضة من الممولين اليهود [٥] .

لقد كان بامكان اليهود ان يساعدوا جمعية الاتحاد والترقي القابضة على زمام الأمـور بأدمغتـهم ومشاريعهم التجارية وبنفوذهم الهائل في الصحافة الأوروبية، وبتقديم الأمـوال مقـابل الحصـول علـى مكاسب اقتصادية، ومقابل تحقيق أهداف 'اسرائيل العليا' في المستقبل، ولقد قدم اليهود الأموال إلى هـؤلاء الأتراك الشبان، وبهذا أحكموا سيطرتهم عليهم، وحتى يحافظ اليهود على هذه السيطرة ، كان لا بـد مـن التظاهر على الأقل انهم يوافقون على تحقيق الأتراك الشبان لأحلامهم القومية السرية ، وكـانت الطـرق الملتوية أمراً أساسياً لكلا الفريقين. واليهودي الشرقي متمرس في التعامل مع القوى الخفية ، وقد اختـيرت لذلك الماسونية السياسية من الطراز الأوروبي كأكثر الروابط فعالية، والعباءة التي تستر الأعمال الداخليـة للحركة [٦] .

---

(1) Kedourie. *Arabic* ,p.256s

(2) Ibid ., p 256-257.

(3) Ibid. , P. 257 ; friedman. *Germany*, p.179.

(4) Kedourie. *Arabic*, p.256

(5) Loc. cit.

(6) Ibid., p.257-258.

ولقد بلغ من نفوذ اليهود في أوساط جمعية الإتحاد والترقي، انهم استطاعوا التأثير على اتجاهات الجمعية من الناحية الدولية والدبلوماسية، حيث كانت العلاقات جيدة مع كل من 'انجلترا' و'ألمانيا' و'إيطاليا' و'فرنسا' ؛ في حين كان الموقف مختلفاً تماماً مع 'روسيا' ، وهذا الموقف كان معناه أن النشاط والنفوذ الروسي سيتضاءل فيما بعد [١] ، وقد يكون هذا الأمر نابع من عداء اليهود ذوى النفوذ داخل جمعية الاتحاد والترقي 'لروسيا' بسبب ما ارتكبته من مذابح بحق اليهود فيها.

ومهما يكن من أمر فإن 'آحاد هاعام' احد كبار قياديي الحركة الصهيونية قد قال بعد ثورة ١٩٠٨"... لو أن كل الأدلة صحيحة فإن أبواب 'فلسطين' سيقدر لها ان تفتح بسرعة أمامنا. إن ظروف الاستيطان والعمل اليهودي ستتوفر لنا الآن دون أى عائق ... فكل العقبات التي وضعت على الاستيطان على مستوى واسع في 'فلسطين' ، سرعان ما ستزول إن عاجلاً أم آجلاً، بالإضافة إلى أن القادة الجدد في 'تركيا' كما يشاع يسعدهم الاستيطان اليهودي، وهم على استعداد لاستقبال القادمين والترحيب بهم بحرارة..."[٢].

وكان السلطان 'عبد الحميد' يرفض عروض الحركة الصهيونية ، وأبان عن نيته في عدم اللين تجاه هذه المطالب، إلا أن الظروف بعد ثورة ١٩٠٨ قد تغيرت، حيث لم يعد السلطان هو الحاكم الوحيد، واصبح لدى اليهود الأمل في الوصول إلى ما يبتغون إليه [٣] .

وكانت الدعاية الصهيونية عموماً داخل الدولة العثمانية تهدف إلى توضيح " أن الصهيونية لا تهدف إلى فصل 'فلسطين' عن الدولة العثمانية، وأن الحركة الصهيونية عرفت جيداً ان وجود أي مركز يهودي لا يمكن أن يضمن ما لم يوضع داخل حدود، وتحت حماية الدولة العثمانية القوية الكبيرة .... وأنهم خلال 'طغيان' السلطان طلبوا وضعاً خاصاً وضمانات أو ما يسمى 'بالميثاق' (Covenant) حتى لا يقوم السلطان بتخريب كل ما بنوه ، أما الآن حيث يسود الدستور والحرية ، فلم يعد هناك حاجة لتأكيدات ووضع خاص" [٤] . حيث كانت الحركة الصهيونية تنظر الى ان يكون نشاطها داخل ' أرض إسرائيل' نشاطاً شرعياً مقبولاً من قبل الحكومة العثمانية الاتحادية ، وكان وضع اليهود في الأراضي المقدسة يسبب قلقاً كبيراً لليهود الاتراك [٥] .

ولقد شهدت هذه الفترة نشاطاً مكثفاً للحركة الصهيونية ، ولقد تزعم هذا النشاط داخل الدولة

---

(1) Stein. *The Balfour*, p.35.

(2) Aharon Cohen. *Israel and The Arab World* (New York :Funk Wagnalls , 1970) p.73.

(3) *Revue du Monde Musulman*, T.5 1908 p.732..

(4) Cohen. *Israel* , p.74.

(5) Weiker. *Ottomans*, p.234-236.

العثمانية 'جابوتنتكسى' (Vladimir Jabotinsky) [١]، حيث قدم إلى الدولــــة العثمانيــة ممثــلاً للصحيفة الصهيونية الروسية (Ruskyeh Viyedonostic) حيث اوكلت إليه مسؤولية الاشراف علـــى شبكة من الصحافة تديرها الصهيونية بعد الموجة من حرية الصحافة التي اجتاحت الدولة العثمانيـــة بعــد ثورة ١٩٠٨ واعلان الدستور [٢].حيث كان متفائلاً وقلقاً في الوقت نفسه من الظروف المستجدة. ولقد لقــى 'جابوتنكسى' الذي عمل في سلانيك ومناطق أخرى دعماً ، وبوجه خاص من قبل الحاخــام الأكــبر فيــها 'يعقوب مئير' (Jacob Meir) و 'مايور جوزيف ناعور ' (Mayor Joseph Naor) و'سعديا ليفـــى' (Saadia Levi) محرر صحيفة 'ليوبك' (L Epoca)[٣] .بالإضافة إلى تعاون العديد من اليهود الأتــواك مع الحركة الصهيونية ، مثل الحاخام الأكبر للطائفة 'الأشكنازية' 'دافيد حاييم نـــاحوم' (David Haim Nahum) ، بالإضافة إلى ثلاثة من أربعة آخرين كانوا أعضاء في مجلس المبعوثان وهم 'عمانوئيل قــره صو' (Emanuel karasu) و'نســيم مزليــاح' (Nissim Masliyah) و'نسـيم روســو' Nissim (Russo)الذين كانوا يتعاطفون مع الحركة الصهيونية [٤]ولقد تمكن 'عمانوئيل قره صـــو' مــن إقناعــهم للترشيح لمجلس المبعوثان ، وفيما بعد قام هؤلاء بإقامة أول فرع للحركة الصهيونية في الدولة العثمانيـــة [٥].

ويمكن القول أن مهمة 'جابوتنسكي' الصحفية والاعلامية داخل الدولة العثمانية ، تحولت الى مهمة سياسية وإعلامية رسمية من قبل المنظمة الصهيونية العالمية .

كان من الصحف التي تديرها الحركة الصهيونية جريدة يومية فرنسية تعرف بإســم (Courierd Orient) التي غيرت اسمها فيما بعد إلى اسم صحيفة 'تركيا الفتاة' (Le Jeune Turc) وكان محررهـــا وناشرها الاسمى هو 'جلال نورى' من أعيان الأتراك بينما كان مديرها الفعلي هو 'صموئيل هوتشـــبرج' (Samuel Hochberg) اليهودي الالماني الذي كان استاذاً سابقاً في مدارس 'الأليانس الإســرائيلي' وقــد عرف الأوضاع جيداً داخل الدولة لمدة عشرين سنة ، وقد غير اسمه إلى صيغة إسلامية ، حيــث أصبــح يدعى 'سامي' وكانت هذه الصحيفة تمولها مؤسسة صهيونية تسمى 'شركة فلســطين التجاريـــة' (Anglo

---

(١) فلاديمير جابوتنسكي : ولد في ١٨/١٠/١٨٨٠ في أودسا بروسيا . كان والده يعمل في التجارة الدولية ، كان من أســرة غنية غير متدينة لكنها محافظة على التقاليد اليهودية ، درس في أودسا ، ثم عمل بالصحافة ، بعدها التحق بجامعة رومـــا ، واستمر في الصحافة حتى نبغ واشتهر بمقالاته ، كانت المذابح التي تعرض لها اليهود عام ١٩٠٣ في روسيا نقطة تحـــول في فكره وعمله الصهيوني . كان متأثراً بشخصية هرتزل ، ولقد عمل جابوتنسكي على تعميق الوعي الصهيوني في أوســط اليهود في المهجر ، ثم دخل في خلافات كثيرة مع الحركة الصهيونية . توفي في نيويــورك عــام ١٩٤٠ . لمزيــد مــن التفاصيل انظر : Ency Judaica , Vol. 9, P. 1178 – 1184 .

(٢) قاسمية . *النشاط*، ص٥٠.

(3) Weiker. Ottomans, P . 337; Friedman. *Germany*, P.142.

(4) Weiker. *Ottomans*, P. 237; Sonyel. *Minorities*, p.309

(5) Sonyel. Minorities, p.318.

'فيكتور جاكوبسون' (Dr Victor Jacobson) [1] وهو يهودي روسي كان قد تعلم في 'ألمانيا' واكتسب الجنسية العثمانية ، وقد أنيطت به مهمة الإشراف على 'الوكالة الصهيونية ' (Zionist Agency) التي كانت قد أسست في 'استانبول' ، ولقد كان النشاط في هذه الوكالة متشعباً متعدد الجوانب حيث كان عليها مراقبة النظام الجديد في الدولة العثمانية ، وتقصي أخبار النشاط الذي يقوم به العرب في العاصمة العثمانية وموافاة الهيئة التنفيذية للحركة الصهيونية بالتوجهات العربية بخصوص الهجرة اليهودية وتمليك الأراضي لهم في 'فلسطين' [2].

ولقد استطاع 'جاكوبسن' ان يؤثر على جمعية الإتحاد والترقي من خلال اقناع 'روسو' و'مزلياح' وغيرهم الذين اجتمعوا مع 'أحمد رضا' و'أنور بك'، و'طلعت' و'ناظم بك' الذين يمثلون قيادة الجمعية؛ حيث اقتنعوا أن دعم الأهداف الصهيونية مفيد للدولة العثمانية، وعندما زار 'أحمد رضا' الحاخام الأكبر 'دافيد حاييم ناحوم' كان يدرس ويفكر في إخوانه في الدين (Brethren) من اليهود لانهم يشكلون 'حالة خاصة' (Special Position) قائمة بذاتها [3]. وكان 'جاكوبسون'على علاقة بأعضاء مجلس المبعوثان من اليهود[4] كما فعل 'جابوتنسكي' تماماً، وقد أشار 'جاكوبسون' إلى أن جمعية الاتحاد والترقي تعتبرهم انفصاليين إن لم يكن اليوم ففي المستقبل [5]. وحتى ذلك الوقت لم تعارض جمعية الاتحاد والترقي الهجرة اليهودية ، بل أن الأمير 'صباح الدين' نادى بمنح الحركة الصهيونية بعض الاستقلالية في النواحي الإدارية الذاتية في 'فلسطين' فيما لو وصلت إلى 'السلطة' ولكن بالنظر إلى ضعف حزبه لم يتمكن من الوصول الى مبتغاه [6] . وكانت الدعاية الصهيونية تقوم على ان اليهود الذين سيهاجرون الى الدولة العثمانية عموماً و'فلسطين' بوجه خاص، سوف يلعبون دوراً كبيراً برأسمالهم، وتعليمهم، وفعاليتهم وسوف يطورون هذا البلد، وسيعملون على اغنائه وإمداده بالقوة [7] .

لذلك وحتى تكون الأمور اسهل ، كانت الحركة الصهيونية تدعي المسكنة والشكوى من الظلم والاضطهاد الذي يتعرض له اليهود في البلدان الأوروبية ، وانه لا يوجد وراء الهجرة إلى 'فلسطين' إلا الحصول على الأمان في العيش [8] ، وكان اهل 'فلسطين' يقومون بتقديم الشكاوي والعرائض على أثر

---

[1] فيكتور جاكوبسون :١٨٦٩ – ١٩٣٥ . يهودي روسي عمل بالصرافة ، وكان عضواً فعالاً في الحركة الصهيونية ، كما عمل مديراً لمكتب الشركة الانجليزية الفلسطينية في بيروت ١٩٠٦-١٩٠٨ ، ثم مدير البنك الصهيوني في استانبول ١٩٠٨ – ١٩١١ ، حيث اشرف على العديد من الصحف الصهيونية ، وأدار في سنوات الحرب العالمية الاولى مكتب الحركة الصهيونية في اسكندنافية – لمزيد من التفاصيل انظر Ency Judaica , Vol. 9, P.1242 - 1243 .

[2] الشناوي .*الدولة*، ج٢، ص١٠٢٥ ; Stein. *The Balfour*, p.35-36

[3] Sonyel. *Minorities*, P.318 ;. Mandle. *The Arab*, p.61.

[4] Sonyel. *Minorities*, P .318 ; Friedman. *Germany*, p.143.

[5] Mandle. *The Arab*, p.60..

[6] Loc. cit .

[7] Cohen. *Israel*, p.74..

[8] تلحوق .*الصليبية* ، ص٥٩.

'فيكتور جاكوبسون' (Dr Victor Jacobson) [1] وهو يهودي روسي كان قد تعلم في 'ألمانيا' واكتسب الجنسية العثمانية ، وقد أنيطت به مهمة الإشراف على 'الوكالة الصهيونية ' (Zionist Agency) التي كانت قد أسست في 'استانبول' ، ولقد كان النشاط في هذه الوكالة متشعباً متعدد الجوانب حيث كان عليها مراقبة النظام الجديد في الدولة العثمانية ، وتقصي أخبار النشاط الذي يقوم به العرب في العاصمة العثمانية وموافاة الهيئة التنفيذية للحركة الصهيونية بالتوجهات العربية بخصوص الهجرة اليهودية وتمليك الأراضي لهم في 'فلسطين' [٢].

ولقد استطاع 'جاكوبسن' ان يؤثر على جمعية الإتحاد والترقي من خلال اقناع 'روسو' و'مزلياح' وغيرهم الذين اجتمعوا مع 'أحمد رضا' و'أنور بك'، و'طلعت' و'ناظم بك' الذين يمثلون قيادة الجمعية؛ حيث اقتنعوا أن دعم الأهداف الصهيونية مفيد للدولة العثمانية، وعندما زار 'أحمد رضا' الحاخام الأكبر 'دافيد حاييم ناحوم' كان يدرس ويفكر في إخوانه في الدين (Brethren) من اليهود لانهم يشكلون 'حالة خاصة' (Special Position) قائمة بذاتها [٣]. وكان 'جاكوبسون' على علاقة بأعضاء مجلس المبعوثان من اليهود[٤] كما فعل 'جابوتنسكى' تماماً . وقد أشار 'جاكوبسون' إلى أن جمعية الاتحاد والترقي تعتبرهم انفصاليين إن لم يكن اليوم ففي المستقبل [٥]. وحتى ذلك الوقت لم تعارض جمعية الاتحاد والترقي الهجرة اليهودية ، بل أن الأمير 'صباح الدين' نادى بمنح الحركة الصهيونية بعض الاستقلالية في النواحي الإدارية الذاتية في 'فلسطين' فيما لو وصلت إلى 'السلطة' ولكن بالنظر إلى ضعف حزبه لم يتمكن من الوصول الى مبتغاه [٦] . وكانت الدعاية الصهيونية تقوم على ان اليهود الذين سيهاجرون الى الدولة العثمانية عموماً و'فلسطين' بوجه خاص، سوف يلعبون دوراً كبيراً برأسمالهم، وتعليمهم، وفعاليتهم وسوف يطورون هذا البلد، وسيعملون على اغنائه وإمداده بالقوة [٧] .

لذلك وحتى تكون الأمور اسهل ، كانت الحركة الصهيونية تدعي المسكنة والشكوى من الظلم والاضطهاد الذي يتعرض له اليهود في البلدان الأوروبية ، وانه لا يوجد وراء الهجرة إلى 'فلسطين' إلا الحصول على الأمان في العيش [٨] ، وكان اهل 'فلسطين' يقومون بتقديم الشكاوي والعرائض على أثر

---

(١) فيكتور جاكوبسون :١٨٦٩ – ١٩٣٥ . يهودي روسي عمل بالصرافة ، وكان عضواً فعالاً في الحركة الصهيونية ، كما عمل مديراً لمكتب الشركة الانجليزية الفلسطينية في بيروت ١٩٠٦–١٩٠٨ ، ثم مدير البنك الصهيوني في استانبول ١٩٠٨ – ١٩١١ ، حيث اشرف على العديد من الصحف الصهيونية ، وأدار في سنوات الحرب العالمية الاولى مكتب الحركة الصهيونية في اسكندنافية – لمزيد من التفاصيل انظر Ency Judaica , Vol. 9, P.1242 – 1243 .

(٢) الشناوي .*الدولة*، ج٢، ص١٠٢٥ ; Stein. *The Balfour*, p.35-36

(3) Sonyel. *Minorities*, P.318 ;. Mandle. *The Arab*, p.61.

(4) Sonyel. *Minorities*, P .318 ; Friedman. *Germany*, p.143.

(5) Mandle .*The Arab*, p.60..

(6) Loc. cit .

(7) Cohen. *Israel*, p.74..

(٨) تلحوق .*الصليبية* ، ص٥٩.

ازدياد حركة الهجرة ضد الموظفين العثمانيين المتواطئين مع قناصل الدول الأجنبية ، مما كان يؤدي في كثير من الحالات إلى إبعاد هؤلاء عن وظائفهم، حيث استبدل 'متصرف القدس' العثماني سنة ١٩٠٦ بآخر قام بوضع القيود على الهجرة اليهودية موضع التنفيذ بشدة[1]

ولقد اختلفت هذه الأمور تماماً بعد الثورة ١٩٠٨ ؛ حيث تم نقل متصرف القدس 'علي اكرم بك' إلى وظيفة أخرى وكانت وظيفته الجديدة والياً على بيروت [2] ولقد اشتهر عن 'علي اكرم بك' حرصه على الإيفاء بمسؤولياته لوقف الهجرة[3] ولقد قام قبل مغادرته القدس، بتقديم توصياته في تقرير شدد فيه على خطر الهجرة اليهودية ، ولقد تم استبداله في سبتمبر ١٩٠٨ بـ'صبحي بك' الذي كان على العكس تماماً مما كان عليه سلفه ومن سبقوه منذ سنة ١٨٩٧ ، حيث قام بقراءة التقرير الذي أعده 'على أكرم بك' . وكان 'صبحى بك' قبل مغادرته قد زار 'فيكتور جاكوبسون' في 'استانبول' وقد عبر وبتحفظ حذر عن موقفه تجاه الهجرة اليهودية ، على أساس أن النظام الجديد لم يبحث بعد مجمل النشاطات اليهودية في فلسطين [4] .

ولقد كتب 'طلعت بك' زعيم جمعية الاتحاد والترقي في مذكراته :" كانت جمعية الاتحاد والترقي أمل اليهود، هذا صحيح لقد بدأ اليهود في عهد توليتي وزارة الداخلية للمرة الأولى يتجمعون في 'فلسطين' ، خاصة هؤلاء الذين أجبروا على الهجرة من 'روسيا'، واخذ اليهود يشترون الأراضي في 'فلسطين' بواسطة اليهود من التبعية العثمانية، كما جاء ٥٠,٠٠٠ يهودي إلى أرض 'فلسطين' خلال سنة واحدة من كانون ثاني ١٩٠٨إلى آذار ١٩٠٩..." [5]

وكان عدد اليهود في 'فلسطين' قد زاد سنة ١٩٠٨ عن ٨٠ ألفاً ، وهو ما يبلغ ثلاثة أضعاف عددهم سنة ١٨٨٢ عقب هجرتهم من 'روسيا' ، وبحلول سنة ١٩٠٨ ايضاً كان اليهود قد حصلوا على المزيد من الأرض ، وكانوا قد أقاموا عليها ٢٦ مستعمرة [6]

ولقد قام 'جاكوبسون' إلى جانب اتصالاته مع يهود الدولة العثمانية وقيادة جمعية الاتحاد والترقي بالاتصال برجال السياسة والصحفيين العرب في محاولة منه لإقناعهم ، بأنه من الخير أن يكف العرب عن معارضتهم الشديدة للنشاط الصهيوني في 'فلسطين' ، لأن الصهيونية باستطاعتها في حال امتناع العرب عن هذه المعارضة، أن يقوموا بمساعدتهم على تحقيق أمانيهم القومية [7] ، ولقد استمرت هذه الاتصالات حتى شهر تموز ١٩١٤ ولم تسفر عن نتيجة تذكر، وعندما حوكم بعض قادة العرب وزعمائهم

---

(١) النتشة . *السلطان* ، ص١٧٥.

(2) Mandle. *The Arab*, p.61-62..

(3) Loc. cit.

(4) Loc. cit.

(٥) حرب . *مذكرات* ، هامش ص ١٤٣..

(٦) أوكه . *السلطان* ، ص٧٩.

(7) Stein. *The Balfour*,p.35-37.

سنة ١٩١٥ أمام 'الدواوين العرفية' [1] في 'بيروت' ودمشق' بتهمة الخيانة العظمى، وجدت السلطات العثمانية في أوراق المتهمين ما يثبت قيام مثل هذه الاتصالات بينهم وبين رجال الوكالة الصهيونية في 'استانبول' ، وان هذه الحركة ليس بمقدورها أن تساعد العرب على حساب ولاء العرب للدولة العثمانية[2].

وقد قال الدكتور ' ناميم بك' (Dr Namim Bey) – أحد الأعضاء البارزين في جمعية الاتحاد والترقي– لـ'ماكس نوردو' (Max Nordau)-أحد الزعماء البارزين في الحركة الصهيونية – في 'باريس' في تشرين ثاني ١٩٠٨ أنه قد اتخذت التدابير والترتيبات مع 'جمعية الاستيطان اليهودي' (Jewish Colonialization Association) و'التحالف الإسرائيلي العالمي' (Alliance Israelite Universall) – وهو تنظيم فرنسي تأسس سنة ١٨٦٠ من أجل العمل على رفع مستوى وتقدم اليهود – لاستيطان ما يصل إلى مائة الف يهودي في كل واحدة من الولايات العثمانية [3] ، في الوقت الذي أعرب فيه 'جاويد بك' عن وجود نية في بيع نحو " ثلاثة ملايين دونم من الأراضي في 'فلسطين' و'سوريا' إلى جمعيات الاستعمار الصهيوني "[4] . وفي نهاية سنة ١٩٠٨ علم 'جاكوبسون' أن المستشارين القانونيين في الدولة العثمانية كانوا في حقيقة الأمر يدرسون مسألة استيطان اليهود في 'فلسطين' [5]في الوقت الذي زار فيه 'دافيد فلورنتين' (David Florentin) -أحد كبار اليهود العثمانيين ورئيس صحيفة 'المستقبل' (El- Avenir) التي تصدر في 'سلانيك' – 'فلسطين' وقام هذا باستعراض التقدم الذي حققته المستعمرات الزراعية اليهودية في 'فلسطين' ، بواسطة الشركات الصهيونية وذلك أمام حوالي ثلاثة آلاف شخص [6].

ولقد علم ' ألبرت عنتيبي' (Albert Antebi) أحد قادة الحركة الصهيونية أن بعض الأعضاء الجدد في جمعية الاتحاد والترقي من العرب في 'القدس' و'يافا' ، كانوا يطالبون في النظر للمخاطر التي تتعرض لها البلاد[7] ، في الوقت الذي كانت الحركة الصهيونية تنشط داخل الدولة العثمانية حيث أسست 'المكتب الفلسطيني للمنظمة الصهيونية (The Palestine Office Of the Zionist Organization) برئاسة الدكتور 'آرثر روبين' (Arther Ruppin) وهو عالم اجتماع يهودي من أصل ألماني، وكان ذلك يدلل على ان الحركة الصهيونية أصبحت لها سياسة استيطانية منظمة داخل الدولة العثمانية وخارجها،

---

(١) الدواوين العرفية: هي محاكم عسكرية عليا من اختصاصها محاكمة المتهمين بالخيانة العظمى وإصدار أحكام .وتتكون هذه المحاكم من قسمين : هيئة تحقيق وهيئة قضاة ويرأس كل هيئة ضابط وجميع أعضاء الهيئتين من الضابط.
– الشناوي . *الدولة* ،ج٢، ص١٠٢٥

(2) Loc cit .,

(3) Mandle. *The Arab*, p.60-61.

(٤) كرد علي . *خطط*، ج٣، ص١٢٨،.

(5) Mandle. *The Arab*, p.60-61.

(6) *Revue du Monde Musulman* ,T.9,P176-178.

(7) Mandle. *The Arab*, p.70

وقبل ذلك كانت الفوضى تسود مختلف الأجهزة والمؤسسات الصهيونية ، وأما بعد إنشاء 'مكتب فلسطين' أصبحت الجهتان 'مكتب فلسطين' و'الجمعية اليهودية لاستعمار فلسطين' مسؤولتين عن الاستيطان [١] كما كانت من مهمة هذا المكتب إيجاد جو من الثقة بين العرب واليهود ، وتبديد مخاوف العرب من ان اليهود سيغتالون حقوقهم إذا ما استوطنوا 'فلسطين' [٢] ، في حين ظل اليهود داخل الدولة العثمانية يلتزمون اجمالا بمبادئ جمعية الاتحاد والترقي في ظل الظروف السائدة في ذلك الوقت ، وكان الخيار الوحيد أمام اليهود هو الوقوف إلى جانب الجمعية في محاولة دائمة للدفاع عن انفسهم [٣].

ولقد قامت الصحف العربية بمهاجمة وفضح التواطؤ القائم بين اليهود وجمعية الاتحاد والترقي [٤] ، لكن هذا الامر لم يقف حائلا دون التوسع اليهودي داخل الدولة العثمانية و'فلسطين' ؛ حيث ازدادت الشركات الصهيونية، وأصبحت منتشرة في مناطق شتى داخل الدولة مثل 'سلانيك' و'مناستير' (Monastir) و'اسكوب' و'قونية' (Konia) و'جانينا' (Janina) و'مصطفى باشا' (Mustafa Pa(a)؛ و'سميرنا' (Smyrna)و'أضنة' (Adana) وغيرهما والمدن [٥] .وإلى جانب 'مكتب فلسطين' قامت الحركة الصهيونية بتأسيس 'شركة تطوير أراضي فلسطين' كما افتتحوا فرعا 'لصندوق الائتمان اليهودي للاستعمار' في 'استانبول' [٦].

وفي سنة ١٩٠٩ اشتد النفوذ الصهيوني في جمعية الاتحاد والترقي داخل 'فلسطين' ، ففي شهر شباط أبعد الجناح التابع للبرنس 'صباح الدين' ، وقد أصاب الدكتور 'جاكوبسن' الجزع حول الامتيازات التي تتوقعها الصهيونية الآن ، في الوقت الذي سمح فيه القائمقام في"طبريا" لليهود بتشكيل وحدات حراسة للدفاع عن انفسهم عند استماعه إلى التقارير المتعلقة 'بالمذبحة الأرمنية ' عقب الثورة المضادة التي عُرفت بأحداث ٣١ مارت، وخوفاً من أن تقوم عناصر معينة في مقاطعته بالاستفادة من الحالة المتوترة؛ وذلك بتنظيم هجمات فلسطينية منسقة ضد المستعمرات اليهودية في المنطقة [٧] . وفي آذار ١٩٠٩ أرسل اثنان من كبار المسؤولين في نظارة العدلية إلى 'فلسطين' لاستطلاع الشؤون اليهودية هناك، وعند وصول أحد هؤلاء وهو 'صبحي بك' الذي عين متصرفاً على 'القدس' ، أعجب بالمستعمرات اليهودية ووفقاً لما ذكره 'البرت عنتيبي' فقد قرر مناقشة الامر شخصياً عندما يسافر إلى العاصمة 'استانبول' في إجازته المقبلة ، وحتى حلول ذلك الموعد قرر 'صبحي بك' وبمبادرة شخصية منه السماح ببيع الاراضي لليهود العثمانيين، وطلب من اليهود الأجانب في

---

[1] Laqueur. *A history*,p.153

[2]. Tunçay – Zürcher. *Socialism*, p.52

[٣]. الشناوي . *الدولة*، ج٢، ص١٠٢٦.

[٤] الجادر . *فلسطين* ، ص٨٤.

[5] *Revue du Monde Musulman* ,T.5,1908 ,P176-177.

[٦] وزارة الدفاع . *القضية*، ص٦٨.

[٧] مندل . *مواقف*، ص٣٠-٣١.

حال شرائهم الأراضي التعهد بعدم إسكان مهاجرين يهود فيها [1] ،لكن هذا الأمر لم يكن يعني شيئا على الإطلاق، فلا شيء في ذلك الوقت كان يقف حائلا أمام انتقال الأراضي من أيدي الدولة إلى المهاجرين اليهود، فما بال الأمر إذا تعلق الأمر بانتقال ملكية الأراضي من اليهود إلى اليهود.وفي صيف سنة ١٩٠٩ وضح 'طلعت بك'- وهو عضو في وفد برلماني كان يزور 'لندن' في مأدبة أقامتها الحركة الصهيونية على شرف الوفد – ان الهجرة اليهودية إلى الإمبراطورية العثمانية أمر مرحب به من حيث المبدأ" [2]

ولقد أورد تقرير للمخابرات الإنجليزية عن' طلعت بك' قوله :" وردت المعلومات التالية من مصدر يهودي موثوق به من 'كوبنهاجن' : قضى 'طلعت بك' بعض الوقت في 'برلين' لبحث المسألة الصهيونية ، وقد طلب من 'قره صو أفندي' عضو مجلس المبعوثان العثماني المجيء إلى 'برلين' ، وفوضه بمعالجة المسألة الصهيونية ، مع تأكيدات بقبول الحكومتين الألمانية والتركية السياسة التي يوصي بها [3] ،وعلى الأثر قام 'قره صو' بجمع ٢٤ زعيما يهوديا ، وألفوا لجنة من عشرين شخصا ، منهم العديد من قادة الحركة الصهيونية، وقد أوصت اللجنة بإقامة شركة مصرح بها من جانب البرلمان على الطراز البريطاني، تتكون من جميع اليهود في الدولة العثمانية، ولهذه الشركة التي سيكون مقرها في 'استانبول' السلطة على منح الحكم الذاتي للمناطق التي يسكنها اليهود، ليس فقط في 'فلسطين'، وانما في مكان آخر من الدولة العثمانية ، ويكون لهذه المناطق السلطات الكاملة على الضرائب والشرطة والمؤسسات البلدية ولقد وافق 'طلعت بك' على هذا المشروع [4].

وفي المؤتمر الصهيوني التاسع الذي عقد في 'هامبورج' بألمانيا في ١٩٠٩/١٢/٢٦ ، أكد مندوب 'سلانيك' على المصالح المتبادلة بين الدولة العثمانية واليهود، حيث أكد على أن تركيا تجد في اليهود ما تطلبه من مهاجرين جديين وأذكياء ومسالمين، واليهود يجدون في تركيا ما ينقصهم من ارض كريمة ومساحات واسعة تعطيهم فرصة لتطوير إمكانياتهم [5]. في حين أن مدير صحيفة 'أورور' الصهيونية كتب مقالا كبيرا بعنوان 'الأسبوع الكبير من بازل إلى هامبورج' قال فيه: " نحن بأحيائنا اليهودية نحيي... تركيا، إن هذا المؤتمر بعد 'بازل' يفتح عصرا جديدا للصهيونية ويفتح طريقا جديدا لإنجاز الهدف ... انه اول مؤتمر يعقد في ظل الحكم التركي الجديد، فقد كان امام المؤتمرات الثمانية الأولى سلطة مستبدة لشخص واحد ، وعين طاغية حذرة. أما المؤتمر التاسع، فيعقد بوجود سلطة شعب حر عظيم" [6] ويتوقع محرر صحيفة 'أورور' "إن ما سيفعله المؤتمر التاسع هو التأكيد على ما كان 'هرتزل' قد اعلنه في مؤتمر 'بازل' وهو عودة اليهود إلى وطنهم 'فلسطين'، وأن ذلك لا يمكن إلا عن طريق قانوني، ومن أجل ذلك

---

(1) Mandle. *The Arab*, p.62.

(٢) مندل . *مواقف*، ص٣١.

(٣) النتشة .*السلطان* ، ص١٢٧.

(٤) المرجع والصفحة نفسهما.

(٥) قاسمية . *النشاط*، ص٥٣ ؛ أنظر بتوسع Friedamn. *Germany* ,p.147.

(٦) المرجع نفسه، ص٥٢.

سيجتمع الصهيونيون، وسندعم العمل العظيم لتركيا والصهيونيين" [١] . ومهما يكن من امر فإن الاتحاديين تجادلوا في علاقتهم مع الحركة الصهيونية، ولم يكونوا قطعاً متخذين الموقف الصلب الذي اتخذه السلطان 'عبد الحميد' بخصوص الهجرة اليهودية ، واستملاك الأراضي ، وإقامة الوطن القومي لليهود في 'فلسطين'، ولم يحاول هؤلاء العمل على ابقاء الأمر على حاله قبل توليهم السلطة على الأقل ؛ بل جاهروا وعبروا ليلاً ونهاراً عن تعاطفهم مع أماني الحركة الصهيونية ، متأثرين بما لليهود والماسون من نفوذ عليهم .

ولقد حذرت صحيفة ' المنار ' الحكومة العثمانية من مغبة مساعدة اليهود فقالت: " كانت لهم يد في الانقلاب العثماني لا لأنهم كانوا مظلومين أو مضطهدين في المملكة العثمانية ، فإنهم كانوا آمن الناس من الظلم فيها حتى أنهم كانوا يفرون إليها لاجئين من ظلم 'روسيا' وغيرها، وإنما يريدون أن يملكوا بيت المقدس وما حوله ، ليقيموا فيه ملك اسرائيل وكانت الحكومة العثمانية [سابقا] تعارضهم في امتلاك الأراضي هناك، فلا يملكون شيئا منها إلا بالحيلة والرشوة ، ولهم مطامع أخرى مالية في هذه البلاد، فهم الآن يظهرون المساعدة للحكومة العثمانية الجديدة، لتساعدهم على ما يبتغون، فإذا لم تتنبه الامة العثمانية لكيدهم وتقف حكومتها عند حدود المصلحة العامة في مساعدتهم على ما يبتغون ، فإن الخطر من نفوذهم عظيم قريب، فإنهم قوم اعتادوا الربا الفاحش، فلا يبذلون درهماً من المساعدة إلا لينالوا مثقالاً أو قنطاراً من الجزاء" [٢].

وتستمر ردود الفعل العربية في محاولة التصدى للحركة الصهيونية والقيام بالتحذير من أخطارها، حيث نجد 'رشيد رضا' يكتب بعد زيارته لاستانبول عن اليهود" بأن آمالهم في 'القدس' و'فلسطين' معروفة، ومطامعهم المالية في المكان وتعظيم نفوذهم فيه غير مجهولة .... وقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين في الحكومة خطاباً بينوا فيها على ناظر المالية – 'جاويد بك' – بيعه أحسن موقع عسكري في الأستانة لشركة أجنبية بثمن دون ثمن المثل ، بسمسرة بعض اليهود، وهم يرون أنه يمكن بيع ذلك المكان بأضعاف ذلك الثمن، وقد دافع الصدر الأعظم في المسألة الأولى عن الحكومة وعن اليهود، ودافع 'جاويد بك' عن نفسه في الثانية، ونحن لا نتعرض للمحاكمة والترجيح بين المجلس والحكومة وحزبها، وانما ننبه الناس للتأمل والاعتبار"[٣].

ولقد أوضح السلطان 'عبد الحميد' حجم التنازلات التي قدمتها جمعية الاتحاد والترقي سواء في 'فلسطين' أو في غيرها حيث يقول :" كانت حدودنا في عهدي ممتدة من أشقودرة إلى خليج البصرة ومن البحر الأسود إلى صحاري أفريقيا وإذا عقدنا مقارنة ... فسيتضح لخلفائي انني لم أخلف حريقاً، وانما تركتً منطقة هائلة تضم اكثر من ثلاثين مليون نسمة، كما تركت جيشاً. لقد مضى على هذا عشر سنوات

---

(١) قاسمية . *النشاط*، ص٥٢.

(٢) المنار . مصر، م١٣، ج١٠، ٢ تشرين الثاني ، ١٩١٠، ص٧٢٥.

(٣) المنار . مصر، م ١٤، ج٢، ١ آذار ، ١٩١١، ص١٥٩.

[حينها] ، فهل استطاعوا عمل ثلث ما عملته أثناء سلطنتي، دعنا من الثلث ، فالثلث كثير فلنقل العشر فهل استطاعوه؟؟" [١].

ويقول في ذلك' لويس شيخو' :" ومن أهم مقاصد هؤلاء الزعماء جعل السيادة في المملكة للشعب التركي، والتوسل بقوة الدولة إلى إضعاف اللغة العربية وإماتتها في المملكة، وتتريك العرب مع إبقائهم ضعفاء بالجهل والضغط وذبذبة اللسان ... ومن لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة، وذلك يفضي إلى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين، الذي يراد به إعادة ملك إسرائيل إلى وطنهم الاول وإلى ابتلاع الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد" [٢]

وهذا الأمر لا يمكن ان يتم إلا بطريقة واحدة هي خلع السلطان 'عبد الحميد' الذي يقف عقبة كؤوداً امام ذلك الأمر ويقول : 'محرم فوزى طوغاي ' في مقالة له في ٢ أيار ١٩٤٧ تم نشرها في مجلة 'بيوك طوغو' التركية بعنوان :' فلسطين والمسألة اليهودية ' : " أن تصرف 'عبد الحميد' تجاه الحركة الصهيونية بهذا الشكل المعادى، كان معناه أن يتسبب في هدم تاجه وهدم عرشه، ليس هذا فقط ، بل وبالتالي في هدم الدولة العثمانية كلها" [٣] أما صحيفة ' يقظة العرب' الصادرة في 'باريس' فقد أتهمت جمعية الاتحاد والترقي بأنهم على علاقة وارتباط باليهود ومع الجمعية الماسونية، وقد ذهبت الصحيفة الى حد اتهام اليهود بإنهم يسيطرون على جمعية الاتحاد والترقي، وانهم يخططون للثورة من أجل خلق الشقاق بين العرب والأتراك ومن اجل استعجال خراب الدولة العثمانية، كي يستطيع اليهود اقامة مملكة يهودية على أنقاض الدولة العثمانية [٤].

ويتضح مما سبق أن ثورة ١٩٠٨ وعزل السلطان 'عبد الحميد الثاني' عن العرش سنة ١٩٠٩ إنما كان ثمناً دفعه السلطان لوقوفه حجر عثرة أمام الأماني الصهيونية ، وإلا فكيف نفسر أن أغلب قادة جمعية الإتحاد والترقي كانوا من يهود الدونمة وغيرهم ، وكيف نفسر انضمام يهود الدونمة وغيرهم من قياديي جمعية الاتحاد والترقي إلى المحافل الماسونية التي كان مؤسسوها والقائمون عليها من اليهود أمثال 'عمانوئيل قره صو' ، كذلك قيام هذه المحافل الماسونية ، بتوفير الملاجئ لأعضاء واجتماعات جمعية الاتحاد والترقي، ووجود المركز الرئيسي لجمعية الاتحاد والترقي في 'سلانيك' التي أغلب سكانها من اليهود أو بالأحرى التي هي مدينة يهودية، كذلك خروج القوات العسكرية لجمعية الاتحاد والترقي خلال ثورة ١٩٠٨ ، وخلال خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ من هذه المدينة ، واختيار فيلا 'الآتيني ' اليهودي في 'سلانيك' مكاناً لعزل السلطان 'عبد الحميد'، أما كان بإمكان جمعية الإتحاد والترقي اختيار مكان من القصور السلطانية لعزل السلطان فيه، أو اختيار أحد القصور الخاصة بأحد المسلمين مكاناً لذلك، كذلك اختيار مدينة غير 'سلانيك' لعزل السلطان ؛ لولا قوة نفوذ اليهود الذين أرادوا إذلال السلطان

---

(١) Bozdağ . *Abdülhamid*, p.11.

(٢) شيخو . *السر*، ك٦، ص٣٥.

(٣) حرب .*العثمانيون* ، ص٣٩.

(٤) مندل . *مؤالف*، ص٣١.

'عبد الحميد' بقسوة بسبب موقفه المعادي من الحركة الصهيونية وأطماعها في 'فلسطين' ، وذلك جزاءً لـــه حتى وفاته.

ولقد كتب 'سليمان إسرائيل' أحد اقطاب اليهود منشوراً سرياً الى المنظمات الصهيونية في اوروبـا جاء فيه ما يلي :" لقد عرضنا للسلطان 'عبد الحميد' عدة ملايين من اللـيرات الذهبيـة كرشـوة ، مقـابل أراضي 'فلسطين' ، لكنه أبى ، وطرد أقطابنا العظماء من حضوره ، واعلموا واطمئنوا أيها الإسـرائيليون إننا سنحطم دولة هذا المغرور ، ونجعل شعبه من درجـة منبـوذي الـهنود ، تحـت الـذل والاستعباد والدمار"[1] .

لقد كان اليهود يأملون دائما الاسراع بانهيار الدولة العثمانية ؛ حتى يقوموا ببناء دولتـهم بشـكل أسرع[2] ، ويمكن القول ان بداية حركة اليهود داخل الدولة العثمانية كانت فـي'سـلانيك' وانتـهت فـي 'فلسطين'[3] .

ويأتي أخيراً السلطان 'عبد الحميد' ليوضح سبب خلعه في رسالة هامة ونادرة منـه الـى الشـيخ 'محمود افندي أبو الشامات '[4] شيخ الطريقة الشاذلية ، ولقد جاء فيها بعد أدائه التحية والاحترام قولـه:" وبعد هذه المقدمة اعرض لرشادتكم ، والى أمثالكم اصحاب السماحة والعقول السـليمة المسـألة المهمـة الآتية، كأمانة في ذمة التاريخ. إنني لم أتخلَّ عن الخلافة الاسلامية لسبب ما سوى انني بسبب المضايقـة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقي المعروفة باسم 'جون تورك' وتهديدهم ، اضطررت واجبرت على ترك الخلافة الاسلامية ، ان هؤلاء الاتحاديين قد أصروا واصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومـي لليهود في الاراضي المقدسة -فلسطين- ، ورغم إصرارهم ، فلم اقبل بصورة قطعيـة هـذا التكليـف ، واخيراً وعدوا بتقديم ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية ذهبا ، فرفضت هذا التكليـف بصـورة قطعيـة أيضـا، وأجبتهم بالجواب التالي : أنكم لو دفعتم ملء الارض ذهبا فضلاً عن ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية فلن اقبـل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الاسلامية، والامة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سـنة ، فلـن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء الراشدين، لهذا لن اقبـل بتكليفكـم بوجـه قطعي ايضاً.

---

[1] النمر . *نظرات* ، ص ٢٠٩ .

[2] Atilhan, *Islâmi*, P.182.

[3] Ibid. P. 198.

[4] محمود بن محي الدين بن مصطفى ابو الشامات الدمشقي الحنفي (١٢٦٦-١٣٤١) هـ / ١٨٥٠-١٩٢٢م متصوف وأديب ، كان شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية في دمشق ، له كتب مثل ، شرح التائية الكبرى ، ويتكون من أربع مجلدات ،ورسائل اخرى منها ، المعشرات ، الموالاة ، عروج السالك ، بالاضافة الى العديد من القصائد الاخرى .

- سعيد الأفغاني،' *كانت الصهيونية هي خالعة السلطان عبد الحميد*' ، مجلة العربي ، الكويت ، العدد ١٦٩ ، (ديسمبر ، ١٩٧٢) ، ص ١٥٤ .

"وبعد جوابي هذا اتفقوا على خلعي ، فقبلت بهذا التكليف الأخير ، وحمدت المولى واحمده انني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الاراضي المقدسة 'فلسطين' ، وقد كان بعد ذلك ما كان ، ولذا فأنني اكرر الحمد والثناء على الله المتعال"[1].

لقد كان السلطان 'عبد الحميد' رجلا يفوق كثيرا من رجال عصره ، من الرؤساء والملوك ، حيث اتبع سياسة إسلامية واضحة ، وسياسة دفاع قوية عن الولايات الاسلامية المترامية الأطراف في ثلاث قارات ، فالسلطان 'عبد الحميد' لم يكن ظالماً ولا مرتشياً ، ولم يفرط بأراضي المسلمين رغم دقة موقفه ، وصعوبة ظروفه ، ولقد كثرت افتراءات الكتاب الغربيين ضده ، واتبعهم في ذلك الكتاب العرب متناسين موقفه من الأماني الصهيونية في 'فلسطين' ، وما آل إليه مصيره جراء ذلك ، وحسبه هذا الموقف ، فرغم الملايين الكثيرة والعروض السخية واللامتناهية ، والضغوط الدولية عليه ؛ إلا انه أصر على عدم التفريط بأي شيء يستطيع التصرف فيه ،وهذا الامر أثار اليهودية العالمية من صهيونية وماسونية ودونمة ، والذين شكلوا تحالفاً كبيراً ومتقناً لخلع السلطان 'عبد الحميد' ، وبذلك نفوا الصفة التركيبية التركية لجمعية الاتحاد والترقي، من حيث النشأة ووضع البرامج وتحديد الاهداف لها .

ولقد اعترف العديد من الاتحاديين بذلك الامر ، حيث اعترف 'احمد رضا' في مذكراته التي نشرها في جريدة 'جمهوريت' بعدم تفهمه وجمعية الاتحاد والترقي للسلطان 'عبد الحميد' ، بل ومدحه ومدح سياسته بشكل رفعه الى السماء [2]. كذلك يقول 'أنور بك ' احد قياديي جمعية الاتحاد والترقي مخاطبا صديقه 'جمال بك' قائلا:" أتعرف يا 'جمال' ما هي مصيبتنا ؟ انا قمنا بالانقلاب ونحن آلة في يد الصهيونية ، ولم نكن ندري ، كنا أغبياء" [3].

ويقول الدكتور 'رضا توفيق' فيلسوف الاتحاد والترقي:" قلنا ان السلطان ظالم ، وان السلطان مجنون ، قلنا لا بد من الثورة على السلطان ، وصدقنا ما قاله لنا الشيطان (لعله يقصد الماسونية والصهيونية) فثرنا ، أيقظنا الفتنة النائمة ، ولم تكن يا اعظم سياسيي العصر مجنوناً ، بل كنا نحن المجانين ولم نكن ندري ، لم نكن مجانين فحسب ؛ بل كنا انذالاً اشراراً حرموا الأخلاق الطيبة"[4].

أما اليهودية 'سوزي ليبرمان' فقد قالت نقلا عن والدها :" سوف نذهب الى الارض الموعودة ، بعد إبعاد ذلك السلطان الظالم 'عبد الحميد' ، واليوم يقوم سلطان ضعيف على ادراة 'فلسطين' ، لا يتدخل في شؤون هجرتنا ، هل تعرفين من كان يحكم 'فلسطين' ؟ كان يحكم 'فلسطين' اصدق الأمم الى تعاليم محمد، وهم العرب القساة الذين لا يرحمون ولا يشفقون ، حيث كان اليهود في حالة هجرتهم الى 'فلسطين' في عهد الحكم العربي والسلطان التركي 'عبد الحميد' ، كان هؤلاء يمنعونهم من النزول الى 'فلسطين' ،

---

[1] انظر نص هذه الوثيقة في الملحق رقم ٨ .

[2] أوزتونا. *تاريخ* ، ج٢ ، ص١٧١ .

[3] حرب . *السلطان* ، ص ٢٩٢ ؛ عبد الحميد الثاني . *مذكراتي* . هامش ص ٤٦ .

[4] حرب .*السلطان* ،ص٢٩٢ .

ويبقون في البواخر حتى يهلكوا جوعاً ، في هذه الحقبة إنتهى ذلك العهد الأسود ، حيث كان سلاطين الاتراك المستبدون يقتلوننا جوعا وسوف نتخلص من الاستبداد ، ونجتمع هناك ، ان إخواننا اليهود أنفقوا اموالاً طائلة لابعاد ذلك السلطان الظالم عن الحكم"[١]

ويأتي دور 'قره صو' اليهودي ليقول من قبيل الفخر مراراً :" ان الاتحاديين نفذوا بأربعمائة الف ليرة ذهبية ما لم ينفذه 'عبد الحميد' بخمسة ملايين" [٢].

وفاة السلطان عبد الحميد.

كانت الايام الاولى للسلطان 'عبد الحميد' في مكان خلعه في 'سلانيك' غاية في السوء ، حيث لم يتوفر في فيلا ألاتيني في الايام الاولى الحد الأدنى من المأكل والملبس ،كما حرم هو وحاشيته من مطالعة الصحف. ولقد قامت جمعية الاتحاد والترقي بمصادرة أموال السلطان 'عبد الحميد' الخاصة المودعة في البنوك الالمانية ، وذلك عن طريق التهديد والوعيد بتشديد الحراسة ، وتقييد حرية السلطان المقيدة أصلاً[٣].

ولقد قضى السلطان 'عبد الحميد' ثلاث سنوات تقريبا في فيلا آلاتينى معزولاً تماماً عما يجري داخل وخارج البلاد ، وقد تعمد أعداؤه ذلك ، حتى يظل جاهلا بما يدور ويجري من قبل قيادة جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تنحدر بالدولة الى الهاوية بسرعة .

ولقد أعلنت 'بلغاريا' استقلالها كما ذكرنا ، والتحقت 'البوسنة والهرسك' بالنمسا وأعلنت 'البانيا' الثورة واحتلت 'إيطاليا' 'طرابلس الغرب' و'بنغازي' وغيرها من المناطق ، ثم عقدت الدول البلقانية (بلغاريا و الصرب واليونان والجبل الأسود) اتفاقية فيما بينهما ، وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية التي كانت قيادتها غافلة تماماً عما يحدث ، الامر الذي ادى الى هزيمة الدولة العثمانية ، واصبحت 'سلانيك' مدينة مهددة بالسقوط بأيدي هذا الحلف ،لذلك فقد تقرر نقل السلطان 'عبد الحميد' الى العاصمة استانبول[٤]

وعندما جاء الوفد لابلاغ السلطان نيتهم في نقله استفسر عن السبب فقالوا له: ان أربع دول بلقانية قد أعلنت الحرب على الدولة ، وان الدولة قد فوجئت بالحرب ، وان الجيوش على مقربة من 'سلانيك'، ولقد استغرب السلطان ذلك الامر ، فقال لهم : "هناك سفراء وملحقون عسكريون في السفارات ، فهل كانوا نائمين ، أتتفق أربع دول فيما بينهما ولا يعلم احد شيئاً ، عندما كنت في السلطة لم ادع هذه الدول تتفق فيما بينها ابداً ، بل كنت ابذر بينهم عوامل الشقاق ، ان هذا يعني التخلي عن 'سلانيك' دون قتال" [٥]

---

[١] النعيمي . *اليهود* ، ص٢٢٨- ٢٢٩ .

[٢] طوران . *أسرار* ، ص ٣٠ .

[٣] عثمان أوغلي . *والدي* ، ص ٢٧٤-٢٨١ .

[٤] محمد علي . *السلطان* ، ص ٢٤٠.

[٥] عثمان أوغلي. *والدي*، ص٣٢٧.

ويعبر السلطان عن انفعالاته فيقول :" تولتني حالة انفعالية صعبة، حيث قلت ' لراسم بك'[1] تفضل واذهب لقائدكم ، وقل له : "انني لن اخرج من هنا الا جثة هامدة"[2] ثم دعا قائلاً : " أدعو الله بصفة اسمه القهار ان يقهر الذين كانوا السبب في ذلك ... ويحهم ... الى أي درك ألقوا بالدولة"[3] .

وبهذا تم نقل السلطان الى 'استانبول' يوم الجمعة المصادف ٢١ ذي الحجة ١٣٣٠ هـ/ ١ تشرين ثاني ١٩١٢م بواسطة البارجة الالمانية 'لورلي' (Lorelei)حيث خُصص له قصر 'بكلربكي' الذي يقع على مضيق البوسفور[4].

عبد الحميد يقضي آخر أيامه في قصر بكلربكي.

لقد قضى السلطان ما تبقى من حياته في هذا القصر ، ذلك القصر الذي شهد الفاجعة الاخيرة في حياة السلطان 'عبد الحميد' ، وذلك بدخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، حيث عبر السلطان 'عبد الحميد' ان الدخول في هذه الحرب ضد ثلاثة دول كبرى شيء ليس من التعقل بشيء.

ولما أعلنت الدولة العثمانية بقيادتها 'الجهاد' ، سيطرت الدهشة على السلطان 'عبد الحميد' حيث كان يقول بحزن شديد :"ليس الجهاد نفسه ، ولكن اسمه فقط كان سلاحاً في أيدينا ، وكنت احياناً كلما اردت تهديد سفراء الدول الأجنبية أقول لهم : ان بين شفتي خليفة المسلمين كلمة واحدة ، لا قدر الله ان تخرج ، اننا لا نملك من الجهاد الا الاسم ، فهو قوة بلا بدن ، وكيف لهم ان ينهضوا بهذا الامر ، وهل تنخدع انجلترا لهذا ؟"[5]

وبعد مدة استقبل السلطان 'عبد الحميد' 'انور بك' الذي حدثه عن أحوال الدولة خلال الحرب ، عارضاً أخر المستجدات على الساحة ، وقدم السلطان 'لأنور بك' النصيحة ، وحمله السلام الى الأميرة 'ناجية' ابنة أخيه حيث كان 'انور بك' قد تزوجها .

وفي المرة الثانية تحدث 'أنور بك' عن الحرب وقد سأل 'أنور بك' السلطان عن رأيه فقال :" ان السفينة يقودها ربانها ، وهو وحده الذي يمكنه اكتشاف الجهة التي ستأتي منها العاصفة ، وتحديد موضع الخطر، وعلي هذا يقود سفينته ، فكيف يفهم هذا من هو خارج السفينة ، وفي هذه الحالة ماذا يمكنني ان اقدم من أفكار ، أو اقترح من تدابير ، وقد لا أستطيع إزاء الحالة الراهنة ، قول شيء بعد ان تجردت من كل شيء "[6]

---

(١) راسم بك . كان مسؤولا على الاشراف على قصر 'بكلربكي' الذي يتواجد فيه السلطان عبد الحميد

(2) Bozdağ. *Abdülhamid*,P.159

(٣) محمد علي .*السلطان*، ص٢٤١.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٤١.

(٥) عثمان أوغلي . *والدي* ، ص ٣٤٢-٣٤٣

(٦) المصدر نفسه ، ص٣٤٥ .

وبعد ان انصرف 'انور بك' ، قال السلطان 'عبد الحميد' :" لم يكن هناك شك على الاطلاق في ان تنشب حرب عمومية في يوم من الايام ، غير ان تدخلنا فيها كان جهلاً عظيماً ، وسوء تدبير ، وسلامتنا كانت في البقاء على الحياد ، وما دمنا قد وصلنا الى هذه الحال ، فسوف نمضي معها حتى النهاية ، ولا حيلة لنا في ذلك " ، ثم راح يدعو والحزن يتملكه : " أذل الله من ساقوا الدولة الى هذا الحال"[1]

وظل السلطان 'عبد الحميد' يسدي النصيحة ، في حالات كثيرة للقائمين على شؤون الدولة، كما ظل سليم العقل ، صائب الرأي ، ولما حالفت قيادة الدولة المانيا خطأهم السلطان ، فقالوا له هذه سياستك ، فقال لهم :" كانت صداقة شخصية ، أوهمت بها الغربيين" ، وفي احد المرات سأله قادة الدولة عن رأيه في مسألة معينة ، وكان قد احتاط على قطعة قماش فكان ينسل خيطانها ،ويضعها أمامه على منصته ، فهمسوا قائلين ، انه غير منتبه، وانه يضحك علينا ، فلما أتموا كلامهم قال لهم :" ماذا كانت هذه الخيوط ، قالوا : قطعة قماش ، فقال لهم: هل يستطيع احد أعادتها كما كانت ، فقالوا : لا ، قال : فالدولة كانت بيدي كقطعة القماش ، والان تفرقت فلن تعود"[2] .

مرض السلطان ووفاته.

لم يعد السلطان بكامل صحته ، حيث اصبح يشكو من الإرهاق ، وكان جل شكواه من الجهاز الهضمي، وكان يثق بما يقدمه له طبيبه الخاص ، الدكتور 'عاطف بك' ، لكن وفي التاسع من شباط من مساء السبت ١٩١٨، جلس على مائدة الطعام كعادته مع زوجته ، ثم تحدث عن فقدان شهيته[3]، وما ان نهض حتى اشار الى صدره موضحاً شعوره بالألم في الجانب الأيسر يمتد الى الطرف الأيمن ، حيث تم استدعاء الطبيب الذي شخص مرضه ببوادر مرض السل ، وتم إخبار السلطان 'محمد الخامس' و'انور بك' بهذا الأمر ، لكن حالة السلطان ازدادت سوءاً ، وظل الأطباء يحاولون معالجته ، لكن المرض استفحل ، وعندما خرج الأطباء ، بقي 'راسم بك' المسؤول على الاشراف على قصر 'بكلربكي '، وقام بتقبيل يد السلطان طالباً منه السماح ، وعند مغادرة 'راسم بك'، قال السلطان :" ان راسم بك قطع أمله فينا، فقد قبل يدي ، وطلب إلى ان أسامحه في حقي ، ثم تأوه ، وقال : "لقد أسدلوا ستارة سوداء على كل خدماتي ، وليس لي حق لدى احد حتى أطالبه به"[4] وكان من عادة السلطان 'عبد الحميد' شرب القهوة ، وبينما كان يهم في احد الايام بشرب قهوته بعد ساعات من سوء حالته ، طلب السماح ممن حوله من افراد أسرته وحاشيته ، واخذ رشفة من القهوة ، وقبل ان يأخذ الثانية انسكبت القهوة على يد زوجته ، وقال بصوت عال 'الله' ، ثم سقط رأسه على ذراعها ، ولما حضر الطبيب، أدرك الحقيقة الصعبة ، فقال لزوجته : "اتركيه لي انه مغشى عليه ، وسوف أقوم له بالعلاج اللازم ، وعليكم ان تخرجوا فوراً ، لكن

---

(1) أوغلي. *والدي* ، ص٢٤٥.

(2) النمر . *نظرات* ، ص ٢١٤-٢١٥

(3) عثمان أوغلي. *والدي* ، ص٣٤٦.

(4) المصدر نفسه ، ص ٣٤٨-٣٤٩.

الطبيب الخاص لم يكن ليخفي مثل هذا الخبر طويلاً ، حيث علا الصراخ والعويل بعد دقائق داخل أنحـــاء القصر ، ودخل ضباط الحرس ، وقدموا له التحية الاخيرة ، وبهذه الصورة ارتحل السلطان 'عبد الحميـــد' الى الدار الآخرة في يوم الأحد ١٠ شباط ١٩١٨ [١] وتم دفنه في اليوم التالي ١١ شباط في ضريح جـــده السلطان 'محمود الثاني'[٢] .

تمت بحمد الله ورعايته

(١) أوغلي. *والدي*، ص ٣٤٩-٣٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٥٠ .

الخاتمة

كان السلطان عبد الحميد يمتاز بذكاء وحنكة كبيرين، وتجربة طويلة الأمد أعطته خبرة في تعاطي السياسة المحلية والدولية، وربما كانت ظروف دولته أو الظروف التي وجد فيها السلطان عبد الحميد هي السبب في ذلك، فحالة الانهيار والضعف المستشري والصراع الدولي على دولته المتمثلة بالمسألة الشرقية، تقف على طرفي نقيض مع بقاء الدولة العثمانية. ويمكن القول أن عهد السلطان عبد الحميد كان محصلة اكثر من أربعة قرون من الضعف الذي عانته الدولة، ورغم ذلك فقد حرص السلطان عبد الحميد على إدخال إصلاحات عديدة في مجالات التعليم و التحديث والجيش.

ولا يجب أن يغيب عن أذهاننا ظروف تولي السلطان الحكم، وإذا تشدد السلطان في رقابته وعدم ثقته بمن حوله، فهذا يعود الى التجربة السابقة التي خاضها عمه السلطان عبد العزيز وأخيه السلطان مراد، بالإضافة إلى الحوادث التي كانت في بداية عهد السلطان عبد الحميد، مثل عملية قصر جراغان، بقيادة علي سعاوي لإعادة السلطان المخلوع مراد، إلى جانب العديد من الأحداث الأخرى التي من شأنها أن تزعزع ثقة أي سلطان بمن حوله، وتجعله يتخذ الإجراءات اللازمة لضمان سلامته وسلامة الدولة العثمانية.

ولقد كان السلطان عبد الحميد يقاتل على جبهتين الأولى داخلية، من اجل استتباب الأمن والقضاء على الفتن والثورات المختلفة التي كانت تقوم بها الأقليات العرقية والمذهبية ذات التصور الاستقلالي، كذلك الأمر بالنسبة للجمعيات العثمانية السرية ذات التصورات الغربية الإصلاحية، ولقد ساهمت الجبهة الداخلية في زعزعة حكم السلطان عبد الحميد، خصوصا بعد تعليقه الدستور، حيث اعتبرت الجمعيات المعارضة باختلاف توجهاتها، أن سبب كل مصائب الدولة إنما بسبب تعليق الدستور، لذلك فقد عملوا على خلعه.

وأما الجبهة الخارجية، فكانت تكمن في صد وثني الدول الأوروبية عن أطماعها في أملاك الدولة العثمانية، ومحاولتهم القضاء عليها واقتسام كامل ممتلكاتها، وتمثل ذلك بالسياسة الإسلامية التي اتبعها خصوصاً بدعم فكرة الجامعة الإسلامية والدعوة لها ،وتهديد الدول الأوروبية بها وبحليفته ألمانيا التي استطاع بصداقتها إيجاد نوع من توازن القوى.

ولقد كان من سياسة السلطان عبد الحميد الابتعاد عن الحروب، وان كانت الدولة في عهده قد دخلت في حربين، فنستطيع القول أن الحرب الأولى مع روسيا كانت خارج إرادته ورغماً عنه، كونه السلطان غير القادر على اتخاذ القرارات بسبب تفرد مدحت باشا بالحكم. ولقد أضعفت هذه الحرب السلطان عبد الحميد على المستوى الداخلي و الخارجي، بسبب الخسائر المادية والمعنوية التي ألحقت بالدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد.

أما بالنسبة لجمعية الاتحاد والترقي، فقد سعت لإدخال إصلاحات اعتقدوا أنها ضرورية لإصلاح

الدولة العثمانية من كثير مما أصابها عبر عدة قرون، وهم متأثرين بالغرب وثقافته وحضارتـــه الناميــة. وهنا يبرز دور اليهود من ماسونية ودونمة وصهيونية من خلال التحالف الوطيد الذي كان قائمـــاً بينـــهم وبين جمعية الاتحاد والترقي،حيث تغلغل هؤلاء داخل هذه الجمعية واستطاعوا الوصول الـــى المنــاصب القيادية الهامة ،الأمر الذي مكنهم من اتخاذ قرارات مصيرية بخصـــوص الجمعيــة والدولــة العثمانيــة وسلطانها عبد الحميد، حيث كانوا قد سعوا لديه للحصول على وطن قومي لهم في فلســطين. وأصبحـت جمعية الاتحاد والترقي تعبر عن أماني اليهود أكثر مما تعبر عن أماني الأتراك والعثمانيين، ولقد اتضـــح أن المحافل الماسونية التي أنشأها اليهود داخل الدولة، وفرت الطرق والوسائل الممكنـــة ماديــاً ومعنويــاً للجمعية، وذلك في محاولة لحمايتها مما قد يحل بها من ضربات على يد الأجهزة الأمنية العثمانية، مثلمـــا كان يحدث في أوقات سابقة.

ويمكن القول أن الماسونية نجحت الى حد كبير في ذلك، الأمر الذي مكنها في النهاية من أحكـــام السيطرة على الجمعية بشكل كامل، وأصبحوا يسيرونها وفق سياسة محددة سلفاً، تقضي بخلـــع الســلطان عبد الحميد الثاني ،وأصبح تحقيق فكرة الوطن القومي لليـــهود فـــي فلســطين امـــراً وارداً، وإلا فكيــف يستطيعون تحقيق ذلك والسلطان عبد الحميد يمسك بزمام الأمور وموقفه من ذلك الأمر معـــروف ســلفاً؛ حيث يقضي بعدم التنازل للحركة الصهيونية عن أي شبر من فلسطين رغـــم الاغـــراءات الماليــة التـــي عرضت عليه.

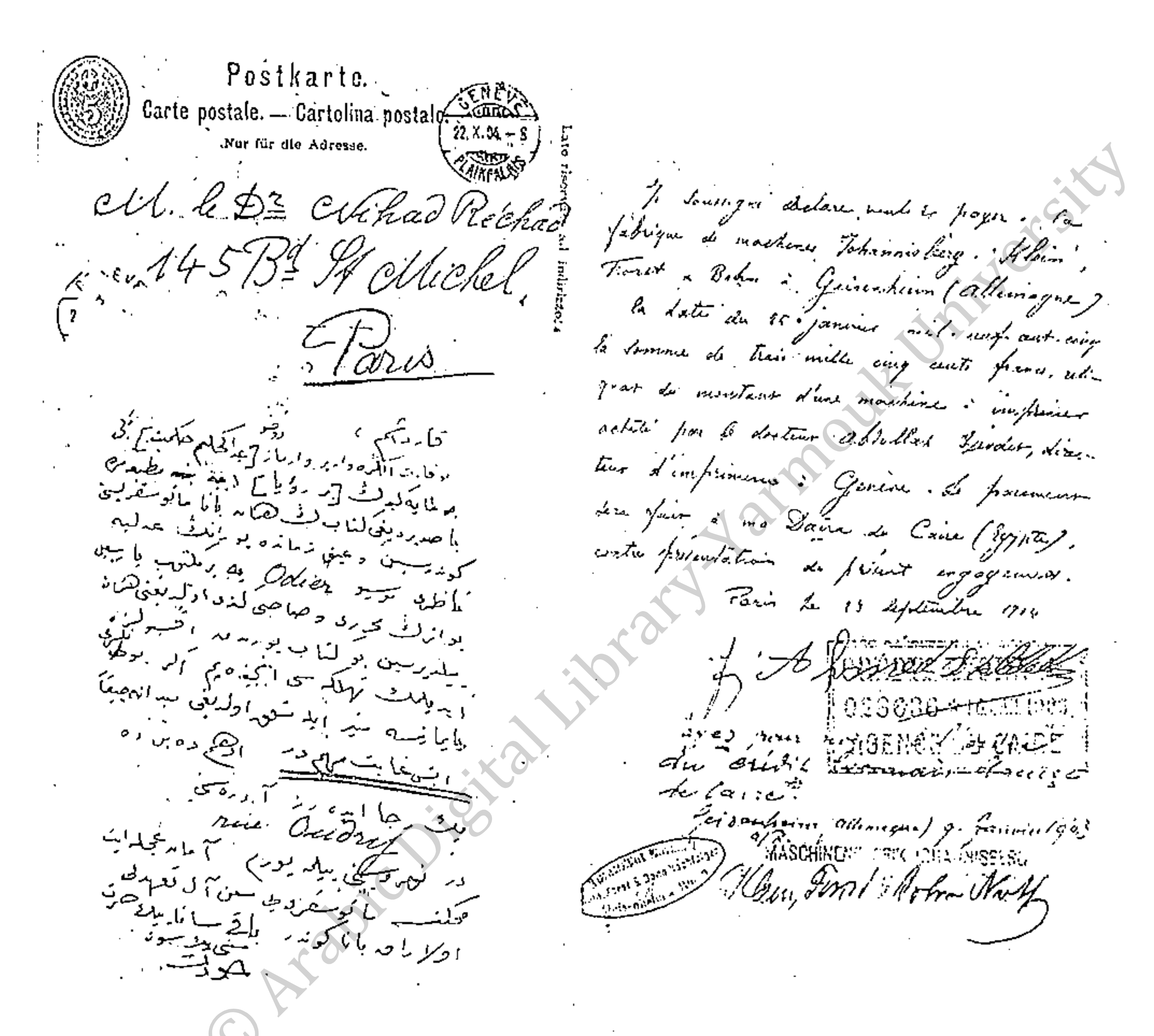
ولقد اتضح من خلال هذه الدراســة أن النشــاط الصـــهيوني ،ازداد علـــى المســتوى السياســـي والاقتصادي والإعلامي داخل الدولة العثمانية بعد تولي جمعية الاتحاد والترقي حكم الدولة، حيث ثم تعيين أولئك الذين اشتهروا بعدم نزاهتهم وأمانتهم في المناصب الإدارية الحساسة في فلســـطين، حيــث كـــانوا يجاهرون تلقائياً بسماحهم بهجرة اليهود الى فلسطين واعطائهم حـــق شـــراء الأراضـــي ،بـــل والإشـــادة بمستوطناتهم، مقتدين بذلك بالسياسية العامة لجمعية الاتحاد والترقي التي فاق استبدادها كل ما شـــاع عـــن سلاطين بني عثمان من التفرد وقمع المعارضة ومنع الصحف والبطش بأصحاب الكلمة الحرة.

ثم يأتي السلطان عبد الحميد في رسالته النادرة للشيخ محمود أبو الشامات، ليوضح وليقطع الشــك باليقين سبب خلعه، والذي هو بسبب رفضه إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ،ويبقـــى أن نقـــول: أن موقف السلطان هذا من فلسطين قد يغفر له كل ما ارتكبه من أخطاء أو نسب إليه من تـــهم وافـــتراءات. وكان اليهود وخصوصا الحركة الصهيونية الأكثر استفادة من خلع السلطان عبـــد الحميـــد، إذ أن جمعيـــة الاتحاد والترقي لم تنجح في تطبيق أي من دعواها وتصوراتها وأفكارها الإصلاحية بعد توليـــهم الحكـــم، وبذلك ذهبت عشرات السنين من النضال هباءً منثوراً أمام شهوة الحكم.

الملاحق

الملحق رقم (١)

صورة عن الرسائل التي كانت ترسل عن طريق البريد الأجنبي



Postkarte.
Carte postale. — Cartolina postale.
Nur für die Adresse.

GENÈVE 22.X.04 - 5 PLAINPALAIS

M. le Dr Akhad Rechad
145 Bd St Michel
Paris

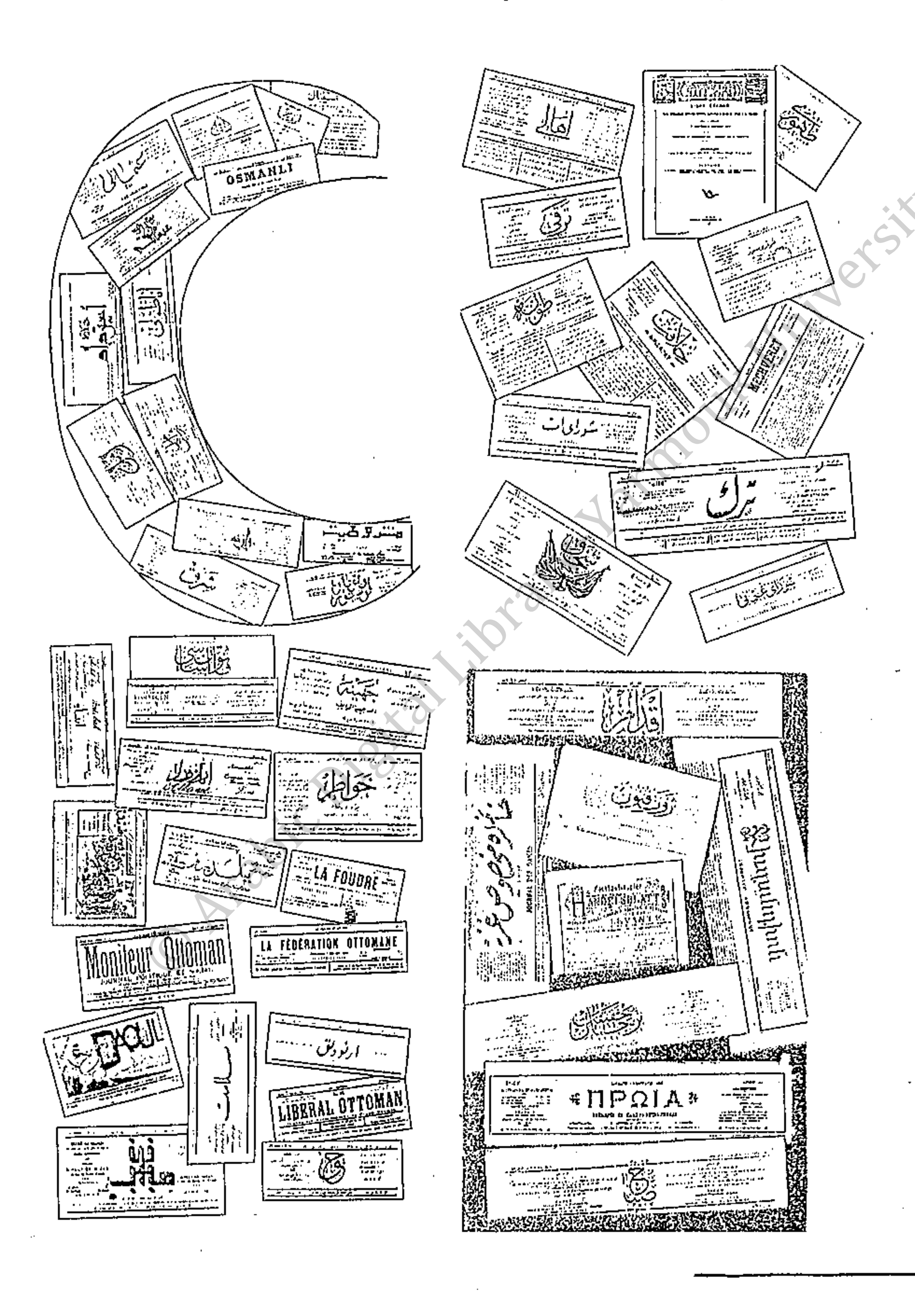
Je soussigné déclare avoir reçu pour la fabrique de machines Johannisberg, Klein, Forst & Bohn à Geisenheim (Allemagne) la date du 15 janvier mil neuf cent cinq la somme de trois mille cinq cents francs, à compte du montant d'une machine à imprimer achetée par le docteur Abdullah Djevdet, directeur d'imprimerie à Genève. Le paiement sera fait à ma Daira de Caire (Egypte), contre présentation du présent engagement.

Paris le 13 septembre 1904

Geisenheim (Allemagne) 9 Janvier 1905
MASCHINENFABRIK JOHANNISBERG

نقلاً عن .- Kuran. Inkilâp Tarihimiz, p.206+216

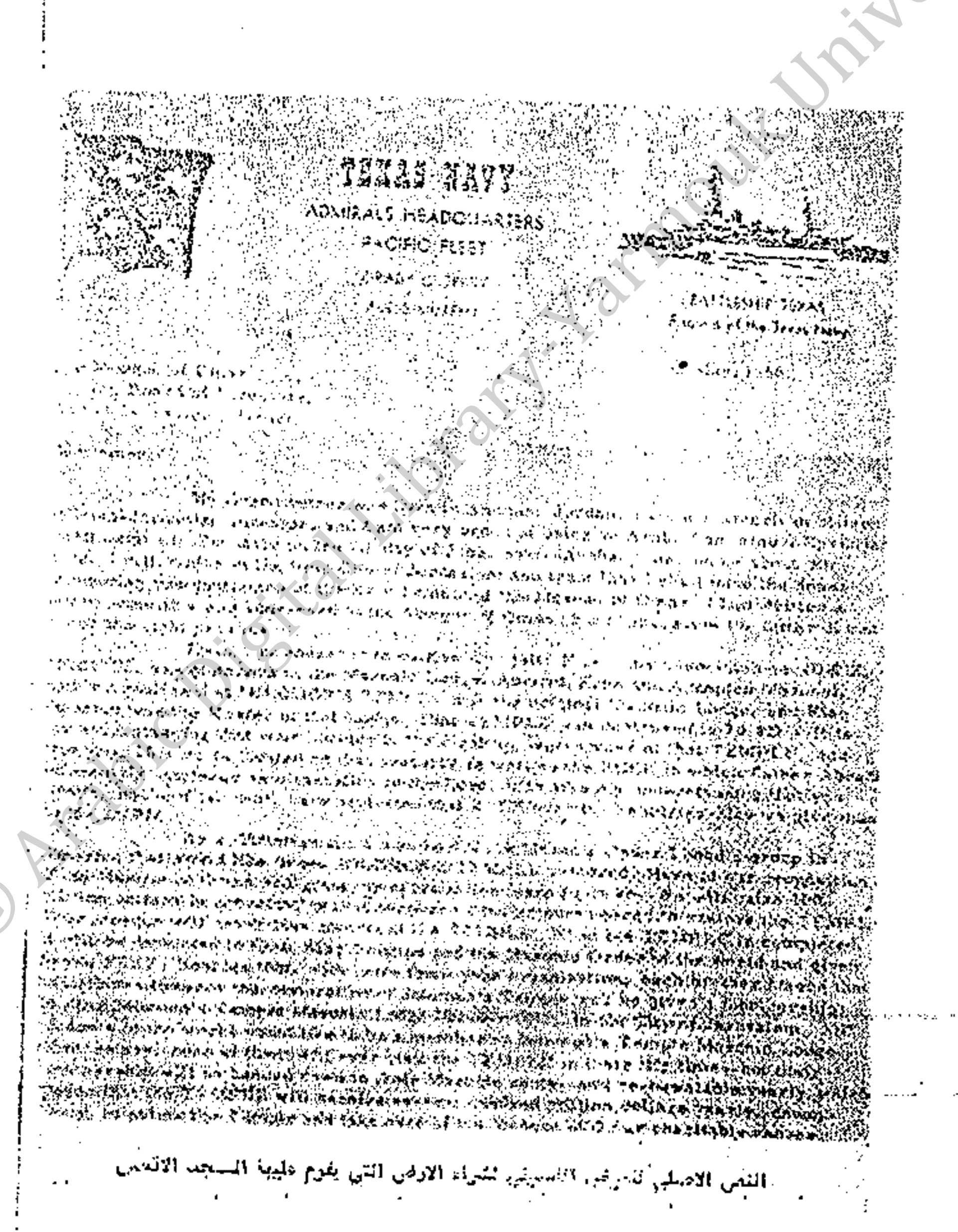
صورة عن بعض الصحف التي كانت تصدرها جميعة الاتحاد والترقي



نقلاً عن- Fesch. Constantinople.

الملحق رقم (٣)

صورة عن الرسالة التي أرسلها الماسونيان "غرايدي تيري" و "أودي مورفي" لشراء المسجد الأقصى



TEXAS NAVY

ADMIRALS HEADQUARTERS

PACIFIC FLEET

BATTLESHIP TEXAS

النص الاصلي للعرض الامريكي لشراء الارض التي يقوم عليها المسجد الاقصى

نقلاً عن -حمادة. شهادات ماسونية

٣٠ أيار ١٩٦٨

مسجد عمر،

مجلس الادارة،

مدينة القدس، إسرائيل.

سادتي

جدتي من مواليد عمان، الاردن، وأنا مواطن أمريكي من أصل ايرلندي – أردني فخـــور جـــدا بكوني عربيا، وأنا أيضا مسيحي، سأسافر الى تل أبيب في ٧ حزيران المقبـــل، أو حوالـــي ٩ حزيـــران سأصل الى المدينة المقدسة، وآمل أن أتشرف بالاجتماع بكم سادتي في المعبد المقدس لمسجد عمر. وكنت كتبت منذ مدة رسالة الى مسجد عمر، ولكن يبدو انها لم تصل الى الاشخاص المعنيين.

سأحاول الآن ان اشرح لكم الخطوط العريضة لزيارتي، أولاً زميلي "أودي مورفي"، وأنا عضوان في المحفل الماسوني "قديمان، وحران، ومعترف بنا ماسونيا". وانتم تدركون ان هيكل سليمان كان المحفل الماسوني الاصلي، والملك سليمان كان رئيس هذا المحفل.

لكن الهيكل دمر العام ٧٠ بعد المسيح. انني اعرف ان مسجدكم هو صـــاحب الـــهيكل ومالكـــه القانوني، وانه أقيم في المكان ذاته، الى جانب الصخرة التي قدم عليها ابونا إبراهيم ابنه اســـحق قربانـــا للرب، وإنني اعرف ايضاً انكم انتم العرب، أبناء اسماعيل، قد حميتم هذه الصخرة عبر القرون. فلنقـــدم الشكر الى الرب.

وإنني كمسيحي وكعضو في الحركة الماسونية، أرأس جماعة في أمريكا ، يحبون أن يعيدوا بناء هيكل سليمان من جديد. هذا هو اقتراحنا. إذا أعطى جامع عمر الأذن لمؤسستي، فســـوف نجمـــع ٢٠٠ مليون دولار في أمريكا لهذه الغاية، او المبلغ اللازم لاعادة بناء الهيكل. ان مسجدكم لن يفقـــد الســـيطرة على الهيكل ابداً وعندما ينتهي بناء الهيكل، سيكرس للرب، للملك سليمان وللحركة الماسونية في العـــالم، وسيعطى لكم مجانا. والى ذلك وبإذن من مؤسستكم، سيمنح كل أخ ماسوني أسهم في إعادة البناء عضوية في المحفل الماسوني الاول لهيكل سليمان في مدينة القدس، ومن المقدر انه لن يزور الهيكل احد منهم في حياته، لكن العضوية ستنتقل الى أولادهم الماسونين، والتي ستتجدد سنويا. وهذا يعني ان الهيكل ســـيتلقى ملايين عدة من الدولارات سنوياً،مما يكفي لحراسة المعبد والاعتناء بمسجد عمـــر وكـــل المؤسســـات الخيرية التابعة لهم. وهذا يعني ان مسجدكم لن يحتاج الى أية حملة تبرعات في المستقبل من الأعضـــاء. إنني لا اعرف أية مؤسسة دينية تستطيع العيش من دون ان تطلب من أعضائها التبرع المـــادي. لكننـــي أستطيع ان أؤكد لكم ان مؤسستكم إذا تعاونت معاً في إعادة بناء الهيكل فسوف تصبح أغنى مؤسسة دينية على الارض.

إذا أبديتم اهتماما بهذا العرض – وليس لديكم ما تخسرونه بل كل شي لتربحوه- فسنزودكم بالمال لتصرفوه في بناء الهيكل من قبل المقاولين من اختياركم، مع التفاهم المسبق على ان بعض أجـــزاء هـــذا الهيكل سيستعمل لإغراض الماسونية اما بقية المبنى فستستعمل في الأوجه التي يراها مسجدكم مناســـبة،

لان الهيكل سيكون ملكاً لكم. انه لكم نحن سنعيد بناءه لكم مجاناً. على كل حال، اقترح ان يستعمل جزء من الهيكل كمستشفى لأطفال القدس، عرباً ويهوداً معاً، ومجاناً للفقراء منهم. وسيأتيكم من الاموال عند انتهاء بناء الهيكل عن طريق تجديد عضوية الاخوة الماسونيين سنة بعد اخرى، اكثر مما تستطيعون استعماله. وعليكم ان تفهموا انني ساكون ضيفاً على شعب إسرائيل، وكمواطن أمريكي لا أستطيع ان أتورط في سياستكم المحلية.

وسأقوم بتصوير فيلم سينمائي خلال إقامتي في الارض المقدسة، ليعرض في المحافل الماسونية (فيلم ديني عن الأب إبراهيم وإسماعيل ويعقوب، يصل حتى بناء المعبد) مع قصة ولادة المسيح حتى موته على الصليب. سادتي، آمل أن تأخذوا هذه القضية بعين الاعتبار، وتبحثوها مع اعضاء مجلس إدارتكم قبل ان أصل الى المدينة المقدسة. وآمل ان يمنحني أعضاء مجلس ادارة مسجد عمر الشرف العظيم لأخاطبهم شخصياً أثناء أقامتي القصيرة في المدينة.

وليباركم الله جميعا أيها الاخوة

باخلاص

غرايدى تيرى

٥١٤، ايست هارفارد رود

بيدبانك، كاليفورنيا، القطاع ٩١٥٠١

ملحوظة :" كتبت على وجهي الورقة لأوفر ثمن طوابع"

الملحق رقم (٦)

صورة عن الشيفرة التي كانت جمعية الاتحاد والترقي تستعملها في مراسلاتها

	Fr.	Ct.
Taxe		
Réponse payée		
Exprès		
Total		

No 2

Bureau **Télégramme N°** Mots

Gondvo Consigné le 18 à heures min. du
Expédié le 18 à heures min du
au bureau de Le Télégraphiste:
Indications éventuelles

L'Administration fédérale n'accepte aucune responsabilité à raison du service de la correspondance par la voie télégraphique.
Toutefois elle prendra toutes les mesures nécessaires pour assurer et accélérer le service, ainsi que pour sauvegarder le secret des correspondances télégraphiques.
Du reste, tout correspondant a la faculté de profiter des dispositions prises en vue d'assurer la correspondance (collationnement, accusé de réception, recommandation).

Son Excellence Tahsin Bey
premier secrétaire du Palais impérial
Constantinople

adjijleri 1376 1133 1169 1357 itdighim 1139
1167 1115 1167 1469 1167 1143 1139 1165 1173
1143 1167 1163 boulounoughi hale guere

Kuram. Inkilâp Tarihimiz- نقلاً عن

الملحق رقم (٥)

صورة عن البرقية التي أرسلها "أنور بك" إلى صحيفة الصهيونية"Neue Freie Presse"

« Très honoré Monsieur,

« C'est aujourd'hui le premier jour de la liberté. Le peuple entier (Turcs, Bulgares, Serbes, etc.) a célébré cette fête. Si le Sultan ne tient pas compte de nos revendications, nous marcherons sur Constantinople.

« Agréez, etc.

« Enver,
« Membre du Comité Ottoman d'Union et Progrès,
« Général d'État-Major. »

سيدي المحترم.

ان هذا هو اليوم الاول للحرية .الشعب بأكمله ،(أتراك، بلغار،صرب، الخ)،احتفل بهذا العيـــد إذا كان السلطان لا يهتم بمطالبنا، سنقوم بالزحف الى القسطنطينية .

أنور

عضو اللجنة العثمانية للاتحاد و الترقى.

-جنرال اركان حرب-

Revue du Monde Musulman. T.5, 1908 -نقلاً عن

الملحق رقم (٦)

نص البرقية التي تطالب اليهود بالقدوم الى "خادم كوي" لخلع السلطان عبد الحميد

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Date du depot	Groupe	Nombre de mots	N° du depot

الرجاء إبلاغ البكوات حسين جاهد وجاويد ورحمي وقرة صو إفندي، الذين علمنا وجودهم لديكـــم والنواب الآخرين، بضرورة القدوم الى خادم كوي في أول قطار .

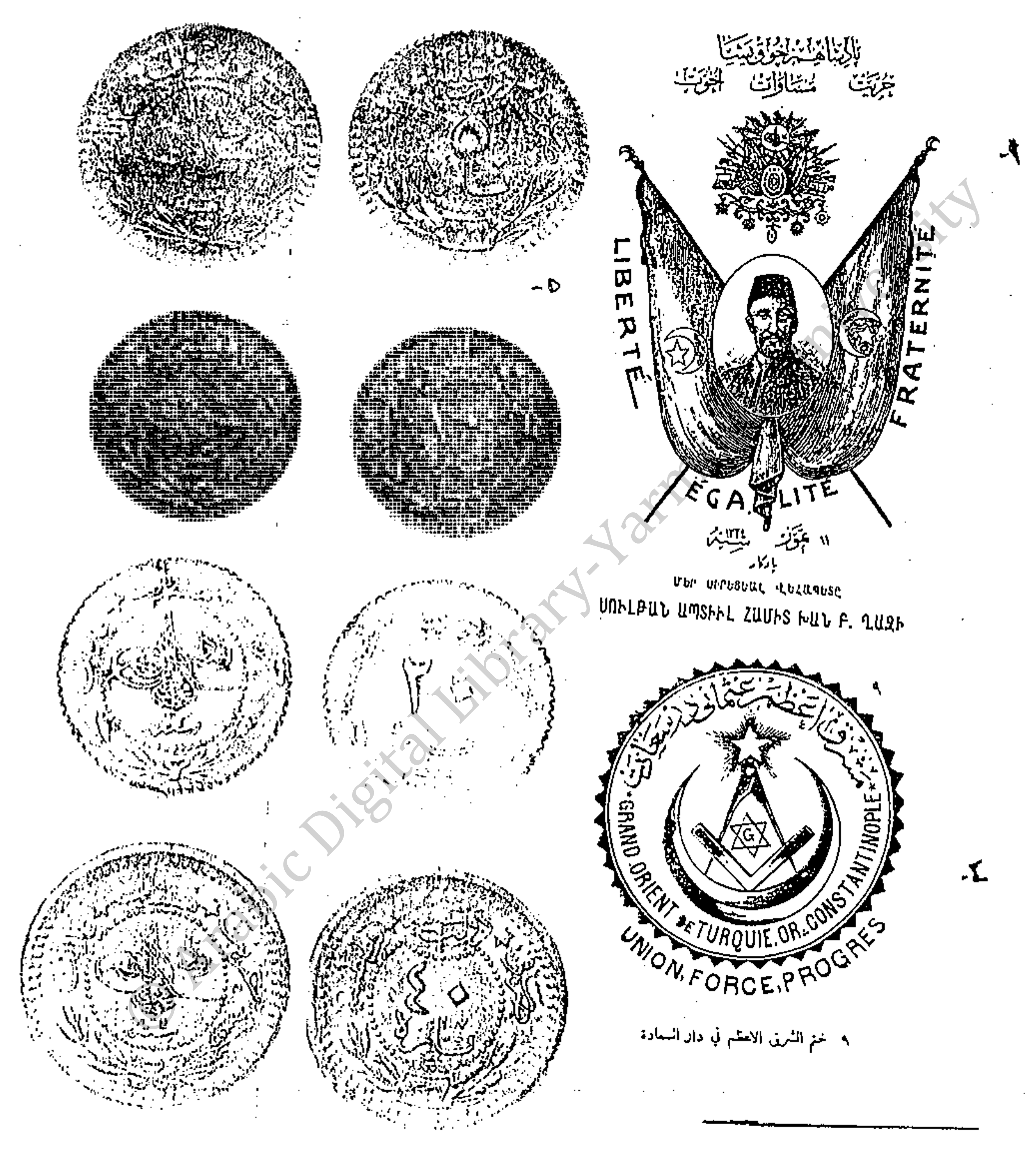
القائمقام
جمال

القائمقام
صلاح الدين

اميرالاي اركان حرب
حسن عزت

نقلاً عن – حلاق. موقف، ص٣٦٤

صورة عن النقود والنياشين والأوسمة والملصقات التي تشترك مع الماسونية في شعاراتها



٩ ختم الشرق الاعظم في دار السعادة

نقلاً عن :

1)Revue du Monde Musulman, T.5, 1908
2)Buxton. Turkey
3)V111 Turk Kongrisi,

٤) شيخو. السر المصون

٥) احمد صدقي علي شقيرات. تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن ١٨٦٤-١٩١٨ (عمان : آلاء للطباعة والتصميم، ١٩٩٢)، ص ٧٥.



UNIVERSI TERRARUM ORBIS ARCHITECTONIS AD GLORIAM INGENTIS

RITE ÉCOSSAIS ANCIEN ACCEPTÉ

FOEDERATUM summae galliae celtae concilium testatur Fratrem, cujus nomen hic inscriptum est, quique his praesentibus litteris nomen suum subscripsit architectonicae societatis mysteriis initiatum esse in justa perfectaque ☐, iis temporibus quorum alibi mentio facta est.

Inde sequitur ut omnes Frat.˙. M.˙., ne unoquidem excepto, enixissime jubeantur Frat.˙., qui illo Magistri diplomate ornatur, bene accipere et ergo eum eadem benevolentia uti qua inter sese Vidue liberos uti decet

THE Federal Council of the Grand Loge of France certifies that the undersigned was regulary initiated in a just, perfect and regular Lodge of Freemasons, and raised to the sublime degree of a Master Mason, on the dates stated hereon, and that he is duly registered in the books of this Grand Lodge accordingly.

This certificate shall not entitle any brother to admission to any Lodge without examination.

LE CONSEIL FÉDÉRAL

La Grande Loge de France

certifie que le T.˙. C.˙. F.˙.

dont la signature est apposée ci-contre, a été régulièrement initié aux mystères de la Franc-Maçonnerie dans une ☐ juste et parfaite

aux dates indiquées d'autre part.

En conséquence tous les Maçons réguliers de la terre, sans distinction de rite ou d'obédience, sont priés de vouloir bien accueillir le titulaire du présent diplôme de Maître avec tous les égards que se doivent mutuellement les enfants de la V.˙.

Donné à l'Or.˙. de Paris, le

Le Grand Secrétaire Général, Le Grand Maître,

FRATERNITÉ

A.˙. L.˙. G.˙. D.˙. G.˙. A.˙. de l'Un.˙.

FAMILLE TURQUE

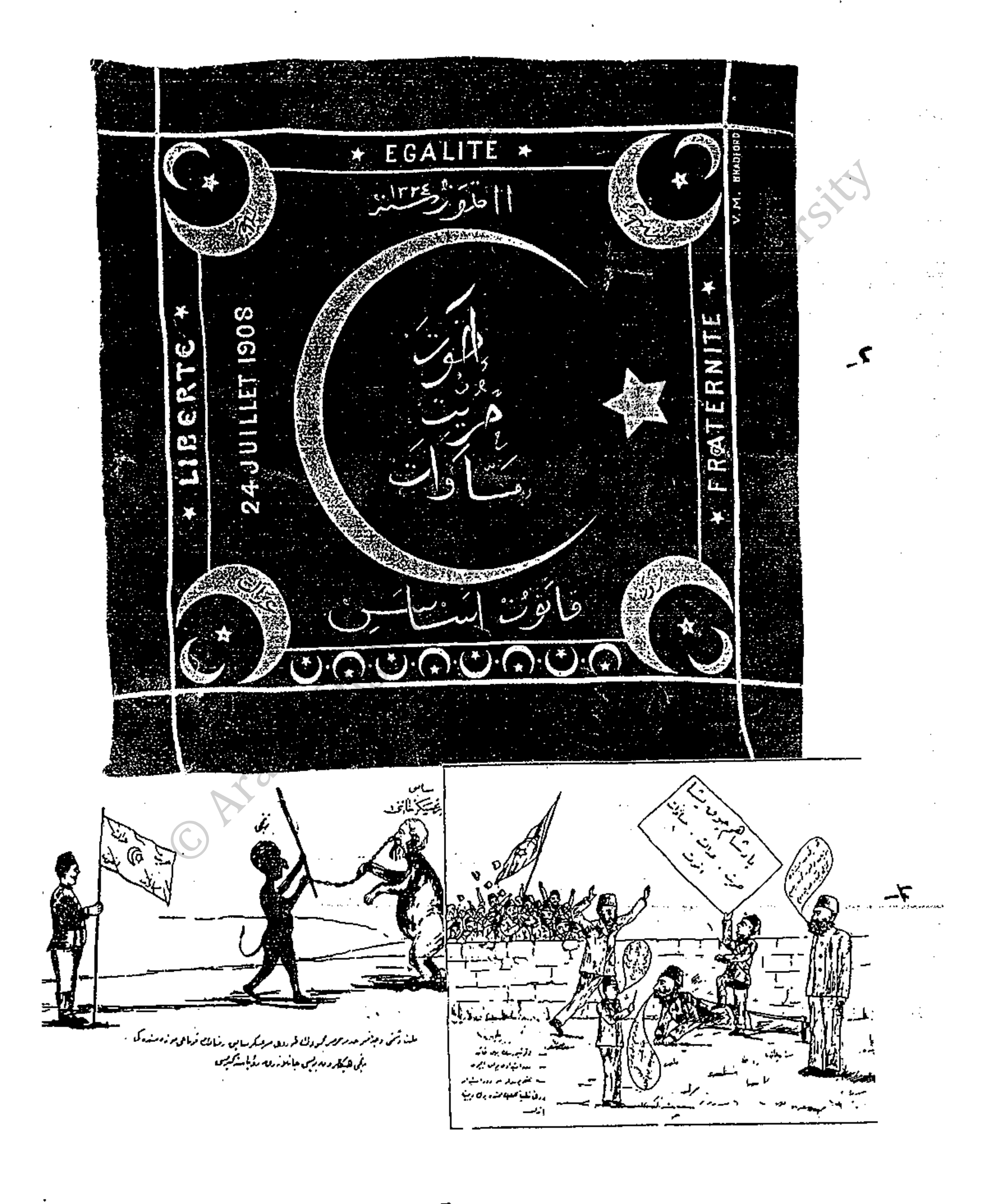
MAÇONNERIE UNIVERSELLE

LIBERTÉ · ÉGALITÉ · FRATERNITÉ

No 261

CERTIFICAT DE COMPAGNON

Res. 1


EGALITE
١١ تموز ١٣٢٤ سنه
LIBERTE
24 JUILLET 1908
FRATERNITE
اخوت
حريت
مساوات
قانون اساسي
V.M. BRADFORD

٢-

٣-

صورة عن رسالة السلطان عبد الحميد الى الشيخ محمود أبو الشامات وفيها يبين سبب خلعه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين إلى يوم الدين

[illegible]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم المسلمين

نقلاً عن – الأفغاني. كانت الصهيونية هي خالعة السلطان عبد الحميد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبة أجمعين الى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه الى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، الى مفيض الروح والحياة الى شيخ أهل عصره ،الشيخ محمود أفندي أبى الشامات واقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي، أعرض انني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مايس من السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته انكم بصحة وسلامة دائمين.

سيدي : انني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً، واعرض انني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة اعرض لرشادتكم، والى أمثالكم أصحاب السماحة، والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ: أنني لم أتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما سوى أنني – بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم "جون تورك" وتهديدهم – اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة الإسلامية. ان هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الارض المقدسة – فلسطين – ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف. وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا ،و أجبتهم بالجواب القطعي الآتي:أنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي.لقد خدمت الملة الإسلامية والامة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً.

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدونني الى سلانيك ، فقبلت بهذا التكليف الأخير، هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين. وقد كان بعد ذلك ما كان . ولذا فأنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال. واعتقد ان ما عرضته كاف في هذا الموضوع المهم وبه اختم رسالتي هذه.

ألثم يديكم المباركتين وأرجو واسترحم ان تتفضلوا بقبول احترامي. سلامي الى جميع الأخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم

لقد أطلت عليكم البحث، ولكن دفعني لهذه الإطالة ان نحيط سماحتكم علماً، ونحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في ٢٢ أيلول ١٣٢٩

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

الملحق رقم (٩)

بعض الصحف العربية والتركية المعادية للسلطان عبد الحميد الثاني

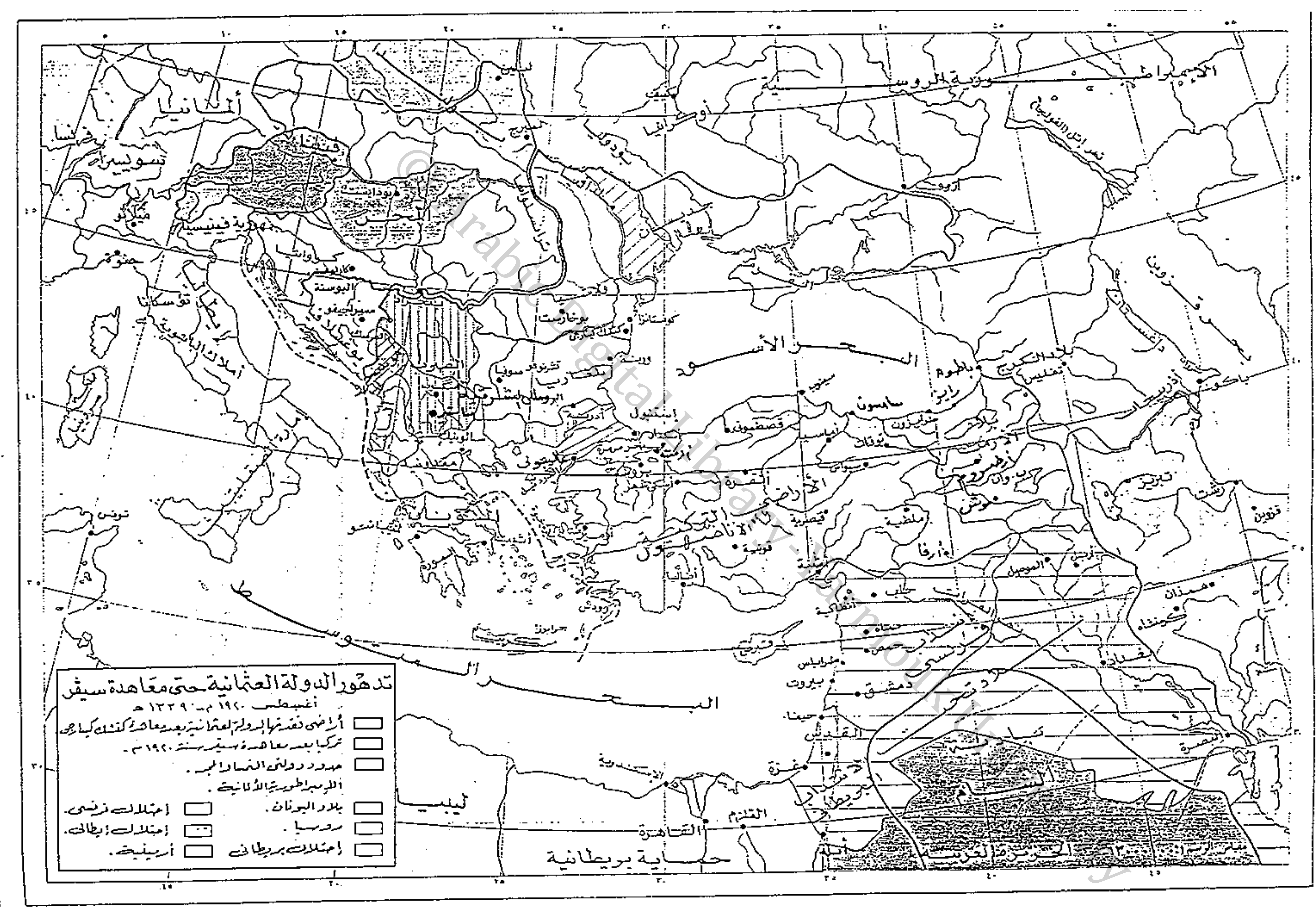
اسم الصحيفة	اللغة	صاحبها	مكان صدورها	شارك في تحريرها	ملاحظات
مشورت	التركية والفرنسية	احمد رضا	باريس وجنيف	خليل غانم	
المشير	العربية	سليم سركيس	القاهرة		
عثمانلي ١٩٨٧	التركية	عبد الله جودت	جنيف	اسحق سكوتي ونوري احمد وطونالي حلمي	
لسان العرب	العربية	نجيب حداد			
بنتي (الابله)	التركية				
النبراس	العربية	الفاضل الجاويش			
بصير الشرق	العربية والتركية	رشيد بك		اسماعيل ابراهيم	
بيلديرم (الصاعقة)	التركية	ابراهيم أدهم			
جورجونة	التركية	التركي أشرف			
سنجق	التركية	أحمد صائب			استبدلت هذه الصحيفة اسمها بعد فترة قصيرة فأصبحت تسمى شوراي أمت
ميزان	التركية	مراد بك	مصر وجنيف		
أمل	العربية	حسن فهمي			
اجتهاد	اكثر من لغة	عبد الله جودت	مصر		
ترك	التركية			نجم الدين عارف المناستيرلي وشرف الدين مغمومي	

اسم الصحيفة	اللغة	صاحبها	مكان صدورها	شارك في تحريرها	ملاحظات
قانون أساسي	التركية والعربية		مصر	محمد قدري العثماني وولي الدين يكن	
الانذار	العربية	يوسف حمدي يكن			
كشف النقاب	العربية	امين ارسلان	باريس		
كوكب امريكا	العربية		امريكا		
الايام	العربية		امريكا		
انقلاب	التركية	احمد مختار			
حريت	التركية	رفعت بك	لندن		
الهلال	العربية	خليل غانم			
انتقام	التركية	طونالي حلمي	جنيف	علي فخري و باهريالي رضا	
ملت	التركية	طونالي حلمي	جنيف	علي فخري و باهريالي رضا	
توكماك	التركية	طونالي حلمي	جنيف	علي فخري و باهريالي رضا	
ألبانيا		اسماعيل كمال الألباني	بروكسل	فائق بك كونتيزا	
تحية البانيا		اسماعيل كمال الالباني	بروكسل		
ترقي ١٩٠٦	التركية	البرنس صباح الدين	باريس	احمد فضلي بك	
إقدام – صباح	التركية	حسين جاهد بك			

الملحق رقم (١٠)

قائمة بأسماء وزارات السلطان عبد الحميد الثاني

الاسم	عدد مرات الصدارة	تاريخ توليه الصدارة	تاريخ العزل	المدة
المترجم رشدي باشا	الرابعة		١٨٧٦/١٢/١٩	٧ أشهر و ٩ أيام
مدحت باشا	الثانية		١٨٧٧/٢/٥	٤٧ يوم
أدهم باشا		١٨٧٧/٣/١٩		
احمد وفيق باشا	الاولى			شهرين و ٩ أيام
محمد صادق باشا		١٨٧٨/٤/١٨		٤٠ يوم
المترجم رشدي باشا	الخامسة	١٨٧٨/٥/٢٨		٧ أيام
محمد أسعد صفوت باشا		١٨٧٨/٦/٤		٦ أشهر
خير الدين باشا التونسي		١٨٧٨/١٢/٤		٧ أشهر و٢٦ يوم
احمد عارف باشا		١٨٧٩/٧/٢٩		شهرين و٢٠ يوم
محمد سعيد باشا	الاولى	١٨٧٩/١٠/١٨		٧ أشهر و٢٠ يوم
محمد قدري باشا		١٨٨٠/٦/٩		٣ أشهر و٣ أيام
سعيد باشا	الثانية	١٨٨٠/٩/١٢		سنة و٧ أشهر و ٢٠يوم
عبد الرحمن نور الدين باشا		١٨٨٢/٥/٢		شهرين و١٠ أيام
سعيد باشا	الثالثة	١٨٨٢/٧/١١		٤ أشهر و٢١ يوم
احمد وفيق باشا	الثانية	١٨٨٢/١٢/١		يومين
سعيد باشا	الرابعة	١٨٨٢/١٢/٣		سنتين وشهر ٢٣ يوما
محمد كامل باشا القبرصي		١٨٨٥/٩/٢٥		٥ سنوات و١١ شهر و٩أيام
محمد جودت باشا		١٨٩١/٩/٤		٣ سنوات و٩ أشهر و٤ أيام
سعيد باشا	الخامسة	١٨٩٥/٦/٨		٣ أشهر و٢٣ يوماً
كامل باشا	الثانية	١٨٩٥/١٠/١		شهر و٦ أيام
خليل رفعت باشا		١٨٩٥/١١/٧		٦ سنوات ويومين
سعيد باشا	السادسة	١٩٠١/١١/٩		سنة وشهرين و٥ أيام
محمد فريد باشا		١٩٠٣/١/١٤		٥ سنوات و٦ أشهر و٨ أيام
سعيد باشا	السابعة	١٩٠٨/٧/٢٢		٩ أيام
كامل باشا		١٩٠٨/٨/٥		
سعيد باشا				
توفيق باشا		١٩٠٩/٤/١٣	١٩٠٩/٤/٢٥	


تدهور الدولة العثمانية حتى معاهدة سيفر
أغسطس ١٩٢٠م - ١٣٣٩هـ
أراضي تفقدتها الدولة العثمانية بعد معاهدة كتشك كينارجي
تركيا بعد معاهدة سيفر سنة ١٩٢٠م.
حدود دولتي النمسا والمجر.
الإمبراطورية الألمانية.
بلاد اليونان.
صربيا.
احتلال بريطاني
احتلال فرنسي.
احتلال إيطالي.
أرمينيا.
الإمبراطورية الروسية
أوكرانيا
كييف
ألمانيا
فرنسا
سويسرا
فيينا
بودابست
ميلانو
جمهورية فينيسيا
جنوة
توسكانا
أملاك البابوية
البوسنة
سراييفو
بوخارست
كونستانزا
صوفيا
أدرنة
إستانبول
سالونيك
أثينا
المورة
رودس
قبرص
البحر الأسود
البحر المتوسط
سينوب
سامسون
طرابزون
باطوم
تفليس
بلاد الكرج
باكو
أذربيجان
قزوين
رشت
تبريز
أرضروم
ملطية
قيصرية
قونية
أنقرة
أورفا
الموصل
أربيل
حلب
أنطاكية
طرابلس
بيروت
دمشق
حيفا
القدس
غزة
الإسكندرية
القاهرة
القلزم
ليبيا
حماية بريطانية
بغداد
البصرة
همذان
كرمنشاه
تونس

قائمة المصادر والمراجع

* الوثائق المنشورة.

١- أيوب، سمير. *وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني*، بيروت: دار الحداثة للطباعة، ١٩٨٤، ج١.

٢- حسين، محمد توفيق. " *دور اليهود والماسونيين في الانقلاب العثماني ١٩٠٨*" مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد٩، السنة ٣، (أيار ١٩٧٨).

* المذكرات الشخصية.

٣- أوغلي، عائشة عثمان. *والدي السلطان عبد الحميد الثاني*، ترجمة ، صالح سعداوى صالح، ط١، عمان : دار البشير للنشر والتوزيع، ١٩٩١.

٤- عبد الحميد الثاني. *مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني*، ترجمة محمد حرب ، ط٣، دمشق : دار القلم، ١٩٩١.

٥- ________. *مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨* ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٧.

٦- شفيق باشا، أحمد. *مذكراتي في نصف قرن*، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، ج٢.

٧- ثيودور هرتزل. *يوميات هرتزل*، إعداد. أنيس صايغ. ترجمة، هيلدا شعبان صايغ، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الأبحاث،١٩٦٨.

٨- مدحت باشا. *مذكرات مدحت باشا*، تعريب، يوسف كمال بك حتاتة ط١، مصر: مطبعة هندية، د.تا.

٩- نيازى الرسنة لي، أحمد. *خواطر نيازى أو صحيفة من تاريخ الإنقلاب العثماني الكبير*، تعريب ولي الدين يكن، مصر : مطبعة على سكر أحمد، ١٩٠٩.

١٠- يكن، ولي الدين. *المعلوم والمجهول*، مصر : مطبعة الشعب، ١٩٠٩، ج١.

* المذكرات الأجنبية.

1. Abdülhamit,Sultan. *Siyasi hatiratim*, (Istanbul: Hareket yayinlari, 1974).
2. Bozdag, Ismet. *Abdülhamid in Hatira Defteri, Belgeler ve resimlerle* (Istanbul Kervan Kitapçilik, 1975).
3. Buxton, Charles. Roden. *Turkey in Revolution* (London : Fisher Unwin , 1909).
4. Edib, Halide. *Memoirs of Halide Edib* (New York – Arno Press: Anew York Times Company, 1972).
5. Fesch, Paul. *Constantinople, aux derniers jours d Abdul Hamid* (New York : Burt Franklin, 1971).
6. Herzl, Theodor. *The Jewish State, an Attempt at Amodern Solution of the Jewish Question* , Translated by "Sylvie Davigdor (London : H. Pordes. 1967).
7. Pears, Sir Edwin . *Forty Years in Constantinople 1973-1919* (New York:1935).
8. Tahsin Paşa.*Abdülhamid Ve Yildis hatiralari* (Istanbul:1933).
9. Weizmann, Chaim. *Trail and Error* (West Port – Connecticut: Green Wood Press Publishers, 1972).

* **المصادر العثمانية.**

١١- أحمد صائب . عبد الحميك *أوائل سلطنتي* ، القاهرة : هندية مطبعة سندة طبع أولنمشدر، ١٣٢٦هـ، هرحقي محفوظة، ايكنجي طبعي.

١٢- عثمان نورى . *عبد الحميد ثاني ودور سلطنتي، حيات خصوصية وسياسة سى* استانبول: كتانجانه إسلام وعسكري، ابراهيم حلمي، ١٣٢٧هـ.

* **المصادر العربية والمترجمة.**

١٣- أتلخان ، جواد رفعت . *أسرار الماسونية*، ترجمة، نور الدين رضا الواعظ – سليمان أمين القابلي، الدوحة : دار العلوم، ١٩٥٦،

١٤- الأسدأبادى، ميرزا لطف الله خان. *حقيقة جمال الدين الأفغاني*، ترجمة عبد المنعم حسين، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

١٥- آصاف، يوسف بك. *تاريخ سلاطين بني عثمان من اول نشأتهم حتى الآن*، تقديم، محمد زينهم محمد عزب، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٥.

١٦- أنطونيوس، جورج. *يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية* ، ترجمة ناصر الدين الأسد – إحسان عباس، ط٦، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٠.

١٧- أوزتونا ، يلماز . *تاريخ الدولة العثمانية* ، ترجمة، عدنان محمود سلمان (ط١،استانبول: منشورات فيصل للتمويل،١٩٩٠)، م٢.

١٨- أوكه، ميم كمال. *جاسوس في قصر السلطان*، ترجمة، وليد العريض، وهي ترجمة مخطوطة لم تنشر بعد.

١٩- ــــــــــ . *السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية* ، ترجمة إسماعيل صادق، ط١، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٢.

٢٠- باتريك، مارى ملز . *سلاطين بنى عثمان الخمسة*، تعريب، حنا غصن – كامل مروة – كامل صموئيل مسيحة، مجلة اللطائف العصرية: مطبعة صادر، ١٩٣٣.

٢١- تلحوق، وديع . *الصليبية الجديدة في فلسطين*، دمشق : مطبعة النضال، ١٩٤٨.

٢٢- التونسي، محمد خليفة – العقاد، عباس محمود . *الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون* ط٤، بيروت: المكتب العربي – دار الكتاب العربي، د. تا.

٢٣- جب، هاملتون- بوون، هارولد. *المجتمع الإسلامي والغرب*، ترجمة ، أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر : دار المعارف، ١٩٧١، ج٢.

٢٤- الحاج، يوسف . *هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود*، د. ب: د. نا، د. تا.

٢٥- حتى، فيليب. *تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين*، ترجمة، كمال اليازجي، بيروت : دار الثقافة، ١٩٥٩ ، ج٢.

٢٥- حسون، على. *الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية*، ط٣، بيروت : المكتب الإسلامي، ١٩٨٣.

٢٦- ــــــــ. *العثمانيون والبلقان*، ط٢ ، بيروت: المكتب أسلامي ، ١٩٨٦.

٢٧- الحصري، ساطع . *البلاد العربية والدولة العثمانية*، ط٢ ، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٦٠.

٢٨- الحكيم ، يوسف . *سوريا والعهد العثماني* ، ط٤، بيروت : دار النهار للنشر، ١٩٩١.

٢٩- حليم، ابراهيم بك. *التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية*، د. ب: مطبعة ديوان عموم الأوقاف، ١٩٠٥م.

٣٠- حوراني، ألبرت. *الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ -١٩٣٩*، ط٣، بيروت : دار النهار، ١٩٧٧.

٣١- الدجاني، حسن صدقي. *تفصيل ظلامة فلسطين،حقائق أرقام تقارير ووثائق هامة*، ط١، القدس : المطبعة التجارية ، ١٩٣٦.

٣٢- دقاق، باسيل. *تركيا بين جبارين*، ط١، بيروت: منشورات دار المكشوف ١٩٤٧.

٣٣- رامزور، أرنست. *تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨* ، ترجمة، صالح أحمد العلى بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠.

٣٤- زيدان، جرجى. *تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم*، ط١، بيروت : دار الجيل، ١٩٨٢.

٣٥- ستودارد، لوثر. *حاضر العالم الإسلامي*، ترجمة، عجاج نويهض، ط٤ القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٣، م٢، ج٣.

٣٦- سركيس، سليم. *سر مملكة* ،مصر : د.نا، ١٨٩٥،ج١.

٣٧- الشرقي، سعيد بن محمد. *ليلة خلع السلطان عبد الحميد الثاني، رواية شاهد عيان*، دراسة وتحقيق، محمد عيسى صالحية، دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨.

٣٨- شكر، آثار ابراهيم صالح. *قلم وزير ، تاريخ ما أهمله التاريخ من حوادث المسألة العربية في الحجاز وسورية والعراق*، تحقيق، خالد محسن إسماعيل، بغداد: مطبعة دار المعارف، ١٩٧٠.

٣٩- شيخو اليسوعى، لويس . *السر المصون في شيعة الفرمسون*، بيروت : المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩١٠.

٤٠- الصفايحي، إسماعيل أفندي. *إيقاظ الإخوان لدسائس الأعداء، وما يقتضيه حال الزمان*، استانبول: مطبعة عسكرية سليمانية، ١٣٣١هـ.

٤١- ضابط تركي سابق. *الرجل الصنم*، ترجمة، عبد الله عبد الرحمن، ط٤ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢.

٤٢- طوران، مصطفى، *أسرار الإنقلاب العثماني*، ترجمة،كمال خوجة، ط٣، بيروت: دار السلام للطباعة، ١٩٨٠.

٤٣- عبد الناصر، شوقي. *بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود* د.ب:د.نا،د.تا.

٤٤- العريسي، عبد الغني. *مختارات المفيد*، قدم لها، ناجي علوش، ط١، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨١.

٤٥- علي ، محمد كرد. *خطط الشام*، ط٢، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٠، ج٣.

٤٦- غلوش، أحمد. *الجمعية الماسونية حقائقها وخفاياها*، القاهرة : الدار القومية، ١٩٦٦.

٤٧- فردريك بيك، ج. *تاريخ شرقي الأردن وقبائلها* ، ترجمة، بهاء الدين طوقان، ط١، عمان : الدار العربية،١٩٣٥.

٤٨- فريد بك . المحامي محمد. *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، تحقيق، إحسان حقي، ط٦، بيروت: دار النفائس، ١٩٨٨.

٤٩- كامل، مصطفى. *المسألة الشرقية*، مصر : د. نا، ١٨٩٨، ج١.

٥٠- كلشي، حسن . *الوجه الآخر للاتحاد والترقي*، تقديم وترجمة، محمد الأرناؤوط، إربد: قدسية للطباعة والنشر، ١٩٩٠.

٥١- كمال، نامق. *عهد الفتح وقائع عصرين جرت بملتقى قارتين*، ترجمة عبد العزيز أمين أفندي الخانجي، د. ب: مطبعة محمود توفيق، د.تا.

٥٢- ـــــــ *فاتحة الفتوحات العثمانية*، تعريب عبد الله مخلص، حيفا، : المطبعة الوطنية، ١٩٠٩.

٥٣- لبيب، حسين. *تاريخ المسألة الشرقية*، مصر : مطبعة الهلال، ١٩٢١.

٥٤- لورنس، ت، أ. *أعمدة الحكمة السبعة*، ط٣، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩.

٥٥- لوتسكي، فلاديمير بوريسوفيتش. *تاريخ الأقطار العربية الحديث*، ترجمة ، عفيفة البستاني، ط٧، بيروت : دار الفارابي، ١٩٨٠.

٥٦- مجهول. *تلخيص التاريخ العثماني المصور*، تعريب، شاكر أفندي الحنبلي ط١، الشام : مطبعة الترقي، خاصة، محمد هاشم الكتبي.

٥٧- مجهول. *ثورة العرب مقدماتها أسبابها ونتائجها*، مصر : مطبعة المقطم، ١٩١٦.

٥٨- مدكور، محمد سلام. *جمال الدين الأفغاني، باعث النهضة الفكرية في الشرق*، ط١، القاهرة: مطبعة الهواري، ١٩٣٧.

٥٩- معهد السياسة الخارجية. *الأزمة الأرمنية في تسع أسئلة وأجوبة*، أنقرة: جامعة حاجتبة، ١٩٩٣.

٦٠- مكاريوس، شاهين. *الآداب الماسونية*، بيروت: دار نظير عبود، ١٩٨٨.

٦١- ـــــــ *الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية*، بيروت : دار مارون عبود، ١٩٨٥.

٦٢- ـــــــ *تاريخ الماسونية العملية*، د. ب، د. نا، ١٩٨٤.

٦٣- النمر، إحسان. *نظرات وتحقيقات في التاريخ العثماني*، بيروت: د. نا- د. تا.

٦٤- نويهض، عجاج. *بروتوكولات حكماء صهيون، نصوصها رموزها أصولها التلمودية*، ط٤، بيروت : دار الاستقلال للدراسات - المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٦.

• المراجع العربية والمترجمة.

٦٦- أحمد ، إبراهيم خليل (وآخرون). *تركيا المعاصرة*، الموصل : جامعة الموصل، ١٩٨٧.

٦٧- أحمد ، ليلى عبد اللطيف . *موقف الدولة العثمانية من مطامع اليهود في فلسطين*، القاهرة : دار الكتاب الجامعي، ١٩٧٨.

٦٨- إسليم ، علي محمد. *تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين* د. ب، د.نا: د. تا.

٦٩- إسماعيل، حلمي محروس. *تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى*، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧.

٧٠- أندرسون، بيرى. *دولة الشرق الاستبدادية*، ترجمة بديع عمر نظمى، ط١، بيروت مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٣.

٧١- برو، توفيق. *العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، ١٩٠٨-١٩١٤*، ط١، دمشق: دار طلاس، ١٩٩١.

٧٢- بروكلمان، كارل. *الأتراك العثمانيون وحضارتهم*، ترجمة، نبيه أمين فارس – منير بعلبكى، ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦١، ج٣.

٧٣- ــــــــــــ *تاريخ الشعوب الاسلامية*، ترجمة، نبيه أمين فارس – منير بعلبكى، ط١، دار العلم للملايين، ١٩٥٠، ج٤.+ ط٦، بيروت: دالر العلم للملايين،١٩٧٤.

٧٤- تايلور، آلان. *مدخل إلى إسرائيل ، الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧-١٩٤٧*، تعريب، شكري محمود نديم، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٩.

٧٥- التل، عبد الله. *الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام*، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي،د.تا.

٧٦- ــــــــــــ *جذور البلاء*، ط٢، بيروت : المكتب الإسلامي، ١٩٧٨.

٧٧- ــــــــــــ *خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية*، ط٣،بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٧٩.

٧٨- تني، جاك. *الأخوة الزائفة القصة المذهلة للمكانة الدبلوماسية الحثيثة لإخضاع البشرية والسيطرة عليها*، ترجمة، أحمد اليازورى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩.

٧٩- تودوروف، نيكولاى. موجز *تاريخ بلغاريا*، ترجمة أحمد سليمان الأحمد ، دمشق: مطبوعات دار الثقافة، ١٩٨١.

٨٠- الجادر، عادل حامد – ردام، عزيز عبد المهدي . *فلسطين والغزو الصهيوني*، جامعة بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٤.

٨١- جارودى، روجيه. *فلسطين أرض الرسالات السماوية*، ترجمة ، قصي أتاسي – ميشيل واكيم، ط١، دمشق: طلاس للدراسات والترجمة، ١٩٨٨.

٨٢- جانس، ج.هـ . *الصهيونية وإسرائيل وآسيا*، ترجمة ، حميد راشد ، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث، ١٩٧٣.

٨٣- جريس، صبري. *تاريخ الصهيونية ١٨٦٢-١٩٤٨*، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث ، ١٩٧٧، الجزء الاول.

٨٤- جرينيفيم ، اسحق. *الحركة الصهيونية*، ترجمة، جودت السعد، ط١، إربد: دار الجاحظ، ١٩٨٤.ج٢.

٨٥- الجزائري، سعيد. *الماسونية مالها وما عليها ، و ماضيها وحاضرها وثائق تنشر لأول مرة*، دمشق: مؤسسة النوري، ١٩٨٦.

٨٦- جفريز، ج.م.ن. *فلسطين إليكم الحقيقة*، ترجمة، أحمد خليل الحاج، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف النشر، ١٩٧١، ج١.

٨٧- الجميل، سيار. تكوين *العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦*، الموصل: جامعة الموصل، ١٩٩١ .

٨٨- ـــــــــ *العرب والأتراك، الانبعاث والتحديث من العثمانية إلى العلمنة*، ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧.

٨٩- الجندي، أنور. *يقظة الفكر الإسلامي في مواجهة الاستعمار*، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧١.

٩٠- ـــــــــ *يقظة الفكر العربي من مواجهة الاستعمار*، القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧١.

٩١- حلاق، حسان علي. *موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩*، ط٢، بيروت : الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٠.

٩٢- حاطوم، نور الدين . *تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبة والعالم*، ط١ ، دمشق: دار الفكر ، ١٩٩٥، ج٢.

٩٣- حرب، محمد. *السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار ١٨٤٢-١٩١٨* دمشق: دار القلم للطباعة والنشر، ١٩٩٥، ج٢.

٩٤- ـــــــــ *العثمانيون في التاريخ والحضارة*، القاهرة: المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، ١٩٩٤.

٩٥- حسن، عبد الباسط محمد. *جمال الدين وأثره في العالم الإسلامي الحديث*: القاهرة : مكتبة وهبة، ١٩٨٢.

٩٦- حسين، محمد محمد . *الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر*، ط٤، بيروت : دار النهضة العربية، ١٩٨٠.

٩٧- ـــــــــ *الإسلام والحضارة الغربية*، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١.

٩٨- حمادة، حسين عمر. *الأدبيات الماسونية وصلتها بالعقائد اليهودية الصهيونية وخططها لتقويض المجتمعات الإسلامية والمسيحية*، ط١، دمشق : دار الوثائق١٩٩٥.

٩٩- ــــــــــــ *شهادات ماسونية*، ط١، دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر، ١٩٨٠.

١٠٠- الحوت، بيان نويهض. *فلسطين القضية الشعب الحضارة، التاريخ السياسي منذ عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين ١٩١٧*، ط١، بيروت : دار الاستقلال للدراسات، ١٩٩١.

١٠١- الخولي، حسن صبري. *سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين*، القاهرة :دائرة المعارف، ١٩٧٣، ج١.

١٠٢- الدقن، السيد محمد . *سكة حديد الحجاز الحديدية، دراسة وثائقية*، ط١، القاهرة: د.نا، ١٩٨٥.

١٠٣- دومارس، لوسيان كافرو. *العار الصهيوني في مصادر الصهيونية وأعمالها التخريبية في العالم* ،ترجمة، أحمد رضا محمد رضا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢.

١٠٤- ذياب، محمد أحمد، *المخططات الماسونية العالمية*، ط١ القاهرة: دار المنار، ١٩٨٩.

١٠٥- أبو رية، محمود. *جمال الدين الأفغاني*، القاهرة : دار المعارف للطباعة، ١٩٦١.

١٠٦- الزعبي، محمد علي. *الماسونية في العراء*، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٣.

١٠٧- ــــــــــــ *الماسونية منشئة ملك اسرائيل*، بيروت: مؤسسة مطابع معتوق، ١٩٧٨.

١٠٨- زغروت، محمد ابراهيم. *دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية*، بحث ضمن كتاب " *الحياة الإدارية وبروز القوميات، ودور الأقليات في الولايات العربية اثناء العهد العثماني*، زغوان: منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسيكية، ١٩٩٢.

١٠٩- الزين، مصطفى. *ذئب الأناضول*، ط١، لندن – قبرص: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩١.

١١٠- زين، زين نور الدين . *الصراع الدولي في الشرق الأوسط ولادة دولتي سوريا ولبنان*، بيروت: دار النهار للنشر ١٩٧١.

١١١- ــــــــــــ *نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية* ط٣، بيروت: دار النهار، ١٩٧٩.

١١٢- زهر الدين، صالح. *الأرمن شعب وقضية*، ط١، بيروت: الدار التقدمية، ١٩٨٨.

١١٣- ــــــــــــ *اليهود في تركيا ٥٠٠ عاما* ، ط١، حلب: دار الصداقة للترجمة النشر، ١٩٩٦.

١١٤- السامرائي، نعمان. *الماسونية اليهود والتوارة*، ط١، لندن : دار الحكمة، ١٩٩٤.

١١٥- سليم ، محمد عبد الرؤوف. *تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧-١٩١٨* القسم الأول، *تطور الحركة الصهيونية الحديثة حتى تصريح بلفور*، جامعة الدول العربية : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٤.

١١٦- سنقرط، داود عبد العفو. *القوى الخفية العالمية، الماسونية*، عمان : دار الفرقان، ١٩٨٣.

١١٧- الشاذلي، محمود ثابت. *المسألة الشرقية، دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩-١٩٢٣م*، ط١ ، القاهرة : مكتبة وهبة، ١٩٨٩.

١١٨- شاكر، محمود. *التاريخ الإسلامي، العهد العثماني*، ط٢، بيروت : المكتب الإسلامي، ١٩٨٧ .

١١٩- الشريقي، ابراهيم . *أورشليم وأرض كنعان حوار مع أنبياء وملوك اسرائيل*، لندن: مؤسسة الدراسات الدولة، ١٩٨٥.

١٢٠-شقيرات.أحمد صدقي علي.*تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن ١٨٦٤-١٩١٨* ،عمان:آلاء للطباعة و التصميم،١٩٩٢.

١٢١- شلبي، أحمد . *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ط١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،١٩٨٢، ج٥.

١٢٢- ـــــــ اليهودية، ط٨، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨.

١٢٣- شلش، علي. *اليهود والماسون في مصر*، ط١، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٦.

١٢٤- الشناوي، عبد العزيز. *الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها*، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦، ج١-٤.

١٢٥- الشوابكة، احمد فهد. حركة *الجامعة الإسلامية*، ط١، الأردن : مكتبة المنار، ١٩٨٤.

١٢٦- صبحي، حسن. *التآمر الصهيوني ضد الأمة العربية ١٨٨٢-١٩٦٧*، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٨.

١٢٧- صفوة، نجدة فتحي. *الماسونية في الوطن العربي*، لندن: مركز الدراسات العربية، ١٩٨٠.

١٢٨-الطاهر، احمد حمدي. *مؤامرات اليهود على العرب والإسلام*، عمان مطبعة شاهين، ١٩٦٩.

١٢٩- طعيمة، صابر عبد الرحمن. *اسرائيل بين المسير والمصير*، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧٣.

١٣٠- ـــــــــــ *الماسونية ذلك العالم المجهول، دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية*، ط٢، بيروت : دار الجيل، ١٩٨١.

١٣١- ـــــــــــ *الماسونية الصهيونية الشيوعية غاية وهدفا*، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨.

١٣٢- ـــــــــــ *اليهود بين الدين والتاريخ*، ط١، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٢.

١٣٣- عبد الحميد، محسن . *جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه*، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

١٣٤- عبد الرحمن، أسعد . *المنظمة الصهيونية العالمية وأعمالها ١٨٩٧-١٩٨٢* ، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث، ١٩٦٧.

١٣٥-عثمان، محمود عبد الحكيم. *اليهود والحركات والمذاهب الهدامة في العصر الحديث*، المنصورة: الدار الإسلامية للطباعة، ١٩٨٧.

١٣٦- العزاوى، قيس جواد. *الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط*، ط١ فلوريدا : مركز دراسات الإسلام والعالم، ١٩٨٤.

١٣٧- عمارة، محمد. *جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام*، بيروت : دار الوحدة، ١٩٨٤.

١٣٨- عمر، عمر عبد العزيز. *دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القضية الفلسطينية*، بيروت: دار النهضة، ١٩٧٥.

١٣٩- عوض، عبد العزيز محمد . *الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤*، القاهرة : دار المعارف بمصر،١٩٦٧.

١٤٠- ــــــــــــ *مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ١٨٣١-١٩١٤* ، بيروت: المؤسسة العربية، ١٩٨٣.

١٤١- فراى، ل. *القوى الخفية في السياسة العالمية*، ترجمة، محمد كمال ثابث، بيروت: دار الكاتب العربي، د. تا.

١٤٢- قاسم، محمود. *جمال الدين الأفغاني، حياته وفلسفته*، القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية، د. تا.

١٤٣- قاسمية، خيرية. *النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨-١٩١٨* بيروت: منظمة التحرير الفلسطنية – مركز الابحاث، ١٩٧٣.

١٤٤- ــــــــ *المقاومة العربية للصهيونية*، بحث ضمن كتاب. *"الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني*، تحرير، عبد الجليل التميمي. تونس: مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية في العهد العثماني، ١٩٨٤.

١٤٥- قطب، محمد علي. *يهود الدونمة* ، ط١، بيروت : دار القلم، ١٩٨٧.

١٤٦- قلعجى، قدري. *جمال الدين الأفغاني*، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٤٧.

١٤٧- محافظة ، على . *العلاقات الألمانية الفلسطينية من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية حتى الحرب العالمية الثانية ١٨٤١-١٩٤٥*، ط١، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨١.

١٤٨- محمد علي ، أورخان. *السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده*، ط١، العراق: مكتبة الأنبار، ١٩٨٧.

١٤٩-مراد، حلمي. *مصطفى كمال أتاتورك*، القاهرة : دار المعارف بمصر ، د. تا.

١٥٠- المرجة، موفق بني. *صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية*، الكويت: مؤسسة صقر الخليج، ١٩٨٤.

١٥١- المسيرى، عبد الوهاب محمد، *اليهودية الصهيونية واسرائيل دراسات في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع*، ط١ ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٧٥.

١٥٢- مصطفى، احمد عبد الرحيم. *في أصول التاريخ العثماني*، ط١، بيروت – القاهرة : دار الشروق، ١٩٨٢.

١٥٣- مانتران، روبير(محرر). *تاريخ الدولة العثمانية* ، ترجمة، بشير السباعي، القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر،١٩٩٣، ج٢.

١٥٤- مؤسسة الدراسات الفلسطينية – وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني. *القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني* بيروت : د.نا، ١٩٧٣.

١٥٥- الميداني ، عبد الرحمن حنبكة. *مكائد يهودية عبر التاريخ*، ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٧٤.

١٥٦- ناجي ، س. *المفسدون في الأرض جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ*، ط٢، دمشق: العربي للإعلان والنشر والطباعة، ١٩٧٣.

١٥٧- النبراوى، فتحية -مهنا، محمد نصر، *قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر*، ط١، الإسكندرية: منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٣.

١٥٨- النتشة، رفيق شاكر. *السلطان عبد الحميد وفلسطين السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين*، ط٤، الرياض: شركة مطابع نجد التجارية، ١٩٨٢.

١٥٩- النعيمي، أحمد نوري. *يهود الدونمة دراسة في الأصول والعقائد المواقف*، ط١، عمان : دار البشير، ١٩٩٥.

١٦٠- ــــــــــــ *اليهود والدولة العثمانية*، ط١، بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧.

١٦١- نيازملا، محمد قربان. *السلطان عبد الحميد الثاني، وأثره في نشر الدعوة الإسلامية*، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٨.

١٦٢- هداوي، سامي. *فلسطين بين عامي، ١٩١٤-١٩٧٩* ، ترجمة، فخري حسين يغمور، ط١، عمان: مطبعة التوفيق، د.تا.

١٦٣- هلسة، تهاني. *أوراق في القضية الفلسطينية*، جامعة الدول العربية : معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٧.

١٦٤- هوفسبيان، نوبار (وآخرون). *تركيا بين الصفوة البيروقراطية والحكم العسكري* ترجمة، سامي الرزاز (وآخرون)، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥.

١٦٥- هيز، كارلتون. *التاريخ الأوروبي الحديث ١٧٨٩- ١٩١٤*، ترجمة، فاضل حسين، الموصل: جامعة الموصل، ١٩٨٧.

١٦٦- وتلن، ألما. *عبد الحميد الثاني ظل الله على الأرض*، ترجمة،راسم رشدى، القاهرة: د. نا، ١٩٥٠.

١٦٧- يكن، فتحي. *حركات ومذاهب في ميزان الإسلام*، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩.

*** المصادر والمراجع الأجنبية .**

7. Ahmed, Feroz. *The Making of Modern Turkey* (London – New York: Routldge, 1993).
8. ________. *The Young Turks, The Committee of Union and Progress in Turkish Politics 1908-1914*. (Oxford: at the Clarendon Press, 1969).
9. Akşin, Sina. *Jön Türk Tarih Kongresi Kongreye Sunulan Bildiriler Türk Tarih* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Besimevi, 1983).
10. Armstrong, H.C. *Grey Wolf, Mustafa Kemal, An Intimate Study of Adictator* (London: Arthur Barker L.T.D, 1933)

11. Atilhan, Cevat Rifat. *Islâmi Saran tahlike ve Siyonizm ve Protokolar* (Istanbul: Gün Matbaasi, 1955).
12. Barber, Noel. *The Sultans* (New York: Simon and Schuster, 1973).
13. Bayur, Yusuf Hikmet . *Türk Inkilâpi Tarihi* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1991). Cilt.1, Kisim 1.
14. Braude, Benjamin – Lewis, Bernard. *Christian and Jews in the Ottoman Empire The Functioning of Aplural Society* (London: Holmes & Meier Publishers INC, 1982) Vol ,1-2.
15. Childs, Timothy .W. *Italo – Turkish Diplomacy and The War Over Libya 1911-1912* (Leiden : E. G. Brill, 1990).
16. Chirol, Valentine. *The Turkish Empire* (London :1911).
17. Cohen, Aharon. *Israel and The Arab World* (New York : Funk & Wagnalls, 1970).
18. Cohen, Mitchell. *Zion and State Nation, Class and the Shaping of Modern Israel* (Oxford: Basil Black well, 1987).
19. Creasy, M.A Sir Edward.S. *History of the Ottoman Turks, Form The Beginning of Their Empire to the Present Time* (London: Richard Bentley and Son, 1877).
20. Danişmand, Ismail Hami. *Osmanli Tarihi Kronolojisi* (Istanbul : 1972) Vol, IV.
21. Davision, Roderic .H. *Reform in the Ottoman Empire 1856-1976* (Princeton: Princeton University Press, 1963).
22. Edib, Halide. *Conflict of East and West in Turkey* (Lahore: Shaikh Muhammad Ashraf).
23. Esco Foundation for Palestine. *Palestine ,Astudy of Jewish, Arab and British policies* (New Haven Yale University Press, 1947) Vol,1.
24. Friedman, İsaiah . *Germany, Turkey and Zionism 1897-1918* (Oxford : At the Clarendon Press, 1977).
25. Grares, Philip.p. *Britan and Turkey* (London – Melbourne: Hutchinson and C.O-L.T.D).
26. Grammont, Jean Louis Bacque – Roux, Jean Paul. *Mustafa Kemal Atatürk et Turquie Nouvell* (Paris: Maisnneuve et Larose, 1982).
27. Grece, Michel de. *II Abdülhamid Yildiz Sürgünu* (Istanbul : Bayladi ,1995).
28. *Gülhane Hatti Hümâyunu, 150 Yilinda Tanzimat Hakki Dursun Yilsiz, Yayina Hazirlayan* (Ankara : Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1992).
29. Gürün, Kamuran, *The Armenian File The Meth of Innocence Exposed* (London : K.Rustem and Brother, 1985).
30. Halpern, Ben. *The Idea of Jewish State* (Cambridge -Massachusetts : Harvard University press,1969).
31. Hanioglu, M.Şükrü . *The Young Turk in Opposition* (Oxford: Oxford University Press, 1995) .
32. Haper, Metin – Öncu, Ayşe- Kramer, Heinz (ed). *Turkey and the West, Changing Political and Cultural Identities* (London – New York; I.B. Tauris Co. L.T.D. 1993).
33. Haslip, Joan. *The Sultan, The Life of Abdul Hamid II* (London : History Book Club, 1958).
34. Hyamson, Albert. *Palestine Under the Mandate 1920-1948* (Regency: P Green Wood Press Publishers, 1976).
35. Inal, Mahmut Kemal. *Son Sadrazamlar* (Istanbul : 1982) Vol.3.
36. Kacabaş, Süleyman *Sultan II. Abdülhamit Şahsiyeti ve Politikasi* (Istanbul:1995).
37. Kansu, Aykut .*The Revolution of 1908 in Turkey* (Leiden: E.J. Brill. 1997).

38. Karpat, Kemel. H. *The Ottoman State and its place in World History* (Leiden: E.J, Brill, 1974).
39. Karal, Enver ziya. *Osmanli Tarihi, Islahat Fermani Devri 1861-1876* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1993) Vol. 7.
40. Karamusal, Ziya. *Osmanli Mali Tarihi Hakkinda Tetkikler* (Ankara : Türk Tarih Kurumu Besimevi, 1989) 2 Baski
41. Kazancigil, Alic –Özbudun, Ergun (ed).*Atatürk Founder of a Modern Turkey* (London : C. Hurst & Company 1981)
42. Kedourie, Elie. *Arabic Political Memoirs and Other Studies* (London : Frank Cass, 1974).
43. Kedourie Elie – Haim, Sylvia . G (ed). *Palestine and Israel in the 19 and 20 th Centuries* (London : Frank Cass, 1982).
44. Kilic, Altemur. *Turkey and the World* , (Washington : Public Affairs Press D.C, 1959).
45. Kinross, Lord . *Atatürk The Rebirth of Nation* (London : Weiden Feld and Nicolosn, 1971) .
46. ———— *The Ottoman Centuries the Rise and Fall of The Turkish* Empire (New Yourk : Morrow Quill Paper Back 1977).
47. Kologlu Orhan. *Abdülhamid Gerçeg* (Istanbul : 1987).
48. Kushner, David. *The Rise of Turkish Nationalism 1876-1908* (London: Frank Cass, 1977).
49. Kuran.Ahmed Bedevi. *Inkilâp Hareketleri ve Milli Mücadele* (Istanbul : Baha Matbassi, 1956).

———— *Inkilâp Tarihimiz ve Jön Türkler* (Istanbul: Tan Matbassi, 1945).

50. Laqueur, Walter. *Ahistory of Zionism* (New York : Schochen Book, 1972).
51. Latimer, Elizabeth Normeley. *Russia and Turkey in the Nineteenth Century* (Chicago: A.C.McClurry and C.O 1967).
52. Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey* (London : Oxford University, 1961).
53. ———— *The Jews of Islam* (London : Routledge & Kegan Paul, 1984).
54. Mandle, Neville. J. *The Arabs and Zionism before World War II* (California : University of California Press, 1976).
55. Mardin, Şerif. *The Genesis of Young Ottoman Thought, Astudy in the Modernization of Turkish Political Idea* (Princeton – New York: Princeton University Press,1962).
56. Mansfield, Peter. *The Ottoman Empire and its Successors* (London: The MacMillan Press L.T.D, 1973).
57. Miller, William. *The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927*) (London : Frank Cass, Co, L.T.D, 1966).
58. Ochesnwald, William *The hijaz Railroad* (U.S.A: University Press of Virginia 1980).
59. Orga, Irfan. *Phoenix Ascendant, The Rise of Modern Turkey* (London : Robert Hale Limited,1958).
60. Palmer, Alan.*The Decline and Fall of the Ottoman Empire* (London : John Murray, 1992).

61. Pamuk, Şevket. *The Ottoman Empire and European Capitalism 1820-1913, Trade Invest Press Ment and Production* (Cambridge : Cambridge University. Press,1987).
62. Pears, Sir Edwin .*Life of Abdul Hamid* (New York - Arno Press :Anew York Times Company, 1973).
63. Quataert, Donald – Zürcher, Erik. J (ed). *Workers and the Working Class in the Ottoman Empire and the Turkish Republic 1839 – 1950* (London : Tauris Academic Studies, 1995).
64. Shaw, Stanford & Shaw, Ezel Kural. *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey,* (Cambridge : Cambride University Press, 1977).
65. Shaw, Stanford.J. *The Jews of The Ottoman Empire and the Turkish Republic* (London : Mac Millan , 1991).
66. Sokolow, Nahum. *History of Zionism, 1600-1918* (London : Longmans, Green and Co, 1919), Vol,1.
67. Sonyel, Salahi. Ramsdan *Minorities and the Destruction of the Ottoman Empire,* (Ankara : Turkish Historical Society Parinting House, 1993).
68. ————————— *The Ottoman Armenians, Victims of Great Power Diplomacy* (London : K. Rustem & Brothers, 1982).
69. Stein, Leonard. *The Balfour Declaration* (London: Vallentine, Mitchell, 1961).
70. Super, Arthur Soul. *The Story of Theoder Herzl* (London : Vallentine, Mitchell, 1960).
71. Swallow, Charles. *The Sick Man of Europe, Ottoman Empire to Turkish Republic 1789-1923.* (London : Ernest Benn, 1973).
72. Tançay, Mete - Z ürher, Erik.J. *Socialism and Nationalism in the Ottoman Empire 1976-1923*(London : British Academic Press,1994).
73. Taylor, A.J.P. *The Straggle for Mastery in Europe 1848-1918* (Oxford: At the Clarendon, 1957).
74. Tepedelenioglu, Nizamettin Nazif. *Sultan Ikinci Abdülhmid Ve Osmanli Imparatorlugunda Komitacilar* (Istanbul: Toker Yayinlari, 1972).
75. *IX Türk Tarih Kongresi, Kongreye Sunulan Bildiriler* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1988) II cit.
76. *VII Türk Tarih Kongresi, Kongreye Sunulan Bildiriler* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1973) II Cit.
77. Ubicini, M.A. *Letters on Turkey* (New York – Arno Press : Anew York Times Company, 1973) .
78. Uzunçarşili, Ismail Hakki. *Midhat Paşa Ve Taif Mahkümlari* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi,1992).
79. Villata, Gorge Blance. *Atatürk,* Translated Form Spanish by Willam Campbell, (Ankara Türk Tarish Kurumu Basimevi, 1979).
80. Volkan, Vamik. D- Itzkowitz, Norman. *The Immortal Atatürk Apsychobiography,* (Chicago: The University of Chicago Press, 1984).
81. Zürcher, Erik.J. *Turkey Amodern History* (London:I.B.Tauris 1993).
82. ———— *The Unionist Factor, The R[illegible] of the [illegible] gress in the Turkish National Move*[illegible] [illegible]in, 1984).

* بحوث ودراسات.

1. الأفغاني، سعيد. "*كانت الصهيونية هي خالعة السلطان عبد الحميد*" مجلة العربي، الكويت، العدد ١٦٩(ديسمبر ١٩٧٢).
2. الآلاي صادق بك. "*بيان الأمير الآلاي صادق بك في الدستور الجيش والسياسة العثمانية، الماسونية والاتحاد العثماني*" المنار، مصر ج٥، م١٤.
3. خلف الله، محمد أحمد. "*بين هرتزل والسلطان عبد الحميد*" مجلة العربي، الكويت العدد٢٢٣، (يونيو – حزيران ١٩٧٧).
4. شيخو اليسوعي، لويس. "*الصهيونية ماضيها، حاضرها، مستقبلها*"صحيفة المشرق. بيروت، العدد١٠، السنة ١٨، م١٨(تشرين أول، ١٩٢٠).
5. شيخو اليسوعي، لويس. "*الكذب بضاعة الفرمسون*" صحيفة المشرق، بيروت، العدد٧، السنة ٢١، م٢١، (١٩٢٣).
6. عبد الحميد، محمد حرب، "*يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد*" مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٥٧ (فبراير ١٩٨٠).
7. العريض، وليد ." *تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية وآثارها*" مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، عدد١، م٢٤، (١٩٩٧).
8. العريض، وليد ." *كتاب الوقائع في الدولة العثمانية في القرنين الثامن و التاسع عشر* "، بحث غير منشور .
9. العظم، رفيق. "*الانقلاب الميمون*" المنار، مصر، ج٥، م١٢.
10. كرومر، اللورد. "*كتاب عباس حلمي*" المقتطف، مصر، ج٢، م٤٧ الفصل الخامس، (١١ أغسطس ١٩١٥).
11. مندل، نيفيل. "*مواقف العرب والأتراك من الهجرة اليهودية إلى فلسطين بين عامي ١٨٨٢-١٩١٤*" ،ترجمة، مكى حبيب المؤمن، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، العدد٢٨ (أيار – حزيران ١٩٧٨).
12. موفاكو، محمد. "*البكتاشية انتسبوا للإسلام وأعفوا أنفسهم من كل التكاليف والعبادات*" مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٢٠ (مارس ١٩٧٧).

* الصحف والمجلات(قسم التصوير الجامعة الأردنية)

١- صحيفة الإتحاد العثماني، بيروت ١٩٠٨ -١٩٠٩ ميكروفيلم رقم :٢٣٩١.

٢- صحيفة البشير ، بيروت، ١٩٠٨-١٩٠٩ ميكروفيلم رقم :

٣- صحيفة العمران، دمشق ١٩٠٩-١٩٠٩ ميكروفيلم رقم : ١٢٣٣.

٤- صحيفة الكون، نيويورك ١٩٠٨-١٩٠٩ ميكروفيلم رقم : ١٩٣٠.

٥- صحيفة المشرق، بيروت ١٩٠٨-١٩٢٣ ميكروفيلم رقم : ١٨٧٠-١٨٧٣.

٦- صحيفة المقتبس، دمشق ١٩٠٨-١٩٠٩ ميكروفيلم رقم :٣٣٣.

٧- مجلة المقتطف،مصر ١٩٠٨-١٩١٥

٨- صحيفة المؤيد، مصر ١٩٠٨-١٩٠٩ ميكروفيلم رقم :١٢١٠-١٢١٤.

٩- صحيفة الهدى،نيويورك ١٩٠٨-١٩٠٩ ميكروفيلم رقم : ٤٦٠-٤٦٨.

١٠- مجلة المنار، مصر ١٩٠٨-١٩٠٩ميكروفيلم رقم : ٢٨١-٢٨٩.

١١- مجلة النبراس، بيروت ١٩٠٩-١٩١٠ ميكروفيلم رقم : ١١٦٦.

*** الموسوعات والقواميس العربية.**

١- موجز دائرة المعارف الإسلامية. تحرير. م. ت. هوتسما - و. ت. أرنولد - ر.باسيت - هارتمان، الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري،د.تا، ج٨.

٢- الموسوعة العربية العالمية. ط١، الرياض: مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر١٩٩٦، ج٤.

٣- الموسوعة الفلسطينية، ط١، بيروت: ١٩٩٠)، م٦.

٤- بونوماريوف، ب. ن. *القاموس السياسي*، ترجمة، عبد الرزاق الصافي، ط٣ بغداد، د.نا، ١٩٧٨ .

٥- عطية الله، أحمد . *القاموس السياسي*، ط٣، القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٦٨.

*** الموسوعات ودوائر المعارف الاجنبية.**

1. *The Encyclopedia Americana*. (U.S.A: Manufactured, 1986) Vol. 1.16.
2. *Encyclopaedia Britannica*. (U.S.A : International Copyright Union, 1971). Vol.4.
3. *The Jewish Encyclopedia*. (U.S.A : Ktav Publishing House INC, 1990) Vol.1.21.
4. *Encyclopaedia Judaica* (Jerusalem : Keter Publishing House, 1978) Vol. 1,2,7,8,16.
5. *Revue du Monde Musulman*. Publiee Par, La Mission Scientfique Du Maroc, (Paris : Ernest Leroux Editeur, 1908-1909).
6. *The Encyclopaedia of Islam, A Dictionary of theGeography,Ethnography and Biography of the Muhammadan Peoples, (Leiden:E.J.Brill - London: Luzac & Co, 1936), Vol. III.*
7. *The New Encyclopaedia Britannica*. (U.S.A : International Copyright Union, 1992). Vol. 7.

Reasons of Disposing Sultan Abdul Hamid II

The importance of this study lies in its being representing the significant aspects in life of sultan Abdul Hamid II, in an attempt to know the internal and external conditions which were surrounding the sultan, especially since the emergence of the of Union and Progress Committee, the internal and external activities of the committee and its relations with Europe and the world Jewish forces. This research comes to answer several questions:

- Was the Union and Progress Committee expressing the Turkish or Ottomans aspirations?
- Were the committee's resolutions pure Turkish or Ottomans resolutions?
- Were the peoples of the Ottomans Empire benefited form 1908 Revolution and the disposition of the sultan Abdul Hamid in 1909?
- How far did the Union and Progress Committee fulfil its promises, which struggled many years for them?
- What were the real reasons of disposing the sultan?

The motive of writing on this topic lies in the availability of the books written in foreign languages about the sultan, which in many cases was not void of religions and nationality fanaticism. As for the Arabic books, they only devote few pages on the sultan. Those books rarely void of nationalist fanaticism, especially those Arabic sources done at the time of the sultan's reign. Meanwhile the recent Arabic references on the sultan very few and did not write about him in particular, and not being indulged in general details about him in particular, and not being indulged in general details about his own life, and without discussing the main points and how managed the affairs of his state. Those who wrote about the Sultan in details do not exceed the fingers of one hand. Even these books are void of many important issues for example, we can not find a single Arabic reference discusses the sultan and deals with the birth and activities of the Union and progress committee, especially it's activities in Europe and the Arab countries, These references also lack the major and important sources that treat this topic.

I sued in this research the descriptive and analytical method in treating the topic, which had helped in understanding the matters, and made it easier and more precise. What had encouraged me to write on this topic is the self desire to examine this important personality that had aroused controversy on the local Ottomans level, European and Arab levels. In addition to the availability of the references for this study, whether Arabic or foreign which enriched the Study with information and made the preferences between these information easier.

***The study is divided into four chapters*:**

***First chapter*:** Internal and external conditions of the Ottoman Empire.

In an attempt to sum up the state's conditions before and after the sultan assumed power we examined his early life and the factors that had shaped his personality as a child, then examined the institutions of the palace, and attempts made by the sultans to reform internal conditions, then dealt with the issue of

racial and religions minorities and its impact on the Ottoman policy, in addition to the problem of loans and its impact on the relation between the Ottoman Empire and Europe.

As regard to external conditions, we have discussed the foreign prerogatives, their stages, the subject of European competition and the rise of the " Eastern Question", where the origin of this name was dealt with, and with the stages that had passed through. And with the opposing policy of the sultan represented by the idea of "Islamic league", in addition to the wars with Russia and Greece.

Second chapter: The emergence and activities of The union and progress committee.

At the beginning of this chapter, we discussed the conditions through which sultan Abdul Hamid assumed power and the dramatic events that influenced his rule. As well as the beginnings of the Union and Progress Committee of the time of sultan Abdul Aziz, which was formed by Ibrahim Shinasi and Namik Kemal. And the real emergence of this committee by Ibrahim Temo with other colleagues in schools and the war academy. Sultan Abdel Aziz position toward this committee and the stages it passed through its coup detat attempts, its activity in Europe and Arab Countries, motivations and obstacles faced the founders of the committee, the positions of those states towards this activity and the disputes and spilt that had emerged within the committee.

Third chapter: The Masony, Donma and Zionism and their relations with the Union and Progress Committee.

In this chapter we defined the Masonry and it positions towards, politics and religion, as well as the sultan's position towards its activity within his state. And its relations with the union and progress committee and the ways both adopted to achieve their goals. The donma Jews were also defined and their origins, traditions and customs, the state attitudes towards them, and the influence they achieved inside the state. Then their relation with the committee was also discussed and the size of their leadership.

The Zionist movement was also defined as well as its activity with the sultan Abdul Hamid, and his attitude towards this movement, then the movement relations with the Union and Progress Committee up to 1908.

Chapter four: This chapter deals with the preparation and the conditions that led to the revolution of 1908, the leaders of the revolution and the sultan positions towards this revolution, the European position. The success of the committee to control the situation inside the country, and how far the committee fulfilled its promises which it asked sultan Abdul Hamid to implementing them, and for them the committee raised the banner of political and military opposition, all that had happened in order to overthrow the sultan in 1908, and the condition that led to that, as regard to the anti revolution that was know as 31 mart, and the reasons that let to its out break, and resulted in

the marth of the committee army and the overthrow of the sultan. Later on the real reasons of the sultan disposition, and the attitude of the European states of this matter were discussed. Then the Jewish influence inside the state was also discussed, which was completely reflected on the conditions of the Jews in Palestine as regard to establishing various associations and establishments, and the publications of newspapers and magazines.... etc and other aspects of activities.

